

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ

سِيرَتُهُ وَحَيَاتُهُ

مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

ح هشام إبراهيم محمد أحمد، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أحمد، هشام إبراهيم محمد

عيسى بن مريم عليه السلام، سيرته وحياته من خلال القرآن الكريم
(دراسة موضوعية). / هشام إبراهيم محمد أحمد. - جدة، ١٤٤٠هـ

٤٤٥ ص؛ ١٤، ٥ × ٢١ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-١٣١٦-٧

١- المسيح في القرآن ٢- قصص الأنبياء أ. العنوان

١٤٤٠/١١٥٧٠

ديوي ٥، ٢٢٩

رقم الإبداع: ١٤٤٠/١١٥٧٠

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-١٣١٦-٧

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ



تصميم وإخراج

الخطيب 0554267436



عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَلِيٌّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ

سِيرَتُهُ وَحَيَاتُهُ
مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

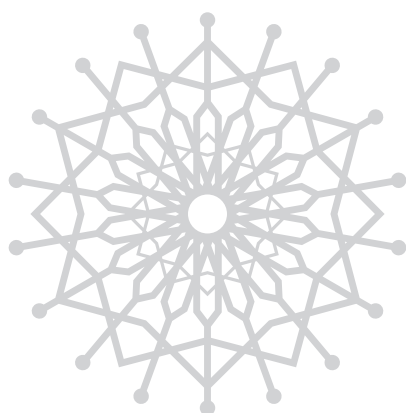
دراسة موضوعية

الجزء الأول

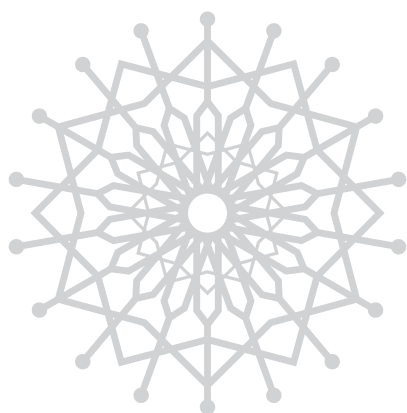


تأليف

هشام بن إبراهيم بن هشام







الْقَصَصُ

الحمد لله الواحد المعبود، عم بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، أحمده سبحانه وأشكره، وهو بكل لسان محمود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغفور الودود، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الركع السجود، والتابعين ومن تبعهم بإحسان من المؤمنين الشهود، أما بعد:

فإن القصص نسيجٌ لأحداثٍ، تحكي عبرةً، وتوصل فكرةً، وقد حث القرآن الكريم على القصص، لما فيها من العظة والاعتبار قال الله تعالى:

﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وأحسن القصص ما قصه الله تعالى في كتابه الكريم قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣].

فقصص القرآن حق لا يعتريه الزيف ولا الكذب قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ولقد قص علينا القرآن حكاية أمم غابرة يذكرنا بحالهم ومآلهم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

فذكرنا بأحوال قرى آمنتم وأخرى عنت عن أمر ربها قال تعالى:

﴿ذَلِكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ [الأعراف: ١٠١].

وأردف القرآن بقصص الأنبياء لا غنى للذاكرة عنها، فذكرها وأعرض عن أخرى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

وقصص الأنبياء في القرآن عبر وحكم يستتير بها الضال ويسترشد بها الحائر قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] فشان القصة تثبيت الأفتدة وعظة من حكم الزمان مع الإنسان قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُصْ عَلَيْكَ مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

كما أن قصص الأنبياء مصباح ينير الطريق للدعاة، يشعرهم بوعورة الطريق تارة، ويعطيهم الأمل تارات أخرى، وتصحح لهم مسار دعوتهم، كما أنها تسلوا قلوبهم، فيا ليت الدعاة والوعاظ يشتغلون بقصص القرآن، وقصص السلف، كما في سير أعلام النبلاء وغيرها، ويتركوا عنهم بُنيات نسج الخيال، ويلتزموا بما صح منها فإن فيها الغنية. وسوف نعيش في رحاب القرآن، نسترشد بقصصه ونتعظ بعبره، ونستفيد من أحكامه، فنسأل الله تعالى السداد والقبول، وفي هذا السفر نعيش معكم قصة آخر الأنبياء، قبل نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي قصة نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسوف تمر معنا قصص تعلقت بقصته. إن روعة البيان وسحر الكلام، ليعجزان عن التعبير أو الكلام عن عيسى

ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ فقد تحدّث عنه القرآن بأسلوب بلاغي عظيم، وطوّقه الأقلام أكثر من مرّة نقلًا عن القرآن، وما أنا إلا قطرة في بحرٍ، أحاول أن أستعير بلاغة القول، وسحر الأداء، وروعة البيان، لأعبر عن كلّ ما يجول في صدورنا نحن المسلمين من أسئلة عميقة عن عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجهلها حتى قساوسة النصارى، وأقول هذا الكلام من واقع عايشتها، وتجارب عاصرتها، ولعل هذا أحد أسباب كتابتي هذا السفر.

وقد تحدث القرآن الكريم عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديثًا واضحًا؛ عن مولده، وعن معجزاته، وعن دعوته، وعن الخصائص التي أكرمها الله تعالى بها، وعن جهاده من أجل إعلاء كلمة الحق، وصبره على الأذى، وعن الشبهات الباطلة التي أثارها أعداؤه حوله، وعن بشارته بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن تكريم الخالق له ولأمه في الدنيا والآخرة، فأحببت أن أنقل كلام أهل العلم من المفسرين وغيرهم وتساؤلاتهم عن عيسى ابن مريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن أسباب كتابة هذا البحث أن المعلمين في حلقات تحفيظ القرآن كثيرًا ما يسألون عن عيسى أسئلة مهمة جدًّا، قد تبدو في ظاهرها بسيطة لكنها مهمة وعظيمة، أحاول جاهدًا هنا أن أنقل ما وصلني من تساؤلاتهم بإذن الله تعالى، وأنقل لهم ما ذكره أهل العلم في ذلك سائلًا الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق والسداد، ولعل من المناسب هنا أن أذكر منها على سبيل المثال:

ورد أن من تكلم في المهدي ثلاثة منهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ووردت نصوص تفيد أنهم أربعة وأكثر كيف تُوفّق بينها؟ ومنها أيضًا هل يجوز

لنا أن نقول على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أن نقول عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ومن الأسباب أيضًا سمعت أثناء مناقشة عدد من النصارى عددًا من الأسئلة، منها: ما هذه الصلاة التي تصلونها؟ وكيف تقبلون الأرض؟ وهل كانت صلاة عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل صلاتكم هذه؟، وكيفية صلاة الأنبياء قبله؟ ومن أعظم أسئلتهم ماهي حقيقة عيسى ابن مريم هل هو ابن الله؟ تعالى اللهُ عَزَّجَلَّ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾.

وقد رأيت أن هذا السؤال هو سبب تخوف كثير من النصارى من قبول الإسلام والدخول فيه، وهو أنهم تعلموا من صغرهم أن المسيح هو ابن الله!!!! تعالى اللهُ عَزَّجَلَّ، ولا يستطيعون مواجهة هذه الخرافة، ويصعب عليهم رفضها لأنهم نشأوا عليها.

والعجيب أيضًا أن هذا هو سبب إسلام الكثير منهم في نفس الوقت، وذلك أنهم حينما يصغون لآيات القرآن الكريم، في كلامه عن بشرية عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه كمثل آدم خلقه الله من طين من غير أم ولا أب، ومن غير مثال سابق، وكذلك عيسى خلقه الله من أم بغير أب، فمن خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من دون أب و لا أم، قادر على أن يخلق عيسى من أم دون أب، من يفهم هذا و يعلم أنه موافق للعقل السليم، يدخل الإسلام طواعية لأنه دين الفطرة، ومن أعظم ما دفعني لكتابة هذا البحث تعلق كثير من أبناء المسلمين بمشاهير النصارى، وتقليدهم، مع

علمنا نحن المسلمين بجهل النصارى بدينهم ونيهم، وأنهم يشركون بالله بجهلهم، على سبيل المثال لا الحصر عبادتهم للصليب وتعظيمهم له، ورسمة في لباسهم وعلى أجسادهم، وهكذا من تشبه بهم في لباسهم. وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تشبه بقوم فهو منهم^(١)، وكذا إذا لم يكن صليبا واضحا كالرسوم والنقوش التي توجد في الفرش واللحف التي لا يتضح كونها صليبا، ومع ذلك فعلى المسلم الحذر والانتباه لحيل النصارى في شعارهم وما يعظمونه، ولا شك أن عبادتهم لهذا الصليب غاية الجهل والسفه وضعف التفكير، فكيف بمسلم امتن الله عليه بنعمة الإسلام والتوحيد أن يسعى جاهداً في تقليدهم، ولذلك قال ابن القيم^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَعْبَادَ الصَّلِيبِ، لَأَيِّ مَعْنَى يُعْظَمُ أَوْ يُقْبَحُ مَنْ رَمَاهُ؟
وَهَلْ تَقْضِي الْعُقُولُ بغيرِ كَسْرِ وَإِحْرَاقٍ لَهُ، وَلَمَنْ بَغَاهُ؟

(١) رواه أحمد في مسنده، شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، (١١/٤٥٣) وأبو داود عن ابن عمر سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية وقال المحقق إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه، علته عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع الصغير وزياداته قال: حديث «من تشبه بقوم فهو منهم»، (صحيح)، عن ابن عمر، عن حذيفة. الإرواء ١٢٦٩، حجاب المرأة المسلمة ص ١٠٤، المكتب الإسلامي (٢/١٠٩٥).

(٢) إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية (٢/٢٨٨).

إِذَا رَكِبَ إِلَهُ عَلَيْهِ كُرْهًا وَقَدْ شُدَّتْ لِتَسْمِيرِ يَدَاهُ
 فَذَلِكَ الْمَرْكَبُ الْمَلْعُونُ حَقًّا فَدُسُّهُ، لَا تَبْسُهُ إِذْ تَرَاهُ
 يُهَانَ عَلَيْهِ رَبُّ الْخَلْقِ طُرًّا وَتَعْبُدُهُ؟ فَإِنَّكَ مِنْ عِدَاهُ
 فَإِنَّ عَظَمَتَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ قَدْ حَوَى رَبَّ الْعِبَادِ، وَقَدْ عَلَاهُ
 يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ أَفِقْ، فَهَذَا بَدَايَتُهُ، وَهَذَا مُنْتَهَاهُ

وللعلم لا يوجد دين على وجه الأرض يحترم الأنبياء والمرسلين والصالحين من الأمم السابقة سوى الإسلام، فهو دين محمد وابراهيم وعيسى وسائر الأنبياء والمرسلين، مع اختلاف شرائعهم وأحكام أديانهم، فلذلك نجد ما جاء في فضائل السيدة مريم وابنها نبي الله عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ما لا نجده في كتب النصارى أنفسهم، فالأناجيل التي بأيديهم لا تكاد تذكر شيئاً عن السيدة مريم، بينما تناول القرآن كل شيء يتعلق بها، بدايةً من حين أن دعت أمها الله **عَزَّجَلَّ** أن يرزقها الذرية، الى نهاية قصتها **عَلَيْهَا السَّلَامُ**.

وهذا من عدل الإسلام وعظمته، وأن هذا الدين كله حق من عند الله تعالى رب كل الأنبياء والمرسلين، فهو دين الفطرة السليمة، والعقل السوي، فهذه الفضائل لا نجدها في أناجيلهم المحرفة التي بين أيديهم الآن، فهي سقيمة معلولة، ركيكة ولا نرى مذهباً في الدنيا أشد ركاكةً وبعداً عن العقل من مذهب النصارى، ولا نرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالاتهم، وكفرهم وشركهم برب العالمين.

ومن قرأ أناجيلهم فلا بد له من أن يكفر بها لما تحتويه من أباطيل وأكاذيب، وأشياء لا يمكن لذي عقل سليم أن يقبلها فضلاً عن أن يتخذها

ديناً، والكلام عن فساد دين النصارى وبطلان عقائدهم وأناجيلهم كثير لا ينتهي، ولعل ما أقدمه يكون فيه كفاية لمن أراد الحق، والغرض من هذا الكتاب بيان سيرة نبي الله، عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبيان بشريته وأنه من جنس البشر نبياً ورسولاً من رب العالمين، ثم بيان تحريف النصارى لدينهم.

كما نقلت الكثير عن النصارى أنفسهم لبيان بطلان مذهبهم وما ابتدعوه في دينهم من كفر وشرك بالله رب العالمين، وهدفت من هذا التوسع والنقل أن يكون مرجعاً في بابه، يستفيد منه الدعاة والمتخصصين، كما أنه يكون مفيداً لمن أراد المعرفة والاطلاع عن النصارى ودينهم، وأسباب تفرقهم وتناحرهم.

وقد قمت بنقل تلخيص عرض كامل لكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ، وسبب تأليف شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ لكتابه، هو أن أحد بطارقة النصارى وعلماء دينهم اجتاز بعض أنحاء العالم الإسلامي في تركيا وغيرها، وعاد إليهم وأخذ يخطب ويقول: ^(١) إن المسلمين على دين باطل محرف، فتصدى له شيخ الإسلام ورد عليه في هذا الكتاب الضخم، ثم لخصت سريعاً كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للعلامة ابن قيم الجوزية رَحْمَةُ اللَّهِ و يعرض الكتاب في موضوعية وعمق جوانب التحريف في النصرانية واليهودية داعماً لكل ما يذب إليه بنصوص من كتبهم المحرفة، وأتمنى بذلك أن أكون قد وفقت في نقل الصورة كاملة، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وقد قسمت الكتاب الى سبعة فصول وهي:

الفصل الأول: المتشابه اللفظي والتكرار الوارد في الآيات في قصة

عيسى ابن مريم.

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: المتشابه اللفظي والتكرار الوارد في الآيات في

قصة عيسى ابن مريم.

المبحث الثاني: الآيات الواردة في خصائص ومعجزات عيسى

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

المبحث الثالث: من هم آل عمران ولماذا اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ؟

المبحث الرابع: مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

المبحث الخامس: بعض خصائص مريم وفضائلها عَلَيْهَا السَّلَامُ من

القرآن الكريم.

المبحث السادس: زكريا وهو والد يحيى ابن خالة عيسى وهو من

كفل مريم.

المبحث السابع: أحفاد آل عمران وهم عيسى ويحيى عليهم

الصلاة والسلام.

المبحث الثامن: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث التاسع: الواجب نحو أنبياء الله ورسله والرسالات التي

بعثوا بها.

الفصل الثاني: دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونبوته وقومه.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

المبحث الثاني: نبوته والشريعة التي التي كان يدعو إليها وقومه الذين بعث فيهم.

المبحث الثالث: الآداب والأخلاق التي كان يدعو إليها عيسى

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث الرابع: كيف كانت صلاة المسيح ابن مريم و الأنبياء

السابقين؟

المبحث الخامس: قصة حوارِيَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الفصل الثالث: صفات عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وشمائله وخصائصه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وصف عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

المبحث الثاني: خصائصه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الثالث: بعض شمائل المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسيرته.

الفصل الرابع: معجزات عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: أنه يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون

طيْرًا بإذن الله.

المبحث الثاني: أنه يمسح على الأكمه فيرثه بإذن الله.

المبحث الثالث: أنه يمسح على الأبرص فيشفيه بإذن الله.

المبحث الرابع: أنه يحيي الموتى بإذن الله.

المبحث الخامس: أنه ينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في

بيوتهم.

المبحث السادس: طلب الحواريون من عيسى أن ينزل عليهم

مائدة من السماء.

المبحث السابع: كفُّ الله بني إسرائيل عنه حين أرادوا قتله، ثم

رفعه إليه

الفصل الخامس: حياته الآن ورفعته وبيان ضلال النصارى في

دعوى قتله وصلبه.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حياته الآن ورفعته إلى السماء.

المبحث الثاني: بيان سيرة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعماله بعد نزوله بما

ورد في السنة.

المبحث الثالث: موضوع دعوة عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر

الزمان.

المبحث الرابع: بيان كفر النصارى كما جاء في القرآن والسنة.

الفصل السادس: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾
وفرق النصارى قديمًا وحديثًا.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾.

المبحث الثاني: فرق النصارى قديمًا.

المبحث الثالث: الفرق النصرانية المعاصرة.

المبحث الرابع: الإنجيل وهو الكتاب الذي أنزل على عيسى

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الفصل السابع: بيان أسباب ضلال النصارى ومفارقتهم لدين

عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أسباب ضلال النصارى ومفارقتهم لدين

عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث الثاني: التشابه بين عقيدة النصارى والعقائد الوثنية

القديمة.

المبحث الثالث: تلخيص الجواب الصحيح لمن بدل دين

المسيح لشيخ الإسلام.

المبحث الرابع: بعض ما جاء في هداية الحيارى في أجوبة اليهود

والنصارى لابن القيم.

وقد استطردت كثيراً في بعض المباحث، وقد أدخلت في البحث بعض المباحث المتعلقة به، اتماماً للفائدة، أو اجابة على تساؤل طرح، فليعذرني من رأى أنه توسع زائد، ومن ذلك مثلاً: المبحث التاسع: الواجب نحو أنبياء الله ورسله والرسالات التي بعثوا بها.

فالغرض أولاً وآخرًا هو الفائدة، والإلمام بكل جوانب الموضوع، وإجابة لكثير من التساؤلات، أحببت جمعها والرد عليها في مكان واحد، مع وجود رابط بينها وبين موضوعنا هذا فإن وفقت في ذلك فهو فضل الله وكرمه، وإن حصل النقص وهو واقع فأستغفر الله تعالى منه وأقول كما قال الشاطبي رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى:

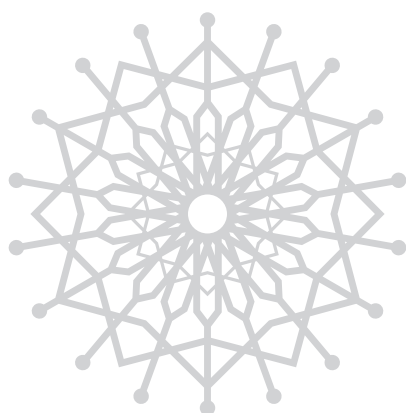
وقد وفق الله الكريم بمنه	لإكمالها حسناء ميمونة الجلا
وتمت بحمد الله في الخلق سهلة	منزهة عن منطق الهجر مقولا
ولكنها تبغي من الناس كفوها	أخا ثقة يعفو ويغضي تجملا
وليس لها إلا ذنوب وليها	فياطيب الأنفاس أحسن تأولا
وقل رحم الرحمن حيًا وميتًا	فتى كان للإبصاف والحلم معقلا
عسى الله يدني سعيه بجوازه	وإن كان زيفًا غير خاف مزلا
فيا خير غفار ويا خير راحم	ويا خير مأمول جدا وتفصلا
أقل عثرتي وانفع بها وبقصدها	حنانك يا الله يا رافع العلا
وآخر دعوانا بتوفيق ربنا	أن الحمد لله الذي وحده علا
وبعد صلاة الله ثم سلامه	على سيد الخلق الرضا متنخلا
محمد المختار للمجد كعبة	صلاة تباري الريح مسكًا ومندلا
وتبدي على أصحابه نفحاتها	بغير تناه زرنبًا وقرنفلا

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم
الأنبياء والمرسلين، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وصلى الله وسلم
وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هشام بن إبراهيم أبوشام

hishamabusham@gmail.com





الفصل الأول

وفيه تسعة مباحث:

* **المبحث الأول:** المتشابه اللفظي والتكرار الوارد في الآيات في قصة عيسى

ابن مريم.

* **المبحث الثاني:** الآيات الواردة في خصائص ومعجزات عيسى

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

* **المبحث الثالث:** من هم آل عمران ولماذا اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ؟

* **المبحث الرابع:** مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

* **المبحث الخامس:** بعض خصائص مريم وفضائلها عَلَيْهَا السَّلَامُ من القرآن

الكريم.

* **المبحث السادس:** زكريا وهو والد يحيى ابن خالة عيسى وهو من كفل

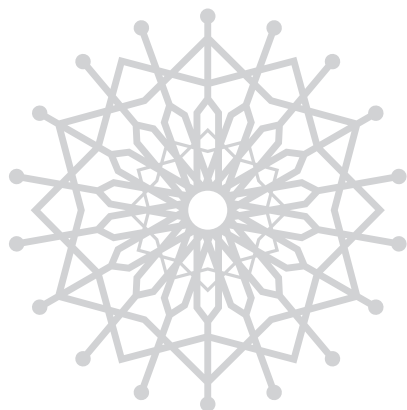
مريم.

* **المبحث السابع:** أحفاد آل عمران وهم عيسى ويحيى عليهم الصلاة

والسلام.

* **المبحث الثامن:** عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* **المبحث التاسع:** الواجب نحو أنبياء الله ورسله والرسالات التي بعثوا بها.



المبحث الأول:

المتشابه اللفظي والتكرار الوارد في الآيات

في قصة عيسى ابن مريم



المطلب الأول: لفظ عيسى في القرآن الكريم.

وردت قصة المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في القرآن الكريم في عدة مواضع، وفي بعضها مجرد ذكر اسمه، أو الإشارة إليه، أو وصفته.

ورد لفظ عيسى فقط في القرآن الكريم تسع مرات خلال تسع آيات هي:

١- ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَمَا نَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّا نَعْتَدُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ حُجَّةً لَّنَا وَاللَّهُ شَهِيدٌ لِّمَا نَعْمَلُ﴾ البقرة: ١٣٦.

٢- ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ط قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ آل عمران: ٥٢.

٣- ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ط ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿ آل عمران: ٥٥.

٤- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ط خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ آل عمران: ٥٩.

٥- ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَإِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى
وَالنَّبِيِّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُنْفِرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
آل عمران: ٨٤.

٦- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا
إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ النساء: ١٦٣.

٧- ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
الأنعام: ٨٥.

٨- ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ﴾ الشورى: ١٣.

٩- ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ الزخرف: ٦٣.

ورد لفظ عيسى ابن مريم ثلاثة عشر مرة خلال ثلاثة عشر آية وهي:

١- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة: ٨٧.

٢- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة ٢٥٣.

٣- ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة ٤٦.

٤- ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ المائدة ٧٨.

٥- ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۗ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ۗ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة ١١٠.

٦- ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة ١١٢.

٧- ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۗ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ المائدة ١١٤.

٨- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ
الْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ
الْغُيُوبِ ﴿ المائدة ١١٦ .

٩- ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ مريم ٣٤ .

١٠- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿ الأحزاب ٧ .

١١- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً
أَبَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا
فَعَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ الحديد ٢٧ .

١٢- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴿ الصف ٦ .

١٣- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفَرًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَافُةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَكَفَرَتْ طَافِيفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿ الصف ١٤ .

المطلب الثاني: ورد لفظ المسيح عيسى ابن مريم ثلاث مرات

خلال ثلاث آيات.

١- ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ آل عمران ٤٥ .

٢- ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء ١٥٧ .

٣- ﴿ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ سُبْحٰنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ النساء ١٧١ .

فيكون مجموع لفظ عيسى في القرآن الكريم (٩ + ١٣ + ٣ = ٢٥)

مرة خلال ٢٥ آية قرآنية.

فعندما نبحث في القرآن عن كلمة عيسى نجدها قد تكررت في

القرآن كله بالضبط (٢٥) مرة. يقول الله عزوجل: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ النساء: ١٧١ .

وتكررت كلمة المسيح في القرآن كله (١١) مرة.

وكلمة ابن تكررت (٣٥) مرة.

وكلمة مريم تكررت (٣٤) مرة في القرآن.

بالنسبة للفظ المسيح فإن التكرار الموجود في سورة التوبة (٩) لا يحسب حيث يقول أن المسيح ابن الله وينفي الله ذلك حيث يقول تعالى بالآية ٣٠ من نفس السورة ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يُّؤْفَكُونَ ﴾ التوبة: ٣٠.

المطلب الثالث: مجمل الآيات التي ذكر فيها كلمة عيسى

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

- ١- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة ٨٧
- ٢- ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا وَإِنَّا لَسَمِيعُونَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة ١٣٦
- ٣- ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ

أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَن ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿ البقرة ٢٥٣ .

٤- ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئِمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ آل عمران ٤٥ .

٥- ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران ٥٢ .

٦- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ آل عمران ٥٥ .

٧- ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران ٥٩ .

٨- ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران ٨٤ .

٩- ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن سُبُّهُ لَمْ ءِوَءَ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظُّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء ١٥٧ .

١٠- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَعِيسَى وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ النساء ١٦٣ .

١١- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَدِيمَةُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء ١٧١ .

١٢- ﴿وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة ٤٦ .

١٣- ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ المائدة ٧٨ .

١٤- ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّورَةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ المائدة ١١٠ .

١٥- ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ﴾
المائدة ١١٢.

١٦- ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ
لَنَا عِيدًا لِأَوْلَادِنَا وَعَآخِرُنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ۗ﴾ المائدة ١١٤.

١٧- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ
الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ۗ﴾ المائدة ١١٦.

١٨- ﴿وَرَكْرَكِيَا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۗ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۗ﴾ الأنعام ٨٥.

١٩- ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۗ﴾ مريم ٣٤.

٢٠- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ ۗ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۗ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۗ﴾ الأحزاب ٧.

٢١- ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۗ كَبُرَ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ ۗ﴾ الشورى ١٣.

٢٢- ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ۗ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ﴾ الزخرف ٦٣.

٢٣- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنَةٌ أَسْتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿الحدید ٢٧﴾

٢٤- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿الصف ٦﴾

٢٥- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُوفًا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَتَمَمَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿الصف ١٤﴾

المطلب الرابع: مجمل الآيات التي أشارت الى عيسى

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

١- ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾

٢- ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾

٣- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُورِيكُمْ الْأَكْمَامَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ؕ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

٤- ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ

الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

- ٥- ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ .
- ٦- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ .
- ٧- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ .
- ٨- ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ .
- ٩- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ .
- ١٠- ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .
- ١١- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ .
- ١٢- ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ .
- ١٣- ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ .
- ١٤- ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ .
- ١٥- ﴿فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْعًا فَرِيًّا﴾ .

- ١٦- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ .
- ١٧- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ .
- ١٨- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ .
- ١٩- ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ .
- ٢٠- ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ .
- ٢١- ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ .
- ٢٢- ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ .
- ٢٣- ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ .
- ٢٤- ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ .
- ٢٥- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمٌ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ .
- ٢٦- ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ .



المبحث الثاني:

الآيات الواردة في خصائص ومعجزات عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ



المطلب الأول: الآيات التي أيد الله بها عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لقد أيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الانبياء والمرسلين بالآيات المعجزات والبيانات الباهرات. ويتميز عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن بقية اخوانه من الانبياء والمرسلين بكثرتها برغم عمره القصير نسبياً بالمقارنة اليهم، والذي لم يتجاوز الثلاثة والثلاثين عاماً. قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ﴾. البقرة: من الآيتين ٨٧، ٢٥٣.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة: ٨٧

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة: ٢٥٣

وقد بين القرآن الكريم هذه المعجزات التي جرت على يديه وبإذن منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وذلك في كل من الآيات (٤٥ ٤٦) آل عمران:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ سورة آل عمران .

وفي سورة المائدة نصّ جمع كل هذه المعجزات بشأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾ قَالَ

اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم فَأِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾ الآيات من (١١٠) الى (١١٥) من سورة المائدة.

والآيات من (٢٤) إلى (٣٣) من سورة مريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
 وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ يَجْنَعُ النَّحْلَةَ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فُكِّلِي وَأَشْرِي وَقَرِّي
 عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
 إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِيءُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
 يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ
 قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكِتَابَ
 وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
 مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
 وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ مريم: ٢٤ ٣٣

البيئات التي أيده الله بها:

- ١- الكلام بعد ولادته مباشرة وفي المهدي.
- ٢- خلق الطير من الطين.
- ٣- ابراء الأكمه والابرص (شفاء المرضى).
- ٤- إحياء الموتى.
- ٥- اخبار الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيتوهم.

٦- انزال المائدة من السماء على الحواريين.

٧- الواجهة في الدنيا وفي الآخرة.

وفضلا عن هذه المعجزات الباهرات والآيات البينات فانه

عَلَيْهِ السَّلَامُ يتفرد متميزًا أيضًا بالآيات المعجزات الثلاث الآتية:

١- ولادته العذرية من مريم الصديقة البتول (من أم دون أب)

في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران: ٤٧

٢- رفعه إلى الله حيًّا ونجاته من القتل والصلب في قوله تعالى:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٥٧ ١٥٨

٣- نزوله عائداً إلى الارض رحمة للناس، وكعلامة من علامات

الساعة الكبرى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الزخرف: ٦١ وكما جاءت بذلك الاحاديث النبوية الشريفة والتي سنذكرها لاحقا.

المطلب الثاني: عيسى وأمه مريم يعتبران آية من آيات الله.

من أجل ذلك فان سيدنا عيسى ابن مريم لوحده ومع والدته

يعتبران آية من آيات الله الباهرات خصهما الله بهذا المعنى في ثلاث آيات

مباركات بكونه أو كونهما معًا في قوله تعالى:

- ١ - ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ مريم: ٢١ .
- ٢ - ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الانبياء: ٩٠ .
- ٣ - ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ المؤمنون: ٥٠ .

وهذا تطابق رائع ودقيق بين هذه الآيات القرآنية الثلاث مع الآيات المعجزات الثلاث التي تفرَّد بها المسيح عيسى ابن مريم عن بقية اخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم

المطلب الثالث: كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَهْدِ.

وردت هذه المعجزة في ثلاثة مواضع من التنزيل وكان التنزيل يؤكدُها عن طريق التكرار:

- ١ - ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ آل عمران: ٤٦
- ٢ - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَيْدِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَيْدِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأَيْدِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَيْدِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة: ١١٠
- ٣ - قال تعالى: ﴿فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ

شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾
 فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
 ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
 وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
 وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾



المبحث الثالث:

من هم آل عمران ولماذا اصطفاهم الله عزَّجَلَّ؟



المطلب الأول: آل عمران.

قال عزَّجَلَّ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ آل عمران: ٣٣، آل عمران المراد به عمران، من هو عمران؟ إنه والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يكرم الله بشراً ويثني عليه وعلى ذريته مثلما أكرم عمران وآله، وسمى سورة هي من أعظم سور القرآن الكريم باسمه وآله، وهي سورة آل عمران.

فعمران هو جد عيسى أبو أمه، هذه البيوت التي ذكرها الله في كتابه من صفوة الخلق، فيها صلاح متسلسل في الذرية، ولهذا قال ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمران: ٣٤، وهو الذي يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه، ومن لا يستحق فيخذله ويرديه، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤.

لقد اختارهم الله لما علم من أحوالهم التي تؤهلهم للاصطفاء، وأخبرنا بأخبارهم لنقتدي بهم فيما تميزوا به من كريم الصفات، وجليل الأفعال، ونحن لا نزال نأخذ من تلك الصفات الجميلة، العبر والاقْتداء إنه تنويه بشرفهم، ولعل من أعظم أسباب اصطفاؤهم توحيدهم وإخلاصهم العبادة لله عزَّجَلَّ، وحبهم الشديد للتعبد.

فما أعظم جود الرب **عَزَّجَلَّ** وكرمه، وما أكثر الشرف الذي منحهم إياه، وخلد ذكرهم، أذكأرهم مخلدة، ومناقبهم مؤبدة، وكفى بهم فضلاً، ولما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لوالدة عيسى، وهي مريم، وكيف لطف الله بها في تنشئتها وتربيتها من أول أمرها، إن صلاح مريم كان من صلاح أمها، وصلاح أبيها قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ مريم: ٢٨

هي إحدى العائلات القليلة ذات المكانة العظيمة على مر التاريخ ؛ تستمد عظمته من اصطفاء الله تعالى وتفضيله لها على سائر العالمين، حيث يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمران ٣٣٣٤.

وآل عمران يُنسبون إلى عمران بن مآثان بن العازر بن اليود، بن سليمان بن داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وداود هو: داود بن أيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عوينادب ابن إرم بن حصرون بن فرص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه ^(١).

وأصله بالعبرانية (عمرام) بميم في آخره، وفي كتب النصارى: أن اسمه (يوهاقيم)، فلعله كان له اسمان، وبما أن نسب «عمران» يصل إلى سيدنا داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وبالتالي فال عمران هم فرع آخر مؤمن من فروع بني إسرائيل،

(١) قصص الأنبياء ٢/٣٦٨.

ولكن يفصل بينهم وبين يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ (إسرائيل) قروناً عديدة^(١).

المطلب الثاني: أفراد آل عمران.

الزوجة (امرأة عمران):

اسمها حَنَّة بنت فَاقُودَ (وقيل: قاعود) بِنِ قُبَيْلٍ وكانت رحمها الله من العابدات القانتات، وقد

كان من العبادات عندهم أن ينذر الولد لخدمة بيت المقدس، يقوم على المسجد يخدم أهله، ويخدم المسجد، وقف على المسجد^(٢).

فهذه المرأة الصالحة نذرت إن رزقها الله ولداً أنه خالص محرر،

وأنه نذر لذلك المسجد العظيم بيت المقدس، ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آل عمران:

٣٥، السميع لدعائي، العليم بنيتي، وهكذا سألت ربها أن يتقبل عملها، وأنه يعلم قصدها ونيتها، وهذا كان في البطن قبل أن تضع، فطلبت الولد ليستغل بطاعة الله، لا ليحصل لها ما يطمع الناس أن يحصل لهم بأولادهم من الاستئناس والمعونة، ونحو ذلك قال العلماء، وهكذا

(١) تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (٢/١٦٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة (٤/٦٦).

ينبغي لكل من طلب ولداً أن يطلبه على هذا الوجه، لطاعة الله، يعني: أن تكون النية في الولد ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ البقرة: ١٨٧.

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران: ٣٥ ٣٧

الأبناء:

أولاً: أشياع

وهي الأبنوة الكبرى لعمران، وزوج نبي الله زكريا، وأم نبي الله يحيى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقيل: إنها خالة مريم وليست أختها، وهو ضعيف فهي أم يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

ثانياً: مريم وسيأتي الكلام عليها في المبحث القادم أدناه.

(١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة (٤ / ٦٦).

المبحث الرابع:

السيدة مريم البتول بنت عمران.



المطلب الأول: ولادة مريم البتول عَلَيْهَا السَّلَامُ.

العدراء الصديقة القانئة الطاهرة المصطفاة، أمُّ نبيِّ الله وكلمته عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي من أفضل نساء العالمين وأكملهنَّ كما بيَّن ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يقول: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَيَّ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَيَّ سَائِرِ الطَّعَامِ».^(١)

ومن دلائل إكرام الله تعالى لها أن الملائكة كانت تأتي إليها لتنبئها بأنها ذات مكانة سامية وقدر عالي المقام لأنها مطهرة عن الرجس والدنس ومصطفاة على نساء العالمين.

وقد سمى القرآن الكريم سورة برأسها باسمها عَلَيْهَا السَّلَامُ، وضمَّنها حيزاً واسعاً من قصة حملها وولادتها لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي سورة مريم، كما جاء الحديث عنها عَلَيْهَا السَّلَامُ في سور: آل عمران، والأنبياء، والتحريم. وقد جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من

(١) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (٥ / ٢٩) برقم ٣٧٦٩.

نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه»، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِيكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦)، رواه مسلم^(١).

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم ولادة السيدة مريم ونشأتها وبين أنها من بيت كريم على الله تعالى، وأنها تربت على يد نبي كريم وهو زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونشئت على العبادة والصلاح، وكانت دومًا على هذه الحال من الخير والصلاح والعبادة لم تفارقها، وبَيَّنَّ القرآن هذه الأمور وأوضحها بشكل ملحوظ، ليبين استحقاق مريم لهذا الفضل من الله تعالى من إيجاد نبي منها من دون أب له بل بكلمته تعالى (كن)، وكذلك لدفع كل ظنون الريب والتهم التي رمتها بها اليهود وهي من ذلك بريئة، ولا يمكن لسيدة نشأت على تلك الصورة الكريمة أن تأتي بشيء من ذلك.

بل هي مؤهلة لنيل كرامة الله تعالى، ولتكون آية من آيات الله، يدوم ذكرها في العالمين إلى يوم الدين، قال تعالى في سورة آل عمران:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٦٦).

وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِقَآءِ رَبِّي وَرَبِّي تَوَّابٌ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ
وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا
قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ .

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ يَمْرُؤُا اقْنَبِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ
الرَّكَعِينَ ﴿٤٤﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ
أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ .

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض فاصطفى
آدم ونوحا وآل إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، ومنهم سيد البشر خاتم
الأنبياء على الإطلاق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآل عمران والمراد بعمران
هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال محمد بن إسحاق بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ: هو عمران بن ياشم بن
ميشا بن حزقيا بن إبراهيم بن غرايا ابن ناوش بن أجر بن بهوا بن نازم بن
مقاسط بن إيشا بن إياذ بن رخييم بن سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِعِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وامرأة عمران هذه هي أم مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وهي حنة بنت فاقوذ كما
ذكرنا^(١) .

وقال أيضًا: وكانت امرأة لا تحمل فرأت يومًا طائرًا يزق فرخه
فاشتهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولدًا فاستجاب الله دعائها

(١) تفسير القرطبي (٤/٥٩) .

فواقعها زوجها فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محرراً أي خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس فقالت: يا رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم أي السميع لدعائي العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكراً أم أنثى^(١).

قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ولا خلاف أنها من سلالة داود عَلَيْهَا السَّلَامُ وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم أشياح في قول الجمهور وقيل زوج خالتها أشياح (وهو ضعيف) فالله أعلم^(٢).

قال الطبري: وأما قوله ﴿رَبِّ إِيَّيْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾

فإن معناه: إني جعلت لك يا رب نذراً أن لك الذي في بطني محرراً لعبادتك، يعني بذلك: حبسته على خدمتك وخدمة قدسك في الكنيسة، عتيقة من خدمة كل شيء سواك، مفرغة لك خاصة^(٣).

﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾ أي فتقبل مني ما نذرت لك يا رب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾.

يعني: إنك أنت يا رب السميع لما أقول وأدعو، العليم لما أنوي في نفسي وأريد، لا يخفي عليك سر أمري وعلايته. وكان سبب نذر

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٥٩).

(٢) قصص الأنبياء ٢/ ٣٦٨.

(٣) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، (٦/ ٣٢٨).

حنة ابنة فاقوذ امرأة عمران الذي ذكره الله في هذه الآية فيما بلغنا: عن محمد بن إسحاق قال: تزوج زكريا وعمران أختين، فكانت أم يحيى عند زكريا، وكانت أم مريم عند عمران، فهلك عمران وأم مريم حامل بمريم، فهي جنين في بطنها^(١).

قال: وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان، فبينما هي في ظل شجرة نظرت إلى طائر يطعم فرخاً له، فتحركت نفسها للولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً، فحملت بمريم وهلك عمران.

فلما عرفت أن في بطنها جنيناً، جعلته لله نذيرة؛ والنذيرة أن تُعبده الله **عَزَّوَجَلَّ**، فتجعله حبساً في الكنيسة، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا^(٢).
(محرراً) عن مجاهد قال: خادماً للكنيسة، وعن الشعبي قال: فرغته للعبادة.

وعن قتادة: كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها، وكانوا إنما يحررون الذكور، وكان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة لا يبرحها، يقوم عليها ويكنسها.

وقال الضحاك قال: جعلت ولدها لله وللذين يدرسون الكتاب ويتعلمونه.

(١) تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري، (٦ / ٣٢٨).

(٢) تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري، (٦ / ٣٢٨).

وعن عكرمة: أن امرأة عمران كانت عجوزًا عاقراً تسمى حنة، وكانت لا تلد. فجعلت تغبط النساء لأولادهن، فقالت: اللهم إن علي نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدامه^(١) .

المطلب الثاني: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ .

قرئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم وأن ذلك من تمام قولها، وقرئ بتسكين التاء على أنه من قول الله عَزَّجَلَّ .

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى .

﴿وإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا وقد حكى مقررًا وبذلك ثبت السنة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قالولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم أخرجاه^(٢) .

(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٦ / ٣٢٨) .

(٢) صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت رقم الحديث: ٤٢٨٦ .

وقوله إخبارًا عن أم مريم أنها قالت: ﴿وإني أعيدُها بك وذريتها من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي عوذتها بالله عزَّجَلَّ من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فاستجاب الله لها فأعازها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلاً.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كل مولود من ولد آدم له من الشيطان، وبها يستهل الصبي؛ إلا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها، فإن أمها قالت حين وضعتها: ﴿وإني أعيدُها بك وذريتها من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فضرب دونهما حجاب فطعن في الحجاب. ومرت بنا روايات الحديث.

وعن قتادة قال: وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها سائر بني آدم. وذكر لنا أن عيسى كان يمشي على البحر كما يمشي على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والإخلاص.

﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمِرِمُ أَيُّ لَيْلٍ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١) يعني بذلك جل ثناؤه: تقبل مريم من أمها حنة بتحريرها إياها لبيت المقدس وخدمتها، وخدمة ربها بقبول حسن.

عن أبي عمرو وأما قوله: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فإن معناه: وأنبتها ربها في غذائه ورزقه نباتا حسنا حتى تمت فكملت امرأة بالغة تامة.

(١) تفسير ابن كثير: دار الخیر - دمشق ١٩٩٠م. (٢/ ٣٥).

قال ابن كثير: يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة وأنه أنبتها نباتا حسناً أي جعلها شكلاً مليحاً ونظراً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلهذا قالوا كفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية أي جعله كافلاً لها قال ابن إسحق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة وذكر غيره: إن بني إسرائيل أصابتهم سنة جذب فكفل زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم^(١).

وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علماً جمماً نافعاً وعملاً صالحاً ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحق وابن جرير وغيرهما وقيل: زوج أختها كما ورد في الصحيح: (فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة) وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحق ذلك أيضاً توسعاً فعلى هذا كانت في حضانة خالتها وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضى في عمارة بنت حمزة أن تكون في حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال: الخالة بمنزلة الأم^(٢).

(١) تفسير ابن كثير: دار الخير - دمشق ١٩٩٠م. (٢/ ٣٥).

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. برقم: ٢٦٩٩.

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

قال الطبري: اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ فقراءته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة: وكفلها مخففة الفاء بمعنى: ضمها زكريا إليه، اعتبارًا بقول الله عزَّجَلَّ: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بمعنى: وكفلها الله زكريا.

وأولى القراءتين بالمعنى المذكور قراءة من قرأ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ مشددة الفاء بمعنى: وكفلها الله زكريا، بمعنى: وضمها الله إليه؛ لأن زكريا أيضا ضمها إليها بإيجاب الله له ضمها إليه بالقرعة التي أخرجها الله له، والآية التي أظهرها لخصومه فيها، فجعله بها أولى منهم.

وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه في مريم إذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده، تساهموا بقداحهم فرموا بها في نهر الأردن، فقال بعض أهل العلم: رتب قدح زكريا، فقام فلم يجز به الماء وجرى بقداح الآخرين الماء، فجعل الله ذلك لزكريا أنه أحق المتنازعين فيها.

وقال آخرون: بل صعد قدح زكريا في النهر، وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت، فكان ذلك له علمًا من الله في أنه أولى القوم بها.^(١)

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٤٠).

وأى الأمرين كان من ذلك فلا شك أن ذلك كان قضاء من الله بها لذكريا على خصومه بأنه أولاهم بها، وإذا كان ذلك كذلك، فإنما ضمها ذكريا إلى نفسه بضم الله إياها إليه بقضائه له بها على خصومه عند تشاحنهم فيها واختصاصهم في أولاهم بها.

فتأويل الكلام: وضمها الله إلى ذكريا، وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

عن عكرمة في قوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ قال: ألقوا أقلامهم فجرت بها الجرية إلا قلم ذكريا صاعدا، فكفلها ذكريا.

عن الربيع قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال: ضمها إليه. قال: ألقوا أقلامهم، يقول عصيهم. قال: فألقوها تلقاء جرية الماء، فاستقبلت عصا ذكريا جرية الماء فقرعهم.

عن السدي، قال الله عز وجل: ﴿فَنَقَّبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فانطلقت بها أمها في خرقتها يعني أم مريم بمريم حين ولدتها إلى المحراب وقال بعضهم: انطلقت حين بلغت إلى المحراب وكان الذين يكتبون التوراة إذا جاءوا إليهم بإنسان يجربونه اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه، وكان ذكريا أفضلهم يومئذ وكان بينهم، وكانت خالة مريم تحته. فلما أتوا بها اقترعوا عليها، وقال لهم ذكريا: أنا أحقكم بها تحتي خالتها، فأبوا. فخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٢٣٩، تفسير ابن كثير: دار الخير - دمشق ١٩٩٠م (٢/ ٣٥).

يكتبون بها، أيهم يقوم قلمه فيكفلها. فجرت الأقلام وقام قلم زكريا على قرنته كأنه في طين، فأخذ الجارية؛ وذلك قول الله **عَزَّوَجَلَّ** ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ فجعلها زكريا معه في بيته وهو المحراب. ^(١)

وعن قتادة: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ يقول: ضمها إليه.

وعن عكرمة، قال: ثم خرجت بها يعني أم مريم بمريم في خرقها تحملها إلى بني الكاهن بن هارون أخي موسى بن عمران، قال: وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإني حررتها وهي ابنتي، ولا يدخل الكنيسة حائض، وأنا لا أردّها إلى بيتي! فقالوا: هذه ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة وصاحب قربانهم. فقال زكريا: ادفعوها إلي فإن خالتي عندي! قالوا: لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا. فذلك حين اقترعوا فاقرعوا بأقلامهم عليها، بالأقلام التي يكتبون بها التوراة، فقرعهم زكريا فكفلها. انتهى ^(٢)

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللهُ**: وقوله: فتقبلها ربه بقبول حسن وأنبثها نباتا حسنا وكفلها زكريا ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها في خروقتها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها، والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها.

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٤٠)، تفسير الطبري ٣/ ٢٣٩.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٤٠)، تفسير الطبري ٣/ ٢٣٩.

ثم لما دفعتها إليهم تنازعوا في أيهم يكفلها، وكان زكريا نبهم في ذلك الزمان، وقد أراد أن يستأثر بها دونهم من أجل زوجته خالتها على أصح القولين، فشاحوه في ذلك وطلبوا أن يقترع معهم، فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبه لهم وذلك أن الخالة بمنزلة الام. (١)

قالوا: وذلك أن كلا منهم ألقى قلمه معروفا به، ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمروا غلاما لم يبلغ الحنث فأخرج واحدا منها وظهر قلم زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية الماء، وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترعوا الثالثة فأيهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الاقلام قد انعكس سيرها صعدا فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها إذ كان أحق بها شرعا وقدرالوجوه عديدة.

ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها في محل عبادتها فقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾.

قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي: يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف.

(١) قصص الأنبياء (٢ / ٣٦٨)، والحديث: الخالة بمنزلة الام، في البخاري تقدم تخريجه.

وفيه دلالة على كرامات الأولياء وفي السنة لهذا نظائر كثيرة فإذا رأى زكريا هذا عندها قال يا مريم أنى لك هذا أي يقول من أين لك هذا؟
﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

قال الطبري: وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فخبير من الله أنه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقه بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده، لأنه جل ثناؤه لا ينقص سوقه ذلك إليه، كذلك خزائنه، ولا يزيد إعطاؤه إياه، ومحاسبته عليه في ملكه، وفيما لديه شيئا، ولا يعزب عنه علم ما يرزقه، وإنما يحاسب من يعطي ما يعطيه من يخشى النقصان من ملكه، بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ومن كان جاهلا بما يعطى على غير حساب.^(١)

قال ابن كثير في قصص الأنبياء: قال الله تعالى: كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال: يا مريم أنى لك هذا، قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب قال المفسرون: اتخذ لها زكريا مكانا شريفا من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سداثة البيت إذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى إنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٥٧)، قصص الأنبياء (٢/ ٣٦٩).

غريباً في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها أنى لك هذا

فتقول هو من عند الله أي رزق رزقنيه الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وإن كان قد أسن وكبر قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء.

قال بعضهم: قال يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه هب لي ولداً وإن كان في غير أوانه^(١)

روى الحافظ أبو يعلى: عن جابر: (أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً فأتى فاطمة فقالها بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع؟ قالت: لا والله بأبي أنت وأمي فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعت في جفنة لها وقالت: والله لأؤثرن بهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفسي ومن عندي وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجع إليها فقالت: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخباته لك قال هلمي يا بنية قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزاً ولحمًا فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت

(١) قصص الأنبياء (٢/٣٧٣).

الله وصلت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما رآه حمد الله وقال من أين لك هذا يا بنية؟ قالت: يا أبت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله وقال الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسئلت عنه قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى علي ثم أكل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً قالت: وبقيت الجفنة كما هي قالت: فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً^(١).

(١) قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ: وهذا إسناد ضعيف، سكت عنه ابن كثير؛ لأنه ساق إسناده، وهذه عاداته وعادة المحدثين: إذا ساقوا إسناد الحديث؛ فقد برئت ذمتهم وارتفعت المسؤولية عنهم إذا كان الحديث إسناده ضعيفاً أو موضوعاً، وقد غفل عن هذه الحقيقة العلمية من قام باختصار «تفسير ابن كثير» وغيرهم، فيتوهمون أن سكوت ابن كثير عن الحديث معناه أن الحديث ثابت عنده! وليس كذلك؛ وبخاصة إذا ساق إسناده؛ كما بينت ذلك في غير ما موضع، وهذا الحديث من هذا القبيل؛ فإن في إسناده عبد الله بن صالح عن عبد الله ابن لهيعة، وكلاهما ضعيف. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) دار المعارف. (١١/٥٩٥).

المطلب الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ آل عمران.

معنى قوله: ﴿اصْطَفَاكِ﴾ اختارك واجتباك لطاعته، وما خصك به من كرامته.

وقوله: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ يعني: طهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم.

﴿وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يعني: اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه، ففضلك عليهم.

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أمر الله لهم بذلك أن الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة لجلالته على نساء العالمين.

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صلى يقول: خير نساها مريم بنت عمران وخير نساها خديجة بنت خويلد، ثم أخبرنا تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره الله

وقضاه مما فيه محنة لها ورفعة في الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولدا من غير أب فقال تعالى: (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين أما القنوت فهو الطاعة في خشوع كما قال تعالى وله من في السماوات والأرض كل له قانتون).

وقال مجاهد: كانت مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ** تقوم حتى تتورم كعباها والقنوت هو طول الركوع في الصلاة يعني امتثالاً لقول الله تعالى: (يا مريم اقنتي لربك).

قال الحسن: يعني اعبدي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين أي كوني منهم

وقال الأوزاعي: ركدت في محرابها راکعة وساجدة وقائمة حتى نزل الماء الأصفر في قدميها **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وأرضها^(١).

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي شوذب قال: كانت مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ** تغتسل في كل ليلة.

ثم قال لرسوله بعدما أطلعه على جلية الأمر: ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك أي نقصه عليك وما كنت لديهم أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، (٣٥ / ٢).

وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكلفها وذلك لرغبتهم في الأجر^(١).

قال ابن جرير: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ذلك الأخبار التي أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم وزكريا، وابنه يحيى، وسائر ما قص في الآيات من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ ثم جمع جميع ذلك تعالى ذكره بقوله ذلك، فقال: هذه الأنباء من أنباء الغيب:

أي من أخبار الغيب. ويعني بالغيب، أنها من خفي أخبار القوم التي لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك، ولم يعلمها إلا قليل من أخبار أهل الكتابين ورهبانهم ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أوحى ذلك إليه حجة على نبوته، وتحقيقا لصدقه، وقطعا منه به عذر منكري رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمدا لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ولم يدرك معرفتها مع حملها عند أهلها إلا بإعلام الله ذلك إياه، إذ كان معلوما عندهم أن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمي لا يكتب فيقرأ الكتب فيصل إلى علم ذلك من قبل الكتب، ولا صاحب أهل الكتاب فيأخذ علمه من قبلهم^(٢).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (٤٠١/٦).

(٢) تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة (٤٠١/٦).

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ .

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ وما كنت يا محمد عندهم، فتعلم ما نعلمك من أخبارهم التي لم تشهداها، ولكنك إنما تعلم ذلك فتدرك معرفته بتعريفنا.

ومعنى قوله ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم، ومعنى قوله ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ حين يلقون أقلامهم. وأما أقلامهم فسهامهم التي استهم بها المستهمون من بني إسرائيل على كفالة مريم، على ما قد بينا قبل في عن قتادة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ .

كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم، فتشاح عليها بنو إسرائيل، فاقرعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها، فقرعهم زكريا، وكان زوج خالتها، فكفلها زكريا، يقول: ضمها إليه.

عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ وإن مريم لما وضعت في المسجد، اقرع عليها أهل المصلى، وهم يكتبون الوحي، فاقرعوا بأقلامهم أيهم يكفلها، فقال الله عز وجل لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ .^(١)

(١) تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة (٦ / ٤٠١).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: يعني بذلك جل ثناؤه: وما كنت يا محمد عند قوم مريم، إذ يختصمون فيها أيهم أحق بها وأولى، وذلك من الله عَزَّجَلَّ وإن كان خطاباً لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتوبيخ منه عَزَّجَلَّ للمكذبين به من أهل الكتابين، يقول: كيف يشك أهل الكفر بك منهم، وأنت تنبئهم هذه الأنباء ولم تشهدا، ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الأمور، ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم، ولا جالس أهلها فسمع خبرهم.

عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها يخبره بخفي ما كتموا منه من العلم عندهم، لتحقيق نبوته والحجة عليهم، لما يأتيهم به مما أخفوا منه. وكان من تمام حسن نشأة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، وحسن عبادتها لربها، اعتزال الناس، والاشتغال بالعبادة والطاعة، وجعل ما بينها وبينهم حجاباً تستراً منها وتعففاً.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ﴾.

﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: أي اعتزلتهم وتحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس، قال نوف البكالي: اتخذت لها منزلاً تتعبد فيه^(١).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة - بجوار =

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي استترت منهم وتوارت، ليكون ذلك أبلغ في الإخلاص وصفاء القلب والتفرغ للعبادة، والبعد عن الملهيات.

فكان هذا وغيره مما حصلته من الفضائل العديدة والسابق ذكرها سبباً في اصطفاء الله لها كما قال تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فبين الله تعالى كل ما تميزت به مريم وكيف كانت أهلاً لكرامة الله تعالى. (١)



= محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧م، ثم صورتها عدة دور منها دار الكتاب العربي بيروت (٦/٥١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (٦/٤٠١).

المبحث الخامس:

بعض خصائص مريم وفضائلها عَلَيْهَا السَّلَامُ

من القرآن الكريم



المطلب الأول: معنى اسمها عَلَيْهَا السَّلَامُ:

قد ذكرت من قبل لا يوجد دين على وجه الأرض يحترم الأنبياء والمرسلين والصالحين من الامم السابقة مثل الإسلام، فلذلك نجد ما جاء في فضائل السيدة مريم وابنها نبي الله عيسى عَلَيْهَا السَّلَامُ، ما لم يرد في دين النصارى نفسه، فالأنجيل الموجودة بين أيديهم الآن لا تكاد أن تذكر شيئاً عن السيدة مريم، بينما تناول القرآن كل شيء متعلق بها بداية من حين أن دعت أمها الله عَزَّجَلَّ أن يرزقها الذرية، يعني من قبل أن تخلق وتكون جنيناً في بطن أمها، مروراً بولادتها ونشأتها وحياتها وحتى ولادة ابنها المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي الله، ولقد زكاهم القرآن تزكية كريمة عالية وخَلَدَ ذكرها، وذكرت السنة عظيم فضلها ورفيع درجتها، وكذلك ولدها نبي الله عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهذا من عدل الإسلام وعظمته، وأن هذا الدين كله حق من عند الله تعالى رب كل الأنبياء والمرسلين، فهذه الفضائل والله لا نجدها في أنجيلهم المحرفة التي بين أيديهم الآن، فهي سقيمة معلولة، ركيكة وصدق من قال:

لا نرى مذهباً في الدنيا أشد ركاكة وبعداً عن العقل من مذهب

النصارى، ولا نرى في الدنيا مقالة أشد فسادًا وأظهر بطلانًا من مقالتهم، وكفرهم وشركهم برب العالمين^(١).

ومن قرأ أناجيلهم فلا بد له من أن يكفر بها لما تحتويه من أباطيل وأكاذيب، وأشياء لا يمكن لذي عقل سليم أن يقبلها فضلًا عن أن يتخذها دينًا.

معنى اسمها عَلَيْهَا السَّلَامُ:

مَرِيَمَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ الْخَادِمِ، وَسُمِّيَتْ بِهِ وَالِدَةَ عَيْسَى فَاَمْتَنَّ الصَّرْفَ لِلتَّائِيثِ وَالْعَلَمِيَّةِ^(٢)

ولعل أمها سمتهها بهذا الاسم لكونها نذرتها لخدمة بيت المقدس، البتول: هي المنقطعة للعبادة وهذا أيضًا من فضائلها ومن أسباب تركية نفسها التي زكاها الله بها عَلَيْهَا السَّلَامُ، و التَّبْتُلُ يَعْنِي تَرَكَ النِّكَاحِ وَمِنْهُ قِيلَ لِمَرِيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: الْبِكْرُ الْبَتُولُ لَتَرَكَهَا التَّرْوِيجَ. وَأَصْلُ التَّبْتُلِ الْفُطْعُ^(٣)

(١) مختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: ١٣٠٨ هـ)، اختصره محمد أحمد عبد القادر ملكاوي وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (١/١٣٠).

(٢) البحر المحيط الشجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي (٣٨/٨٢).

(٣) غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤ هـ)، د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (٤/١٩).

وَقَالَ رِبِيعَةَ بن مَقْرُومِ الصَّبِيِّ يَصِفُ رَاهِبًا:

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ فِي رَأْسِ شَاهِقِهِ الذَّرَى مُتَبَتِّلٌ
يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَتَزَوَّجُ وَلَا يُوَلِّدُ لَهُ، وَقَدْ رُوِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَبَتَّلْ
إِلَيْهِ بَتِّيلاً﴾ أَخْلَصَ إِلَيْهِ إِخْلَاصًا وَلَا أَرَى الْأَصْلَ إِلَّا مِنْ هَذَا يَقُولُ:
انْقَطَعَ إِلَيْهِ بِعَمَلِكَ وَنَيْتِكَ وَإِخْلَاصِكَ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ لِلنَّخْلَةِ
إِذَا كَانَتْ فَسِيلَتِهَا قَدْ انْفَرَدَتْ مِنْهَا وَاسْتَعْنَتْ عَنْهَا: مُبْتَلٌ وَيُقَالُ لِلْفَسِيلَةِ
نَفْسَهَا: الْبَتُولُ.

المطلب الثاني: السيدة مريم من أفضل بيوت العالمين.

من فضائل السيدة مريم هو خروجها من خير بيوت الأرض التي
اصطفها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَالَمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ
إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، ومن
هذه البيوت بيت آل عمران.

والمراد بعمران هذا: هو والد مريم بنت عمران، أم عيسى ابن
مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعمران من نسل سليمان بن داود، فمريم وابنها عيسى من نسل
إبراهيم عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل
الصلاح والتوفيق بذرياتهم، فلهذا قال تعالى ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾

أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق والأخلاق الجميلة، كما قال تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء الداخلين في ضمن هذه البيوت الكبار: ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه ومن لا يستحق ذلك فيخذله ويرديه، ودل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلاً منه وكرماً ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نحبههم ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم، وأن لا نزال نزري أنفسنا بتأخرنا عنهم وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة، وهذا أيضاً من لطفه بهم، وإظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين، والتنويه بشرفهم فله ما أعظم جوده وكرمه وأكثر فوائده معاملته، لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكراهم مخلدة ومناقبهم مؤبدة لكفى بذلك فضلاً.

المطلب الثالث: علو ذكر السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

فمن ذلك أن الله تعالى سمى سورة باسمها في كتابه الكريم وهي سورة مريم، فذكر فيه قصة ولادتها لنبى الله عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وما جرى بينها وبين قومها.

ومن علو ذكرها قوله تعالى في نفس السورة ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ فهذا من تكريم الله تعالى لها وإبقاء لذكرها على مدى العصور والدهور.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ وهذا من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل، وسعيها الكامل. أي: واذكر في الكتاب مريم، في حالها الحسنة، حين ﴿انْتَبَذَتْ﴾ أي: تباعدت عن أهلها ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: مما يلي الشرق عنهم.^(١)

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي: سترًا ومانعًا، وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب، لتعتزل، وتتفرد بعبادة ربها، وتقتل له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى.

كما أن الله تعالى سمى سورة أخرى باسم بيتها التي خرجت منه، وهو بيت نبي كريم وهي سورة آل عمران، وذكرها الله تعالى في عدة مواضع أخرى في كتابة الكريم.

المطلب الرابع: قبول الله تعالى لمريم وتولى أمرها.

وهذا من المكارم العالية، والفضائل العظيمة، حيث أن الله تعالى تقبل السيدة مريم من أمها لما وهبتها لله تعالى، وأخبر تعالى أن تولى أمر مريم فربها تربية حسنة، وأحسن إليها أيما إحسان

قال تعالى: ﴿فَنَقَلْنَاهَا رِبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ص ٤٩١.

قال ابن كثير:

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة، وأنه ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين. ا.هـ^(١)

﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي: جعلها نذيرة مقبولة، وأجارها وذريتها من الشيطان ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: نبتت نباتاً حسناً في بدنها وخلقتها وأخلاقها، لأن الله تعالى قيض لها زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ إياه، وهذا من رفقته بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربه وافقت النساء، وانقطعت لعبادة ربه، ولزمت محرابها أي: مصلاها. ا.هـ

المطلب الخامس: كفالة نبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لها.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا﴾ وهو من أنبياء الله الصالحين، وعباده المكرمين المقربين، وإنما قدر الله كون زكريا كافلاً لسعادتها، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً وقد تقدم هذا، ويأتي كذلك في قصة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ مزيد بيان.

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٢/ ٣٥).

المطلب السادس: إكرام الله تعالى لها بالأرزاق.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ: فيه شهادة الله تعالى لها بالخيرية والتقوى والصلاح وبلزومها العبادة في محرابها ووجودها دومًا في مصلاها وانقطاعها للتعبد.

وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا: أي من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فيقول لها زكريا: أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، فضلًا وإحسانًا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: من غير حسابان من العبد ولا كسب.

وفي هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك، وإثبات كرامة السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ على ربها تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومدى صلاحها وتقواها وعلو منزلتها في الدين.

المطلب السابع: إثبات الصديقية للسيدة مريم.

قال تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئْتُمْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

والصديقية هي منزلة عالية، لا ينالها إلا عباد الله الصالحين، الذين صدقوا الله في إيمانهم وأعمالهم. قال البغوي في تفسيره: قيل سُميت

صديقة لأنها صدقت بآيات الله، كما قال عَزَّجَلَّ في وصفها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾^(١).

قال ابن كثير في تفسيره:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أَي: مُؤْمِنَةٌ بِهِ مُصَدِّقَةٌ لَهُ. وَهَذَا أَعْلَى مَقَامَاتِهَا فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَبِيَّةٍ، كَمَا زَعَمَهُ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى نُبُوَّةِ سَارَةَ أُمَّ إِسْحَاقَ، وَنُبُوَّةِ أُمَّ مُوسَى، وَنُبُوَّةِ أُمَّ عَيْسَى اسْتِدْلَالًا مِنْهُمْ بِخَطَابِ الْمَلَائِكَةِ لِسَارَةَ وَمَرْيَمَ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ القصص: ٧^(٢)

صديقة أي: مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست نبوية والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال، قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾، وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري، رَحِمَهُ اللهُ، الإجماع على ذلك.

وقوله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ أي: يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بالهين كما

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ (٧٢/٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (١٥٨/٣).

زعمت فرق النصراني الجهلاء، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم
القيامة. ١. هـ

المطلب الثامن: تكليم الملائكة لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

وقد ذكر الله تعالى ذلك في عدة مواضع في كتابه الكريم
قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾، الآية
وقال سبحانه ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾،
وقال تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾

المطلب التاسع: تبرئة السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

دافع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن مريم في كتابه الكريم، وبرأها مما رماها به
اليهود من وقوعها في الفاحشة، وبين أن ذلك فرية، وقد أثبت الله عفتها
وطهارتها في عدة مواضع في القرآن الكريم، بل إن أعظم فضيلة لها هي
العفة والطهارة التي امتازت بهما السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

قال الله تعالى ﴿ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾

وذلك حين رموها بالزنا عليهم لعائن الله ؛ وفي الفقرة التالية والتي
بعدها بيان اصطفاء الله لها، وشهادة رب العالمين لها بالعفة وكمال
الشرف.

وفي الآية الكريمة بين الله تعالى أن صاحب هذه الفرية كافر،
وكذلك كل من قال بهذا الكذب والزور والبهتان فهو كافر أيضًا، كما
أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ ﴾.

كما أن في هذا القول تكذيب لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ الذي وصفها بالطهارة والعفة والإحصان، وتكذيب القرآن من أعظم الكفر والضلال.

المطلب العاشر: اصطفاء السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾

قال ابن كثير: هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم، عَلَيْهَا السَّلَامُ، عن أمر الله لهم بذلك: أن الله قد اصطفاها، أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهرها من الأكدار والوسواس واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالته على نساء العالمين. ١. هـ^(١)

ينوه تعالى بفضيلة مريم وعلو قدرها، وأن الملائكة خاطبتها بذلك فقالت ﴿ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ أي: اختارك ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ من الآفات المنقصة ﴿ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ الاصطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقاً، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك كخديجة وعائشة وفاطمة، لم يناف الاصطفاء المذكور، فلما أخبرتها الملائكة باصطفاء الله إياها وتطهيرها،

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٣٩/٢).

كان في هذا من النعمة العظيمة والمنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها.

وأي اصطفاء؟! وهو يختارها لتلقي النفخة المباشرة، كما تلقاها أول هذه الخليقة: «آدم»؟ وعرض هذه الخارقة على البشرية من خلالها وعن طريقها؟ إنه الاصطفاء للأمر المفرد في تاريخ البشرية.. وهو بلا جدال أمر عظيم..

ولكنها حتى ذلك الحين لم تكن تعلم ذلك الأمر العظيم! والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى. وذلك لما لا بس مولد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من شبّهات لم يتورع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة، معتمدين على أن هذا المولد لا مثال له في عالم الناس فيزعموا أن وراءه سرًا لا يشرف. قبحهم الله!!

وهنا تظهر عظمة هذا الدين؛ ويتبين مصدره عن يقين.

فها هو ذا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الإسلام الذي يلقي من أهل الكتاب ومنهم النصارى ما يلقي من التكذيب والعنت والجدل والشبّهات ها هو ذا يحدث عن ربه بحقيقة مريم العظيمة وتفضيلها على «نساء العالمين» بهذا الإطلاق الذي يرفعها إلى أعلى الآفاق.

وهو في معرض مناظرة مع القوم الذين يعتزون بمريم، ويتخذون من تعظيمها مبررًا لعدم إيمانهم بمحمد وبالدين الجديد!

أي صدق؟ وآية عظمة؟ وآية دلالة على مصدر هذا الدين، وصدق صاحبه الأمين!

إنه يتلقى الحق من ربه ؛ عن مريم وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فيعلن هذا الحق، ولو لم يكن رسولاً من الله الحق ما أظهر هذا القول.

المطلب الحادي عشر: عفة السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

وهذه شهادة من الله تعالى على عفة مريم، وأنها من المحصنات الشريفات، بل أن هذا من أعظم فضائلها، التي كانت سبباً في اصطفاء الله لها.

قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

وقال سبحانه ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَنِينِ﴾

قال ابن كثير: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حفظته وصانته.

والإحصان: هو العفاف والحرية

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: بواسطة الملك، وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولهذا قال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ أي: بقدره وشرعه ﴿وَكَانَ مِنَ الْقَنِينِ﴾. (١)

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٤٧٨/٢).

﴿ وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ﴾ وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، ولهذا قال ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ أي: المطيعين لله المداومين على طاعته بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صديقة والصديقة: هي كمال العلم والعمل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾

قال ابن كثير: ﴿ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ أي: في خلقي إياك من أم بلا ذكر، وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء.

﴿ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾ حيث جعلتُك لها برهاناً على براءتها مما نسبته الظالمون الجاهلون إليها من الفاحشة. (١)

المطلب الثاني عشر: العذراء البتول.

وهذا من فضائلها عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنها عذراء لم يمسسها بشر، وأكرمها الله بعيسى النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير زوج، وقد خلقه الله في رحمها كما خلق آدم الله يفعل ما يريد.

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (١/٣٢٣).

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَجَعْفَرُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرْفُطَةَ وَعُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ وَأَبُو مُوسَى فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ وَبَعَثَتْ فُرَيْشُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَا لَهُ إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَّنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا قَالَ فَأَيْنَ هُمْ قَالَ هُمْ فِي أَرْضِكَ فَأَبَعْتَ إِلَيْهِمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ.

فَقَالَ جَعْفَرُ: أَنَا خَطِيبُكُمْ الْيَوْمَ، فَاتَّبِعُوهُ، فَسَلِّمْ وَلَمْ يَسْجُدْ.

فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟

قَالَ: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّه؟

قَالُوا: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ أَلْقَاهَا إِلَيَّ

الْعُذْرَاءِ الْبُتُولِ الَّتِي لَمْ يَمْسَسْهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ.

قَالَ: فَرَفَعَ عُوْدًا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقَسِّيِّينَ

وَالرُّهْبَانَ وَاللَّهَ مَا يَزِيدُونَ عَلَى الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا يَسُوئِي هَذَا مَرَحَبًا بِكُمْ

وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَإِنَّهُ الَّذِي نَجَدُ فِي الْإِنْجِيلِ وَإِنَّهُ
الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْزَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ وَاللَّهُ لَوْلَا مَا أَنَا
فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ وَأَوْصِيئُهُ (١).

وَأَمَرَ بِهَدْيَةِ الْآخَرِينَ فَرَدَّتْ إِلَيْهِمَا ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ
بَلَغَهُ مَوْتُهُ (٢)

المطلب الثالث عشر: كمال السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَمَلُ
مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا: أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ
بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيدَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّ فَضْلَ
عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) (٣).

والكمال هنا هو ما توفر فيهن من وجوه الخير والصلاح والبر
والتقوى والأخلاق الحميدة الحسنة وكمال الخلقة، فلم يكن بهن أي

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن
أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، د
عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (١/ ٤٦١).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، طبعة د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة
الرسالة (١/ ٤٦١).

(٣) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي محمد زهير
بن ناصر الناصر ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (٥/ ٢٩) برقم ٣٧٦٩.

نوع من أنواع النقص، بل مَنْ الله عليهن بكل خير من خير الدنيا والآخرة،
رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ .

المطلب الرابع عشر: السيدة مريم عَائِهَا السَّلَامُ من أفضل نساء الجنة.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ) (١)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَطَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا هَذَا قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُرَاجِمِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ) (٢) .

ونساء أهل الجنة يتفاضلن، وسيدات نساء أهل الجنة: خديجة، وفاطمة، ومريم وآسية، ثم ومريم وخديجة أفضل الأربع، ففي صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة.

(١) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (٢٩ / ٥) برقم ٣٧٦٩.

(٢) في (مسند أحمد)، و(مشكل الآثار) للطحاوي، و(مستدرک الحاكم)، بإسناد صحيح عن ابن عباس.

ومريم هي سيدة النساء الأولى وأفضل النساء على الإطلاق، فقد روى الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم عن جابر قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران، فاطمة، وخديجة، وآسية امرأة فرعون. وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرح به القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ﴾ [آل عمران: ٤٢]، وكيف لا تكون كذلك وقد صرح الحق بأنه: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

المطلب الخامس عشر: حفظ السيدة مريم وذريتها من الشيطان.

عن أبي هريرة قال سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا) ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ^(١).

ورواية مسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ نَخَسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٢).

قال النووي في شرح مسلم: هَذِهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٦٦).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٦٦).

اخْتِصَّاصَهَا بِعِيسَى وَأُمَّهُ، وَاخْتَارَ الْقَاضِي عِيَاضَ أَنْ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ يُشَارِكُونَ فِيهَا^(١). ١.١. هـ

قوله: (فَيَسْتَهْلِلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ) أَي سَبَبِ صُرَاخِ الصَّبِيِّ
أَوَّلَ مَا يُوَلَّدُ الْأَلَمُ مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، وَالاسْتِهْلَالُ الصِّيَاحُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هَذَا الطَّعْنُ مِنَ الشَّيْطَانِ هُوَ ابْتِدَاءُ التَّسْلِيْطِ، فَحَفِظَ
اللَّهُ مَرْيَمَ وَابْنَهَا مِنْهُ بِرَكَّةٍ دَعْوَةٍ أُمَّهَا حَيْثُ قَالَتْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لِمَرْيَمَ ذُرِّيَّةٌ غَيْرَ عِيسَى^(٢).

فحفظ الله تعالى السيدة مريم وابنها عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، من نخس
الشیطان لهما عند الولادة كما يفعل ببقية بني آدم، ولما أراد الشيطان أن
يطعن مريم عند ولادتها هي أو ابنها عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، جعل الله تعالى
بينه وبينهما حجاباً فلم يستطع الوصول إليهما.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ
يَطْعَنُ الشَّيْطَانَ فِي جَنْبِهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُوَلَّدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ
يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ»^(٣).

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن
شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة:
الثانية، ١٣٩٢. (١٥/١٢٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٦٦)

(٣) رواه مسلم برقم (٢٣٦٦)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ إِنْسَانٍ تَلَدُهُ أُمُّهُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَأَبَوَاهُ بَعْدُ يَهُودِيَّةً وَيُنَصْرَانِيَّةً وَيِمَجَسَّانِيَّةً، فَإِنْ كَانَا مُسْلِمِينَ فَمُسْلِمًا، كُلُّ إِنْسَانٍ تَلَدُهُ أُمُّهُ يَلْكُرُهُ الشَّيْطَانُ فِي حِضْنَيْهِ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا» (١).

(فِي حِضْنَيْهِ) تَثْنِيَّةٌ حِضْنٍ، وَهُوَ الْجَنْبُ، وَقِيلَ: الْخَاصِرَةُ.

المطلب السادس عشر: خيرية السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

عن علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ (٢)

قال الحافظ: قوله: (خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ، لَكِنَّهُ يُفَسِّرُهُ الْحَالُ وَالْمُشَاهَدَةُ، يَعْنِي بِهِ الدُّنْيَا (٣)

وَقَالَ الطَّيْبِيُّ: الضَّمِيرُ الْأَوَّلُ يَعُودُ عَلَى الْأُمَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا مَرْيَمُ وَالثَّانِي عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ. قَالَ وَلِهَذَا كَرَّرَ الْكَلَامَ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ حُكْمَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا غَيْرُ حُكْمِ الْأُخْرَى (٤).

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٦٦)

(٢) تقدم: صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعه: محب الدين الخطيب (١٣٥/٧).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي دار المعرفة (١٣٥/٧).

وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ وَكَيْعٍ عَنْ هِشَامٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَأَشَارَ
وَكَيْعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْمُرَادَ نِسَاءَ الدُّنْيَا، وَأَنَّ
الضَّمِيرَيْنِ يَرْجِعَانِ إِلَى الدُّنْيَا، وَبِهَذَا جَزَمَ الْقُرْطُبِيُّ أَيْضًا.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: أَرَادَ أَنَّهُمَا خَيْرٌ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ وَفَوْقِ الْأَرْضِ مِنَ
النِّسَاءِ، قَالَ: وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ نِسَائِهَا لِأَنَّ هَذَا الضَّمِيرَ
لَا يَصْلُحُ أَنْ يَعُودَ إِلَى السَّمَاءِ ^(١).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّ الضَّمِيرَ الْأَوَّلَ يَرْجِعُ إِلَى السَّمَاءِ وَالثَّانِي إِلَى
الْأَرْضِ إِنْ ثَبَتَ أَنَّ ذَلِكَ صَدَرَ فِي حَيَاةِ خَدِيجَةَ وَتَكُونُ النُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ
أَنَّ مَرْيَمَ مَاتَتْ فَعُرِجَ بُرُوحَهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا ذَكَرَهَا أَشَارَ إِلَى السَّمَاءِ،
وَكَانَتْ خَدِيجَةَ إِذْ ذَاكَ فِي الْحَيَاةِ فَكَانَتْ فِي الْأَرْضِ فَلَمَّا ذَكَرَهَا أَشَارَ
إِلَى الْأَرْضِ.

وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ فَالْمُرَادُ أَنَّهُمَا خَيْرٌ مَنْ
صَعِدَ بُرُوحَهُنَّ إِلَى السَّمَاءِ وَخَيْرٌ مَنْ دُفِنَ جَسَدُهُنَّ فِي الْأَرْضِ، وَتَكُونُ
الإِشَارَةُ عِنْدَ ذِكْرِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا.

وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ قَوْلَهُ خَيْرٌ نِسَائِهَا خَيْرٌ مُقَدَّمٌ وَالضَّمِيرُ لِمَرْيَمَ
فَكَأَنَّهُ قَالَ مَرْيَمَ خَيْرٌ نِسَائِهَا أَيَّ نِسَاءِ زَمَانِهَا، وَكَذَا فِي خَدِيجَةَ.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن
شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة:

الثانية، ١٣٩٢. (١٥/١٢٠).

وَقَدْ جَزَمَ كَثِيرٌ مِنَ الشَّرَاحِ أَنَّ الْمُرَادَ نِسَاءَ زَمَانِهَا لِمَا تَقَدَّمَ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَذَكَرَ آسِيَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَفَعَهُ: كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ وَآسِيَةُ فَقَدْ أُثْبِتَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْكَمَالَ لِآسِيَةَ كَمَا أُثْبِتَهُ لِمَرْيَمَ، فَاْمْتَنَعَ حَمْلَ الْخَيْرِيَّةِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَجَاءَ مَا يُفَسِّرُ الْمُرَادَ صَرِيحًا، فَرَوَى الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَفَعَهُ: (لَقَدْ فَضَّلْتُ خَدِيجَةَ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي، كَمَا فَضَّلْتُ مَرْيَمَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ الْإِسْنَادِ.

ثم قال: وَقَدْ أوردَ ابنُ عبدِ البرِّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ: (سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمَ، ثُمَّ فَاطِمَةَ، ثُمَّ خَدِيجَةَ، ثُمَّ آسِيَةَ).

قَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ. ١. هـ

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ).

قال العلامة المباركفوري في تحفة الأحوزي: قَوْلُهُ: حَسْبُكَ أَيُّ يَكْفِيكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَيُّ الْوَاصِلَةِ إِلَى مَرَاتِبِ الْكَامِلِينَ فِي الْاِقْتِدَاءِ بِهِنَّ وَذِكْرِ مَحَاسِنِهِنَّ وَمَنَاقِبِهِنَّ وَزُهْدِهِنَّ فِي الدُّنْيَا وَإِقْبَالِهِنَّ عَلَى الْعُقْبَى^(١).

(١) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أبو العلام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية - بيروت (٢٦٥/١٠).

قَالَ الطَّبِيُّ: حَسْبُكَ مُبْتَدَأٌ وَمِنْ نِسَاءٍ مُتَعَلِّقٌ بِهِ وَمَرِيْمٌ خَبْرُهُ وَالْخَطَابُ
إِمَّا عَامٌّ أَوْ لِأَنْسٍ أَيْ كَأَفِيكَ مَعْرِفَتِكَ فَضَلَّهِنَّ عَنْ مَعْرِفَةِ سَائِرِ النِّسَاءِ (١).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا فَاطِمَةَ
عَامَ الْفَتْحِ فَنَاجَاهَا فَبَكَتُ ثُمَّ حَدَّثَهَا فَضَحِكَتْ قَالَتْ فَلَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا عَنْ بُكَائِهَا وَضَحِكِهَا قَالَتْ أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَمُوتُ فَبَكَيْتُ ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا
مَرِيْمَ بِنْتَ عِمْرَانَ فَضَحِكْتُ).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَسَنُ
وَالْحُسَيْنُ، سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ، إِلَّا مَا كَانَ
لِمَرِيْمَ بِنْتِ عِمْرَانَ.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَجَعْفَرُ
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْفُطَةَ وَعَثْمَانُ بْنُ مِطْعُونٍ وَأَبُو مُوسَى فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ
وَبَعَثَتْ فُرَيْشُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَعُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى
النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَا لَهُ إِنَّ نَفَرًا مِنْ
بَنِي عَمَّتَا نَزَلُوا أَرْضَكَ وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا قَالَ فَأَيْنَ هُمْ قَالَ هُمْ فِي
أَرْضِكَ فَأَبَعْتُ إِلَيْهِمْ فَبَعَثْتُ إِلَيْهِمْ.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي
دار المعرفة (١٣٥/٧).

فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا خَطِيْبُكُمْ الْيَوْمَ فَاتَّبَعُوهُ فَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْجُدْ فَقَالُوا لَهُ مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ قَالَ إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ وَمَا ذَاكَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ؟

قَالُوا: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ كَلِمَةٌ اللَّهُ وَرُوحُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعُذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ.

قَالَ: فَرَفَعَ عُوْدًا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقِسِّيِّينَ وَالرُّهْبَانَ وَاللَّهَ مَا يَزِيدُونَ عَلَيَّ الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا يَسُوئِي هَذَا مَرَحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَإِنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ وَإِنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْزَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ وَاللَّهُ لَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ لِأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحْمَلُ نَعْلَيْهِ وَأَوْضِيَهُ وَأَمَرَ بِهَدْيَةِ الْآخَرِينَ فَرَدَّتْ إِلَيْهِمَا ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ) وقد تقدم هذا.

المطلب السابع عشر: السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ آية من آيات الله

تعالى.

قال عزَّجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ

وَمَعِينٍ﴾

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عَلَيْهَا السَّلَامُ، أنه جعلهما آية للناس: أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى^(١). ١.١ هـ.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾ أي جعل عيسى ووالدته مريم ﴿آيَةً﴾

حيث خلق عيسى من غير أب فهي آية دالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته وهذه موجبة الإيمان به عبادته وتوحيده والتوكل عليه والإنابة والتوبة إليه.

قوله تعالى ﴿وَآوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ أي أنزلنا مريم

وولدها بعد اضطهاد اليهود لهما ربوة عالية صالحة للإستقرار عليها بها فاكهة وماء عذب جار إكرام الله تعالى له ولوالدته فسبحان المنعم على عباده المكرم لأوليائه.

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) دار الكتب العلمية - بيروت (٥/٤٧٦).

المطلب الثامن عشر: المراد بقوله تعالى: (يا أخت هارون).

عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ سُوَيْبَةَ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا إِنَّكُمْ تَقْرءُونَ: يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَاءِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ^(١).

وعنه: قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَجْرَانَ، فَقَالُوا: أَرَأَيْتَ مَا تَقْرءُونَ: يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ^(٢).

﴿فَقَالُوا﴾ أَيُّ أَهْلِ نَجْرَانَ (أَلَسْتُمْ تَقْرءُونَ) أَيُّ فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ ﴿يَتَأَخْتِ هَرُونَ﴾ وَبَعْدَهُ ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيُّ يَا شَبِيهَةَ هَارُونَ فِي الْعِبَادَةِ أَنْتِ مِنْ بَيْتِ طَيْبٍ طَاهِرٍ مَعْرُوفٍ بِالصَّلَاحِ وَالزَّهَادَةِ فَكَيْفَ صَدَرَ هَذَا مِنْكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَالسُّدِّيُّ قِيلَ لَهَا أُخْتُ هَارُونَ أَيُّ أَخِي مُوسَى وَكَانَتْ مِنْ نَسْلِهِ، كَمَا يُقَالُ لِلتَّمِيمِيِّيِّ يَا أَخَا تَمِيمٍ، وَالْمُضَرِّيِّ يَا أَخَا مُضَرَ،

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥) برقم ٢١٣٥.

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥) برقم ٢١٣٥.

وَقِيلَ: نُسِبَتْ إِلَى رَجُلٍ صَالِحٍ كَانَ فِيهِمْ اسْمُهُ هَارُونَ فَكَانَتْ تَنَاسَى بِهِ فِي الزَّهَادَةِ وَالْعِبَادَةِ انْتَهَى^(١)

(وَقَدْ كَانَ بَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى مَا كَانَ) أَي مِنْ طُولِ الزَّمَانِ مَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ مَرِيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أُخْتًا لِهَارُونَ أَخِي مُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ) يَعْنِي أَنَّ هَارُونَ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَتَّخِذَ هَرُونَ﴾ لَيْسَ هُوَ هَارُونَ النَّبِيُّ أَخَا مُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بَلِ الْمُرَادُ بِهَارُونَ هَذَا رَجُلٌ آخَرَ مُسَمَّى بِهَارُونَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ أَوْلَادَهُمْ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبَبِ الَّذِي قِيلَ لَهَا يَا أُخْتِ هَارُونَ، وَمَنْ كَانَ هَارُونَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا مَرِيَمَ إِلَيْهَا أَنَّهَا أُخْتُهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ لَهَا هَارُونَ نِسْبَةً مِنْهُمْ لَهَا إِلَى الصَّلَاحِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ فِيهِمْ كَانُوا يُسَمُّونَ هَارُونَ وَلَيْسَ بِهَارُونَ أَخِي مُوسَى.

ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ ثُمَّ قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنِّي بِهِ هَارُونَ أَخَا مُوسَى، وَنُسِبَتْ مَرِيَمُ إِلَيْهَا أَنَّهَا أُخْتُهُ لِأَنَّهَا مِنْ وَلَدِهِ، يُقَالُ لِلتَّمِيمِيِّ يَا أَخَا تَمِيمٍ، وَلِلْمُضَرِّيِّ يَا أَخَا مُضَرَ^(٢).

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥) برقم ٢١٣٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (١٨/ ١٨٦).

المطلب التاسع عشر: وجود صورة مريم في جوف الكعبة

ومحو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (عَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْتَ، فَوَجَدَ فِيهِ صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَصُورَةَ مَرْيَمَ، فَقَالَ «أَمَا لَهُمْ، فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوَّرٌ، فَمَا لَهُ يَسْتَفْسِمُ»^(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ أَبِي أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ فَأُخْرِجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَفْسِمَا بِهَا قَطُّ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ^(٢)

قال الحافظ في الفتح: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَفِيهِ الْآلِهَةُ) أَيِ الْأَصْنَامِ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا الْآلِهَةَ بِاعْتِبَارِ مَا كَانُوا يُزْعَمُونَ، وَفِي جَوَازِ إِطْلَاقِ ذَلِكَ وَقَفَّةً، وَالَّذِي يَظْهَرُ كَرَاهَتَهُ، وَكَانَتْ تَمَازِيلَ عَلَى صُورِ شَتَّى فَاغْتَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دُخُولِ الْبَيْتِ وَهِيَ فِيهِ لِأَنَّهُ لَا يُقَرُّ عَلَى بَاطِلٍ، وَلِأَنَّهُ

(١) صحيح البخاري: دار ابن كثير - دمشق، اليمامة - بيروت ١٩٨٧ م. (٤/ ١٣٩) برقم: ٣٣٥١.

(٢) صحيح البخاري: دار ابن كثير - دمشق، اليمامة - بيروت ١٩٨٧ م. (٤/ ١٣٩) برقم: ٣٣٥١.

لَا يُحِبُّ فِرَاقَ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ لَا تَدْخُلُ مَا فِيهِ صُورَةٌ (١).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ عَلِمُوا) قِيلَ وَجْهَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
إِسْمَ أَوَّلِ مَنْ أَحْدَثَ الْأَسْتِقْسَامَ بِهَا، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ، وَكَانَتْ
نَسَبَتُهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدَهُ الْأَسْتِقْسَامَ بِهَا إِفْتِرَاءً عَلَيْهِمَا لِتَقَدُّمِهِمَا عَلَى
عَمْرُو. (٢) أ.هـ.

وبالفعل يتبين لكل ذي عقل ومريد للحق: الحكمة من تحريم
الإسلام للصور والتماثيل لذوات الأرواح، فإنها كانت قديماً سبب
شرك العالم كما في قصة قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والآن فالنصارى يتعبدون
بهذه الصور ويقدسونها ويعبدونها، وغيرهم من أمم الشرك الأخرى بل
هي عماد دينهم.

كما يعلم بطلان قول من يرد على الإسلام أمره بتحريم الصور
والتماثيل، ويقولون نحن في عصور العقول المتفتحة، وأن الصور لا
تعبد، والواقع يرد عليهم وعلى ضلالاتهم.



(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل
العسقلاني الشافعي دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ محمد فؤاد عبد الباقي،
طبعه: محب الدين الخطيب (٤٦٩/٣).

(٢) صحيح البخاري: دار ابن كثير - دمشق، اليمامة - بيروت ١٩٨٧ م. (٤/١٣٩)
برقم: ٣٣٥١.

المبحث السادس:

زكريا وهو والد يحيى ابن خالته عيسى

وهو من كفل مريم.



المطلب الأول: نسبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ينتهي نسب النبي زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يعقوب بن إسحاق عليهما الصلاة والسلام،

ينسب زكريا إلى بني إسرائيل، وذكر ابن خلدون أنه من بني ماثان من نسل النبي داود من سبط يهوذا بن يعقوب.

وقد أورد ابن عساكر لزكريا نسباً بدأه بأبيه يوحنا، وعدّ بعده أحد عشر أباً، حتى وصل إلى يهوشافاط خامس ملوك بيت المقدس من عهد النبي سليمان. نسبه إذاً يكون: هو زكريا بن برخيا (أو دان، أو لدن) بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعاطة بن ياخور بن شلوم بن يهوشافاط (ويقال بهفاشاط)، بن إينامن بن رحيعم بن سليمان بن داود^(١).

وقد ورد اسم النبي زكريا في القرآن الكريم سبع مرات.

(١) تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (٢/١٦٨).

وردت أحداث قصته في ثلاث سور قرآنية، هي: سورة آل عمران، وسورة مريم، وسورة الأنبياء، وجاءت هذه القصة مفصلة في سورة مريم أكثر من السورتين الأخريين.

ورد ثلاث مرات في سورة آل عمران الآيتين ٣٧ و ٣٨، قال تعالى:

﴿فَنَقَّبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِمُ أَيُّ لَيْلٍ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾

ومرة في الأنعام الآية ٨٥، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾

ومرتين بمريم في الآيتين ٢ و ٧، قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

وقال: ﴿يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

ومرة في الأنبياء الآية ٨٩، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

المطلب الثاني: حياته.

قبيل ميلاد المسيح، كان زكريا من كبار الربانيين الذين كانوا يخدمون الهيكل. وكان عمران -والد مريم- إمامهم ورئيسهم، والكاهن

الأكبر فيهم، كما كانت حنّة زوجته، حالة إصابات زوجة زكريا. وزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي كريم وعابد لله تعالى، وهو من ذرية أنبياء كرام، وكان مع ذلك إنساناً فاعلاً في مجتمعه، يأكل من عمل يده بمهنة نجار، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: كان زكريا نجاراً^(١).

وكان عهد النبي زكريا قريب من عهد النبي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ يدل على ذلك قوله عزَّجَلَّ فِي قصة مريم أم عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَكَفَلَهَا زَكْرِيَا﴾ (آل عمران: ٣٧).

وفُصِّلَتْ قصته في سورتَي مريم وآل عمران، وُبِعِثَ نبيًّا فِي بني إسرائيل، بدعوة التوحيد، وعبادة الله سبحانه، وترك ما دون ذلك، فِي وقتٍ كَثُرَ فِيهِ إفسادهم وكفرهم، وانتشر الفسوق، والظلم والمنكر بعمومه بينهم، فقد كان ملوك بني إسرائيل حينها كفرًا وفجرة، مُلَّؤُوا بُغْضًا لِلدِّينِ وَأَهْلِهِ، فَتَسَلَّطُوا عَلَى الصَّالِحِينَ، قَتَلُوا وَظَلَمُوا، وَقَدْ طَالَ زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَلَائِهِمْ حِينَ أَمَرَ الْمَلِكُ هِيرُودُسَ بِقَتْلِ يَحْيَى بْنِ زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إِرْضَاءً لِعَشِيقَتِهِ، عَائِشَ زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، انْتِشَارَ الْقَتْلِ، وَالظُّلْمَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة. (١٤٧/١٥).

ذكرنا أن اليهود يقولون قبيل ميلاد المسيح، كان زكريا من كبار الربانين الذين كانوا يخدمون الهيكل، فهم لا يعدونه نبياً وإنما يسمون الصالحين منهم: الكهنة والربانين.

وكان عمران والد مريم إمامهم ورئيسهم، والكاهن الأكبر فيهم، كما كانت حنة زوجته، خالة إيصابات زوجة زكريا تسأل الله الولد.

فاستجاب الله لدعاء عمران وحنة، بعد أن لبثت حنة عاقراً ثلاثين سنة، فحملت ونذرت أن تهب ولدها لخدمة بيت المقدس، وكانت ترجو أن يكون ذكراً، إلا أنها رزقت بطفلة سميتها مريم، وحملتها وقدمتها إلى بيت المقدس، ودفعتها إلى العباد والربانين فيه، تنفيذاً لنذرها، وكان هذا من أحكام الشريعة اليهودية.

وتنافسوا في كفالتها، لأنها ابنة رئيسهم وكاهنهم الأكبر، ويعتقد أن عمران أباهما قد توفي في هذه الأثناء، وأصرّ زكريا، على أن يكفلها هو، وحصل الخصام بينهم أيهم يكفل مريم، فلجأوا إلى القرعة، فكانت كفالتها من حظ زكريا.

نشأت مريم نشأة دينية، وتفرغت للعبادة، فكان زكريا يجد عندها رزقاً من رزق الله لم يأتها به، وفي غير وقته، وهذا من إكرام الله لها، عندئذ، وقع حب الذرية في قلب زكريا، وتمنى أن يهبه الله ولداً ذكراً يرث الشريعة عنه وعن العلماء الصالحين من آل يعقوب، وخشي أن يتولى أمر الرئاسة الدينية في بني إسرائيل موالى من الجهلة والفساق والمتلاعبين بالدين.

المطلب الثالث: دخول زكريا على مريم في المحراب.

كان لمريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ركن خاص تختلي فيه بنفسها لعبادة الله، وكلما كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يدخل عليها ذلك المحراب، يجد عندها من الطعام الشيء العجيب، كان يجد فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ولما سألتها عن مصدر هذا الطعام الذي لا يمكن لأحد أن يأتي به، لا سيما أنه لم تكن الأجهزة التي تحفظ الأطعمة موجودة في تلك العصور، ولم تكن ثمة وسائل لنقل الطعام من بلد إلى آخر، أجابته عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فعندها: ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك الوقت رجلاً طاعناً في السن، جاء في بعض الروايات أن عمره بلغ ٧٧ عاماً، وامرأته كانت «طاعنة» كذلك، ووصلت إلى سن اليأس، وهنا يعلمنا عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف ندعو الله تعالى، فهو مع كونه شيخاً كبيراً، وامرأته عاقراً، فإنه لم يدعُ الله تعالى بالذرية فقط، بل اشترط في دعائه أن تكون طيبة، لأن المهم هو صلاحها وليس كثرتها.

الأمل واستجابة الدعاء.

وكان الله تعالى قد قدر لحكمة يعلمها ألا يرزق زكريا بالولد، فلما أحس أن الكبر قد تغشاه، وأنه وحيد ليس حوله من يقيم الدين معه، أو يخلفه فيه توجه لله -تعالى- بالدعاء، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۗ﴾

وَبَرِّثْ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۗ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿١٠٠﴾، فاستجاب الله دعوته بأن جعله يكفل مريم - عَلَيْهَا السَّلَامُ - أولاً، ثم بُشِّرَ بأن زوجته حامل، وسيكون له ولد بإذن الله تعالى.

بلغ زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ مرحلة الضعف والشيب كما وصف في دعائه لله سبحانه، لكنّه بالرغم من ذلك لم ييأس من قدرة الله تعالى، وفضله عليه بأن يرزقه الولد رغم ظروفه، وكان لكفالته مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ سبب إضافي لذلك اليقين، فزكريا حين كفل مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ رأى لها من الكرامات الشيء العظيم، فقد كان يدخل عندها فيجد أمامها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف؛ تفضلاً من الله وكرامةً، فزاد هذا من يقينه، ورغبته في أن يكرمه الله - تعالى - بالولد، بالرغم من أنّ زوجته عاقر لا تلد، وقد كبر هو كذلك.

ما إن دعا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه، حتى استجاب له، لأنه سبحانه يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ولا تقف دون إرادته أي إرادة، فأوحى الله تعالى للملائكة أن تزف له البشري باستجابة دعوته، فقال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾، فاستعجب زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرحه من هذه البشارة، وأخذ يستفسر عن الكيفية التي سيأتي بها الولد وامرأته عاقر لا تنجب، وهو شيخ كبير، فبينت له الملائكة أن هذه منّة من الله تعالى، وكما أنه سبحانه أوجد المخلوقات من العدم، فإنه قادر على فعل ذلك.

هنا طلب زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله تعالى أن يعطيه علامة لوقت استجابة الدعوة، فجاءه البيان أن فمه سيعجز عن الكلام مع الناس، من دون أن يكون فيه مرض أو علة، وعندما خرج عَلَيْهِ السَّلَامُ من مصلاه، وأراد التسبيح، استطاع ذلك وسمعه الناس، لكنه حينما أراد الكلام معهم لجم لسانه، ولم يستطع ذلك بغير التسبيح، وخاطبهم بالإشارة أن سبحوا بكرة وعشيًا.

بث الشكوى وبعث الأمل.

يقص علينا القرآن الكريم نبأ النبي زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما تقدم به العمر، وأخذ الشيب من رأسه كل مأخذ، وكانت زوجته أيضًا قد تقدم بها السن، ولم تلد له من الولد ما تقر به عينه، ويحمل من بعده اسمه. فهذا هو عما قريب سوف يطوي صفحة الأيام، ويمضي إلى حياة غير هذه الحياة. فمن الذي يقوم على وراثته حكمته، والاضطلاع بأمانته؟ وهؤلاء مواليه وبنو عمومته أشرار فجار، لا بد لهم من وازع يردعهم عن غيهم، ولو خُلُوا ونفوسهم الشريرة، فإنهم يمحوون الشريعة، وينشرون الفساد، ويغيرون معالم الكتاب.

وقد عبر القرآن عن هذه الحالة التي كان يعاني منها زكريا بقوله:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِن وَّرَآءِي وَكَانَتْ أُمَّرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ بَرِّئُ مِنِّي وَبَرِّئْ مِنِّي أَلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٤٦﴾. (مريم: ٤٦).

قال ابن كثير: وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً، فسأل الله ولداً، يكون نبياً من بعده؛ ليسوسهم بنبوته وما يوحى إليه، فأجيب في ذلك، لا أنه خشي من وراثتهم له ماله، فإن النبي أعظم منزلة، وأجل قدرًا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده، أن يأنف من وراثة عصباته له.

ظلت هذه الخواطر تراود تفكير زكريا صباح مساء، وليل نهار، إلى أن ذهب ذات يوم إلى معبد يتعبد فيه، فوجد فيه مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ** رابضة في محرابها، غارقة في تفكيرها، ورأى بين يديها أمراً لم يعتده من قبل، حيث رأى عندها فاكهة الصيف، والوقت وقت شتاء، فينطلق سائلاً إياها: **﴿يَمْرِمُ أَتَى لَكَ هَذَا﴾** (آل عمران: ٣٧)، فتجيبه بفطرتها السليمة، ولسانها الصادق: **﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (آل عمران: ٣٧).

عند ذلك أدركت زكريا حالة جديدة، ودخل في تأمل عميق؛ فلقد أثار هذا الحدث غير العادي في نفسه الحنين إلى الولد، والرغبة في البنين! حقاً، لقد أصبح طاعناً في السن، وهو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة، وحال زوجه كذلك، ولكن أليس الله الذي أبطل لمريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ** الأسباب الظاهرة بقادر على أن يرزقه ولداً، يرثه من بعده في علمه وسلوكه؟ ولم يطل التفكير بزكريا كثيراً، بل توجه إلى الله بعقل حاضر، وقلب خاشع، ولسان صادق، فقال: **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾**

إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿ (آل عمران: ٣٨). وفي موضع آخر يخبر القرآن عن دعائه بقوله: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٩).

أظهر زكريا في دعائه أسمى ألوان الأدب مع خالقه، حيث توسل إليه سبحانه بضعف بدنه، وبتقدم سنه، وبما عوده إياه من إجابة دعائه في الماضي.

وكان زكريا أكرم على الله من أن يُرَدَّ دعوته، وأعز عليه من أن يخيب رجاءه، كيف لا وهو القائل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠)، ومن ثم جاءته الملائكة مبشرة إياه: ﴿ يَنْزِكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ (مريم: ٧).

سمع زكريا النداء، وحاشاه أن يكون غافلاً عن قدرة الله، أو يائساً من رحمة الله واستجابة دعواه، بل أدركه الأمل والرجاء. ثم عاد فسأل ربه؛ طلباً للطمأنينة، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي آمُرُتِي بِعَاقِرًا وَفَدَّ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (مريم: ٨)، كما سأل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه من قبل، حين قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٦٠). وما كانا بسؤالهما شاكين أو جاحدين، ولكن ليزداد قلبهما إيماناً مع إيمانهما.

فأجابته الملائكة: أليس الله الذي خلقك من قبل ولم تك شيئاً بقادر على أن يرزقك الولد، وإن كنت وزوجك على أعتاب الآخرة؟

المطلب الرابع: ميلاد يحيى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لقد منَّ الله على نبيه زكريا بولد اسمه يحيى، بعد أن ظن أن لا مجال للولد، ولا سبيل إلى ذلك. بيد أن قدرة الله لا تخضع للأسباب، ولا تقاس بالعادات، بل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

عندما ولدت زوجة زكريا طفلاً ذكراً، سماه الله تعالى اسماً لم يسم به إنساناً من قبل، إذ قال سبحانه: ﴿يَنزَكِرْنَا إِنَّا نَبِشْرُكَ بِعُلْمٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، وقد حبا الله تعالى هذا الطفل بصفات ومزايا منذ مولده، فبشر أباه بأمر، أولها أنه سبحانه من سماه يحيى، ثم إن الله تعالى جعله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي أنه كان مصدقاً لرسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان سيدياً في العلم والحلم والعبادة، وجعله حصوراً أي معصوماً من الذنوب والآثام، وأعظم من ذلك كله أن الله تعالى أكرمه وشرفه بمقام النبوة فقال ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

المطلب الخامس: زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام

مع الملك.

كبر يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان ورعاً زاهداً مع كونه عالماً تقياً، حتى قيل إنه كان يأكل أوراق الأشجار كي لا يخالط الناس أو يكون بحاجة إليهم، وكان الناس يستفتونه في أمورهم، ويسمعون منه أحكام الله تعالى، حتى

مع وجود أبيه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمن ذلك أن الملك في ذلك الزمان عشق ابنة أخيه، وأراد أن يتزوجها، بالرغم من أنه من محارمها، فاستفتى يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أمره، وطلب منه أن يرخص له بهذا الزواج السفاح، وقد كان ذلك الملك معروفاً بكونه طاغية جباراً فاسقاً، وكانت بنت أخيه تعشقه أيضاً، وكانت ذات أخلاق فاسدة، فأرادت أن تتزوجه، وأخذ الملك يتودد بالكلام ليحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى يرخص له في ما يريد، فما كان منه عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أن جمع الناس، وبين لهم أن زواج الرجل بمحارمه من أشد الفجور، وهو ما أثار غضب الملك الذي توقع أن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ جمع الناس ليخبرهم صحة زواجه بابنة أخيه، ووقع في حرج شديد، إذ لو تزوج بها بعد هذه المقولة، سيثور عليه الناس، وسيصبح ذكره على كل لسان.

كما أن ذلك الملك أراد أن يفعل الفاحشة مع ابنة أخيه الفاجرة التي كانت ترقص له وتغني وتحاول إغراءه، لكنها رفضت تمكينه من نفسها إلا بعد أن يتزوجها، فذكر لها ما كان من أمره مع يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه رفض أن يقره على هذه الزيجة، بل جمع الملاءم وفضح أمره لكي يقيم عليه الحجة، فقالت تلك المرأة الفاجرة «إذا فتزوجني، ولا أرضى بمهر غير رأس يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وأعمت بهذا الطلب بصيرة الملك الذي أمر بقتل يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأرسل إليه من يحضر رأسه، وهو ما كان حيث ذهبوا إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووجدوه يتعبد في مصلاه، فقتلوه وقطعوا رأسه وأتوا به ليكون مهر تلك الزانية.

المطلب السادس: قوله تعالى: (فنادته الملائكة).

اجتهد زكريا في الدعاء بأن يرزقه الله الولد، لا من أجل شهوة دنيوية، وإنما من أجل مصلحة الدين، والخوف من تضييعه وتبديله، والحرص على من يرثه في علمه ونبوته، ويكون مرضياً عند خالقه.

قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (آل عمران: ٣٩)، ذكر بعض أهل العلم أن المراد بالملائكة هنا: جبريل، واستدلوا لذلك بأن اللفظ في العربية قد يطلق ويراد به الواحد، بيد أن للطبري رأي آخر، حيث يقول: الصواب، أنها جماعة من الملائكة دون الواحد، وجبريل واحد. ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في ألسن العرب، دون الأقل، ما وجد إلى ذلك سبيل. ولم تضطرنا حاجة إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفي من الكلام والمعاني.

المطلب السابع: قوله تعالى: (لم نجعل له من قبل سمياً).

قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٧)، أي: لم نجعل أحداً من قبل مشاركاً له في هذا الاسم، بل هو أول من تسمى بهذا الاسم الجميل.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ ^(١): أَي: لَمْ نَجْعَلْ مِنْ قَبْلِهِ أَحَدًا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م (٣/٣٦٨).

يَتَسَمَّى بِاسْمِهِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَانَ اسْمُهُ يَحْيَى، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ مَعْنَاهُ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ سَمِيًّا، أَيُّ: نَظِيرًا فِي السُّمُوِّ وَالرَّفْعَةِ غَيْرِ صَوَابٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِأَفْضَلَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَنُوحٍ، فَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ أَسْلَمَ وَغَيْرُهُمْ.

وَيُرْوَى الْقَوْلُ الثَّانِي عَنْ مُجَاهِدٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الصَّوَابَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، أَيُّ: لَمْ نُسَمِّ أَحَدًا بِاسْمِهِ قَبْلَهُ فَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، مَعْنَاهُ: أَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا مُمَاتِلٌ يُسَامِيهِ فِي الْعُلُوِّ وَالْعِظَمَةِ وَالْكَمَالِ عَلَى التَّحْقِيقِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا، هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا يُسَمَّى بِاسْمِهِ الرَّحْمَنُ جَلَّ وَعَلَا، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

فإن قيل: ما المراد باستفهام زكريا في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ

لِي غُلَامٌ﴾ [آل عمران: ٤٠]، مع علمه بقدره الله على شيء؟ فالجواب: أن استفهامه إنما هو على سبيل الاستعلام والاستخبار؛ لأنه لم يكن يعلم أن الله سيرزقه بـ يحيى عن طريق زوجته العاقر، أو عن طريق الزواج بامرأة أخرى، فاستفهم عن الحقيقة ليعرفها. ويجوز أن يكون المقصود بالاستفهام التعجب والسرور بهذا الأمر العجيب الخارق للعادة، رزقه الله الولد مع تقدم سنه وسن زوجته.

ويجوز أن يكون المقصود بالاستفهام الاستبعاد لما جرت به العادة من أن يأتي الغلام مع تقدم سنه وسن زوجته، وليس المقصود

استحالة ذلك إلى قدرة الله تعالى؛ لأنه لا يعجزه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء.

خاطب زكريا ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ مع أن النداء له صدر من الملائكة ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾؛ للإشعار بالمبالغة في التضرع، وأنه قد طرح الوسائط، واتجه إلى خالقه مباشرة بشكره. ويظهر التعجب من قدرته؛ لأنه سبحانه أعطاه ما لم تجر العادة به.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران: ٤٠)، أي: مثل ذلك الفعل العجيب، والصنع البديع الذي رأيته من أن يكون لك ولد، وأنت شيخ كبير، وامرأتك عاقر، مثل ذلك الفعل يفعل الله ما يشاء أن يفعله؛ لأنه سبحانه هو خالق الأسباب والمسببات، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وبقدرته أن يغير ما جرت به العادات بين الناس.

المطلب الثامن: قوله تعالى: (قال آيتك ألا تكلم الناس).

قوله سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ (آل عمران: ٤١)

قال الزمخشري:

وإنما خصّ تكليم الناس؛ ليُعَلِّمَهُ أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة، مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله، ولذلك قال: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾، يعني في أيام عجزك عن

تكليم الناس، وهي من الآيات الباهرة^(١).

ويمكن أن يقال: إن زكريا عندما طلب آية يعرف بها أن زوجته قد حملت بهذا الغلام الذي بشره الله به، أخبره سبحانه أن العلامة على ذلك أن يوفق إلى خلوص نفسه من شواغل الدنيا، حتى إنه ليجد نفسه متجهًا اتجاهًا كليًا إلى ذكر الله، وتمجيده وتسييحه، دون أن يكون عنده أي دافع إلى كلام الناس، أو مخالطتهم مع قدرته على ذلك.

المطلب التاسع: قوله تعالى: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة).

في سورة الأنبياء بعد الدعوات الصالحات التي تضرع بها زكريا إلى خالقه، جاء الجواب الرباني: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، والمراد من ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ أي: جعلناها تلد بعد أن كانت عقيمًا؛ تكريمًا له ورحمة به.

قررت هذه القصة قضية عامة، مفادها أن الله تعالى يفعل ما يشاء أن يفعله، دون تقييد بالأسباب والمسببات والعادات، وهو الفعال لما يريد. فقدرته سبحانه لا يعجزها شيء.

الحض على الإكثار من ذكر الله، ومن تسييحه وتمجيده؛ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب، وتسكن النفوس، وتغسل الخطايا والذنوب.

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ (١/٣٦٠).

أن العقلاء من الناس يلجؤون إلى خالقهم **عَزَّوَجَلَّ**؛ لكي يرزقهم الذرية الصالحة، والأولاد الراشدين، الذين يخلصون عبادتهم لله، ويبدلون أموالهم وأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الحق، ونشر الفضائل، ونبد الرذائل.

أن الدعاء متى صدر من قلب سليم، ولسان صادق، كان مرجو القبول، وجدير بالإجابة.

قال القرطبي: دل قوله تعالى: **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾** على طلب الولد، وهي سنة المرسلين والصديقين، قال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾** (الرعد: ٣٨). وقد ترجم البخاري على هذا (باب طلب الولد). وقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأبي طلحة حين مات ابنه: (أعرستم الليلة؟) قال: نعم. قال: (بارك الله لكما في غابر ليلتكما)، قال: فحملت. والأخبار في هذا المعنى كثيرة تحت على طلب الولد وتندب إليه؛ لما يرجوه الإنسان من نفعه في حياته وبعد موته.

المطلب العاشر: مقتل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

بعد هذه الجريمة النكراء التي فعلها ذلك الحاكم الفاسد في نبي الله تعالى، خاف من أن يثور زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذا الفعل، وينتقم لموت ابنه نبي الله يحيى، فما كان منه إلا أن أمر بقتله عَلَيْهِ السَّلَامُ، مخافة أن يفتن الناس ويقيمهم عليه، فقبل إن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ هرب منهم، فأخذوا

يقتفون أثره ويحاولون الظفر به، إلى أن نادته شجرة في إحدى الغابات، وطلبت إليه الاختباء في جذعها، فأتاها ودخل، إلا أن طرف ثوبه بقي ظاهراً في الخارج، وجذب أعين المقتفين الذين أتوا بمنشار، وشقوا الشجرة نصفين حتى قتلوه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ما ورد في قتله:

وقد ورد معناه في حديث رواه إسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ حيث قال: أنبأنا يعقوب الكوفي، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله ليلة أسري به رأى زكريا في السماء، فسلم عليه وقال له: يا أبا يحيى أخبرني عن قتلك كيف كان، ولم قتلك بنو إسرائيل؟ قال: يا محمد أخبرك أن يحيى بن زكريا كان خير أهل زمانه، وكان أجملهم وأصحبهم وجهاً، وكان كما قال الله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ وكان لا يحتاج إلى النساء، فهوته امرأة ملك بني إسرائيل، وكانت بغية، فأرسلت إليه وعصمه الله وامتنع يحيى وأبى عليها، فأجمعت على قتل يحيى بن زكريا، ولهم عيد يجتمعون في كل عام، وكانت سنة الملك أن يوعده ولا يخلف ولا يكذب. قال: فخرج الملك إلى العيد فقامت امرأته فشيخته، وكان بها معجبا، ولم تكن تفعله فيما مضى، فلما أن شيخته قال الملك: سليني فما سألتني شيئا إلا أعطيتك، قالت: أريد دم يحيى بن زكريا، قال لها: سليني غيره. قالت: هو ذاك. قال: هو لك. قال: فبعثت جلاوزتها إلى يحيى وهو في محرابه يصلي، وأنا إلى جانبه أصلي، قال: فذبح في طشت وحمل رأسه ودمه إليها. قال: فقال رسول الله: فما بلغ

من صبرك؟ قال: ما انفتلت من صلاتي. قال: فلما حمل رأسه إليها، فوضع بين يديها، فلما أمسوا خسف الله بالملك، وأهل بيته وحشمه، فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل: قد غضب إله زكريا لذكرياء، ففعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا. قال: فخرجوا في طلبي ليقتلوني، وجاءني النذير فهربت منهم، وإبليس أمامهم يدلهم علي، فلما تخوفت أن لا أعجزهم، عرضت لي شجرة فنادتني

وقالت: إليّ إليّ، وانصدعت لي ودخلت فيها. قال: وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي، والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجا من الشجرة، وجاءت بنو إسرائيل.

فقال إبليس: أما رأيتموه دخل هذه الشجرة، هذا طرف ردائه دخلها بسحره، فقالوا: نحرق هذه الشجرة، فقال إبليس: شقوه بالمنشار شقاً. قال: فشقت مع الشجرة بالمنشار، قال له النبي: هل وجدت له مساً أو وجعاً؟ قال: لا، إنما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روعي فيها^(١).

هذا سياق غريب جداً، وحديث عجيب، ورفع منكر، وفيه ما ينكر على كل حال، ولم ير في شيء من أحاديث الإسراء ذكر زكريا **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إلا في هذا الحديث.

(١) قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، (٢/٣٦٢).

وإنما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء:
فمررت بابني الخالة يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم، وهما ابنا الخالة^(١).



(١) صحيح البخاري: دار ابن كثير - دمشق، اليمامة - بيروت ١٩٨٧ م برقم (٣٨٨٧).

المبحث السابع:

أحفاد آل عمران وهم عيسى ويحيى
عليهم الصلاة والسلام.



المطلب الأول: نبي الله يحيى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

هو عبد الله ونبيه يحيى بن زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهو استجابة الله لدعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبشارة الله له بعد أن بلغ من الكبر عتياً، فيقول تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَنادته الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾. آل عمران: ٣٨-٣٩.

ولم يسم أحدٌ قبله بهذا الاسم الجميل (يحيى) ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، وكان يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ غلاماً ذكياً، أحكم الله عقله، وآتاه الحكم صبياً، عاشقاً للعبادة، عاكفاً في محراب العلم، محصياً لمسائل التوراة، عالماً عاملاً بما فيها، قوَّالاً في الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يهاب أيَّ ظالم.

وقد جاء تشريفه على لسان نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حيث قال: «لا ينبغي لأحدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يحيى بن زكريا. قلنا: يا رسول الله، ومن أين ذلك؟ قال: أما سمعتم الله كيف وصَّفه في القرآن، فقال:

﴿يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم: ١٢، فقرأ حتى بلغ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ آل عمران: ٣٩، لم يعمل سيئة قط، ولم يهَمَّ بها^(١).

قصة يحيى على صلة وثيقة بقصة زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقد ذكر القرآن الكريم يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ في معرض حديثه عن أبيه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كان يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ غلامًا ذكيًا، أحكم الله عقله، وآتاه الحكم صبيًا، عاشقًا للعبادة، عاكفًا في محراب العلم، محصيًا لمسائل التوراة، مستجليًا لغوامضها، محيطًا بأصولها وفروعها، فيصلاً في أحكامها، قاضيًا في معقولها، قوًّا في الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يهاب صولة عاتٍ ظالم.

وقد جاء في الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يحيى بن زكريا، قلنا: يا رسول الله! ومن أين ذلك؟ قال: أما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن، فقال: ﴿يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢)، فقرأ حتى بلغ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا

(١) رواه الطبراني في الكبير المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية - القاهرة (٢١٨/١٢) ومسند البزار المنشور باسم البحر الزخار أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، (٣٤٤/٦)، قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: وخلاصة القول في هذا الحديث أنه صحيح بلا ريب، على الأقل بمجموع طرقه، لأن أكثرها ليست شديدة الضعف، السلسلة الصحيحة (٦/١٢١٢).

وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ (آل عمران: ٣٩)، لم يعمل سيئة قط، ولم يهمل بها^(١).

ورد اسم النبي (يحيى) عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم ستّ مرات، وجاء ذكره في أربع سور قرآنية: آل عمران، الأنعام، مريم، الأنبياء.

وجاء الحديث الرئيس عنه في سورة مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

البداية في بشارة زكريا بولادة يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعد أن بلغ من الكبر عتياً، ويأس من نعمة الولد، يقول تعالى: ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ (مريم: ٣)، فضلاً عن هذه البشارة الخارقة للعادة، وما تحمله من سرور وغبطة، فقد دلت الآية الكريمة على أن هذه التسمية إنما هي من الله تعالى، ولم تكن من زكريا ولا من غيره، وفي هذا تشريف له وتكريم.

ثم بعد هذه البشارة الخارقة والتشريف الفائق، يتوجه الخطاب القرآني مباشرة إلى يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك قوله سبحانه: ﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاتَّبِعْ لِحُكْمِ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا

(١) قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: وخلاصة القول في هذا الحديث أنه صحيح بلا ريب، على الأقل بمجموع طرقه، لأن أكثرها ليست شديدة الضعف، بل إن بعضها صحيح لذاته عند البزار وغيره عن ابن عمرو، فتضعيف النووي إياه مردود، وكذا إعلال ابن كثير لبعض طرقه في «التاريخ» و«التفسير» (١/ ٣٦١ و٣/ ١١٣ - ١١٤)، فإنه لم يقف على أكثر الطرق التي ذكرتها، وبخاصة طريق البزار، ولذلك فلا ينبغي أن يلتفت إلى ما ذكره عن القاضي عياض في تفسير قوله تعالى في يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وحصورا)، مما يشعر رده لهذا الحديث،

السلسلة الصحيحة (١٢١٢/٦)

﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿مريم: ١٢١٥﴾.

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾

قَالَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ: الْحَنَانُ: الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ وَالْعَطْفُ
 وَالْمَحَبَّةُ، وَأَصْلُهُ تَوَقَّانُ النَّفْسِ، مَا خُوذُ مِنْ حَيْنِ النَّاقَةِ عَلَيَّ وَلِدَهَا^(١).

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَقُولُ حَنَانُكَ يَا رَبِّ وَحَنَانِيكَ يَا رَبِّ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ،
 يُرِيدُ رَحْمَتَكَ.

قَالَ طَرْفَةُ:

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا

حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وقال امرؤ القيس:

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمَجِي بْنِ جَرْمٍ^(٢) مَعِيزَهُمْ حَنَانُكَ ذَا الْحَنَانِ

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْحَنَانُ: مُشَدَّدًا، مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
 وَالْحَنَانُ مُحَقَّقًا: الْعَطْفُ وَالرَّحْمَةُ، وَالْحَنَانُ: الرَّزْقُ وَالْبِرْكَةُ. قَالَ ابْنُ
 عَطِيَّةَ: وَالْحَنَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَيْضًا مَا عَظَمَ مِنَ الْأُمُورِ فِي ذَاتِ اللَّهِ،

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:

١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -

١٤١٤هـ (٣/٣٨٥).

(٢) في المطبوع: بنو سلخ بن بكر، والمثبت من ديوان امرؤ القيس ص (١٤٣).

وَمِنْهُ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ: وَاللَّهِ لَئِن قَتَلْتُمْ هَذَا الْعَبْدَ لَأَتَّخِذَنَّ قَبْرَهُ حَنَانًا، يَعْنِي بِلَاأٍ، لَمَا مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُعَدِّبُ وَقِيلَ: إِنَّ الْقَائِلَ لِدَلِكْ هُوَ وَرَقَةُ بْنُ نُفَيْلٍ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: مَعْنَى ذَلِكَ لَا تَرَحَّمَنَّ عَلَيْهِ، وَلَا تَعْطَفَنَّ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْحُطَيْبِيِّ:

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

وَمَعْنَى مِنْ لُدْنَا مِنْ جَنَابِنَا، قِيلَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَعْطَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ لُدْنَا كَأَنَّكَ فِي قَلْبِهِ يَتَحَنَّنُ بِهَا عَلَى النَّاسِ، وَمِنْهُمْ أَبُوهُ وَقَرَابَتُهُ حَتَّى يُحَلِّصَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَزَكَاةً مَعْطُوفٍ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَالزَّكَاةُ:

التَّطْهِيرُ وَالْبَرَكَاةُ وَالتَّنْمِيَةُ وَالْبِرُّ، أَي: جَعَلْنَاهُ مَبَارَكًا لِلنَّاسِ يَهْدِيهِمْ إِلَى الْخَيْرِ وَقِيلَ: زَكَيْنَاهُ بِحُسْنِ الشَّاءِ عَلَيْهِ كَتَزَكِيَةِ الشُّهُودِ وَقِيلَ: صَدَقَةٌ تَصَدَّقْنَا بِهِ عَلَى أَبِيهِ، قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَكَانَ تَقِيًّا أَي: مُتَجَنِّبًا لِمَعْاصِي اللَّهِ مُطِيعًا لَهُ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ مَعْصِيَةً قَطُّ وَبِرًّا بوالدِيهِ

مَعْطُوفٌ عَلَى «تَقِيًّا»، الْبِرُّ هُنَا بِمَعْنَى: الْبَارِّ، فَعُلَّ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَالْمَعْنَى: لَطِيفًا بِهِمَا مُحْسِنًا إِلَيْهِمَا وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا

أَي: لَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا وَلَا عَاصِيًّا لَوَالِدَيْهِ أَوْ لِرَبِّهِ، وَهَذَا وَصْفٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلَيْنِ الْجَانِبِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ وَسَلَامٍ عَلَيْهِ^(١)

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:

١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -

١٤١٤هـ (٣/٣٨٥).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ: مَعْنَاهُ أَمَانٌ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ:
وَالْأَطْهَرُ عِنْدِي أَنَّهَا التَّحِيَّةُ الْمُتَعَارَفَةُ، فَهِيَ أَشْرَفُ وَأَنْبَهُ مِنَ الْأَمَانِ، لِأَنَّ
الْأَمَانَ مُتَحَصِّلٌ لَهُ بِنَفْيِ الْعِصْيَانِ عَنْهُ، وَهُوَ أَقْلُ دَرَجَاتِهِ، وَإِنَّمَا الشَّرْفُ
فِي أَنْ يُسَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَعْنَى يَوْمٍ وُلِدَ

أَنَّهُ أَمِنَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَغَيْرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ حَيَّاهُ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ، وَهَكَذَا مَعْنَى يَوْمٍ يَمُوتُ وَهَكَذَا مَعْنَى يَوْمٍ يُبْعَثُ حَيًّا^(١)

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي
حَاتِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ قَالَ: بِجِدِّ وَاتِّبَاهُ
الْحُكْمَ صَبِيًّا قَالَ: الْفَهْمَ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ:
يَقُولُ أَعْمَلُ بِمَا فِيهِ مِنْ فَرَائِصٍ. وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ
قَالَ: اللَّبُّ. وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ وَالدَّيْلَمِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: وَاتِّبَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا قَالَ: «أُعْطِيَ الْفَهْمَ
وَالْعِبَادَةَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ». وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ الزُّهْدِ،
وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ بَدَلَةً: وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ^(٢).

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:
١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -
١٤١٤هـ (٣/٣٨٥).

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:
١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -
١٤١٤هـ (٣/٣٨٥).

فأمر سبحانه نبيه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يأخذ الكتاب والمراد التوراة بجد واجتهاد، وتفهم لمعناه على الوجه الصحيح، وتطبيق ما اشتمل عليه من أحكام وآداب؛ فإن بركة العلم في العمل، وإن القوة في العمل.

المطلب الثاني: صفات نبي الله يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم يمضي الخبر القرآني بتقرير بعضًا من الصفات التي من الله بها على نبيه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ،

قال تعالى: ﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْكُتُبَ صَبِيًّا ۝﴾ ، وأول هذه الصفات الممنوحة فهم الكتاب، والعمل بأحكامه، وهو في سن الصبا.

روى أبو نعيم، وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: أُعطي الفهم والعبادة، وهو ابن سبع سنين^(١).

وجاء في رواية أخرى عنه أيضًا: قال الغلطان ل يحيى بن زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: اذهب بنا نلعب، فقال: أَللَّعِبُ خُلِقْنَا، اذهبوا نصلي^(٢).

فالمراد بـ ﴿الْحَكْمُ﴾ في الآية: العلم النافع مع العمل به، وذلك عن طريق حفظ التوراة، وفهمها، وتطبيق أحكامها.

(١) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت (٥/ ٤٨٤).

(٢) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت (٥/ ٤٨٤)، فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ (٣/ ٣٨٥).

وثاني الصفات التي منحها سبحانه نبيه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ صفة الرحمة، حيث جعل في قلبه رحمة يعطف بها على غيره، ومنحه أيضًا طهارة في النفس، أبعدته عن ارتكاب ما نهى الله عنه، وجعلته سبأً لفعل الخير، فكان مطيعاً لله في كل ما أمره به، وتاركاً لكل ما نهاه عنه، وجعله كثير البر بوالديه، والإحسان إليهما، وفوق ذلك، لم يكن مستكبراً متعالياً مغروراً، ولم يكن صاحب معصية ومخالفة لأمر ربه (١).

ويخبرنا سبحانه أيضًا عن مزيد من صفات نبيه يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩)، تضمنت هذه الآية أربع صفات أخر للنبي يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أول هذه الصفات أنه كان ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، أي: أنه كان مصدقاً بأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول من الله، فالمراد بـ (كلمة الله) عيسى على ما ذهب إليه جمهور المفسرين؛ لأنه كان يسمى بذلك. والمعنى: أن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مصدقاً بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومؤمناً بأنه ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء: ١٧١)

ومن صفات يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه سيكون سيِّداً، أي: يفوق غيره في الشرف والتقوى، وعفة النفس، بأن يكون مالكاً لزماتها، ومسيطرًا على أهوائها وشهواتها.

وثالث الصفات أنه كان حصوراً، بمعنى: أنه سيكون حابساً نفسه

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:

١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -

١٤١٤هـ (٣/٣٨٥).

عن الشهوات، معصوماً عن إتيان الفواحش والمنكرات.

أما رابع الصفات وذروة سنامها، فهي أنه سيكون نبياً صالحاً .
وهذه الصفة بشارة ثانية لـ زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأن ابنه سيكون نبياً من
الأنبياء، الذين اصطفاهم الله؛ لتبليغ رسالته إلى الناس، ونشر دعوته.
ثم أخبر سبحانه بعد هذه الأوصاف الجميلة عن جزاء يحيى
عَلَيْهِ السَّلَامُ على فعاله النبيلة وخصاله الحميدة، بأن الله كتب له الأمن
والأمان يوم ولادته، ويوم وفاته، ويوم بعثه.

قال سفیان بن عیینة: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم
يولد، فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن
عائنيهم، ويوم يبعث، فيرى نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها
يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه في هذه الأحوال الثلاثة^(١).

المطلب الثالث: مقتل نبي الله يحيى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ذكر الطبري في تفسيره قصة مقتل يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢)، عن
ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا، في اثني

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ (٣/٣٨٥).

(٢) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن
كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن
عبد المحسن التركي (١٤/٥٠٣).

عشر من الحواريين يعلمون الناس، قال: فكان فيما نهاهم عنه، نكاح ابنة الأخ، قال: وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه، يريد أن يتزوجها، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها؛ فلما بلغ ذلك أمها، قالت لها: إذا دخلتني على الملك، فسألك حاجتك، فقولني: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا؛ فلما دخلت عليه، سألتها حاجتها، فقالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير هذا! فقالت: ما أسألك إلا هذا، قال: فلما أبت عليه، دعا يحيى، ودعا بطست فذبحه، فبدرت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل، فدلته على ذلك الدم، قال: فألقى الله في نفسه، أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً منهم، فسكن.

قال الشوكاني: وقصة قتله مستوفاة في الإنجيل، واسمه فيه يوحنا، قتله ملك من ملوكهم بسبب امرأة حملته على قتله، وَأَسْمُ الْمَلِكِ لَأَخْتِ قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: هِيرُدُوسُ^(١).

المطلب الرابع: وفي قصة يحيى من العبر.

أولاً: أخبرنا سبحانه أنه لم يسم أحداً قبل يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الاسم، بل هو أول من تسمى بهذا الاسم الجميل، قال سبحانه: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٣)، هذا هو الصواب من المراد

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:

١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -

١٤١٤هـ، (٣/٢٥٠).

(القبليّة) في هذه الآية، وقد قال بعضهم: إن المراد من الآية، أنه لم نجعل له من قبل نظيراً في السمو والمكانة، وهذا ليس بصحيح. قال الشنقيطي: وقول من قال: إن معناه: لم نجعل له سمياً، أي: نظيراً في السمو والرفعة غير صواب؛ لأنه ليس بأفضل من إبراهيم، وموسى، ونوح، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فالقول الأول هو الصواب. وممن قال به: ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكثير من التابعين.

ثانياً: ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ﴾ في الآية: النبوة، قالوا: فإن قلت: كيف يصح حصول العقل والفتنة والنبوة حال الصبا؟ قلنا: إن أصل النبوة مبني على خرق العادات، إذا ثبت هذا، فلا تمنع صيرورة الصبي نبياً. والصحيح هنا ما تقدم من أن المراد بإيتاء ﴿الْحُكْمَ﴾ في الآية: العلم النافع والعمل به، قال ابن كثير: أي: الفهم، والعلم، والجِدِّ، والعزم، والإقبال على الخير، والانكباب عليه، والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث السن.

ثالثاً: ذهب بعض المفسرين في قوله سبحانه: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، إلى أن المراد بـ(كلمة الله): كتابه، أي: أن من صفات يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان مصدقاً بكتاب الله وبكلامه؛ وذلك لأن (الكلمة) قد تطلق، ويراد منها (الكلام). والعرب تقول: ألقى فلان كلمة، أي: خطبة. بيد أن الأجود في تفسير (الكلمة) هنا ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن المراد بها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن القرآن الكريم وصف عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه (كلمة الله) في أكثر من موضع، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَلِمَتُهُ

أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴿٤٥﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٤٥).

رابعًا: ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من قوله سبحانه: ﴿وَحُصُورًا﴾ ﴿٤٥﴾ في وصف يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه كان هيوبًا، أو لا ذكر له، أو لا يستطيع أن يأتي النساء! وهذه الأوصاف نقيصة وعيب، لا تليق بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإنما المراد: أنه معصوم من الذنوب، أي: لا يأتيها، كأنه حُصر عنها.

قال ابن كثير: وقد بان لك من هذا، أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها: إما بمجاهدة كعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو بكفاية من الله عَزَّجَلَّ، كيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

ثم هي حق من أقدَر عليها، وقام بالواجب فيها، ولم تشغله عن ربه درجة علياء، وهي درجة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي لم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة، بتحصينهن، وقيامه عليهن، واكتسابه لهن، وهدايته إياهن^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٣٨/٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٣٨/٢).

والمقصود أن مدح يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه (حصور)، ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨).

ثانياً: عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وسيأتي الكلام عليه في المبحث القادم.



المبحث الثامن:

عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



المطلب الأول: اسمه ونسبه.

هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ النساء: ١٧١.

نسبه في كتب النصارى:

أما عن نسبه في الإنجيل ففي كل من سفري متى، ولوقا (١/ ٣٤) نجد إقراراً بميلاد عيسى المعجز، لكن نجد إلى ذلك أيضاً أن عيسى هو ابن يوسف النجار^(١) كما في متى، ولوقا (٣/ ٢٣)^(٢).

ويجعلون له إخوة وأخوات، كما في متى، ولوقا (٨/ ١٩) إلى غير ها من التناقضات مما سنقف على بعضها لاحقاً^(٣) أهـ.

وهو أحد الرسل الخمسة من أولي العزم وهم): محمد ونوح

(١) يوسف النجار شاب صالح من شباب بني إسرائيل، عمل نجاراً في الناصرة، كان خطيب مريم، وبعد أن علم أنها حبلى ارتاب في أمرها وقرر أن يترك خطبتها دون أن يفضحها، لكن عندما تبين حقيقة الأمر أخذ مريم معه إلى بيت لحم للاكتساب لينقذها من حصائد الألسنة. راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٨.

(٢) انجيل متى (١/ ١٦، ١٣/ ٥٥) ولوقا (٣/ ٢٣).

(٣) انجيل متى (١٣/ ٥٥ - ٥٦) ولوقا (٨/ ١٩) ومرقس (٣/ ٣١).

وإبراهيم وموسى وعيسى)، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. والدليل على هذا أن الله ذكر الأنبياء ثم عطف عليهم هذه المجموعة وعطف الخاص على العام يفيد أن للخاص زيادة في الفضل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الأحزاب: ٧

أرسله الله إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته سُجَّدًا لَهُ وَتَعَالَى، فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَبِّ ارْسُدْ لِي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الصَّف: ٦.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ارْعُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المائدة: ٧٢.

واعتقادنا فيه أنه قد رفعه الله تعالى إليه بروحه وجسده، وهو حيٌّ الآن في السماء، ولم يُقتل ولم يُصلب؛ حيث قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿١٥٧﴾ بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٥٧-١٥٨.

وسينزل في آخر الزمان ليقتل المسيح الدجال وينشر العدل، كما أخبرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أكثر من موضع. فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً

فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وزاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها» (متفقٌ عليه). تحدث القرآن الكريم في العديد من آياته عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من حيث إنه نبي من أنبياء الله، الذين أرسلهم لدعوة بني إسرائيل إلى إخلاص العبادة لخالقهم، وإلى التحلي بمكارم الأخلاق، ومن حيث إنه عبد من عباد الله المصطفين الأخيار، قال سبحانه مقررًا هذه العقيدة: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف: ٥٩).

وقد جاء في تقرير هذه العقيدة قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩)، فالآية تقول لمن ادعى ألوهية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه وُلِدَ من غير أب: إنه إذا كان وجود عيسى من غير أب يسوغ لكم أن تجعلوه إلهًا، أو ابن إله، فأولئى بكم وأحرى وألزم أن تجعلوا آدم إلهًا؛ لأنه خُلِقَ من غير أب ولا أم، وما دام لم يدع أحد من الناس ألوهية آدم لهذا السبب، فبطل حينئذ القول بألوهية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لانهار الأساس الذي قام عليه، وهو خلقه من غير أب.

المطلب الثاني: أعظم ماورد فيه وأمه من افتراءات عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وقد ورد في سورة المائدة العديد من الآيات التي دحضت الأقوال الباطلة التي افتراها بعض أهل الكتاب على عيسى وأمه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقد برهنت تلك الآيات على أن عيسى وأمه ما هما إلا عبدان من عباد الله، يدينان له بالعبادة، ويأمران غيرهما بأن ينهج نهجهما.

يقول سبحانه في تقرير هذه الحقيقة: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَاقُوتَانِ الطَّعَامِ﴾ (المائدة: ٧٥)، ويقول سبحانه أيضاً: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيَّ اسْرِعْ بِلِ عِبَادُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢)، فهاتان الآيتان تفيدان أن عيسى عليه السلام وأمه عبدان من عباد الله، اصطفاهما سبحانه من بين عباده.

وفي أواخر سورة المائدة يقص علينا القرآن الكريم ما سيقوله سبحانه لعيسى عليه السلام يوم القيامة، وما يجيب به عيسى؛ ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وتزداد حسرة الذين وصفوا عيسى وأمه بما هما بريئان منه، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٦-١١٨).

فعيسى عليه السلام يبين حقيقة أمره، وهي أنه لم يأمر قومه إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، فهو ربه ورب الناس أجمعين، وهو الذي خلقه وخلق الخلق كلهم، وأنه يدين الله وحده بالعبادة والطاعة، ويأمر قومه بمثل الذي يدين به ويعتقده ويدعو إليه وسيأتي الكلام على صفته عليه الصلاة والسلام في الفصل الثالث.

المطلب الثالث: ميلاد عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المعجز.

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ آل عمران: ٤٦ . بشرت الملائكة مريم بأنه سيكون منها ولد من صفاته أنه ذو مكانة في الدنيا والآخرة، من المقربين، يكلم الناس في المهد والكهولة، وهو من الصالحين .

يبدأ حديث القرآن الكريم عن مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بالإخبار بأنها نأت بنفسها عن أهلها في مكان بعيد، وكان الله أراد تهيئتها لأمر غير معتاد، ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم: ١٦)،

ثم تمضي القصة لتخبرنا أنه سبحانه أرسل إليها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ متمثلاً بصورة رجل كامل الرجولة: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ١٧)، وكان رد فعل الفتاة العذراء على هذا الموقف المفاجئ، أن استعادت بالله ممن فاجأها على غير ميعاد، فخاطبته بقولها: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (مريم: ١٨)، وكان جواب المَلِك لها مطمئناً لقلبها، ومهدئاً من روعها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (مريم: ١٩)، فأجابته مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ جواباً فطرياً ناظرًا إلى الأسباب، فقالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٠)، غير أن المَلِك أخبرها بأن خالق الأسباب والمسببات لا يعجزه شيء، وأن الأمر بيده قد يُجري الأمر من غير سبب، وأن الغرض

من خرق الأسباب أن يبين للناس قدرته سبحانه على كل شيء، وأن يجعل للناس آية يعتبرون بها؛ ليعظموا هذا الخالق الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وليقدروه حق قدره، فقال مخاطبًا إياها:

﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۖ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ٢١).

ثم إن المشهد القرآني يخبرنا أن إرادة الله سبحانه وقعت على مريم، وحملت في بطنها جنينًا سيرى النور عما قريب: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِء مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (مريم: ٢٢)، وقد ذكر ابن كثير أن غير واحد من علماء السلف ذكروا أن المَلَك وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج، فحملت بالولد بإذن الله تعالى.

فلما حملت ضاقت ذرعًا به، ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به، غير أنها أفشت سرها، وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا.

وذلك أن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان قد سأل الله الولد، فأجيب إلى ذلك، فحملت امرأته، فدخلت عليها مريم، فقامت إليها فاعتنتها. ^(١)

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٥ / ١٩٦).

ويمضي المشهد القرآني ليضعنا أمام مشهد مخاض الولادة الذي فاجأ مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ وهي وحيدة فريدة بعيدة، تعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء، فهي تتمنى لو أنها كانت قد ماتت قبل أن يحصل لها الذي حصل، وتكون نسيًا منسيًا!

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴾ (مريم: ٢٣).

وفي حدة الألم، وصعوبة الموقف تقع المفاجأة الكبرى، ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (مريم: ٢٤)، يا لقدرة الله! طفل وُلِدَ اللحظة يناديها من تحتها، يطمئن قلبها، ويصلها بربها.

ثم ها هو ذا يرشدها إلى طعامها وشرابها! فيقول لها: ﴿وَهَرِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم: ٢٥)، فالله سبحانه لم ينسها، ولم يتركها، بل أجرى لها تحت قدميها جدول ماء عذب، ونخلة تستند إليها، وتأكل منها تمرًا شهياً، فهذا طعام وذاك شراب.

ليس هذا فحسب، بل ويدلها على حاجتها وبرهانها! فيقول لها: ﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ (مريم: ٢٦).

وفي مشهد آخر يخبرنا القرآن الكريم أن مريم الفتاة الطاهرة العفيفة المقيدة بمألوف البشر في الحياة، قد تلقت البشارة كما يمكن أن تتلقاها فتاة، واتجهت إلى رها تناجيه، وتتطلع إلى كشف هذا اللغز

الذي يحير عقل الإنسان، فقالت: ﴿رَبِّ أُنَىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ (آل عمران: ٤٧).

وجاءها الجواب يردّها إلى الحقيقة البسيطة، التي يغفل عنها البشر؛ لطول إلفتهم للأسباب والمسببات الظاهرة، ولعلمهم القليل، ومألوفهم المحدود: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٤٧)، وحين يُرَدُّ الأمر إلى هذه الحقيقة الأولية يذهب العجب، وتزول الحيرة، ويطمئن القلب، وتهدأ النفس؛ وتعود مريم إلى نفسها تسألها في عجب: كيف عجبت من هذا الأمر الفطري الواضح القريب!!

وقد ذكر ابن كثير: أنه لما ظهرت مخايل الحمل على مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها، يخدم معها البيت المقدس، يقال له: يوسف النجار، فلما رأى ثقل بطنها وكبره، أنكر ذلك من أمرها، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها، ثم تأمل ما هي فيه، فجعل أمرها يجوس في فكره ^(١)، لا يستطيع صرفه عن نفسه، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول، فقال: يا مريم! إني سائلك عن أمر، فلا تعجلي علي، قالت: وما هو؟ قال: هل يكون قط شجر من غير حب؟ وهل يكون زرع من غير بذر؟ وهل يكون ولد من

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٥ / ١٩٧).

غير أب؟ فقالت: نعم فهمت ما أشرت إليه أما قولك: هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر؟ فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب، ولا بذر. ^(١)

وأما قولك: وهل خَلَقَ يكون من غير أب؟ فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم فصدقها، وسلم لها حالها.

ثم ينتقل حديث القرآن عن مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ** إلى مشهد جديد، بعد أن وضعت حملها، وهدأت نفسها، إنه مشهد القوم الذين تنتسب إليهم، وهي الآن بينهم، تحمل طفلها، الذي هو فلذة كبدها. وقد جاء في إنجيل لوقا ولد عيسى في بيت لحم ^(٢) في مَعْلَفٍ للدواب لأن مريم لم تجد منزلاً تأوي إليه ^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٥ / ١٩٧).

(٢) إنجيل لوقا (٢ / ١-٦)

(٣) لا يعرف علي وجه الدقة ميلاد عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، لكن ذكر علماء المسيحية أن ولادته ربما كانت في ٢٥ ديسمبر عام ٥ ق م. قاموس الكتاب المقدس ٧٦٤. ويذكر محمد فاروق الزين أن لوقا يقدم تاريخين متناقضين عن ميلاد عيسى. ففي الإصحاح ١ / ٥،٢٦ أن ميلاده كان في عهد هيروود الكبير (مات ٤ ق م). وفي الإصحاح ٢ / ٢-٣ كان في وقت الإحصاء السكاني الذي قام به الوالي الروماني كيرينوس علي سورية في ٦م، أي بعد موت هيروود بعشرة أعوام. المسيحية والإسلام ص ٢٣٩.

لكن ماذا سيقولون لها، وعهدهم بها أنها لم تعرف زوجاً فيما مضى، وأنها حسنة السمعة بينهم، شريفة النسب، ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً. قَالُوا يَنْمِرِمٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيحاً﴾ (٢٧) يَتَأَخَتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٧٢٨)، بيد أن مريم لم تنس بنت شفة، بل أشارت إلى وليدها، وكأن الله ألهمها أن هذا الوليد سوف ينطق بالحقيقة التي تحرس الألسنة، وتلجمها عن الحديث فيما هو غير مألوف من حياتها، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩).

ثم يصور لنا المشهد القرآني الطفل وهو ينطق بحقيقة ما حدث، وواقع أمره وما جاء به: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا﴾ (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٠٣٣)، فهو أولاً وقبل كل شيء عبد لله، ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله.

بل قال: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً. قَالُوا يَنْمِرِمٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيحاً﴾ (٢٧) يَتَأَخَتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا﴾ (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

قَوْلِكَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ
 أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾
 فقد أنطق الله الطفل ؛ ليبين حقيقة العلاقة بين الخالق والمخلوق، والغاية
 من هذا الخلق الإنساني العجيب.

المطلب الرابع: قوله تعالى: (فحملته).

اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمشهور عن
 الجمهور أن مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ حملت به تسعة أشهر، كما هي عادة النساء
 في حملهن. وقد قال ابن كثير في هذا الصدد: ثم الظاهر أنها حملت به
 تسعة أشهر، كما تحمل النساء، ويضعن لميقات حملهن ووضعهن، إذ
 لو كان خلاف ذلك لذكر^(١).

والواقع أن السياق لا يذكر كيف حملته، ولا كم حملته ؛ هل كان
 حاملاً عادياً كما تحمل النساء، وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط
 في البويضة، فإذا هي علقمة فمضغة فعظام، ثم تكسى العظام باللحم،
 ويستكمل الجنين أيامه المعهودة؟ إن هذا جائز.

كما أنه من الجائز في مثل هذه الحالة الخاصة أن لا تسير البويضة
 بعد النفخة سيرة عادية، فتختصر المراحل اختصاراً ؛ ويعقبها تكون

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري
 ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر
 والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م (٥/٢٢٢).

الجنين ونموه واكتماله في فترة وجيزة. ليس في النص ما يدل على إحدى الحالتين، فلا نجري طويلاً وراء تحقيق القضية التي لا سند لنا فيها، والاختلاف في مثل هذه المسائل لا طائل من ورائه، ولا يرجى منه فائدة؛ لأنه لا يترتب عليه حكم شرعي.

وأيضاً، مما لا ينبغي الجري وراءه تحديد المكان الشرقي الذي انتبذت إليه مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ** معتزلة قومها، ويكفي في الصدد العلم بما أخبر به القرآن الكريم، وهو أنها اتجهت إلى مكان شرقي، قد يكون بيت المقدس، وقد يكون غير ذلك.

المطلب الخامس: قوله تعالى: (فنفخنا فيها).

جاء في حديث القرآن الكريم عن قصة ولادة مريم قوله سبحانه: **﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾** (الأنبياء: ٩١)، وقوله تعالى: **﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾** (التحريم: ١٢).

نصت هاتان الآيتان على عفة مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ**، وذكرتا أن حملها بعيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إنما كان عن طريق (النفخ) في فرجها. وقد نقل المفسرون هنا أقوالاً حول ماهية هذا (النفخ)، منها المقبول ومنها المرفوض، ومنها القريب ومنها البعيد، والأسلم في مثل هذا الأمر التسليم بظاهر اللفظ القرآني، وهو أنه كان هناك (نفخ)، أما الدخول في تفاصيل هذا (النفخ) فلسنا مكلفين به، ولا ينبغي الوقوف عنده طويلاً.

أهذه النسخة هي الكلمة؟ الكلمة هي توجه الإرادة؟ الكلمة: ﴿كُن﴾ التي قد تكون حقيقة، وقد تكون كناية عن توجه الإرادة؟ و(الكلمة) هي عيسى، أو هي التي منها كينونته؟ كل هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات.

وخلاصتها هي أن الله شاء أن يُنشئ حياة على غير مثال سابق، فأنشأها وفق إرادته التي لا حدود لها التي تنشئ الحياة بنسخة من روح الله.

ندرك آثارها، ونجهل ماهيتها، ويجب أن نجهلها؛ لأنها لا تزيد مقدرتنا على الاضطلاع بوظيفة الخلافة في الأرض، ما دام إنشاء الحياة ليس داخلياً في تكليف الاستخلاف!.

المطلب السادس: نشأته وحياته قبل النبوة.

عاش عيسى وأمه في منطقة وصفها القرآن بأنها مكان مرتفع ذو قرار ومعين ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ المؤمنون: ٥٠ اختلف المفسرون في تحديد الربوة: دمشق، أو الرملة في فلسطين، أو بيت المقدس، أو مصر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، فهو يأوي إليه، إذا صار إليه؛ وعلى مثال أفعلته فهو يؤويه. وقوله ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله، ولذلك قيل للرجل،

يكون في رفعة من قومه، وعزّ وشرف وعدد: هو في ربوة من قومه، وفيها لغتان: ضمّ الراء وكسرها إذا أريد بها الاسم، وإذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل: رَبًّا رِبْوَةً.

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة، وآوى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرملة من فلسطين^(١).

ذكر من قال ذلك: قال أبو هريرة: الزموا هذه الرملة من فلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: ﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

عن كريب قال: ما أدري ما حدثنا مرّة البهزيّ، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر أن الربوة: هي الرملة.

عن أبي عبد الله ابن عمّ أبي هريرة، قال: سمعت أبا هريرة يقول في قول الله: ﴿إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: هي الرملة من فلسطين.

وقال آخرون: هي دمشق^(٢).

ذكر من قال ذلك: عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية:

﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: زعموا أنها دمشق.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (٢٠٠٨/٧).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (٢٠٠٨/٧).

وقال آخرون: هي بيت المقدس، ذكر من قال ذلك:

عن قتادة قال: كان كعب يقول: بيت المقدس أقرب إلى السماء
بثمانية عشر ميلاً.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء،
وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة؛ لأن الرملة لا ماء بها مَعِين، والله
تعالى ذَكَرَهُ وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومَعِين. وبنحو الذي قلنا
في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَوَيْتُهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ قال: الربوة: المستوية.

عن مجاهد، قوله: ﴿إِلَى رَبْوَةٍ﴾ قال: مستوية.

وقوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: من صفة الربوة
التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى، أنها أرض منبسطة وساحة، وذات ماء
ظاهر، لغير الباطن، جار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس: ﴿وَمَعِينٍ﴾ قال: المعين: الماء الجاري، وهو
النهر الذي قال الله: ﴿فَدَجَعَلْ رَبُّكَ نَحْكَ سَرِيًّا﴾، عن مجاهد، في قوله:

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: المعين: الماء.

عن سالم، عن سعيد، في قوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: المكان

المستوي، والمَعِين: الماء الظاهر.

أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَمَعِينٌ﴾: هو الماء الظاهر.

وقال آخرون: عنى بالقرار الثمار، ذكر من قال ذلك: (١)

عن معمر، عن قتادة: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ هي ذات ثمار، وهي بيت المقدس.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار لما فيها من الثمار، ومن أجل ذلك، يستقرّ فيها ساكنوها، فلا وجه له نعرفه. وأما (مَعِينٍ) فإنه مفعول من عنته فأنا أعينه، وهو مُعِين، وقد يجوز أن يكون فعيلة من مَعَنَ يمعن فهو معين من الماعون، ومنه قول عبيد بن الأبرص: واهيئةٌ أو مَعِينٌ مُمَعِنٌ أو هَضْبَةٌ دُونَهَا لُهُوبٌ (٢).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (٢٠٨/٧).

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص من قصيدته البائية المطولة (اللسان: معن) واستشهد به المؤلف، عند قوله تعالى: ﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَى رِبْوٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. وقال في اللسان: قال الفراء: ذات قرار: أرض منبسطة. ومعين الماء: الظاهر الجاري. قال: ولك أن تجعل المعين مفعولا من العيون، ولك أن تجعله فعيلة من الماعون، يكون أصله المعن. والمعين: الماء السائل، وقيل الجاري على وجه الأرض، وقيل العذب الغزير، وكل ذلك من السهولة.

المطلب السابع: خروجهم من بيت لحم.

والسبب في خروجهم من بيت لحم هو أن هيرودس أمرَ بقتل كل طفل في بيت لحم، فأمر يوسف النجار في المنام أن يذهب بالطفل وأمه إلى مصر، فأخذهما إلى هناك وأقاموا فيها إلى أن هلك هيرودس، فأمر يوسف أن يرجع بعيسى وأمه إلى ديارهما لأن اللذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا.

فرجع بهما إلى اليهودية وكان عيسى حينئذ قد بلغ من العمر سبع سنين.

ولما سمع يوسف أن أرخيلاوس بن هيرودس كان حاكمًا في اليهودية ذهب إلى الجليل لأنه خاف أن يبقى في اليهودية فأخذهم إلى الناصرة، فنما الصبي في النعمة والحكمة أمام الله والناس.

ولما بلغ عيسى اثنتي عشرة سنة صعد مع يوسف ومريم إلى أورشليم ليسجد هناك حسب شريعة الرب المكتوبة في كتاب موسى.

ولما تمت صلواته انصرفوا بعد أن فقدوا عيسى لأنهم ظنوا أنه عاد إلى الوطن مع أقربائهم.

والمعنى: الماء الظاهر. واللهبوب: جمع لهب (بكسر اللام) الفرجة والهواء بين الجبلين.

وفي المحكم: مهارة ما بين كل جبلين. وقيل: هو الصدع في الجبل، عن اللحياني. وقيل: هو الشعب الصغير في الجبل. وقيل: وجه من الجبل كالحائط لا يستطيع ارتقاؤه. اهـ.

فلما لم يجدوه رجعوا إلى أورشليم يبحثان عنه بين الأقباط
والجيران، وفي اليوم الثالث وجدوه في الهيكل وسط العلماء يحاجّهم
في أمر الناموس.

وقد أعجب الناس بأسئلته وأجوبته قائلين: كيف أوتي مثل هذا
العلم وهو حدث ولم يتعلم القراءة؟

فلما رأته مريم عنفتها قائلة: يا بني! ماذا فعلت بنا، فقد نشدتك
وأبوك ثلاثة أيام ونحن حزينان.

أجاب عيسى: ألا تعلمين أن خدمة الرب يجب أن تقدم على الأم
والأب. ثم نزل عيسى مع أمه ويوسف إلى الناصرة وكان مطيعاً لهما
بتواضع واحترام^(١)

وفيما وراء هذا يصمت التاريخ تماماً عن حياة عيسى الممتدة بين
اثني عشرة سنة، والثلاثين عاماً.



(١) قصص الأنبياء، للنجار، ص(٥٠١-٥٠٢)، نقلاً عن إنجيل برنابا. و راجع
متى(٢)، ولوقا(٢/٣٩-٥٢).

المبحث التاسع:

الواجب نحو أنبياء الله ورسله والرسالات التي بعثوا بها.



وأصل هذا المبحث أسئلة كثيرة تدور حول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فوجب التنبيه على بعض حقوقهم التي أمرنا بها الله في القرآن الكريم، وحثنا عليها نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

الإيمان بأنبياء الله ورسله ومحبتهم ونصرتهم وحسن الاعتقاد فيهم، ومعرفة ما اطلعنا الله عليه من سيرتهم وقصصهم وما أرسلوا به ونحو ذلك من الأمور الواجبة، وهي من أهم مسائل العقيدة، التي يجب على المرء أن يتعلمها، قال تعالى فُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ .

وقال تعالى ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ .

مع اعتقاد أن جميع الأديان السابقة قد نسخها الله تعالى بدين الإسلام الذي بعث الله به محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

أَلْعَلُّمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿

[آل عمران: ١٩].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: عن قتادة قوله: إنَّ الدين عند الله الإسلام، والإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، ^(١) وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسوله، ودلَّ عليه أوليائه، لا يقبل غيره ولا يجزئ إلا به.

وقال أيضًا: عن الربيع قال، حدثنا أبو العالية في قوله: إن الدين عند الله الإسلام، قال: الإسلام، الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له. ^(٢)

كما أنه كان من الواجب على الأمم الحالية الدخول في الإسلام لأن جميع الأنبياء السابقين أوصوا أممهم بذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ

(١) قوله: «بما جاء به»، الضمير إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأنه قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»، ولا تتم شهادة إلا به، بأبي هو وأمي. وهكذا ذكره السيوطي بنصه في الدر المنثور ٢: ١٢، ونسبه إلى عبد بن حميد أيضًا بهذا اللفظ.

(٢) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٦/ ٢٧٥).

إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾.

فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس.

وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب **جَلَّ جَلَالُهُ** لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له والذي يحدد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي التوبة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه.

فالمقصود أن الإيمان بالأنبياء السابقين واجب، وأن عدم الإيمان بواحد منهم كفر، والكفر بنبي من الأنبياء هو بمنزلة الكفر بهم جميعاً، فنؤمن بهم جميعاً ونحبهم ونوقرهم وننصرهم، ولا نفرق بين أحد منهم.

ونؤمن بأن خاتمهم هو محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهو الواجب الاتباع إلى يوم الدين، وقد أرسله الله بالهدى ودين الحق وجعله دينه الإسلام، وأن جميع الأديان السابقة منسوخة، ولو كان هناك نبياً من الأنبياء حياً، لكان من أتباع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هو وأمته، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكذِّبُوا بِحَقٍّ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي

المطلب الأول: تعريف النبي.

النبي - في لغة العرب - مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ^(١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ [النبا: ١-٢].

وإنما سمي النبي نبياً لأنه مُخْبَرٌ مُخْبَرٌ، فهو مُخْبَرٌ، أي: أن الله أخبره، وأوحى إليه ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ [التحریم: ٣]، وهو مُخْبَرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١].

وقيل: النبوة مشتقة من النبوة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدي بها، والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، أن النبي ذو رفعة وقدرة عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم^(١).

المطلب الثاني: تعريف الرسول.

الإرسال في اللغة التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، قال تعالى حاكياً قول ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]^(٢)، وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي

(١) راجع في هذه المسألة: لسان العرب: ٣/٥٦١، ٥٧٣، بصائر ذوي التمييز: ١٤/٥، لوامع الأنوار البهية: ١/٤٩، ٢/٢٦٥.

(٢) راجع في هذه المسألة: لسان العرب: (٢/١١٦٦-١١٦٧)، المصباح المنير: ص ٢٦٦.

يتابع أخبار الذي بعثه، أخذًا من قول العرب: جاءت الإبل رَسَلًا أي: متتابعة.

وعلى ذلك فالرسل إنما سموا بذلك لأنَّهم وُجِّهوا من قبل الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكَلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها.

المطلب الثالث: الفرق بين الرسول والنبى.

لا يصحُّ قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبى، ويدلُّ على بطلان هذا القول ما ورد في عدة الأنبياء والرسل، فقد ذكر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عِدَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ، وَعِدَّةُ الرُّسُلِ ثَلَاثُمِائَةٌ وَبِضْعَةُ عَشْرٍ رُسُولًا^(١)، ويدلُّ على الفرق أيضًا ما ورد في كتاب الله من عطف النبىِّ على الرسول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْفَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدلُّ على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله في حقِّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

والشائع عند العلماء أنَّ النبىِّ أعم من الرسول، فالرسول هو من أُوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبىُّ من أوحى إليه ولم يؤمر بالبلاغ،

(١) الحديث صحيح رواه أحمد في مسنده حديث رقم: (٢١٥٤٦، ٢١٥٥٢) طبعة الرسالة.

وعلى ذلك فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً^(١). وهذا الذي ذكره هنا بعيد لأمر:

الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ [الحج: ٥٢]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبيّ البلاغ.

الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتُم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويّه عنه ابن عباس: عرضت عليّ الأمم، فجعل يمرُّ النبيّ معه الرجل، والنبيّ معه الرجلان، والنبيّ معه الرهط، والنبيّ ليس معه أحد^(٢).

فدلّ هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

والتعريف المختار أن الرسول مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ جَدِيدٍ، وَالنَّبِيُّ هُوَ الْمَبْعُوثُ لِتَقْرِيرِ شَرَعٍ مِنْ قَبْلِهِ^(٣).

وقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١٦٧)، لوامع الأنوار البهية: (٤٩/١)، وانظر كلام

الشيخ ناصر الدين الألباني على أسانيده في سلسلة الصحيحة: ٢٦٦٨.

(٢) رواه البخاري: ٥٧٥٢، ومسلم: ٢٢٠، واللفظ للبخاري.

(٣) تفسير الألوسي: (١٥٧/٧).

كما ثبت في الحديث ^(١)، وأنبياء بني إسرائيل كلهم مبعوثون بشريعة موسى: التوراة وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَقْتُلُوا﴾ [البقرة: ٢٤٦]

فالنبي كما يظهر من الآية يُوحى إليه شيء يوجب على قومه أمراً، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ.

واعتبر في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحي فهؤلاء جميعاً أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل، والحكم بينهم وإبلاغهم الحق، والله أعلم بالصواب.

المطلب الرابع: الإيمان بالأنبياء والرسل من أصول الإيمان.

الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

ومن لم يؤمن بالرسل ضللاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة: ٣٤٥٥.

المطلب الخامس: الصلّة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل

والرسالات.

الذين يزعمون أنّهم مؤمنون بالله ولكنهم يكفرون بالرسل والكتب هؤلاء لا يقدرّون الله حقّ قدره، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]. فالذين يقدرّون الله حقّ قدره، ويعلمون صفاته التي اتصف بها من العلم والحكمة والرحمة لا بدّ أن يوقنوا بأنّه أرسل الرسل وأنزل الكتب، لأن هذا مقتضى صفاته، فهو لم يخلق الخلق عبثاً، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

ومن كفر بالرسل وهو يزعم أنّه يؤمن بالله فهو عند الله كافر لا ينفعه إيمانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

فقد نصّت الآية على كفر من زعم الإيمان بالله وكفر بالرسل ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، يقول القرطبي في هذه الآية: نصّ سبحانه على أنّ التفريق بين الله ورسله كفر، وإنّما كان كفراً لأنّ الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردّوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه،

وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين الله ورسوله (١).

المطلب السادس: وجوب الإيمان بجميع الرسل.

الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠]، ومن المعروف أن كل أمة كذبت رسولها، إلا أن التكذيب برسول واحد يعدّ تكذيباً بالرسل كلهم، ذلك أن الرسل حملة رسالة واحدة، ودعاة دين واحد، ومرسلهم واحد، فهم وحدة، يبشر المتقدم منهم بالمتأخر، ويصدق المتأخر المتقدم.

ومن هنا كان الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض كفراً بهم جميعاً، وقد وسم الله من هذا حاله بالكفر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿ [النساء: ١٥٠-١٥١]، وقد أمرنا الله بعدم التفريق بين الرسل والإيمان بهم جميعاً ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]،

(١) تفسير القرطبي: (٥/٦).

ومن سار على هذا النهج فقد اهتدى ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدِ
 أَهْتَدُوا ﴾ [البقرة: ١٣٧]، والذي يخالفه فقد ضلَّ وغوى ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
 هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقد مدح الله رسول هذه الأمة والمؤمنين الذين تابعوه لإيمانهم
 بالرسول كلهم، ولعدم تفريقهم بينهم، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا
 أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نَفِرُ
 بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ووعده الله الذين لم يفرقوا بين الرسل بالثبوتة والأجر الكريم
 ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ءَ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
 أَجْرَهُمْ طَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٢].

وقد ذم الله أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرسل وكفرهم ببعض
 ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ
 بِمَا وَرَاءَهُ ءَ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١].

فاليهود لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمد، والنصارى لا يؤمنون
 بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المطلب السابع: مسألة هل يجوز الصلاة والسلام على الأنبياء السابقين.

هل يجوز لنا أن نقول على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
 مثل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أن نقول عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

والجواب نعم يجوز أن نقول عليهم الصلاة والسلام، كما يجوز أن نقول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلُّوا عَلَيَّ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي ^(١)

وقد ذهب عامة أهل العلم إلى أنه يصلى على النبيين كما يصلى على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودليل ذلك ما رواه عبد الرزاق في مصنفه والبيهقي في شعب الإيمان وابن مردويه من حديث أبي هريرة، والخطيب من حديث أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثني. ^(٢)

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في جلاء الأفهام: وقد حكى غير واحد الإجماع على أن الصلاة على جميع النبيين مشروعة منهم الشيخ محي الدين النووي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره. ^(٣)

(١) صحيح الجامع: ٣٧٨٢، السلسلة الصحيحة: ٢٩٦٣ للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) والحديث صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة وحسنه في صحيح الجامع (٣٧٨٢).

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط (١/ ٤٦٣) دار العروبة - الكويت

قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢].

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: عن قتادة (سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. (١)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ، فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ حَدِيثِ سَعِيدٍ، عَنْهُ كَذَلِكَ (٢).

وَقَدْ أَسْنَدَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، رَحِمَهُ اللهُ، فَقَالَ: عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ (٣).

وفي تفسير شيبان عن قتادة قال: حدث أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ

(١) تفسير الطبري (٢٣/٧٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٧٤).

(٣) رواه ابن مردويه وابن سعد كما في الدر المشثور (٧/١٤٠) من طريق سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ بِهِ مَرْفُوعًا. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٧/٤٦).

فإنما أنا رسول من المرسلين^(١)

والصواب جواز الصلاة والسلام على جمع المرسلين بل ذهب بعض أهل العلم إلى جواز الصلاة على غير الأنبياء من المؤمنين إن كانت تبعاً بشرط أن لا يكون ذلك على جهة الخصوص أو يتخذ علامة لذلك كما قاله الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

تجوز الصلاة على الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام بل تجوز الصلاة أيضاً على غير الأنبياء من المؤمنين إن كانت تبعاً، فبالنص والإجماع كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سئل كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وآل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم في هذه الجملة هم المتبعون لشريعته من قرابته وغيرهم، هذا هو القول الراجح وإن كان أول وأولى من يدخل في هذه أي في آل محمد هم المؤمنون من قرابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن مع ذلك هي شاملة لكل من تبعه وآمن به لأنه من آله وشيعته، والصلاة على غير الأنبياء تبعاً جائزة بالنص والإجماع،

(١) الصَّارِمُ المُنْكَي فِي الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، وانظر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لإسماعيل القاضي ص ٤٨ بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ حيث قال إسناده واه جداً عمر بن هارون هو البلخي متروك وشيخه موسى بن عبيدة مثله أو أقل منه ضعفاً. أه كلامه.

لكن الصلاة على غير الأنبياء استقلالاً لا تبعاً هذه موضع خلاف بين أهل العلم هل تجوز أو لا؟ فالصحيح جوازها أنه يجوز لشخص مؤمن صلى الله عليه وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي على من أتى إليه بركاته وقال: اللهم صلى على آل أبي أوفى حينما جاءوا إليه بصدقاتهم، إلا إذا اتخذت شعاراً لشخص معين كلما ذكر قيل صلى الله عليه فهذا لا يجوز لغير الأنبياء مثل لو كنا كلما ذكرنا أبا بكر قلنا صلى الله عليه أو كلما ذكرنا عمر قلنا صلى الله عليه أو كلما ذكرنا عثمان قلنا صلى الله عليه أو كلما ذكرنا علياً قلنا صلى الله عليه فهذا لا يجوز أن تتخذ شعاراً لشخص معين.^(١)



(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الفصل الثاني

دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونبوته وقومه.

وفيه خمسة مباحث:

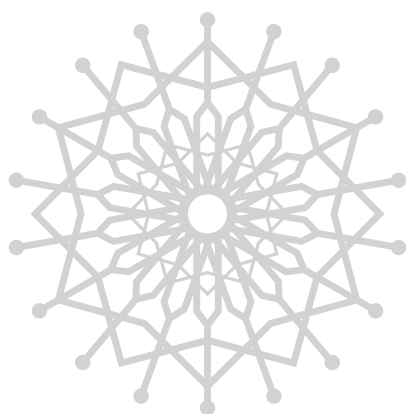
* المبحث الأول: دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

* المبحث الثاني: نبوته والشريعة التي التي كان يدعو إليها وقومه الذين بعث فيهم.

* المبحث الثالث: الآداب والأخلاق التي كان يدعو إليها عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* المبحث الرابع: كيف كانت صلاة المسيح ابن مريم و الأنبياء السابقين؟

* المبحث الخامس: قصة حوارِيَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.



المبحث الأول:

دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ



المطلب الأول: دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، أرسله الله لهداية بني إسرائيل والدعوة إلى عبادة الله وحده كما قال سبحانه لليهود والنصارى:

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَفَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وعيسى ابن مريم هو آخر أنبياء بني إسرائيل، ثم بعث الله بعده محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نسل إسماعيل إلى الناس كافة، وهو آخر الأنبياء والمرسلين، وعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أحد أولي العزم من الرسل، أرسله الله إلى بني إسرائيل، وعلمه التوراة والإنجيل، وأخبر أنه جاء مصدقاً لما في التوراة، أي مقررًا لها ومؤمناً بها، إلا أنه نسخ بعض أحكامها، وأباح لأتباعه بعض ما حرم فيها. قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨) ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ

فِيهِ فَيَكُونُ طَيِّبًا يَأْذَنُ اللَّهُ وَأُتْرِيئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى يَأْذَنُ اللَّهُ وَأُنْبِتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَآلَ عِمْرَانَ/ ٤٨-٥٠ .

وقال سبحانه: ﴿وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة/ ٤٦ .

المطلب الثاني: توحيد الله هو رسالة عيسى والأنبياء جميعاً

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ «فالتوراة: هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران، والإنجيل: هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يحفظ هذا وهذا»^(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ» أي: متبعاً لها، غير مخالف لما فيها، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ؛ ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٦)

وعلم بهذا أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مؤمنا بالتوراة التي أنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، متبعا لها، لم يخالفها إلا في أشياء قليلة.

وموسى وعيسى وجميع الأنبياء كان دينهم الإسلام العام، وهو توحيد الله عَزَّجَلَّ وعبادته وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران/ ١٩، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ آل عمران/ ٨٥. وقال عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يونس/ ٧٢، وقال عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران/ ٦٧، وقال عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ يونس/ ٨٤، وقال عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَقَّئِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصِّدِّيقِينَ﴾ يوسف/ ١٠١.

رسالة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هي الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته وإفراده بذلك، وأن عيسى عبد الله ورسوله ليس بإله أو ابن إله، وأنه كسائر بني البشر، غير أن الله اختصه بالنبوة والرسالة، وجعله وأمه آية للعالمين.

والدعوة إلى توحيد الله تعالى هي الغاية من إرسال الرسل وإقامة البيئات والحجج، وهي رسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورسالة الرسل أجمعين. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

وقال الله تعالى حكاية عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال لقومه:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ

بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ﴾

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ

يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ

بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾

فهذه رسالة الأنبياء، ورسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: الدعوة إلى إفراد الله

تعالى بالتوحيد، فهو الإله الواحد الأحد، وهو رب كل شيء ومليكه،

وكل شيء سوى الله تعالى مخلوق يدين له بالعبودية والربوبية، وليس

في هذا الكون إله سواه، وليس له ولد ولا صاحبة ولا شريك، تعالى الله

عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

المطلب الثالث: الإقرار بالتوحيد في كتاب النصارى الذين

يسمونهم بالكتاب المقدس.

وفي كتاب النصارى الذين يسمونه بالكتاب المقدس الإقرار بأن الدعوة التي جاء بها المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** هي عبادة الله الواحد، رب المسيح ورب العالمين:

(هذه هي الحياة الأبدية ؛ لا بد أن يعرفوك: أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته) ^(١).

(سأله رئيس قائلًا: أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحًا ؛ ليس أحد صالحًا إلا واحد ؛ هو الله!!) ^(٢).

(وأصعده إبليس إلى جبل مرتفع، وأراه في لحظة من الزمن جميع ممالك العالم، وقال له: أعطيك هذا السلطان كله، ومجد هذه الممالك، لأنه من نصيبي، وأنا أعطيه لمن أشاء!! فإن سجدت لي يكون كله لك. فأجابه يسوع: ابتعد عني يا شيطان، يقول الكتاب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد) ^(٣).

(١) [يوحنا ١٧/٣].

(٢) [لوقا ١٨/١٨-١٩].

(٣) [لوقا ٤/٥-٨].

إن توحيد الله الذي لا إله غيره، أعظم وصية جاء بها المسيح، وهو أعظم وصايا الأنبياء جميعاً:

(وكان أحد معلمي الشريعة هناك، فسمعهم يتجادلون، ورأى أن يسوع أحسن الرد على الصدوقيين، فدنا منه وسأله: ما هي أول الوصايا كلها؟

فأجاب يسوع: الوصية الأولى هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا هو الرب الأحد؛ فأحب الرب إلهك بكل قلبك، وكل نفسك، وكل فكرك، وكل قدرتك.

والوصية الثانية مثلها؛ أحب قريبك مثلما تحب نفسك. وما من وصية أعظم من هاتين الوصيتين.

فقال له معلم الشريعة: أحسنت يا معلم؛ فأنت على حق في قولك: إن الله واحد، ولا إله إلا هو، وأن يحبه الإنسان بكل قدرته، وأن يحب قريبه بكل قلبه وكل فكره وكل قدرته، وأن يحب قريبه مثلما يحب نفسه، أحسن من كل الذبائح والقربانين.

ورأى يسوع أن الرجل أجاب بحكمة، فقال له: ما أنت بعيد عن ملكوت الله.

وما تجرأ أحد بعد ذلك أن يسأله عن شيء^(١).

ولا تظن أن هاتين الوصيتين لإسرائيل، أو لشعبه فقط، بل هي أصل الشريعة وتعاليم جميع الأنبياء، فالوصيتان نفسيهما في إنجيل متى،

(١) [مرقس ١٢/٢٨-٣٤].

وبعبارة قريبة، ثم قال بعدهما: (على هاتين الوصيتين تقوم الشريعة كلها، وتعاليم الأنبياء) (١).

فهذا التوحيد حقا هو رسالة كل الأنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

وهو الأصل الذي دعا إليه المسيح، وحذر من مخالفته؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

وهذا هو الأصل الذي ينبغي أن نلتقي عليه جميعا؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

إنها غريبة على النصرانية الحقة تلك المحاولة اليائسة للجمع بين التوحيد الذي جاءت به الأنبياء، وصرح به الكتاب المقدس لديهم، وقررت التوراة خصوصا، وبين ما يؤمنون به من التثليث.

(١) [متى ٢٢/٣٩].

المطلب الرابع: بيان ماجاء في دائرة المعارف الأمريكية.

جاء في دائرة المعارف الأمريكية: لقد بدأت عقيدة التوحيد - كحركة لاهوتية - بداية مبكرة جدا في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين، لقد اشتقت المسيحية من اليهودية، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد.

إن الطريق الذي سار من أورشليم [مجمع تلاميذ المسيح الأول] إلى نيقية [حيث تقرر مساواة المسيح بالله في الجوهر والأولية عام ٣٢٥م] كان من النادر القول بأنه كان طريقاً مستقيماً.

إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يختص بطبيعة الله ؛ لقد كانت على العكس من ذلك انحرافا عن هذا التعليم، ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص، أو على الأقل يمكن القول بأنها كانت معارضة لما هو ضد التثليث، كما أن انتصارها لم يكن كاملاً^(١).

إنها معضلة للعقول، مستحيلة في الفطر والأذهان، فلا عجب أنهم لم يفهموها مجرد فهم، لكن العجب هو الإيمان بما يستحيل فهمه، إلا أن نغرر أنفسنا بأن ذلك الفهم سيأتي في اليوم الآخر:

(١) دائرة المعارف الأمريكية [٢٧ / ٢٩٤]، ويمكنك الرجوع إلى بعض آراء من لا يزالون يذهبون إلى التوحيد من المسيحيين، في المصدر السابق نفسه، دائرة المعارف [٢٧ / ٣٠٠-٣٠١] .

قد فهمنا ذلك على قدر عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في الأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية!!

نعم سوف يتجلى لهم الحق عياناً في المستقبل، كما تجلى لنا اليوم، والحمد لله ؛ يوم يجمع الله الرسل فيشهدهم على أممهم ؛ قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ
الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ
قُلْتُهُ. فَقَدْ عَلِمْتَهُ. تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ
﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾
إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ سورة المائدة

المبحث الثاني:

نبوته والشريعة التي التي كان يدعو إليها

وقومه الذين بعث فيهم.



المطلب الأول: قومه الذين بعث فيهم وحالهم.

كان بنو إسرائيل غارقين في الضلال ومنحرفين عن المنهج الرباني القويم المنزل على موسى، فأرسل الله عيسى إليهم ليردهم إلى الدين الحق.

فلا يقال عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إن دينه اليهودية، بل دينه الإسلام، وأتباعه سُموا باليهود إما لقولهم: هدانا إليك، أي: تبنا ورجعنا، أو نسبة ليهودا أكبر أولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دينه الإسلام وليس النصرانية، والنصارى هم أتباعه الذين نصره وأزروه. لكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان متبعاً للتوراة حافظاً لها مقراً بها؛ لأنه من جملة بني إسرائيل الذين أرسل فيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم أنزل الله عليه الإنجيل وفيه تصديق لما في التوراة، كما سبق، ونبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بني إسرائيل من غير خلاف، وبنو إسرائيل هم الذين عرفوا بعد ذلك بأنهم اليهود.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «كان عمران بن ماثان يعني: جد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والد مريم من ولد سليمان بن داود، وكان آل ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم»^(١).

(١) الكامل في التاريخ» (١/ ٢٥١)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ولا خلاف أنها يعني: مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ من سلالة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا ريب أن قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هم بنو إسرائيل، وبلسانهم نزلت التوراة، وكذلك بنو إسرائيل هم قوم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبلسانهم كان المسيح يتكلم، فلم يخاطب أحد من الرسولين أحداً إلا باللسان العبراني، لم يتكلم أحد منهما لا برومية ولا سريانية ولا يونانية ولا قبطية»^(٢).

وقال أيضاً: «فمعلوم باتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلا بالعبرية، كسائر أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان مختوناً، ختن بعد السبع كما يختن بنو إسرائيل، وأنه كان يصلي إلى قبلتهم، لم يكن يصلي إلى الشرق ولا أمر بالصلاة إلى الشرق»^(٣).

وقد جعل الله في أتباع عيسى والمؤمنين رافةً ورحمةً، وهم أقرب مودة لأتباع محمد من غيرهم كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ المائدة/ ٨٢.

(١) البداية والنهاية» (٥٢/٢)

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٩٤/٢).

(٣) المرجع السابق» (٣٢/٣).

المطلب الثاني: خصوصية رسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل.

رسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت لبني إسرائيل خاصة، ولم تك لسائر البشرية كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَيَمَّا رَجَلُ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأَحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَيَّ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(١).

وفي إنجيل متى: الإصحاح العاشر: هُوَلَاءِ الْاِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَىٰ طَرِيقِ أُمَّمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَىٰ مَدِينَةِ السَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَىٰ خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ»^(٢). ١.١ هـ.

وفي الإصحاح الخامس عشر: ^(٣) ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَىٰ نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنَعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا،

(١) أخرجه البخاري ومسلم وعند البخاري برقم: ٣٣٥.

(٢) وفي إنجيل متى: الإصحاح العاشر.

(٣) وفي إنجيل متى: الإصحاح الخامس عشر.

لَأَنَّهُا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَىٰ خِرَافٍ بَيَّتِ
إِسْرَائِيلَ الصَّلَاةَ». ١.٥هـ

قام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بدعوته يبلغ قومه أوامر الله ونواهيه وطلب
منهم أن يرجعوا إلى صراط الله المستقيم ويخلصوا في عبادتهم لله.

وذكر لهم أنه قد أنزل عليه تشريعات جديدة، في بعضها تحليل
لما كان حُرِّمَ عليهم في شريعة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والرسول من بعده.
قال الله تعالى ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلْحٰلَ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ إِنَّ
اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ آل عمران: ٥٠٥١.

وأيد الله عبده ورسوله عيسى بمعجزات مصداقًا وتأييدًا لدعوته،
كما سيأتي لاحقًا في الفصل الخاص بمعجزاته عليه السلام، رزق الله
عيسى، كما هو الشأن مع سائر الأنبياء، فطانة ظاهرة وحنة باهرة في
مناقشة الخصوم، فقد جادل الصدوقيين وهم فرقة من اليهود تنكر اليوم
الآخر والحساب والعقاب وما إلى ذلك ^(١)، فأفحمهم بالحجة.

كما جادل الرؤساء الدينيين اليهود المنحرفين في مفاهيمهم
وتطبيقاتهم عن أصول الشريعة الربانية، فحاج عيسى الفريسيين وهم
المنقطعون للعبادة ^(٢) والكتبة (وهم الوعاظ وكتّاب الشريعة لمن

(١) اقرأ عنهم في قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩.

(٢) اقرأ عنهم في قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤.

يطلبها) والكهنة (وهم خدمة الهيكل) وكانت حججه دامغة. (١)

وكما هو شأن بني إسرائيل مع رسلهم السابقين فقد كذب عيسى أكثرهم وما آمن معه إلا قليل، وهؤلاء القليل هم المعروفون بالحواريين: أصحاب عيسى وتلاميذه، عدتهم اثنا عشر رجلاً. (٢)

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ آل
عمران: ٥٢

جاء عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقررًا لشريعة موسى في التوراة، مع ما جاءه في الإنجيل، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٣).

ومع إقراره ما جاء به موسى من قبل في التوراة، إلا أنه جاء بتخفيف شيء من ذلك، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَلَا أُجِلُّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۗ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٤).

(١) قصص الأنبياء، للنجار ص ٥١٠ - ٥١١ نقلا عن إنجيل برنابا.

(٢) قف على أسمائهم في متى (١٠ / ١ - ٤).

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٥٠.

يقول ابن كثير: فيه دلالة على أن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئاً، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ^(١).



(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٦٦.

المبحث الثالث:

الآداب والأخلاق التي كان يدعو إليها عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



المطلب الأول: الآداب والأخلاق التي كان يدعو إليها عيسى

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الصلاة والصيام والصدقة والذكر ونحو ذلك من العبادات، ففي حديث الحارث الأشعري قال: وأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا وأمركم بالصيام، وإن مثل ذلك كمثل رجل كانت معه صرة فيها مسك ومعه عصاة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال: فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفك نفسه منهم. وأمركم بذكر الله كثيرًا، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سرعًا في إثره حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله^(١).

(١) مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ (٣/١٤٠)، وصححه أبو إسحاق الحويني كما في كتاب المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة دار ابن عباس للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية (١/٨٦).

وقد ساق الحديث المتقدم أبو يعلى الموصلي في مسنده بإسناده:
 أَنَّ الْحَارِثَ الْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ
 يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ يَعْمَلُ بِهِنَّ، وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ
 بِهِنَّ، وَإِنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ تَعْمَلُ بِهِنَّ
 وَتَأْمُرُ بِهِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ بِهِنَّ، فَمَا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ أَمُرَهُمْ؟،
 قَالَ: إِنَّكَ إِنْ تَسْبِقْنِي بِهِنَّ خَشِيتُ أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخَسَفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ
 النَّاسُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ، وَقَعَدَ النَّاسُ عَلَى الشُّرَفَاتِ، قَالَ:
 فَوَعَظَهُمْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ، وَأَمُرُكُمْ أَنْ
 تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوْلَاهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ
 أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بَدَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ،
 قَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي فَأَعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَيَّ
 غَيْرَ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ
 فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، وَأَمَرَكُمْ
 بِالصِّيَامِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، وَمَعَهُ
 عِصَابَةٌ كُلُّهُمْ يُعْجِبُهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا، وَإِنَّ الصِّيَامَ أَطْيَبُ، عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ
 الْمِسْكِ، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ وَقَامُوا
 إِلَيْهِ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَيَّ، عَنْقِهِ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ قَالَ:
 فَجَعَلَ يُعْطِيهِمُ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ لِيَفْكَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا،
 وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي إِثْرِهِ حَتَّى أَتَى عَلَى
 حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرَزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ

إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ « وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِنَّ: الْجَمَاعَةَ، وَالسَّمْعَ، وَالطَّاعَةَ، وَالْهَجْرَةَ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ خُلِعَ الْإِسْلَامُ مِنْ رَأْسِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ «: قِيلَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ» وقال المحقق إسناده صحيح.

ومن الموضوعات التي دعا إليها عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه الآداب والأخلاق، ومن ذلك ما ورد في المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠هـ) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عيسى ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنما الأمور ثلاثة: أمر يتبين لك رشده فاتبعه، وأمر يتبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرده إلى عالمه^(١).

وجاء من الآداب التي دعا إليها عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء الذي يقال عند الدين، لما في مستدرک الحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل علي أبو بكر فقال هل سمعت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاء علمنيه؟ قلت ما هو؟ قال: كان عيسى ابن مريم يعلمه أصحابه قال: لو كان علي أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه اللهم فارح لهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣٨٦/١٠، حديث رقم ١٠٧٧٤. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٧/١: ورجاله موثقون.

ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك^(١).

ومن الآداب التي كان يدعو إليها عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدب بذل العلم، ففي سنن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) عن معاوية أن أبا فروة حدثه أن عيسى ابن مريم كان يقول: لا تمنع العلم من أهله فتأثم، ولا تنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيياً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع^(٢).

كما ذكر ابن كثير جملة من الحكم والآداب التي كان يدعو إليها عَلَيْهِ السَّلَام^(٣)، فمن ذلك ما رواه عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال: قال عيسى للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا^(٤).

ومنها ما قاله ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول: اعبروا الدنيا ولا تعمروها. وكان يقول: حب

(١) المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت (١ / ٦٩٦).

(٢) سنن الدارمي، مراجعة فواز أحمد زمرلي وخالد السبع ١ / ١١٧، حديث رقم ٣٧٩.

(٣) انظر: قصص الأنبياء، ص ٦٤٩-٦٥٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٥٢.

الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة^(١).

وقال سفيان الثوري (ت ١٦١هـ): قال عيسى ابن مريم: لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء^(٢).

وقال أبو مصعب عن مالك: قال عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله، فتقسو قلوبكم؛ فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، وانظروا فيها كأنكم عبيد فإنما الناس رجالان معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية^(٣).

وبعد أن أخبر سبحانه في سورة مريم عن قصة ولادة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير أب، بين سبحانه أن الغرض الرئيس من ذكر قصة مولد عيسى بيان حقيقة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما يجب الاعتقاد بشأنه، فقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ (مريم: ٣٤-٣٦)، تلك إذن حقيقة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا ما يقوله المؤلهون له، أو المتهمون لأمه في مولده.

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٥٣.

(٣) المرجع السابق، ٦٥٤.

تلك هي حقيقته وواقع نشأته، فهو يقول قول الحق الذي يمترى فيه الممتمرون، ويشك فيه الشاكون، يقولها لسانه، ويقولها حاله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْخِذَ مِنْ وِلْدٍ﴾ تعالى وتنزهه، فليس من شأنه اتخاذ الولد، بل هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ ﴿٣﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٣٥).

وقد أخبر سبحانه عباده بما امتن به على رسوله عيسى عليه السلام من النعم، وما أیده به من المعجزات؛ لتكون شاهد صدق على رسالته، وناطق حق بما جاء به، فقال عز من قائل: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: ١١٠-١١١).

فقد عدد سبحانه سبع نعم أسبغها على عيسى عليه السلام.

كما طلب سبحانه من نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يجادل من جادله في شأن عيسى بعد الذي أنزله إليه وقصه عليه من أمره لأنه معاند لا يقنعه الدليل مهما كان واضحاً، بل يقول له، ولأمثاله من الضالين

المعاندين: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١).

ثم بين سبحانه أن ما قصه من شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مولدًا ودعوة ومعجزات هو الحق الذي لا مرية فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ٦٢).

فهذا هو الحق في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه عبد الله ورسوله، وكل من جادل في هذه الحقيقة، فهو معاند في أمر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وبالتالي فلا ينبغي الخوض معه، ولا الالتفات إليه وبذلك يكون القرآن الكريم قد بين الحق في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بيانًا شافيًا، يهدي القلوب، ويقنع العقول، ويحمل النفوس على الاعتبار، وإخلاص العبادة لله الواحد الأحد.

المطلب الثاني: الإنجيل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأخبر سبحانه أنه علم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران: ٤٨)، وأنه رسول من عند الله، أرسله إلى بني إسرائيل، وأيده بالمعجزات الباهرات؛ لتكون دليل صدق على ما جاءهم به من الحق، كما قال سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ

اللَّهُ وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ (آل عمران: ٤٩)، وما جاء به عيسى لم يكن بدعاً من الرسل، بل جاء مصدقاً لما سبق من الكتب والرسل؛ طالباً من قومه القبول بما جاءهم به من الحق، والخضوع لما يأمرهم به من طاعة وعبادة، ومن حلال وحرام، يقول تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿٥٠﴾ (آل عمران: ٥٠)، وأكد سبحانه بعد ما قرره من حقائق وعقائد الربوبية لرب الأرباب، وأن من اعتقد بهذا فقد هدى إلى صراط مستقيم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٠﴾ (آل عمران: ٥٠).

أصل الإنجيل مأخوذ من الكلمة اليونانية Evangelos التي تعني البشارة، ويخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى أتى سيدنا عيسى إنجيلاً فيه هدى ونور.

المطلب الثالث: القرآن يحدثنا عن الإنجيل.

ونعلم على وجه اليقين أن الإنجيل تضمن الأمور الآتية:

التصديق بالتوراة والموعظة للمتقين قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ المائدة: ٤٦

الأحكام والشرائع الربانية.

يقول تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠﴾
 إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿ آل عمران: ٥٠ ٥١
 قال تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ المائدة: ٤٧ .

البشارة بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر بعض صفاته.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ الأعراف: ١٥٧

صفة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ الفتح: ٢٩

وكذلك تضمن الحث على الجهاد بالمال والنفوس.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقِنُّهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: (١١١).^(١)

المطلب الرابع: من آيات الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَنْ عَامِرِ بْنِ شَهْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ كَلِمَتَيْنِ، مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةً، وَمِنَ النَّجَاشِيِّ أُخْرَى، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «انظُرُوا قُرَيْشًا فخذوا من قولهم وذرّوا فعلهم، وكُنْتُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ جَالِسًا فَجَاءَ ابْنُهُ مِنَ الْكِتَابِ فَقَرَأَ آيَةً مِنَ الْإِنْجِيلِ فَعَرَفْتُهَا أَوْ فَهَمْتُهَا فَضَحِكْتُ، فَقَالَ: مِمَّ تَضْحَكُ، أَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟! فَوَاللَّهِ إِنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: «أَنَّ اللَّعْنَةَ تَكُونُ فِي الْأَرْضِ إِذَا كَانَ أَمْرًا وَهَا الصُّبْيَانُ»^(٢).

وقد مر معنا أثر ابن عباس الصحيح، وكان فيه قول الله تعالى في

الإنجيل ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

وهذه الآية الكريمة أنزلها الله تعالى في سورة المائدة، وهذا يدل

على أن جميع الرسائل ذات مضمون واحد، وهو توحيد الله تعالى،

(١) العقيدة الإسلامية ص ٤٧٨-٤٨٠.

(٢) أبو داود برقم (٤٧٣٦) وصححه الألباني في صحيح أبو داود.

ومن أصول هذا التوحيد وهذه الأديان: إفراد الله تعالى بالحاكمية، والتحاكم إلى شرعته وإلى أمره ونهيه، فليست الأديان أتت لكي تكون العبادات منعزلة في الضمائر ودور العبادة بل أتت لتقيم منهج حياة يتحاكم إليه الناس ويعيشون به في كل دقائق وتفاصيل الحياة، فالله تعالى هو خالق الكون وما فيه، وهو الذي أنزل الرسالات والكتب على مر العصور والأزمان، وفَصَّلَ الشرائع والأحكام على ألسنة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ليتحاكم الناس إليها.

المطلب الخامس: ما هو الكتاب المقدس المشهور عند النصارى.

لكن السؤال الهام هو أين هذا الإنجيل؟ هل فقد أم ما يزال موجوداً؟ هل هناك صلة ما بينه وبين الأناجيل التي بين أيدينا؟ هل وجد أناجيل أخرى؟ فيما يأتي محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها.

أولاً: الكتاب المقدس يتضمن العهد القديم: كتاب اليهود المقدس الذي يحتوي على ٣٩ سفرًا، يطلق على الأسفار الخمسة الأولى التوراة مجازًا مع أنه لا صلة بينها

وبين توراة موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١) والعهد الجديد، وهو قسمان:

(١) أعيدت كتابة الأسفار اليهودية و تنقيحها من أربعة مصادر رئيسية: يهوه أي الله تعالى و كان ذلك بين ٩٧٥-٩٣٥ ق م بعد ثلاثة قرون من وفاة موسى تقريبًا. إلهيم إي الله تعالى أيضًا كتب في السامرة عام ٨٥٠ ق م تقريبًا بعد انقسام إسرائيل إلى مملكتين شمالية وجنوبية. المصدر الثالث المسمى التثنية إي القانون الثاني و ينسب إلى موسى. و الرابع المسمى الأنبياء أو الزبور، كتب خلال القرون الأربعة السابقة لعيسى. المسيحية والإسلام، لمحمد فاروق الزين ص ٥٠.

القسم الأول: الأسفار التاريخية وتتضمن:

أولاً: الأناجيل الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، تتحدث عن قصة مريم وسيدنا عيسى والأحداث التي مرت عليه منذ الولادة حتى نهاية حياته في الأرض.

ثانياً: رسالة أعمال الرسل المنسوبة إلى لوقا صاحب الإنجيل، وفيها كلام حول معلمي المسيحية وخاصة بولس أستاذ لوقا.

أما القسم الثاني: وهو الأسفار التعليمية: وتتضمن إحدى وعشرين رسالة تعنى بالوعظ والإرشاد والتعليم، وقد كتبت جميعاً باليونانية.

ثالثاً: كان هناك أناجيل كثيرة أخذت بها فرق مسيحية وآمنت بصحتها، واستمر الوضع على ما هو عليه إلى أن اختيرت الأناجيل الأربعة الحالية في مؤتمر نيقية^(١)

عام ٣٢٥م على أنها الأسفار الوحيدة المعتمدة وألغي ما عداها بل صودر وأحرق لأنها فقط خالفت الآراء التي تبناها المجمع بسيف الإمبراطور قسطنطين^(٢)

إذن إن اختيار الأسفار الأربعة دون غيرها إنما مردّه لمصالح وأهواء، ولم يكن أبداً بسبب أنها موثقة أو صحيحة أو ذات سند صحيح

(١) في تركيا وتسمى الآن إزنيق.

(٢) كان السبب العام لانعقاد المؤتمر هو الاختلاف بين النصارى في عيسى من حيث ألوهيته أو عدمها، راجع محاضرات في النصرانية ص ١٢٢.

متصل بعيسى أو لأن النصارى كلهم أو جلهم قد أقروها. ومن يدري ربما كان من بين الأسفار التي صودرت أو أحرقت إنجيل سيدنا عيسى أو إنجيل آخر يدنو منه.

رابعاً: أسفار العهد الجديد كافة كتبت بعد عيسى بزمن، وليس بينها وبين عيسى سند، ومؤلفوها إنما اعتمدوا على الأقاويل وعلى ذاكرة من حولهم بعد وقوع الأحداث بسنين لأنهم لم يشهدوها بأنفسهم، والسبب الرئيس في فقد السند هو الاضطهاد المرير الذي وقع على المسيحيين منذ رفع عيسى حتى أوائل القرن الرابع الميلادي.

كان الاضطهاد يجري على أيدي حكام الإمبراطورية الرومانية (نيرون، تراجان، ديكليس، دقلديانوس، فقد ذاق المسيحيون في تلك الفترة جميع ألوان العذاب وأشكاله: قُتل منهم أعداد من الكثرة بمكان، سجن أساقفتهم ورجالهم، أحرقت كتبهم، هدمت كنائسهم.

وإن جَلَّ ما تعرضوا له يحمل وزره اليهودُ الخبثاء الذين كادوا لهم كيداً ومزقوهم شر ممزق، وهذا الاضطهاد قاد إلى فقدان المسيحيين الكثير من كتبهم وجعل ديانتهم نهباً للضياع والتحريف والأفكار الوثنية الهلنستية-^(١)

(١) انظر العقيدة الإسلامية ص ٤٩٦-٤٩٧، محاضرات في النصرانية ص ٢٩

خامسًا: إن أسفار العهد الجديد تقدم تاريخًا ناقصًا ومشوهًا للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد تبين للعلماء والباحثين بالأدلة والبراهين وجود أغلاط وأخطاء وتناقضات كثيرة^(١).

أضف إلى هذا الاختلاف الواضح والعميق حول مؤلفي الأسفار و مترجميها وتاريخ كتابتها^(٢) وهذا كله إنما يعضد بقوة الإسلام في اعتقاد أن كتب العهد الجديد وكذا القديم قد حرفت وبدلت وأضيف إليها وحذف منها.^(٣) ولذلك لا يصح الاعتقاد بأي من هذه الكتب على أنها من عند الله.



(١) انظر العقيدة الإسلامية ص ٤٩٦-٤٩٧، محاضرات في النصرانية ص ٢٩ وما بعد.

(٢) قف على أمثلة وافرة في إظهار الحق ١/ ٨٥، ومن أمثلة القديسين عندهم: برنابا وهو من قديسي النصارى و أحد الرسل السبعين الذين قاموا بالدعاية للمسيحية الأولى، وهو حجة عندهم. و إنجيله يتضمن حقائق هامة منها: أن عيسى عبد الله و رسوله، لم يصلب بل رفع إلى السماء، والتبشير بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، راجع العقيدة الإسلامية ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٣) التفصيل في محاضرات في النصرانية ص ٤٢-٥٤.

المبحث الرابع:

كيف كانت صلاة المسيح ابن مريم والأنبياء السابقين؟



المطلب الأول: الصلاة كانت مفروضة على أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

لا شك أن الصلاة كانت مفروضة على أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام من قبل، وهو ما أخبر الله تعالى به عنهم في كتابه، فقال سبحانه عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إبراهيم / ٣٧

وقال عَزَّجَلَّ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءً﴾ إبراهيم / ٤٠

وقال تعالى عن موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَأَيْمَنًا بِمِصْرَ يُثُوًّا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس / ٨٧

وقال عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مريم / ٣١

وقال عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ آل عمران / ٣٩

وقال عن سائر أنبيائه صلى الله عليهم وسلم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَكِيًّا﴾ مريم / ٥٨

ثم قال: ﴿خَلَفَ مِنْ بُعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۝٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ مريم / ٥٩ - ٦٠

بل في صحيح مسلم (٢٣٧٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ).

المطلب الثاني: كانت صلاتهم ذات ركوع وسجود.

الذي يظهر من النصوص الواردة أنها كانت صلاة تشبه صلاتنا من حيث الجملة، وإن كنا نجهل تفاصيل ذلك، وإلى أي مدى كانت هذه المشابهة.

قال الله تعالى: ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة / ١٢٥

وقال تعالى: ﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكُعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ آل عمران / ٤٣

فكانت صلاة ذات ركوع وسجود.

وقال تعالى عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ص / ١٨.

فروى الطبري من طرق عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لقد قرأت ما بين اللوحين، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن يُسَبِّحَنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿﴾ وكنت أقول: أين صلاة الإشراق؟ ثم قال بعد: هنّ صلاة الإشراق^(١).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (إنا معاشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا ووضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة)^(٢).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (عزّا نبيّ من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يئني بها ولما بين، ولا آخر قد بنى بُنياناً ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشتري غنماً أو حلفات وهو مُنتظرٌ ولأدها. قال فعزّا فأذنى للقريّة حين صلاة العَصْرِ أو قريّاً من ذلك)^(٣)

وفي رواية: (فدنا من القريّة حين صَلَّى العَصْرِ أو قريّاً من ذلك)^(٤).

(١) قاله الطبري في «التفسير» (١٦٨/٢١) والبخاري في «التفسير» (٧٦/٧) وابن راهويه في «مسنده» (٢١١٦) وابن شاهين في «الترغيب» (١٣٠) من طرق عن

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٨٦).

(٣) رواه البخاري (٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البيهقي (١٣٠٨٣) وابن حبان في «صحيحه» (٤٨٠٨) والبخاري في «شرح السنة» (٣٥٦/٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ... وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبُ جَعْدٍ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَإِذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةً بِنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ) (١).

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا فَقَالَ: (هَذَا وُضُوءِي وَوُضُوءُ الْمُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلِي) (٢).

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كيف كانت صلاة الأنبياء قبل الإسلام؟ فأجاب: « صلاة الأنبياء الله أعلم بها، نحن مأمورون بالصلاة التي أمرنا بها نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعلينا أن نصلي كما صلى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صلوا كما رأيتموني أصلي) (٣) » انتهى.

(١) رواه مسلم (١٧٢).

(٢) عند ابن ماجه (٤٢٠).

(٣) «مجموع فتاوى ابن باز» رَحِمَهُ اللهُ (٢٩ / ٢٣٧).

المطلب الثالث: صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ

إمامًا.

صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ إمامًا ثابتة بالأحاديث الصحيحة.

ففي صحيح مسلم: (وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ... فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ...) (١).

وفي رواية عند ابن جرير الطبري في « تفسيره » (١٧ / ٣٣٢): (ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى آتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ بِالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إمامًا) (٢).

قال ابن كثير: « والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السماوات، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه، وصلّى بهم فيه، ثم إنه ركب البراق وكرّر راجعًا إلى مكة » (٣).

ولا وجه لاستشكال كيفية معرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصلاة حين صلّى بالأنبياء؛ لأن الصلاة كانت مفروضة على المسلمين من ابتداء الإسلام، ولذلك لما سأل هرقل أبا سفيان ماذا يأمركم؟.

قال: (يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَاةِ).

(١) صحيح مسلم (١٧٢).

(٢) ينظر: «الإسراء والمعراج» للألباني ص ١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥ / ٣١).

قال ابن رجب: «وفيه دليل على أن الصلاة تُسرعت من ابتداء النبوة، لكن الصلوات الخمس لم تُفرض قبل الإسراء بغير خلاف». انتهى^(١).

وقال: «والأحاديث الدالة على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي بمكة قبل الإسراء كثيرة»^(٢).

وقال ابن حجر العسقلاني: فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قبل الإسراء يصلي قطعاً، وكذلك أصحابه^(٣).

ويدل على ذلك حديث زيد بن حارثة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آتَاهُ فِي أَوَّلِ مَا أَوْحِيَ إِلَيْهِ فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ)^(٤).

قال النووي: «ثبت أن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ليلة الإسراء ببيت المقدس، ثم يحتمل أنه كانت الصلاة قبل صعوده إلى السماء، ويحتمل أنها بعد نزوله منها.

واختلف العلماء في هذه الصلاة:

فقيل: إنها الصلاة اللغوية، وهي الدعاء والذكر.

وقيل هي الصلاة المعروفة، وهذا أصح؛ لأن اللفظ يُحمل على

(١) رواه البخاري، فتح الباري «(٢/١٠٣)».

(٢) «فتح الباري» «(٢/١٠٢)».

(٣) فتح الباري «(٨/٦٧١)».

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧٠٢٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٤١).

حقيقته الشرعية قبل اللغوية، وإنما نحمله على اللغوية إذا تعذر حمله على الشرعية، ولم يتعذر هنا، فوجب الحمل على الصلاة الشرعية.

وكانت الصلاة واجبة قبل ليلة الإسراء، وكان الواجب قيام بعض

الليل كما نص الله سبحانه وتعالى عليه في سورة المزمل^(١)

ولعل من المناسب هنا ذكر هذا السؤال: هل صحيح أن الصلاة

كانت مفروضة قبل ليلة الإسراء؟ وهل كان الرسول يصليها على هيئتها

كما نصليها الآن و بنفس عدد الركعات؟ ومتى فرضت الصلاة بالأوقات

و الهيئة التي نصليها الآن؟

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ الْمَشْهُورِ، وَفِيهِ أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ

خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلَتْ إِلَيَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ

فَأَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ... قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ،

لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً^(٢).

(١) من « المسائل المشورة » ص ٢٦.

(٢) رواه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٢).

وقد أجمع العلماء على أن الصلوات الخمس لم تفرض إلا في هذه الليلة^(١).

قال الحافظ ابن كثير **رَحِمَهُ اللهُ**: فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله على رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك، شيئاً فشيئاً^(٢).

ثم نزل جبريل **عَلَيْهِ السَّلَام** وعلم النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أوقات الصلاة: عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخْرَجَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخْرَجَ الصَّلَاةَ يَوْمًا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟

أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ فَصَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثُمَّ قَالَ: (بِهَذَا أُمِرْتُ)

فَقَالَ عُمَرُ لِعُرْوَةَ: انظُرْ مَا تَحَدَّثُ يَا عُرْوَةُ؟ أَوْ إِنَّ جِبْرِيلَ **عَلَيْهِ السَّلَام** هُوَ أَقَامَ لِرَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَقَتَ الصَّلَاةِ؟

فَقَالَ عُرْوَةُ: كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ^(٣)

(١) راجع: «فتح الباري» لابن رجب (٢ / ١٠٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧ / ١٦٤).

(٣) رواه البخاري (٥٢٢) ومسلم (٦١١).

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ فَقَالَ: فُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الظُّهْرَ حِينَ مَالَتْ الشَّمْسُ. ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِيءُ الرَّجُلِ مِثْلَهُ جَاءَهُ لِلْعَصْرِ فَقَالَ: فُمْ يَا مُحَمَّدُ فَصَلِّ الْعَصْرَ. ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ جَاءَهُ فَقَالَ: فُمْ فَصَلِّ الْمَغْرِبَ. فَقَامَ فَصَلَّاهَا حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ سَوَاءً، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الشَّفَقُ جَاءَهُ فَقَالَ: فُمْ فَصَلِّ الْعِشَاءَ. فَقَامَ فَصَلَّاهَا، وفيه: فَقَالَ: يعني جبريل (مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُ كُلِّهِ) ^(١).

وفي رواية: أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة ^(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يختلفوا في أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هبط صبيحة ليلة الإسراء عند الزوال فعلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة ومواقيتها».

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: بيان جبريل للمواقيت كان صبيحة ليلة الإسراء ^(٣).

وكان أول فرض الصلوات الخمس ركعتان، ثم بعد الهجرة أقرت في السفر، وزيدت في الحضر ركعتين، إلا المغرب فعلى حالها.

(١) رواه النسائي (٥٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٧٣) وابن إسحاق في سيرته، كما في فتح الباري (٢ / ٢٨٥).

(٣) شرح العمدة (٤ / ١٤٨).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى) (١).

- وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يصلون قبل فرض الصلوات

الخمسة:

أَصْلُ وُجُوبِ الصَّلَاةِ كَانَ فِي مَكَّةَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ؛ لِوُجُودِ الْآيَاتِ الْمَكِّيَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي بَدَايَةِ الرِّسَالَةِ تَحْتُ عَلَيَّهَا، وَأَمَّا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ بِالصُّورَةِ الْمَعْهُودَةِ فَإِنَّهَا فُرِضَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ (٢).
 وذهب بعض أهل العلم إلى أن الصلاة كانت مفروضة أول الأمر ركعتين بالعادة وركعتين بالعشي.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْفَتْحِ: ذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ صَلَاةٌ مَفْرُوضَةٌ إِلَّا مَا كَانَ وَقَعَ الْأَمْرُ بِهِ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ، وَذَهَبَ الْحَرْبِيُّ إِلَى أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ مَفْرُوضَةً رَكْعَتَيْنِ بِالْعِدَاةِ وَرَكْعَتَيْنِ بِالْعَشِيِّ، وَذَكَرَ الشَّافِعِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ كَانَتْ مَفْرُوضَةً ثُمَّ نُسِخَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَتَسَّرُ مِنْهُ﴾ فَصَارَ الْفَرَضُ قِيَامَ بَعْضِ اللَّيْلِ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ (٣).

(١) رواه البخاري (٣٩٣٥) ومسلم (٦٨٥).

(٢) كما هو في «الموسوعة الفقهية» (٢٧ / ٥٢ - ٥٣).

(٣) فتح الباري (١/ ٤٦٥).

وقال أيضا: كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قَطْعًا، وَكَذَلِكَ أَصْحَابَهُ لَكِنْ أُخْتَلِفَ هَلْ أُفْتَرِضَ قَبْلَ الْخَمْسِ شَيْءٌ مِنَ الصَّلَاةِ أَمْ لَا؟ فُقِيلَ: إِنَّ الْفَرَضَ أَوَّلًا كَانَ صَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِهَا، وَالْحُجَّةَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وَنَحْوَهَا مِنَ الْآيَاتِ (١).



(١) ينظر أيضًا: تفسير ابن عطية» (٢٠٤/١) التحرير والتنوير» لابن عاشور (٧٥/٢٤)، فتح الباري (١/٤٦٥).

المبحث الخامس:

قصة حوارِي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.



المطلب الأول: معنى الحواريون.

قال الأزهري في تهذيب اللغة:

قَالَ وَالتَّحْوِيرُ: التَّيْيِضُ. وَقَالَ غَيْرُهُ: حَوَّرْتُ الثَّوْبَ إِذَا بَيَّضْتَهُ. أَبُو عبيد عَنِ الْأُمَوِيِّ الْإِحْوَارِ الْأَبْيَضِ، وَأَنْشَدَ:
يَا وَرْدُ إِنِّي سَأَمُوتُ مَرَّةً فَمَنْ حَلِيفُ الْجَفْنَةِ الْمُحَوَّرَةَ
يَعْنِي الْمَبْيُضَةَ، قَالَ أَبُو عبيد: وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَصْحَابُ عِيسَى
الْحَوَارِيِّينَ لِلْبَيَاضِ، وَكَانُوا قَصَّارِينَ وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:
فَقُلْتُ إِنَّ الْحَوَارِيَّاتِ مَعْطَبَةٌ إِذَا تَفْتَلَنَ مِنْ تَحْتِ الْجَلَابِيبِ
يَعْنِي النِّسَاءَ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: الزبير ابنُ عَمَّتِي وَحَوَارِيٌّ
مِنْ أُمَّتِي^(١).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (٢٢/ ٢٧٢)، إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ٩٢، والنسائي في «الكبرى» (٨٢١٢)، وأبو عوانة في المناقب كما في «إتحاف المهرة» ٣/ ٥٤٨ من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد.

قَالَ أَبُو عبيد: يُقَالُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ إِنَّ أَصْلَ هَذَا كَانَ بَدْوُهُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ أَصْحَابِ عِيسَى، وَإِنَّمَا سُمُّوا حَوَارِيِّينَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَغْسِلُونَ الثِّيَابَ يُحَوِّرُونَهَا وَهُوَ التَّبْيِضُ وَمِنْهُ قِيلَ امْرَأَةٌ حَوَارِيَّةٌ إِذَا كَانَتْ بِيضَاءً.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ نَصَرَهُ هَؤُلَاءِ الْحَوَارِيُّونَ فَكَانُوا أَنْصَارَهُ دُونَ النَّاسِ قِيلَ لِكُلِّ نَاصِرٍ نَبِيَّةٌ: حَوَارِيٌّ إِذَا بَالِغٌ فِي نُصْرَتِهِ؛ تَشْبِيهَا بِأَوْلَئِكَ.

تَعَلَّبَ عَن ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الْحَوَارِيُّونَ: الْأَنْصَارُ، وَهَمَّ خَاصَّةٌ أَصْحَابَهُ.

وَرَوَى شَمْرٌ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْحَوَارِيُّ النَّاصِحُ، وَأَصْلُهُ الشَّيْءُ الْخَالِصُ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَصَ لَوْنُهُ فَهُوَ حَوَارِيٌّ.

وَالْحَوَارِيَّاتُ مِنَ النِّسَاءِ النَّقِيَّاتِ الْأَلْوَانِ وَالْجُلُودِ، وَمِنْ هَذَا قِيلَ لِصَاحِبِ الْحَوَارَى مُحَوَّرٌ.

وَقَالَ الرَّجَاجُ: الْحَوَارِيُّونَ خُلَصَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَصَفْوَتُهُمْ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزبير ابن عمّتي وحواريٌّ من أمّتي.

قَالَ: وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوَارِيُّونَ.

وَتَأْوِيلُ الْحَوَارِيِّينَ فِي اللُّغَةِ الَّذِينَ أُخْلِصُوا وَنُقُوا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَكَذَلِكَ الْحَوَارِيُّ مِنَ الدَّقِيقِ، سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُنْقَى مِنْ لُبَابِ الْبُرِّ، قَالَ: وَتَأْوِيلُهُ فِي النَّاسِ الَّذِي قَدْ رُوجِعَ فِي اخْتِيَارِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَوُجِدَ نَقِيًّا مِنَ الْعُيُوبِ.

قَالَ: وَأَصْلُ التَّحْوِيرِ فِي اللُّغَةِ مِنْ حَارَ يَحْوِرُ، وَهُوَ الرَّجُوعُ.
والتَّحْوِيرُ التَّرْجِيعُ، فَهَذَا تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ لِنِسَاءِ الْأُمْصَارِ حَوَارِيَّاتٍ لِأَنَّهِنَّ تَبَاعَدْنَ عَنِ
قَشْفِ الْأَعْرَابِيَّاتِ بِنِظَافَتِهِنَّ، وَأَنْشُد:

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا يَبْكِينَ إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَابِحُ
وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: دَقِيقُ حَوَارِيٍّ أَخَذَ مِنْ هَذَا لِأَنَّهُ لِبَابِ الْبُرِّ،
وَعَجِينٌ مُحَوَّرٌ، وَهُوَ الَّذِي مُسَّحَ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ حَتَّى صَفَا.

وَعَيْنَ حَوْرَاءٍ إِذَا اشْتَدَّ بَيَاضُ بِيَاضِهَا وَخَلَصَ وَاشْتَدَّ سَوَادُ سَوَادِهَا،
وَلَا تَسْمَى الْمَرْأَةُ حَوْرَاءً حَتَّى تَكُونَ مَعَ حَوْرٍ عَيْنِيهَا بِيضَاءً لَوْ أَنَّ الْجَسَدَ،
وَقَالَ الْكُمَيْتُ:

وَدَامَتْ قُدُورُكَ لِلْسَّاعِغِينَ فِي الْمَحَلِّ غَرْغَرَةً وَاحْوَرَارًا^(١)

الحواريون: أصحاب النبي عيسى، وتلاميذه المخلصون،
وأنصاره الذين قاموا يبشرون بدعوته من بعده.

حور الحور: التردد إما بالذات؛ وإما بالفكر، وقوله **عَرَجَلٌ**:

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْوَرَ﴾ [الانشقاق/ ١٤]، أي: لن يبعث، وذلك نحو قوله:
﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَ﴾ [التغابن/ ١٧]، وحر الماء في

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى:

٣٧٠هـ)، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة:

الأولى، ٢٠٠١م (١٤٨/٥).

الغدِير: تردد فيه، وحرار في أمره: تحير، ومنه المحور للعود الذي تجري عليه البكرة لتردده، ومحاره الأذن لظاهره المنقعر، تشبيهاً بمحارة الماء لتردد الهواء بالصوت فيه كتردد الماء في المحارة.

والقوم في حور أي: في تردد إلى نقصان، وفي الحديث عن عبد الله بن سرجس قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خرج مسافراً يقول: اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والخور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال^(١).

أي: من التردد في الأمر بعد المضي فيه، أو من نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها، وقيل: حار بعد ما كار، نعوذ بالله من الخور بعد الكور نعوذ بالله.

المطلب الثاني: آيات ورد فيها الحواريون.

﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ﴾ ٥٢ آل عمران
 ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ١١٢ المائدة

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِثِ أَنْ ءَأْمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمْنَا﴾ ١١١
 المائدة.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِثِ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ١٤ الصف

﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ١٤ الصف

(١) أخرجه مسلم في الحج برقم (١٣٤٣)؛ وابن ماجه (٢/ ١٢٧٩)؛ والترمذي (العارضه ١٣/ ٤)؛ والنسائي (٢٧٢/ ٨).

المطلب الثالث: من هم الحواريون.

أرسل الله سبحانه رسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بني إسرائيل داعياً إلى الحق المبين، وهادياً إلى صراط مستقيم، غير أنه لم يجد منهم أذناً صاغية، ولا قلوباً واعية، ولما علم أن أكثرهم عن الحق معرضون، وعن الصراط صادون، خاطبهم بقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢). ويحكي القرآن الكريم أن فئة قليلة كانت قد آمنت بما جاء به عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحق، فلم تتردد في قبول ما جاء به، ولم تتعاس عن تلبية نداء دعوته، بل إجابته بقولها: ﴿مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٥٢)، وفي آية أخرى: ﴿قَالُوا ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: ١١١).

وقد سمي سبحانه أنصار عيسى بالحواريين؛ لأنهم أخلصوا لله تعالى نياتهم، وطهروا سرائرهم من النفاق والغش، فصاروا في نقائهم وصفائهم كالشيء الأبيض الخالص البياض، النقي من الشوائب. فهم لقوة إيمانهم وصفاء نفوسهم، قد لبوا نداء الحق، وتركوا الباطل ورائهم ظهرياً، ولم يخشوا في ذلك لومة لائم، دافعهم إلى ذلك نصره دين الله، والدفاع عن الحق الذي جاءهم به عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. يشهد لذلك قولهم: ﴿ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، فهم أقرؤ بالإيمان بالله وحده، وعلموا علم اليقين أن ما جاءهم به عيسى هو الحق المبين، وطلبوا منه أن يشهد لهم بهذا الموقف الإيماني عند الله يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وقولهم الأنف الذكر يدل على أنهم كانوا على درجة عالية من قوة الإيمان، وصدق اليقين، ونقاء السريرة، والخضوع لدعوة الحق. وفوق ذلك، فقد أخبر القرآن عنهم أنهم أعلنوا اعترافهم بربوبيته الكاملة سبحانه، وسلموا تسليمًا تامًا بما أنزله الله على أنبيائه من قبل، وأكدوا امتثالهم للحق الذي جاءهم به عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم التمسوا منه سبحانه أن يجعلهم من عباده الأخيار، وهو ما أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٥٣).

ثم أخبر القرآن الكريم ما كان من بني إسرائيل، فقال سبحانه: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ (آل عمران: ٥٤). وقد كان اليهود الذين علم منهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الكفر، قد دبروا له حيلة لقتله، واتخذوا الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذه الجريمة النكراء، بيد أن الله سبحانه أحبط مكرهم، وأبطل تدبيرهم، بأن نجى نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويحكي القرآن الكريم في شأن الحوارين أنهم طلبوا من عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُنزل عليهم مائدة من السماء، ودار بينهم وبين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الحوار التالي: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِئُوتُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (المائدة: ١١٢)، روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: كان القوم أعلم بالله عَزَّوَجَلَّ من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، قالت: ولكن (هل تستطيع ربك). وروي عنها أيضًا أنها قالت: كان الحواريون لا يشكون أن الله يقدر على إنزال مائدة،

ولكن قالوا: (هل تستطيع ربك). وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أقرأنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هل تستطيع ربك)، قال معاذ: وسمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرارًا يقرأ بالتاء: (هل تستطيع ربك).

وقد كان جواب عيسى على طلب الحواريين بأن أمرهم بتقوى الله سبحانه، والوقوف عند حدوده، والخوف والخشية منه، وترك مطالبته بأمر تؤذي بالمؤمن إلى الفتنة، فقال لهم: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

ثم حكى القرآن الكريم ما ردَّ به الحواريون على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك قولهم: ﴿**قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ (المائدة: ١١٣)، فقد بينوا في جوابهم أنه طلبوا نزول المائدة رغبة في أن ينالوا البركة، ولحاجتهم إلى الطعام بعد أن ضيق عليهم بنو إسرائيل في الرزق، وأيضًا لتزداد قلوبهم إيمانًا بالله وتصديقًا بما جاءهم من الحق، وأيضًا ليكونوا شهودًا على صدق المعجزات التي جاءهم بها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند الذين لم يشهدوها. والحواريون بينوا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما حكى القرآن الكريم أنهم لم يطلبوا نزول المائدة من السماء؛ لأنهم يشكون في قدرة الله، أو نبوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل طلبوا ذلك زيادة في الإيمان، وطلبًا لليقين.

كان الحواريون خالصان الأنبياء، ودخلائوهم وأنصارهم، وقد كانوا عالمين باستطاعة الله لذلك ولغيره علم دلالة وخبر ونظر، فأرادوا

علم معاينة كذلك، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وقد كان إبراهيم علم ذلك علم خبر ونظر، ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب، ولا شبهة؛ لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك، ولذلك قال الحواريون: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾، كما قال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

ثم أخبرنا القرآن الكريم بما تضرع به عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن سمع من الحواريين ما قالوه في سبب طلبهم لنزول المائدة من السماء، كما بين ذلك سبحانه بقوله: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَعَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة: ١١٤).

فقد طلب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه سبحانه أن ينزل على أنصاره رزقاً من السماء، يكون يوم نزوله عيداً يحتفلون به، ويبتهجون، ويتقربون به إلى الله عَزَّجَلَّ على ما رزقهم من الطيبات، ويكون أيضاً عيداً لمن يأتي من بعدهم، ممن لم يشهد هذه الآية المعجزة الربانية. قال السدي: أي نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً، نعظمه نحن ومن بعدنا.

وقال سفيان الثوري: يعني يوماً نصلي فيه. وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم. وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عظة لنا ولمن بعدنا.

ثم ختم سبحانه حديثه عن هذه المائدة وما جرى بشأنها بين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والحواريين بقوله: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَزَّلْتُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾، فأخبرهم سبحانه أنه منزل هذه المائدة عليهم؛ إجابة لدعاء رسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأخبرهم أن من يكفر بعد نزولها، فإنه سوف يعذبه عذاباً شديداً.

وفي ختام سورة الصف مدح سبحانه الحواريين، ودعا المؤمنين إلى التشبه والاقتراء بهم، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف: ١٤).

فالآية هنا تأكيد لما جاء في آية آل عمران من دعوة عيسى المؤمنين من بني إسرائيل إلى نصرته، والالتزام بما جاء به، بقوله على سبيل الامتحان؛ لقوة إيمانهم: مَنْ الجند المخلصون، الذين أعتمد عليهم بعد الله سبحانه في نصرته دينه، وفي التوجه إليه بالعبادة والطاعة وتبليغ رسالته؟ فأجابوه بقولهم: نحن أنصار دين الله تعالى، ونحن الذين على استعداد أن نبذل نفوسنا وأموالنا في سبيل تبليغ دعوته عَزَّوَجَلَّ، ومن أجل إعلاء كلمته سبحانه.

وكان جواب الحواريين لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما دعاهم إلى اتباع الحق كما تقدم:

نحن أنصار دين الله، ونحن الذين سنثبت على العهد، أما بقية بني إسرائيل، فقد افترقوا إلى فرقتين: فرقة آمنت بما جاء به عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من عند الله تعالى، وفرقة أخرى كفرت به وبرسالته، وقد أيد سبحانه الفئة المؤمنة من بني إسرائيل، ونصرها على الفئة الكافرة منهم.

وقد تحدث القرآن الكريم في سورة الحديد عن ثلاث طوائف من أتباع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ طائفة ابتدعت في دين الله ما ليس منه، وطائفة أخرى استمرت على الإيمان الحق، الخالي من البدع والأهواء، وطائفة ثالثة انحرفت عن الحق الذي جاء به عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ انحرافاً شديداً.

وقد أخبر سبحانه عن هذه الطوائف الثلاث بقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنَاءَ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٧)، فالطائفة الأولى جعل سبحانه في قلوبها ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ غير أنها ابتدعت عبادة اختارتها لنفسها ﴿وَرَهَابِنَاءَ ابْتَدَعُوهَا﴾؛ زهداً في متاع الدنيا، وتقرباً إلى الله تعالى، والله سبحانه لم يأمرها بها، بيد أنها مع مرور الأيام لم تحافظ على ما اختارته من عبادة، وما ابتدعته من بدعة، بل صار أمرها إلى طقوس خالية من العبادة الصحيحة، لم يصبر على تكاليفها ومشاقها إلا القليل منهم. والطائفة الثانية استمرت على اتباعها لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى الإيمان به إيماناً صحيحاً خالياً مما يفسده، ويعكر صفوه، فأعطاها سبحانه أجورها طيبة كاملة، ﴿فَأَتَيْنَا

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ». وأما الطائفة الثالثة فقد بدلت نعمة الله كفرًا، وقالت: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ (المائدة: ٧٣)، وقالت: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ١٧)، وقالت: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠)، فسوف تلقى من العقاب والعذاب ما تستحقه.

وقد قال سبحانه في ختام الآية: ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُوتُ﴾ ليدل على أن الذين خرجوا عن الدين الحق الذي جاء به عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفسقوا عن أمر ربهم أكثر من الذين آمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه.

المطلب الرابع: قوله تعالى: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ) (المائدة: ٢١١).

يتعلق بهذه الآية مسألتان: أولهما: حول سؤال الحواريين. وثانيهما: حول نزول المائدة، أما ما يتعلق بالمسألة الثانية في هذه الآية، فهو نزول المائدة؛ سيأتي الكلام عليها في: المبحث السابع: طلب الحواريون من عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء، من الفصل الثالث.

فيما يتعلق بالمسألة الأولى:

اختلف أهل التفسير في إيمان الحواريين وعدم إيمانهم:

ومنشأ اختلافهم قوله سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، فإن هذا القول يشعر بشكهم في قدرة الله سبحانه على إنزال المائدة.

فذهب فريق من المفسرين في مقدمتهم الزمخشري إلى عدم إيمانهم، واعتبر هذا الفريق أن قول الحواريين السابق على هذه الآية ﴿قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: ١١١) إنما كان دعوى منهم من غير إيقان وإذعان، وإلا فلو كانوا صادقين في دعواهم، لما قالوا لعيسى بأسلوب الاستفهام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾^(١).

قال الزمخشري في الكشاف: «فإن قلت: كيف قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما، ثم أتبعه قوله: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ فأذن أن دعواهم كانت باطلة، وأنهم كانوا شاكين^(٢).

وقولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (المائدة: ١١٢)، معناه: اتقوا الله، ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ١١٢)، إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة».

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ (١/ ٢٩٦).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ (١/ ٢٩٦).

وذهب جمهور المفسرين إلى أن الحواريين عندما قالوا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، كانوا مؤمنين؛ إذ إن قولهم هذا لا يسحب عنهم صفة الإيمان؛ لأنهم ما قالوا هذا من باب الشك في قدرة الله، وإنما من باب زيادة الاطمئنان عن طريق ضم علم المشاهدة إلى العلم النظري، بدليل قولهم بعد: ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا﴾ (المائدة: ١١٣)، كقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠).

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ﴾ بالتاء ﴿رَبُّكَ﴾ بالنصب، بمعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ أو: هل تستطيع أن تدعو ربك؟^(١)

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

أو: هل تستطيع وترى أن تدعوه؟ وقالوا: لم يكن الحواريون شاكِّين أن الله تعالى ذكره قادرٌ أن ينزل عليهم ذلك، وإنما قالوا لعيسى: هل تستطيع أنت ذلك؟^(٢)

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (١١ / ٢١٨).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١: ٣٢٥.

حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر، عن نافع، عن ابن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: قالت عائشة: كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى هل تستطيع ربك؟ حدثني أحمد بن يوسف التَّغْلِبِيُّ قال، حدثنا القاسم بن سلام قال، حدثنا ابن مهدي، عن جابر بن يزيد بن رفاعة، عن حسان بن مخارق، عن سعيد بن جبير: أنه قرأها كذلك: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، وقال: تستطيع أن تسأل ربك. وقال: ألا ترى أنهم مؤمنون؟^(١)

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والعراق: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء ﴿رَبُّكَ﴾، بمعنى: أن ينزل علينا ربك، كما يقول الرجل لصاحبه: «أتستطيع أن تنهض معنا في كذا»؟ وهو يعلم أنه يستطيع، ولكنه إنما

(١) الأثر: ١٢٩٩٤ - (أحمد بن يوسف التغلبي)، مضى قريباً برقم: ١٢٩٥٧، وكان في المطبوعة هنا أيضاً: «الثعلبي»، وهو خطأ. و«جابر بن يزيد بن رفاعة العجلي»، ثقة عزيز الحديث. مترجم في التهذيب، والكبير ١/٢/٢١٠، وابن أبي حاتم ١/١/٤٩٨. «حسان بن مخارق». قال البخاري: «أراه: الشيباني»، مترجم في الكبير ٢/١/٣١، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٣٥، وقال المعلق على تاريخ البخاري: «في الثقات رجالان، أحدهما في التابعين: حسان بن مخارق الكوفي، يروي عن أم سلمة. روى عنه أبو إسحق الشيباني = والآخر في أتباع التابعين: حسان بن مخارق الشيباني، وقد قيل: حسان بن أبي المخارق، أبو العوام، يروي عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ: هل تستطيع ربك. روى عنه جابر بن يزيد، وجعلهما ابن أبي حاتم واحداً».

يريد: أتنهض معنا فيه؟ وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك: هل يستجيب لك ربك ويُطيعك أن تنزل علينا؟

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وأولى القراءتين عندي بالصواب، قراءة من قرأ ذلك: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء ﴿رَبُّكَ﴾ برفع «الربِّ»، بمعنى: هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب، لما بينا قبل من أن قوله: «إذ قال الحواريون»، من صلة: «إذ أوحيت»، وأن معنى الكلام: «إذ أوحيت إلى الحواريون أن آمنوا بي وبرسولي، إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك؟ فبين إذ كان ذلك كذلك، أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قبلهم ذلك، والإقرار لله بالقدرة على كل شيء، وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الأخبار. وقد قال عيسى لهم، عند قيلهم ذلك له، استعظماً منه لما قالوا: «اتقوا الله إن كنتم مؤمنين». ففي استنابة الله إياهم، ودعائه لهم إلى الإيمان به وبرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قيلهم ما قالوا من ذلك، واستعظام نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمتهم الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة في ذلك بالياء ورفع «الرب»، إذ كان لا معنى في قولهم لعيسى، لو كانوا قالوا له: «هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟» أن يُستكبر هذا الاستكبار.

فإن ظنَّ ظانٌّ أنَّ قولهم ذلك له إنما استعظمَ منهم، لأنَّ ذلك منهم كان مسألة آيةٍ، فقد ظنَّ خطأ. فإن الآية، إنما يسألها الأنبياء مَنْ كان بها مكذِّبًا

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

ليتقرَّر عنده حقيقة ثبوتها وصحة أمرها، كما كانت مسألة قريش نبيِّنا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحوِّل لهم الصِّفَا ذهبًا، ويفجر فجاج مكة أنهارًا، مَنْ سأله من مشركي قومه وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذِّبي قومه ومسألة شُعَيْب أن يسقط كِسْفًا من السماء، من كَفَّار من أرسل إليه. فإنَّ وكان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، على هذا الوجه كانت مسألتهم، فقد أحلَّهم الذين قرءوا ذلك ب«التاء» ونصب (الرب) محلا أعظم من المحلِّ الذي ظنوا أنَّهم يَحِيدون بهم عنه أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهم موقنون بأنه الله نبي مبعوث ورسول مرسل، وأنَّ الله تعالى ذكره على ما سألوا من ذلك قادر.

فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك، وإنما كانت مسألتهم إِيَّاه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيِّه، إذا كان فقيرًا، أن يسأل له ربه أن يُغْنِيه وإنَّ عرضت له حاجة، أن يسأل له ربه أن يقضيها، فليس ذلك من مسألة الآية في شيء، بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلى ربه، فسأل نبيِّه مسألة ربه أن يقضيها له.

وخبّر الله تعالى ذكره عن القوم، ينبئ بخلاف ذلك. وذلك أنهم قالوا لعيسى، إذ قال لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قالوا ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ﴾

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾. فقد أنبا هذا من قِلبهم، أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوته. فلا بيان أبين من هذا الكلام، في أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرضٌ وشكٌ في دينهم وتصديق رسولهم، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختباراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ليث، عن عقيل، عن ابن عباس: أنه كان يحدث عن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه قال لبني إسرائيل: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً، ثم تسألوه فيعطيكُم ما سألتُم؟ فإن أجرَ العاملِ على من عمل له! ففعلوا، ثم قالوا: يا معلّم الخير، قلت لنا: «إن أجر العاملِ على من عمل له»، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً، ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحدٍ ثلاثين يوماً إلا أطمعنا حين نفرغ طعاماً، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، إلى قوله: ﴿لَا أَعْدَبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾. قال: فأقبلت الملائكة تطير بمائدة

من السماء عليها سبعة أحواتٍ وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم.

حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، قالوا: هل يطيعك ربك، إن سألته؟ فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطعام إلا اللحم، فأكلوا منها.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وأما «المائدة» فإنها «الفاعلة» من: «ماد فلان القوم يَميدهم مَيْدًا»، إذا أطعمهم ومارهم، ومنه قول رؤبة:

نَهْدِي رُؤُوسَ الْمُتْرِفِينَ الْأَنْدَادَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَمَادَ^(١)

(١) ديوانه: ٤٠، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ١٨٣، واللسان (ميد)، وسيأتي في التفسير ١٢: ٨٤ (بولاق)، من رجز تمدح فيه بنفسه، ومدح قومه تميما وسعدًا وخندفًا. ثم قبله في آخرها يذكر قومه: نَكْفِي قُرَيْشًا مَنْ سَعَى بِالْإِفْسَادِ... مِنْ كُلِّ مَرْهُوبِ الشَّقَاقِ جَحَادٌ وَمُلْجِدٍ خَالِطٌ أَمْرَ الْإِلْحَادِ، وقوله: «نهدي» بالنون، لا بالتاء كما في لسان العرب، وكما كان في المطبوعة هنا. و«المترفون»: المتنعمون المتوسعون في لذات الدنيا وشهواتها. و«الأنداد» جمع «ند» (بكسر النون) وهو هنا بمعنى «الضد»، يقال للرجل إذا خالفك، فأردت وجهًا تذهب إليه، ونازعتك في ضده: «هو ندى، ونديدي». ويأتي أيضًا بمعنى «المثل والشبيه». ورواية الديوان، ورواية أبي جعفر في المكان الآتي بعد: «الصداد»، جمع «صاد»، وهو المعرض المخالف. يقول: نقتل الخارجين على أمير المؤمنين، ثم نهدي إليه رؤوسهم، وهو المسئول دون الناس.

يعني بقوله: «الممتاد»، المستعطي.

ف«المائدة» المطعمة، سميت «الخوان» بذلك، لأنها تطعم الآكل ممّا عليها، و«المائد»، المُدار به في البحر، يقال: «مادَ يَمِيدُ مَيْدًا».

وأما قوله: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فإنه يعني: قال عيسى للحواريين القائلين له: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ راقبوا الله، أيها القوم، وخافوه^(١) أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا، فإن الله لا يعجزه شيء أرادته، وفي شككم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء، كفر به، فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته ﴿إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، يقول: إن كنتم مصدقيّ على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾؟

وأيضاً فإن سؤالهم إنما كان عن الفعل لا عن القدرة عليه، قال الحسن: إن معنى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾، أي: هل يفعل، كما تقول للقادر على القيام: هل تستطيع أن تقوم معي مبالغة في التواضعي^(٢).

(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (١١/٢٢٣).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، (٤/٥٦).

قال الألوسي: والتعبير عن الفعل بـ (الاستطاعة) من التعبير عن المسبب بالسبب؛ إذ هي من أسباب الإيجاد. وقالوا أيضًا: إن (الاستطاعة) في الآية بمعنى (الإطاعة)، قال السدي: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ أي: هل يطيعك ربك إن سألته^(١).

قال الرازي: وهذا تفريع على أن (استطاع) بمعنى (أطاع)، والسين زائدة^(٢).

المطلب الخامس: قوله سبحانه: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) المائدة: ٨١.

قال ابن كثير معقبًا على هذه الآية: «هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله عَزَّجَلَّ، فإنه الفعال لما يشاء، الذي ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣). ويتضمن التبري من النصارى، الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله نَدًا وصاحبة وولدًا ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٤٣)، وهذه الآية لها شأن عظيم، ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام بها

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي دار الكتب العلمية (٥٦/٤).

(٢) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ (١٢/٤٦٢).

ليلة حتى الصباح يرددها. وقد روى الإمام أحمد عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قام صلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها، ويسجد بها: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فلما أصبح قلت: يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها، وتسجد بها؟ قال: (إني سألت ربي عَزَّوَجَلَّ الشفاعة لأمتي، فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً).

وقد اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية؛ فقيل: قال عيسى هذا القول على وجه الاستعطف لهم، والرافة بهم، كما يستعطف السيد لعبده؛ ولهذا لم يقل: فإنهم عصوك.

وقيل: قاله على وجه التسليم لأمر الله سبحانه، والاستجارة من عذابه، وهو يعلم أنه لا يغفر لكافر.

وقيل: الضمير في قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ يعود على من مات منهم على الكفر. والضمير في قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾ لمن تاب منهم قبل الموت. قال القرطبي: وهذا حسن.

وقيل: كان عند عيسى أنهم أحدثوا معاصي، وعملوا بعده بما لم يأمرهم به، إلا أنهم على عمود دينه، فقال: وإن تغفر لهم ما أحدثوا بعدي من المعاصي. قال القرطبي: «وأما قول من قال: إن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعلم أن الكافر لا يُغفر له، فقول مجترئ على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الأخبار من الله عَزَّوَجَلَّ لا تنسخ».

وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ولم يقل: فإنك أنت الغفور الرحيم على ما تقتضيه القصة من التسليم لأمره، والتفويض لحكمه. ولو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم لأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه، وذلك مستحيل؛ فالتقدير إن تبقيهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فإنهم عبادك، وإن تهدهم إلى توحيدك وطاعتك، فتغفر لهم، ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع عليك ما تريده، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما تفعله؛ تضل من تشاء، وتهدي من تشاء.

قال بعض أهل العلم: قد طعن على القرآن من قال إن قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ليس بمشاكل لقوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ لأن الذي يشاكل (المغفرة): (فإنك أنت الغفور الرحيم)، والجواب: أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله، ومتى نُقِلَ إلى الذي نقله إليه ضعف معناه؛ فإن (الغفور الرحيم) ينفرد بالشرط الثاني ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، فلا يكون له بالشرط الأول تعلق ﴿إِنْ تُعَذِّبَهُمْ﴾، وهو على ما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ، واجتمع على قراءته المسلمون مقرون بالشرطين كليهما أولهما وآخرهما؛ إذ تلخيصه ﴿إِنْ تُعَذِّبَهُمْ﴾ فإنك أنت عزيز حكيم، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في الأمرين كليهما من التعذيب والغفران، فكان ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أليق بهذا المكان لعمومه؛ فإنه يجمع الشرطين ﴿إِنْ تُعَذِّبَهُمْ﴾ ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ولم يصلح (الغفور الرحيم)؛ إذ لم يحتمل من العموم ما احتمله ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وما شهد بتعظيم الله تعالى وعدله والثناء عليه في الآية كلها والشرطين المذكورين أولى

وأثبت معنى في الآية مما يصلح لبعض الكلام دون بعض.

ثالثاً: لسائل أن يسأل: إنه تعالى قال في آية المائدة: ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ (المائدة: ١١٠)، ثم إن جميع ما ذكره تعالى من النعم مختص بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس لأمه بشيء منها تعلق؟.

أجاب الرازي عن هذا، فقال: كل ما حصل للولد من النعم الجليلة والدرجات العالية فهو حاصل على سبيل التضمين والتبع للأمم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ (المؤمنون: ٥٠)، فجعلهما معا آية واحدة لشدة اتصال كل واحد منهما بالآخر.

المطلب السادس:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمِنَّا وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالِ أَنْتَقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ال عمران (١١٣)

وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: غريب الكلمات.

أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ: أي: قَدَفْتُ في قلوبهم، وَيُطَلَّقُ الْوَحْيُ وَالْإِيحَاءُ عَلَىٰ إِلْقَاءِ الْمَعْنَىٰ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، وَالْإِلْهَامُ، وَالْإِشَارَةُ وَالكِتَابَةُ؛

وأصلُ الوَحْيِ: يَدُلُّ عَلَى إِلْفَاءِ عِلْمٍ فِي إِخْفَاءٍ، وَكُلُّ مَا أَلْفَيْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى عَلِمْتَهُ فَهُوَ وَحْيٌ كَيْفَ كَانَ.

وَالْحَوَارِيُّينَ: جَمْعُ حَوَارِيٍّ، وَهُمْ أَصْفِيَاءُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَشِيعَتُهُ وَنَاصِرُوهُ، وَخُلَاصَةُ أَصْحَابِهِ، وَشَاعَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الَّذِينَ خَلَصُوا، وَأَخْلَصُوا فِي التَّصَدِيقِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَنُصْرَتِهِمْ؛ قِيلَ: سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَمْ كَانُوا يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ، أَي: يُبَيِّضُونَهَا، وَاسْتِقَافُهُ مِنْ حُرْتِ الثَّوْبِ، أَي: أَخْلَصْتُ بِيَاضِهِ بِالْعَسَلِ.

وقيل: اشتقاقه من: حار يحور: إذا رجع، فكأنهم الرجعون إلى الله، وقيل: هو مُشْتَقٌّ مِنْ نِقَاءِ الْقَلْبِ وَخُلُوصِهِ وَصِدْقِهِ.

عِيدًا: أَي: يَوْمًا نُعْظَمُهُ، وَنَعْبُدُ اللَّهَ وَنُصَلِّي لَهُ فِيهِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ الْمَائِدَةُ، وَالْعِيدُ: كُلُّ مَا يُعَاوَدُ الْإِنْسَانُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَأَصْلُ (عُود): يَدُلُّ عَلَى تَشْبِيهِ فِي الْأَمْرِ، وَمِنْهُ الْعِيدُ؛ لِأَنَّهُ يَعُودُ كُلَّ عَامٍ، أَوْ لِأَنَّهُ يُعَادُ إِلَيْهِ أَوْ لِأَنَّهُ اعْتِيدَ.

المسألة الثانية: المعنى الإجمالي.

يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَمْتَنًا عَلَيْهِ بِمَا يَسَّرَ لَهُ مِنْ أَتْبَاعٍ، وَأَنَّهُ أَلْهَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْحَوَارِيِّينَ - وَهُمْ الْخُلَصُّ مِنْ أَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرَسُولِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَعْلَنُوا إِيمَانَهُمْ، وَاسْتَشْهَدُوهُ عَلَى أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ.

ثم يُذَكِّرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيضًا حِينَ قَالَ لَهُ الْحَوَارِيُّونَ: هَلْ يَفْعَلُ رَبُّكَ إِذَا سَأَلْتَهُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً طَعَامٍ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَمَرَهُمْ

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا يَطْلُبُوا هَذَا الْأَمْرَ إِنْ كَانُوا حَقًّا مُؤْمِنِينَ. فَأَجَابَهُ أَنَّهَمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا؛ لِتَطْمِئِنَّ قُلُوبُهُمْ، وَيَعْلَمُوا يَقِينًا أَنَّ عَيْسَى صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ، وَيَكُونُوا شَاهِدًا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي نَزَلَتْ مِنْ اللَّهِ، وَيُبَلِّغُوهَا لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا، حِينَهَا دَعَا عَيْسَى رَبَّهُ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؛ تَكُونُ عِيدًا لَهُمْ وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَعَلَامَةً وَبُرْهَانًا مِنْهُ تَعَالَى تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ عَيْسَى، وَأَنْ يُرْزَقَهُمْ تَعَالَى وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. فَأَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مُنَزَّلُهَا عَلَيْهِمْ، لَكِنْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ أَنْزَالِ هَذِهِ الْآيَةِ فَإِنَّهُ تَعَالَى سَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا، لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

المسألة الثالثة: تفسير الآيات.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَأَمْنَا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١١١).

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي.
أي: وأذكر أيضًا - يا عيسى - إذ يسرتُ لك أتباعًا وأنصارًا، فألهمتُ الخُلص من أصحابك، وألقيتُ في قلوبهم الإيمانَ بي وبرسولي.

﴿قَالُوا ءَأَمْنَا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

أي: قال الحواريون: آمنا بما وجب علينا اعتقاده بقلوبنا، واشهد علينا (٥) بأننا خاضعون لله تعالى، طائعون له بأعمالنا (٦).

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢).

المسألة الرابعة: القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفْسيرِ.

في قوله تعالى: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ قِرَاءَتَانِ:

١- قراءة (تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) على الخِطاب من الحواريين لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يعني: هل تقدّر يا عيسى، أن تسأل ربك، وكان الأصل على هذه القِراءة (هل تستطيع سؤال ربك)، فحُذِفَ المضافُ (سؤال)، وأُقيِمَ المضافُ إليه (ربك) مقامه؛ فأخذ إعرابه فنصب.

٢- قراءة يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ، أي: هل يفعل ربك؟ فلفظه لفظ الاستفهام، ومعناه معنى الطلبِ والسؤالِ.

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ.

أي: اذكر حين قال الحواريون طلباً لزيادة اطمئنان قلوبهم: يا عيسى ابن مريم، هل يفعل ربك إذا سألته أن يُنزل علينا مائدة طعام من السماء؟

﴿قَالَ أَنْقُو اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أي: قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للحواريين: الزموا التقوى، ولا تسألوا هذا الأمر إن كنتم مؤمنين حقاً، وإذا كنتم كذلك فما حاجتكم إلى هذه المعجزة (١١)؟!

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١١٣).

أي: قال الحواريون: إِنَّمَا أَرَدْنَا مِنْ سؤَالِكَ ذَلِكَ، التَّشْرُفَ بِالْأَكْلِ
مِنْ تِلْكَ الْمَائِدَةِ، فَنَعْلَمُ يَقِينًا قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَتَسْكُنُ بِذَلِكَ
قُلُوبُنَا، وَيَسْتَقَرُّ إِيمَانُهَا.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ
أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].
﴿وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدَّ صِدْقَتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

أي: ونعلم يقيناً صدقك يا عيسى، وصدق ما جئت به، ونشهد
على أن المائدة آية من عند الله عز وجل، وحجة لنا نبأها من لم يشهدها.
﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا
عِيدًا لِأَوْلَادِنَا وَعَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ (١١٤).

أي: دعا عيسى عليه السلام ربه سبحانه مستجيباً لطلب الحواريين،
فقال: اللهم ربنا، أنزل علينا مائدة طعام من السماء، نتخذ وقت نزولها
عيداً نعبدك فيه، ونتذكرها نحن ومن بعدنا (١٤).
قوله: ﴿وَأَيُّهَا مِنْكَ﴾.

أي: وتكون حجة وعلامة منك، يا رب، على عبادك، دالة على
وحدانيتك وصفاتك، وعلى صدق ما جئت به.
﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾.

أي: وأعطنا من عندك؛ فإنك يا رب، خير من يعطي؛ فلا أحد أكرم
منك (١٦).

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٥).

أي: قال الله تبارك وتعالى: إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمُطْعِمِكُمْ هَا، ولكن مَنْ وَقَعَ مِنْكُمْ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْزَالِي هَذِهِ الْآيَةَ الْعَظِيمَةَ، فَإِنِّي أُوقِعُ عَلَيْهِ عَذَابًا شَدِيدًا، لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ عَالَمِي زَمَانِهِ

المسألة الخامسة: الفوائد التربوية.

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: هَلْ يَسْتَطِيعُ يَدُلُّ عَلَى التَّلَطُّفِ وَالتَّأَدُّبِ فِي السُّؤَالِ، كَمَا هُوَ مَنَاسِبٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ الْخَالِصِ، لَيْسَ شَكًّا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُمْ سَأَلُوا آيَةً لِزِيَادَةِ اطْمِنَانِ قُلُوبِهِمْ بِالْإِيمَانِ، بَأَن يَنْتَقِلُوا مِنَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ إِلَى الدَّلِيلِ الْمَحْسُوسِ؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ بِالْمَحْسُوسِ أَنْسَ، كَمَا لَمْ يَكُنْ سَوْأَلُ إِبْرَاهِيمَ بِقَوْلِهِ: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [البقرة: ٢٦٠] شَكًّا فِي الْحَالِ.

٢- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ أَمْرٌ بِمَلَازِمَةِ التَّقْوَى، وَعَدَمِ تَزَلُّلِ الْإِيمَانِ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ بِإِنِّ الْمَفِيدَةَ لِلشَّكِّ فِي الْإِيمَانِ؛ لِيَعْلَمَ الدَّاعِي إِلَى ذَلِكَ السُّؤَالِ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ نَشَأَ لَهُمْ عَنِ الشَّكِّ فِي صِدْقِ رَسُولِهِمْ، فَسَأَلُوا مَعْجِزَةً يَعْلَمُونَ بِهَا صِدْقَهُ بَعْدَ أَنْ آمَنُوا بِهِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ الْمُحْكِي فِي قَوْلِهِ: ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِن ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أَي: أَلَمْ تَكُنْ غَنِيًّا عَنِ طَلْبِ الدَّلِيلِ الْمَحْسُوسِ؛ فَالْمَرَادُ بِالتَّقْوَى فِي كَلَامِ عَيْسَى مَا يَشْمَلُ الْإِيمَانَ وَفُرُوعَهُ.

٣- أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ فِي حَالِ الدُّعَاءِ أَنْ يَذْكُرَ هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ: الألوهية والربوبية؛ لِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا؛ لِأَنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّوَسُّلِ؛ يَتَوَسَّلُ الإِنْسَانُ بِأَلُوهِةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَبُوبِيَّتِهِ.

المسألة السادسة: الفوائد العلمية واللطائف.

١- إثبات وحي الله عزَّ وجلَّ؛ لِقَوْلِهِ: وَإِذْ أَوْحَيْتُ، ووحى الله يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: وحي شرع، وهو لا يكون إِلَّا لِلأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ، ووحى إلهام كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّجَالِ مِيوَاتًا ﴾ [النحل: ٦٨]، فالأول يتعلق بالشرع، والثاني يتعلق بالكون .

٢- في قوله تعالى: ﴿ أَنْ ءَامِنُوا بِى وَرَسُولِى قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ قَدَّمَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرَ الإِيمَانِ عَلَى الإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ صِفَةُ الْقَلْبِ، وَالإِسْلَامَ عِبَارَةٌ عَنِ الانْقِيَادِ وَالخُضُوعِ فِي الظَّاهِرِ، يَعْنِي: آمِنُوا بِقُلُوبِكُمْ، وَانْقَادُوا بِظَوَاهِرِكُمْ.

٣- أَنَّ الإِيمَانَ بِاللَّهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالإِيمَانِ بِرَسُولِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ أَنْ ءَامِنُوا

بِى وَرَسُولِى ﴾.

٤- جَوَازُ حَذْفِ الْمَعْلُومِ؛ حَيْثُ قَالُوا: آمَنَّا وَلَمْ يَقُولُوا: بِكَ وَبِرَسُولِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مَعْلُومٌ، فَالْمُطْلَقُ يُحْمَلُ عَلَى الْمُقَيَّدِ إِذَا كَانَ مَعْلُومًا، فَإِذَا عَقَدَ الإِنْسَانُ عَقْدًا، وَذَكَرَ عِنْدَ الإِيجَابِ شُرُوطًا، فَقَالَ الآخَرُ: قَبْلْتُ الْبَيْعَ مِنْكَ؛ مِثَالُ ذَلِكَ قَالَ: بَعْتُكَ هَذَا الْبَيْتَ عَلَى أَنْ أُسْكِنَ فِيهِ سَنَةً،

فقال: قبلتُ البيعَ؛ هل يَثْبُتُ الشَّرْطُ؟ نعم يَثْبُتُ؛ لأنَّ قبوله البيعَ، يعني القَبُولَ بهذا الشَّرْطِ، وإن لم يُذْكَرْ، لكنَّه معلومٌ من السِّيَاقِ.

٥- جوازُ استثباتِ الشيءِ بالإشهادِ عليه؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ .

٦- قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، استُدلَّ به على أنَّ الإيمانَ هو الإسلامُ، ولكنَّ هذا القولَ على إطلاقه فيه نظرٌ، والصوابُ أنَّ الإسلامَ إذا أُفْرِدَ دَخَلَ فيه الإيمانُ، وإذا ذُكِرَ مع الإيمانِ صارَ له معنى آخرٌ، ويدلُّ لهذا التفصيل قولُ الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ إِنَّمَا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، يعني: لم يدخلَ لكن قريباً يدخلُ؛ لأنَّ (لَمَّا) تُفيدُ النَّفْيَ مع قُرْبِ المنفِي، وتُخْرِجُ هذه الآيةُ بناءً على ذلك بأنَّهم جمَعوا بين الإيمانِ والإسلامِ، فيكونُ الإيمانُ في القلوبِ، والإسلامُ في الجوارحِ، يعني: أنَّهم آمنوا وانقادوا انقياداً تامًّا لأوامرِ الله ورسوله.

٧- في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أتت هذه المعاطيفُ مُرتبةً ترتيباً لطيفاً؛ وذلك أنَّهم لا يأكلون منها إلا بعدَ مُعاينةِ نُزولِها، فيجتمع على العِلْمِ بها حاسَّةُ الرُّؤيةِ وحاسَّةُ الذُّوقِ؛ قال تعالى: نَأْكُلُ مِنْهَا فَبِذَلِكَ يزولُ عن القلبِ قلقُ الاضطرابِ، ويسكنُ إلى ما عاينَهُ الإنسانُ وذاقَهُ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا، وباطمئنانِ القلبِ يَحْصُلُ العِلْمُ الضَّروريُّ بِصِدْقِ مَنْ كانتِ المعجزةُ على يديه؛ إذ جاءت طَبَقَ ما سألَ وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا.

٨- قَوْلُهُ: **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ هَذِهِ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: اتَّقُوا اللَّهَ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَحْتَمِلُ عَلَى التَّقْوَى، وَهِيَ شَرْطٌ فِي قَوْلِهِ: اتَّقُوا اللَّهَ.**

٩- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾** أَنَّ وَقْعَ الشَّيْءِ يُعْطَى يَقِينًا أَكْثَرَ مِنَ الْخَبَرِ بِهِ.

١٠- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾** أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مُفْتَقِرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى عَطَائِهِ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَإِنَّهُمْ جَمِيعًا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَأْتُوا بِكُلِّ مَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ، وَأَنْتُمْ كغَيْرِهِمْ؛ مُفْتَقِرُونَ إِلَى اللَّهِ، يَسْأَلُونَهُ وَيَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، فَعِيسَى **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** يُنَادِي: يَا اللَّهُ، يَا رَبَّنَا، إِنِّي أَدْعُوكَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ، تَعْمُنَا بِالْخَيْرِ وَالْفَرَحَةِ كَالْعِيدِ، فَتَكُونَ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَآخِرِنَا، وَأَنْ هَذَا مِنْ رِزْقِكَ، فَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ؛ فَهُوَ إِذَنْ يَعْرِفُ أَنَّهُ عَبْدٌ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ، وَيَنْبِي عَلَى هَذِهِ الْفَائِدَةِ بِطَلَانِ دَعْوَى النَّصَارَى: أَنَّهُ إِلَهُهُمْ.

١١- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَعَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** سَأَلَ عِيسَى **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** نَزْوَلَهَا وَأَنْ تَكُونَ لَهَا تَيْنِ الْمَصْلِحَتَيْنِ: مَصْلِحَةِ الدِّينِ، بِأَنْ تَكُونَ آيَةً، وَمَصْلِحَةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ أَنْ تَكُونَ رِزْقًا

١٢- أَنَّ مَا جَاءَ عَلَى خِلَافِ الْمَعْهُودِ وَكَانَ خَارِقًا لِلْعَادَةِ فَهُوَ آيَةٌ؛ لِقَوْلِهِ: **وَآيَةٌ مِنْكَ وَجْهٌ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُعْهَدَ أَنَّ الْمَائِدَةَ تَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ عِيَانًا**

يُشَاهِدُهَا النَّاسُ، فَيَكُونُ نَزْوُلُهَا- وَلَا سِيَّمَا أَنَّهُ بَطَلَبٌ بَعْدَ اقْتِرَاحِ- آيَةٍ
وَدَلِيلًا عَلَى صِدْقِ مَنْ تَكَلَّمَ بِالرَّسَالَةِ.

١٣- في قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ إطلاَقُ الرِّزْقِ
عَلَى غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ نَصِفَ غَيْرَ اللَّهِ بِأَنَّهُ رَازِقٌ؛
لَأَنَّ الرِّزْقَ بِمَعْنَى: الْعَطَاءِ، وَلَكِنَّ الرِّزْقَ الْأَكْمَلَ وَالْأَوْفَى هُوَ رِزْقُ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

١٤- إثباتُ الكلامِ لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لِقَوْلِهِ: قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ،
وَأَنَّ كَلَامَهُ تَعَالَى بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ قَوْلًا وَصَلَّ إِلَيْهِ، وَلَا
يُمْكِنُ أَنْ يَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِصَوْتٍ، وَأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحَرْفٍ، بَل
بِحُرُوفٍ مُتَتَابِعَةٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ وَهَذِهِ حُرُوفٌ
مُتَتَابِعَةٌ لَا إِشْكَالَ فِيهَا.

١٥- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ خَطَرُ طَلَبِ الْآيَاتِ
مِنَ الْأُمَّمِ، وَأَنَّهُ إِذَا جَاءَتِ الْآيَاتُ الْمَطْلُوبَةُ فَقَدْ عَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْهَلَاكِ،
فَفِيهِ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ مِنَ اللَّهِ بِهَلَاكِ مَنْ يَكْذِبُ بَعْدَ الْمَعْجِزَةِ؛ حَتَّى لَا يُصْبِحَ
طَلَبُ الْخَوَارِقِ تَسْلِيَةً وَلَهُوًّا، وَحَتَّى لَا يَمْضِيَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَعْدَ الْبِرْهَانِ
الْمَفْجَمِ دُونَ جِزَاءٍ رَادِعٍ، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ مَتَى طَلَبَتِ الْأُمَّةُ
آيَةً مَعِينَةً وَحَصَلَتْ لَهُمْ؛ حَقٌّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَفِيهِ أَمٌّ زَاجِرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ
عَنْ اقْتِرَاحِ الْآيَاتِ.

١٦- قَوْلُهُ تَعَالَى: فَمَنْ يَكْفُرْ فِيهِ تَحْذِيرٌ لَهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ؛ إِعْلَامًا بِأَهْمِيَّةِ الْإِيمَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَعَلَ جِزَاءَ إِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَّا يَعُودُوا إِلَى الْكُفْرِ؛ فَإِنْ عَادُوا عُدُّوا عَذَابًا أَشَدَّ مِنْ عَذَابِ سَائِرِ الْكُفَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ تَعَاصَدَ لَدَيْهِمْ دَلِيلُ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ عُدْرٌ.

١٧- إِثْبَاتُ أَنَّ الْعَذَابَ لَهُ أَعْلَىٰ وَلَهُ أَدْنَىٰ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَاتَىٰ أَعْدَابُهُ عَذَابًا لَا أَأَعْدَابُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْعَذَابَ يَتَفَاوَتُ مِنْ شَخْصٍ لِآخَرَ، وَتَفَاوَتُ الْعَذَابِ أَسْبَابُهُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: قَلَّةُ الدَّاعِي إِلَى الذَّنْبِ؛ فَإِنَّ قَلَّةَ الدَّاعِي إِلَى الذَّنْبِ تُوجِبُ شِدَّةَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ، وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ - فِي رِوَايَةٍ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخُ زَانَ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ))

١٨- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَاتَىٰ أَعْدَابُهُ عَذَابًا لَا أَأَعْدَابُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أَنَّ كُفْرًا مَنْ رَأَى الْآيَاتِ لَيْسَ كَكُفْرِ مَنْ لَمْ يَرَوْهَا؛ فَالْأَوَّلُ أَعْظَمُ، أَي: مَنْ رَأَى الْآيَاتِ؛ لِأَنَّ مَنْ رَأَى الْآيَاتِ فَقَدْ رَأَى عَيْنَ الْيَقِينِ، وَمَنْ نَقِلَتْ إِلَيْهِ فَقَدْ عَلِمَهَا عِلْمَ الْيَقِينِ، أَي: بِوَأَسْطَةٍ.

المسألة السابعة: بلاغة الآيات.

١- قَوْلُهُ: ﴿أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ فِي إِيرَادِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعُنْوَانِ الرِّسَالَةِ وَبِرَسُولِي تَنْبِيهُ عَلَىٰ كَيْفِيَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: آمَنُوا بِوَحْدَانِيَّتِي فِي الْأَلُوْهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَبِرِسَالَةِ رَسُولِي، وَلَا تَزِيلُوهُ عَنْ حَيْزِهِ حِطًّا وَلَا رَفْعًا، مَعَ مَا فِي الْإِضَافَةِ مِنَ التَّشْرِيفِ لَهُ.

٢- قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من سَوِّقِ الكلام، كأنَّه قيل: فماذا قالوا حين أُوحِيَ إليهم ذلك؟ فقيل: قالوا: آمناً....

- وفيه مناسبةٌ حسنَةٌ، حيث ثبتت النون في آية المائدة هنا في قوله: بِأَنَّا، وحُذفت من بِأَنَّا في آية آلِ عمران في قوله: ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]؛ تخفيفاً، وكلاهما جائز، والإثبات هو الأصل، ووجهُ تخصيصِ كُلِّ من الموضعين بما ورد فيه: أن آية المائدة لَمَّا ورد فيها التفصيلُ فيما يجبُ الإيمانُ به، وذلك قوله: ﴿أَن آمَنُوا بِى وَبِرَسُولِى﴾ فجاء على أتمِّ عبارةٍ في المطلوب وأوفاهما، ناسب ذلك ورود أُنَّا على أوفى الحالين، وهو الورد على الأصل. وقيل: لَمَّا كان الإيمانُ باطنًا فلا بدَّ في إثباته من دليلٍ ظاهر، وكان في سياقِ عِدِّ النعم، والطواعيةِ لوحى الملك الأعظم دُلُّوا عليه بتمام الانقياد، ناسبَ المقامُ زيادةَ التأكيدِ بإثبات النون الثالثة في قولهم: وَأَشْهَدُ بِأَنَّا بخلاف آلِ عمران.

- وأيضًا قال تعالى في آلِ عمران: ﴿إِنَّمَا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾... [آلِ عمران: ٥٢]، وقال هنا في المائدة: ﴿إِنَّمَا وَأَشْهَدُ﴾... [المائدة: ١١١] دون قوله: بِاللَّهِ؛ لأنَّه لَمَّا لم يقعَ إفصاحٌ بهذا التفصيل في آية آلِ عمران؛ حيث قال: قَالَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ، فلم يقع فيها (وَبِرَسُولِهِ)؛ إيجازًا للعلم به وشهادةِ السِّياق، ولأنَّه تقدَّم ذكرُ الله فقط في آلِ عمران، وهنا في المائدة جاء قَالُوا آمَنَّا فلم يَتَّقِدْ بلفظ الجلالة؛ إذ قد تقدَّم وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَن آمَنُوا بِى وَبِرَسُولِى؛ فناسب ما

في آل عمران الإيجاز، كما ناسب الإتمام في آية المائدة الإتمام، وجاء كلُّ على ما يجب، ولو قُدِّر ورودُ العكسِ لَمَا ناسب، والله سبحانه أعلم بما أراد.

٣- قَوْلُهُ: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ...﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ لِبَيَانِ بعضِ ما جرى بين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، وهو منقطعٌ عمَّا قبله بدليل الإظهارِ في موقعِ الإضمارِ - حيث قال: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ، ولم يقل: (قالوا) وإذ منصوبةٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ، تقديره: اذْكَرُ، وخُوطِبَ به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطريقِ تلوينِ الخطابِ والالتفاتِ.

- وابتدأَ الحواريُّونَ خطابَهم عيسىٰ بنَدائِهِ باسمِهِ؛ للدلالة على أن ما سيقولونه أمرٌ فيه اقتراحٌ وكُلْفَةٌ له، وكذلك شأنُ مَنْ يُخاطَبُ مَنْ يَتَجَشَّمُ منه كُلْفَةً أَنْ يُطِيلَ خِطَابَهُ؛ طلبًا لإقبالِ سَمْعِهِ إليه؛ ليكون أوعى للمقصودِ.

٤- قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ فِيهِ: تقديمُ الظرفِ عَلَيْنَا على المفعولِ: مَائِدَةً للاهتمامِ بالمقدمِ، والتشويقِ إلى المؤخرِ.

- وأسندَ ذلك إلى المائدةِ في قَوْلِهِ: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ لِأَنَّ شَرَفَ اليومِ مُسْتَعَارٌ مِنْ شَرَفِهَا .

٥- قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ تذييلٌ جارٍ مجرئ التعليلِ، أي: خَيْرٌ مَنْ يَرْزُقُ؛ لِأَنَّهُ خَالَقُ الْأَرْزَاقِ، وَمُعْطِيهَا بِلَا عَوْضٍ.

٦ - قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ التَّعْبِيرُ عَنِ الْجَوَابِ بِصِيغَةِ التَّفْعِيلِ مُنَزَّلُهَا، الْمُتَنَبِّئَةُ عَنِ التَّكْثِيرِ، مَعَ كَوْنِ الدُّعَاءِ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصِيغَةِ الْإِفْعَالِ أَنْزَلَ؛ لِإِظْهَارِ كِمَالِ اللَّطْفِ وَالْإِحْسَانِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مَرَاعَاةٍ مَا وَقَعَ فِي عِبَارَةِ السَّائِلِينَ يُنَزَّلُ.

- وَفِي تَصْدِيرِ الْجُمْلَةِ بِكَلِمَةِ التَّحْقِيقِ (إِنَّ) وَجَعَلَ خَبْرَهَا اسْمًا (مُنَزَّلٌ) تَحْقِيقٌ لِلوَعْدِ، وَإِذَانٌ بِأَنَّهُ تَعَالَى مُنَجِّزٌ لَهُ لَا مُحَالَةَ، مِنْ غَيْرِ صَارِفٍ يُثْنِيهِ، وَلَا مَانِعٍ يُلْوِيهِ.

المطلب السابع: قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ لِدِينِهِ وَفِي قِرَاءَةِ الْإِضَافَةِ ﴿كَمَا قَالَ﴾ الْخِ الْمَعْنَى: كَمَا كَانَ الْحَوَارِيُّونَ كَذَلِكَ الدَّالُّ عَلَيْهِ قَالَ ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَي مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ يَكُونُونَ مَعِيَ مَتَوَجِّهًا إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ وَالْحَوَارِيُّونَ أَصْفِيَاءُ عِيسَى وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْحُورِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الْخَالِصُ وَقِيلَ كَانُوا قِصَارِينَ يَحُورُونَ الثِّيَابَ، أَي يَبِيضُونَهَا.

﴿فَتَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بِعِيسَى وَقَالُوا إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ.

﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ لِقَوْلِهِمْ إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ رَفَعَهُ إِلَيْهِ فَاقْتَتَلَتِ الطَّائِفَتَانِ.

﴿فَأَيَّدَنَا﴾ قوينا.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الطائفتين.

﴿عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ﴾ الطائفة الكافرة.

﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ غالبين.

التفسير الميسر للآية:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا أنصاراً لدين الله، كما كان أصفياء عيسى أنصاراً لدين الله حين قال لهم عيسى: مَنْ يتولّى منكم نصري وإعانتى فيما يُتَقَرَّبُ إلى الله؟ قالوا: نحن أنصار دين الله، فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضلّت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا بالله ورسوله، ونصرناهم على مَنْ عاداهم من فرق النصارى، فأصبحوا ظاهرين عليهم؛ وذلك ببعثة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المطلب الثامن: أسماء حوارى عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومما يجدر ذكره أنهم يسمونهم في كتبهم بالرسل.

أسماء الحواريين حسب ذكرهم في الأنجيل المسمى بالقانونية

الأربعة:

أندراوس: صياد من بيت صيدا في الجليل وهو أول رسول دعاه

يسوع وكان قبل ذلك تلميذ ليوحنا المعمدان.

سمعان بطرس: أخو أندراوس وهو صياد من بيت صيدا في الجليل.

فيلبس: صياد من بيت صيدا في الجليل

يعقوب بن زبدي: صياد من بيت صيدا في الجليل

يوحنا بن زبدي: صياد وهو الملقب بإبن الرعد وأخو يعقوب.

برثولماوس أو نشائيل: صياد هو صديق فيلبس وأكيد برثولماوس

كان يعمل مثل فيلبس صياد

يعقوب بن حلفى: (يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ)

يهوذا لبّاوس الملقب تداوس: أخو يعقوب بن حلفى وذكر اسمه

كيهوذا بن حلفى في بعض آيات الإنجيل وهو ليس يهوذا الإسخريوطى.

متى العشار: من كفر ناحوم في الجليل وكان عشار يجمع الجباية.

توما: كان يقال له التّوأم أيضًا حيث أن اسمه مشتق الاسم الآرامى

«توماس» الذي يعنى التّوأم.

سمعان القانوني: ويلقب أيضًا بسمعان الغيور

يهوذا الإسخريوطي: الذي باع يسوع بثلاثين من الفضة. تم

استبداله بماتياس بعد موته منتحرًا، والصواب أنه تم صلبه ظنًا منهم أنه

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(متى ٤: ٢١-٢٢) «ثُمَّ اجْتَاَزَ مِنْ هُنَاكَ فَرَأَى آخَوَيْنِ آخَرَيْنِ:

يَعْقُوبَ بَنَ زَبْدِيِّ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ، فِي السَّفِينَةِ مَعَ زَبْدِيِّ أَبِيهِمَا يُصَلِحَانِ

شِبَاكَهُمَا، فَدَعَاهُمَا. فَلِلْوَقْتِ تَرَكََا السَّفِينَةَ وَآبَاهُمَا وَتَبِعَاهُ»

تُومًا و سِمْعَانَ بُطْرُسُ و (بَرْتُولِمَاوُسُ / ثَثْنَائِيلُ) و ابْنَا زَبْدِي
(يَعْقُوبُ و يُوحَنَّا) كلهم كانوا يصطادون السمك و هذا معناة إنهم كانوا
يعملون صيادين سمك.

(يوحنا ٢١: ٢-٣) «كَانَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ، وَ تُوْمَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ
التَّوْمُ، وَ ثَثْنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ، وَ ابْنَا زَبْدِي، وَ اثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ
تَلَامِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ» قَالَ لَهُمْ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لِأَتَصَيِّدَ». قَالُوا
لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيضًا مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَ دَخَلُوا السَّفِينَةَ لِلوَقْتِ. وَ فِي
تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُمَسِّكُوا شَيْئًا»

(مرقس ٦: ٣) «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَ أَخُو يَعْقُوبَ وَ
يُوسِي وَ يَهُوذَا وَ سَمْعَانَ؟ أَوْ لَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ هَهُنَا عِنْدَنَا؟»

بحسب التقليد الكنسي فإن جميع الرسل الاثني عشر استشهدوا
في سبيل إيمانهم بالمسيح وهناك روايات تتحدث عن أن يوحنا بن زبدي
كان الرسول الوحيد الذي مات موتاً طبيعياً بعد الشيخوخة.

المطلب التاسع: مجمل عقيدة المسلمين في عيسى

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عقيدة المسلمين- وهي الحق الذي لا مرية فيه- في المسيح
عَلَيْهِ السَّلَامُ- تتلخص فيما يلي:

١- أنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، قال
الله تعالى: ﴿يَا هَلْ أَلْكُتَبِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ

إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴿ [النساء: ١٧١]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»^(١).

فقوله: عبد الله: رد على الغالين، وقوله: ورسوله: رد على الجافين، ومعنى: كلمته: أي: كن؛ فعيسى خلق بكن، وليس هو كن. وقوله: وكلمته، وروح منه. ليس معنى ذلك أنه جزء من الله؛ لأن ما أضيف إلى الله أو جاء بلفظ: منه. فإنه على وجهين:

أ- إن كان عيناً قائمة بنفسها فهو مملوك له، والإضافة من باب إضافة الشيء إلى مالكة أو المخلوق إلى خالقه، وقد تقتضي تلك الإضافة تشريفاً كناية الله، ورسول الله، وبيت الله، وكليم الله، وقد لا تقتضي تشريفاً مثل أرض الله، وسماء الله.

ب- وإن كان المضاف إلى الله عيناً غير قائمة بنفسها فهي صفة من صفات الله مثل: سمع الله، يد الله، كلام الله. وقوله: منه: أي: مخلوقة منه صادرة من عنده.

٢- أنه ولد من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٣- أنه أحد أولي العزم من الرسل، قال الله عزَّجَل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

٤- أنه عبد ليس له من خصائص الربوبية والألوهية شيء: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

٥- أن الله أظهر على يديه المعجزات والآيات، كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، وكلامه وهو في المهد صبيًا.

٦- أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ودعاهم إلى العقيدة الصحيحة، والأخلاق القويمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

٧- أنه بشر بنبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَشَرًا رَسُولٍ بَاقِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

٨- أنه ليس بينه وبين محمد- عليهما الصلاة والسلام- نبي؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

٩- أنه لم يصلب ولم يقتل، بل رفعه الله إليه، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وكما قال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ هُمُ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [١٥٧] بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

١٠- أنه يَنْزِلُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِيحْكُمُ بِشَرِيعةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وينتقم من مسيح
الضلالة، ثم يموت في الأرض، ويدفن فيها، ويخرج منها كما يخرج
سائر بني آدم؛ لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

هذه هي عقيدة المسلمين في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي العقيدة
الصحيحة؛ فمن خالفها فقد شاق الله ورسوله، واتبع غير سبيل المؤمنين،
قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾
مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿﴾
[مريم: ٣٤، ٣٥].





الفصل الثالث

صفات عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وشمائله وخصائصه

وفيه أربعة مباحث:

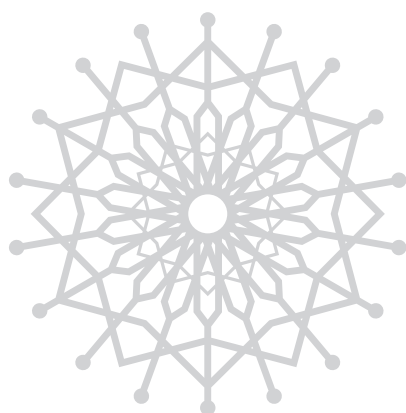
المبحث الأول: وصف عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

المبحث الثاني: خصائصه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الثالث: بعض شمائل المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الرابع: بشريته وأنه من جنس البشر.





المبحث الأول:

وصف عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ



المطلب الأول: صفته في القرآن الكريم.

وصف الله عزَّجَلَّ عيسى ابن مريم في القرآن الكريم بالعديد من الصفات والأسماء والألقاب الكريمة وهي:

١- ابن مريم: ينسبه القرآن إلى أمه تشريفًا له ولها حيث يشهد القرآن بميلاده من دون أب قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (سورة مريم: ٣٤).

٢- الغلام الزكي: قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (سورة مريم: ١٩).

٣- المبارك: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ (سورة مريم: ٣١).

٤- المثل الأعلى: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الزخرف: ٥٩).

٥- وجيهاً في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (سورة آل عمران: ٤٥).

٦- رحمة من الله: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ (سورة مريم: ٢١).

٧- علم للساعة: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّعِظُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (سورة الزخرف: ٦١)

٨- آية للعالمين : قال تعالى: ﴿ فَفَخَنَكَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٦١)

٩- قول الحق : قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (سورة مريم: ٣٤)

١٠- كلمة الله : قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ (سورة النساء: ١٧١)

١١- روح من الله : قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (سورة النساء: ١٧١)

١٢- النبي : قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (سورة مريم: ٣٠)

١٣- وسماه المسيح عيسى ابن مريم: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (سورة النساء: ١٧١).

و قوله تعالى: ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٦)، فقد جعل سبحانه رسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذا وجهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما أوحاه إليه من الشريعة، وبما أنزله عليه من الكتاب، وغير ذلك مما امتن به عليه، وجعله يوم القيامة شفيحاً عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه.

وجعله سبحانه داعياً إلى عبادة الله وحده لا شريك له، في حال صغره، معجزة وآية، وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه بذلك، وجعله فوق ذلك ذا علم صحيح، وعمل صالح.

المطلب الثاني: صفة عيسى عليه السلام في السنة.

وقد وصفه لنا نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه أحمد بإسنادٍ صحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الأنبياء إخوة لِعَالَتٍ: دينهم واحد، وأمّهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، بين ممصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويعطل الملل، حتى تهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعاً، والثمور مع البقر، والدئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضاً، فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى فيصلِّي عليه المسلمون ويدفونوه»^(١).

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وأراني الليلة عند الكعبة في المنام: فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب ليمته بين منكبَيْه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماءً، واضعاً يديه على

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة (١٥/٣٩٨).

مَنْكِبِي رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ (١).

(آدم) بِالْمَدِّ أَيُّ أَسْمَرَ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّهُ مَقَارِبُ لَهَا، وَذَلِكَ لَمَّا
جَاءَ فِي وَصْفِهِ فِي أَحَادِيثٍ أُخْرَى أَنَّهُ لَوْنُهُ (إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ).
(كَأَحْسَنَ مَا يَرَى) فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ عَنِ نَافِعِ الْآتِيَةِ فِي كِتَابِ اللَّبَاسِ
«كَأَحْسَنَ مَا أَنْتَ رَائِي».

(تَضْرِبُ لِمَتَهُ) بِكَسْرِ اللَّامِ أَيُّ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَيُقَالُ لَهُ إِذَا جَاوَزَ
شَحْمَةَ الْأُذُنَيْنِ وَالْمَمَّ بِالْمَنْكِبَيْنِ لِمَتِهِ، وَإِذَا جَاوَزَتْ الْمَنْكِبَيْنِ فَهِيَ جُمَّةٌ
وَإِذَا قَصُرَتْ عَنْهُمَا فَهِيَ وَفْرَةٌ.

(رَجُلِ الشَّعْرِ) بِكَسْرِ الْجِيمِ أَيُّ قَدْ سَرَّحَهُ وَدَهَنَهُ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي
مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى
ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَرْبُوعًا الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبَطَ الرَّأْسِ (٢).

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ: وَقَالَ عَيْسَى: جَعْدٌ مَرْبُوعٌ.

(جَعْدٌ) وَوَقَعَ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ فِي صِفَتِهِ (سَبَطَ الرَّأْسِ) فَقَالَ
الْعُلَمَاءُ: الْمُرَادُ بِالْجَعْدِ هُنَا جُعُودَةُ الْجِسْمِ وَهُوَ اجْتِمَاعُهُ وَاكْتِنَازُهُ وَكَيْسَ
الْمُرَادُ جُعُودَةُ الشَّعْرِ.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٠).

(٢) مسند أحمد (٧٧/٤).

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الشَّعْرُ السَّبِطُ هُوَ الْمُسْتَرِيسِلُ لَيْسَ فِيهِ تَكَشُّرٌ
(مَرْبُوعٌ) فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ هُوَ الرَّجُلُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فِي الْقَامَةِ لَيْسَ
بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَأَيْتُ عَيْسَى ابْنَ
مَرْيَمَ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عَيْسَى: فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا
مُوسَى فَإِنَّهُ جَسِيمٌ، قَالُوا لَهُ: فَإِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ: انظُرُوا إِلَيَّ صَاحِبِكُمْ، يَعْنِي
نَفْسَهُ^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ،
أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلًا مَرْبُوعًا
إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ
يُصِبْهُ بَلَلٌ^(٢).

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا
مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبَ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا عُرْوَةَ بِنْتُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ

(١) مسند أحمد (٤/ ٤٣١).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن
أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،
د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (١٥/ ١٥٥).

صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبِكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ،
وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَخِيَّةً^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْلَةَ
أُسْرِي بِي رَأَيْتُ مُوسَى وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبُ رَجُلٍ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَوْءَاءَ،
وَرَأَيْتُ عِيسَى فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رُبْعَةٌ أَحْمَرٌ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ^(٢)

قَوْلُهُ فِي صِفَةِ عِيسَى: (رُبْعَةٌ) وَهُوَ الْمَرْبُوعُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَيْسَ
بِطَوِيلٍ جِدًّا وَلَا قَصِيرٍ جِدًّا بَلْ وَسَطٌ.

(مِنْ دِيمَاسٍ) يَعْنِي الْحَمَّامَ، الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ وَصْفُهُ بِصَفَاءِ اللَّوْنِ
وَنَضَارَةِ الْجِسْمِ وَكَثْرَةِ مَاءِ الْوَجْهِ حَتَّى كَأَنَّهُ كَانَ فِي مَوْضِعٍ كِنَ فَخَرَجَ مِنْهُ
وَهُوَ عَرْقَانٌ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ آدَمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ
أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ « يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَإِنْ لَمْ يُصْبَهُ بَلَّلَ » وَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

المطلب الثالث: مشابهة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للصحابي عروة بن

مسعود.

وهذه من الفضائل التي اختص بها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أُمَّةَ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأكرم بها الله تعالى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

فمن هذه الكرامات والفضائل: مشابهة عروة بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧١)، (١٥٣/١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٩٤)، (١٥٢/٤).

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ وَرَأَيْتُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجْرِ وَقُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ، وَإِذَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهَا عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهَ النَّاسَ بِهِ صَاحِبُكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ، قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ.

المطلب الرابع: مشابهة أبي ذر الغفاري لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي

زهده وتواضعه.

كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرغم مما آتاه الله من الآيات والمعجزات متواضعًا لله تعالى، مع ما آتاه الله من صدق اللسان، وقد شبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزهده وتواضعه أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومما لا شك فيه أن زهد الأنبياء وتواضعهم أعظم، ولكن هذا ما ورد وصح عندنا من وصف عيسى بالزهد والتواضع، ولا يمنع تشبيه الأصحاب بالأنبياء وإن كان

الأنبياء أعلى في المنزلة والدرجة، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجعفر بن أبي طالب: أشبهت خلقي وخلقي^(١).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَظَلَّتْ الْخَضِرَاءُ وَلَا أَقَلَّتْ الْغُبَرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شِبْهِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَالْحَاسِدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ فَأَعْرِفُوهُ لَهُ وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: أَبُو ذَرٍّ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ بِزُهْدِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢)

عن أبي هريرة قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ إِلَى تَوَاضَعِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ أَبِي ذَرٍّ^(٣)

قَالَ الْمَنَاوِيُّ فِي سَرِّهِ قَوْلُهُ: فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ أَبِي ذَرٍّ، فَإِنَّهُ فِي مَزِيدِ التَّوَاضَعِ وَلِيَنِ الْجَانِبِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ يَقْرُبُ مِنْهُ^(٤)

(١) صحيح البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة) عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، رواه برقم ٢٦٩٩).

(٢) سنن الترمذي، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، وقال حسن غريب (١٤٦/٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي (٩٧١/٢).

(٣) سنن الترمذي، وقال حسن غريب (١٤٦/٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي (٩٧١/٢).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: =

قَالَ الْقَارِي: وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعًا وَزَاهِدًا بَلْ الزُّهْدُ هُوَ
الْمُوجِبُ لِلتَّوَاضُعِ^(١).

المطلب الخامس: تنتمه صفة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

روى الإمام أحمد وابن جرير في تفسير قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
صفة عيسى قال: فإنه رجل مربع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط
الشعر، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل.^(٢)

وورد في حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة الدجال ونزول
عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين^(٣) واضعاً كفيه على
أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ،
فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

= ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م (٤٢٣/٢).

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد
الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية - بيروت
(٢٠٦/١٠).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل مؤسسة الرسالة (٣٩٨/١٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد
بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى:
٦٠٦هـ) المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م طاهر أحمد الزاوي
- محمود محمد الطناح، (٢٥٨/٥).

«أَنَّهُ يَنْزِلُ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ» أَي فِي سُفَّتَيْنِ، أَوْ حُلَّتَيْنِ. وَقِيلَ: الثُّوبُ الْمَهْرُودُ: الَّذِي يُصْبَغُ بِالْوَرَسِ ثُمَّ بِالزَّرْعَرَانِ فَيَجِيءُ لَوْنُهُ مِثْلَ لَوْنِ زَهْرَةِ الْحَوْدَانَةِ.

قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: هُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّقْلَةِ، وَأَرَاهُ: «مَهْرُودَتَيْنِ»: أَي صَفْرَاوَيْنِ. يُقَالُ: هَرَيْتُ الْعِمَامَةَ إِذَا لَبَسْتَهَا صَفْرَاءً. وَكَأَنَّ فَعَلْتُ مِنْهُ: هَرَوْتُ، فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا بِالذَّلَالِ فَهُوَ مِنَ الْهَرْدِ: الشَّقُّ، وَخَطِيءُ ابْنِ قَتِيْبَةَ فِي اسْتِدْرَاكِهِ وَاسْتِثْقَاةِ.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْقَوْلُ عِنْدَنَا فِي الْحَدِيثِ «بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ» يُرْوَى بِالذَّلَالِ وَالذَّلَالِ: أَي بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، عَلَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، وَلَمْ نَسْمَعْهُ إِلَّا فِيهِ. وَكَذَلِكَ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ لَمْ تُسْمَعْ إِلَّا فِي الْحَدِيثِ. وَالْمُمَصَّرَةُ مِنَ الثِّيَابِ: الَّتِي فِيهَا صُفْرَةٌ خَفِيفَةٌ. وَقِيلَ: الْمَهْرُودُ: الثُّوبُ الَّذِي يُصْبَغُ بِالْعُرُوقِ، وَالْعُرُوقُ يُقَالُ لَهَا: الْهَرْدُ^(١).

وفي حديث الإسراء عن أبي هريرة مرفوعاً: ولقيت عيسى ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام^(٢) متفق عليه.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناح، (٢٥٨/٥).

(٢) صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: =

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأيت عيسى و موسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، إلخ. (١)

وعن نافع عن عبد الله وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال، تضرب لمتة بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح بن مريم، أخرجه البخاري و مسلم ولفظه: بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادئ بين رجلين ينطف رأسه ماء.

وفي حديث الإسراء، عن ابن عباس مرفوعاً وهو عند أحمد في المسند: رأيت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أبيض جعد الرأس، حديد البصر، ومبطن الخلق.

وفي رواية البيهقي: فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الحُمْرَةِ والبياض (٢).

وفي حديث أبي هريرة الطويل عند ابن جرير في أول سورة الإسراء

= ٢٦١هـ) محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت (٢٢٥٠/٤).

(١) صحيح البخاري - برقم (٣٢٥٥).

(٢) البعث والنشور، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ، (١/١٨١).

وفيه قال: ودخل فإذا هو بشابين فقال يا جبريل: من هذان الشابان؟ فقال: هذا عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا أبناء الخالة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مساري، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائم يصلي، أقرب الناس شبهاً به عروة بن مسعود الثقفي.

وروى الطبراني عن أم هانئ في حديث الإسراء: وأراني عيسى ابن مريم ربعة أبيض يضرب إلى الحمرة، شبهته بعروة بن مسعود الثقفي^(١).

ومن هذه الروايات جميعاً يُعرف وصف عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي دلنا عليه القرآن الكريم وأثبتته لنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعل في ذلك من الحكم العظيمة، حتى تتعرف عليه أمته في آخر الزمان عندما ينزل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي ذلك من الحكم التفريق بينه وبين الأعداء الذين يكثرون في آخر الزمان، وفيه محبة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّته وأنه ما ترك خيراً إلا ودلنا عليه وما علم شراً إلا وحذرنا منه عليه صلاة ربي وسلامه.

(١) المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية - القاهرة، (٢٤/٤٣٢).

المبحث الثاني:

خصائصه عَلَيْهِ السَّلَامُ.



المطلب الأول: تسميته عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمسيح.

قال الله تعالى: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة)

قيل: سمى المسيح لمسحه الأرض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان، لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وقيل لأنه كان ممسوح القدمين.

قال الطبري: وأما المسيح، فإنه فعيل، صرف من مفعول إلى فعيل، وإنما هو ممسوح، يعني: مسحه الله فطهره من الذنوب، ولذلك قال إبراهيم: المسيح الصديق.

وقال آخرون: مسح بالبركة.

قال: قال سعيد: إنما سمي المسيح، لأنه مسح بالبركة^(١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (٦/٤١٤).

قال ابن كثير: وسمي المسيح قال بعض السلف: لكثرة سياحته وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى^(١).

قال الحافظ في الفتح: عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: الْمَسِيحُ الصِّدِّيقُ^(٢). قَالَ الطَّبْرِيُّ: مُرَادُ إِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مَسَحَهُ فَطَهَّرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ. قُلْتُ: وَهَذَا بِخِلَافِ تَسْمِيَةِ الدَّجَالِ الْمَسِيحِ فَإِنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ يُقَالُ إِنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ يَمْسَحُ الْأَرْضَ وَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ فَهُوَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ.

قِيلَ فِي الْمَسِيحِ عَيْسَى أَيْضًا: أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ مَسَحَ الْأَرْضَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ.

وَيُقَالُ سُمِّيَ بِذَلِكَ: لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَمْسَحُ ذَا عَاهَةٍ إِلَّا بَرِيءًا.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ مَسَحَ بَدْنَهُ الْبَرَكَهَ مَسَحَهُ زَكْرِيَّا وَقِيلَ: يَحْيَى.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ مَمْسُوحَ الْأَخْمَصِينَ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ جَمِيلًا يُقَالُ: مَسَحَهُ اللَّهُ أَيَّ خَلَقَهُ خَلْقًا حَسَنًا

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، (٤١٤/٦).

(٢) فتح الباري ابن حجر العسقلاني دار المعرفة بيروت، طبعه: محب الدين الخطيب (٤٧٢/٦).

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ بِهِ مَسْحَةٌ مِنْ جَمَالٍ وَأَعْرَبَ الدَّأُودِيُّ فَقَالَ: لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
الْمُسُوحَ (١). ١.١. هـ

ويقال لسيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذو النخلة وذلك لولادته تحتها،
قال في القاموس المحيط وذو النخلة: الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

المطلب الثاني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آية عظيمة من آيات الله تعالى.

قال ابن إسحاق: ثم قال: إن هو أي: عيسى إلا عبد أنعمنا عليه
أي: بنبوتنا وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل أي: دليلاً على تمام قدرتنا على
ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى
وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى
كما قال في الآية الأخرى ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: أمانة ودليلاً
على قدرتنا الباهرة ورحمة منا نرحم بها من نشاء (٢).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: وكان عيسى يرى العجائب في صباه
إلهاما من الله، ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى، فهتمت به بنو إسرائيل،
فخافت أمه عليه، فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى أرض مصر.

وقال إسحق بن بشر: قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه قال:
إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة
الرسالة، الطبعة: الأولى، (٦/٤١٤).

(٢) فهؤلاء ثلاثة تكلموا في المههد

مصر إلى بيت إيليا قال فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الانجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الاسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدمه وفزعوا لما كان يأتي من العجائب، فجعلوا يعجبون منه فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره (١).

المطلب الثالث: كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَهْدِ.

وردت هذه المعجزة في ثلاثة مواضع من التنزيل وكان التنزيل يؤكدها عن طريق التكرار:

١- ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّبِيِّنَ ﴾ آل عمران: ٤٦.

٢- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ المائدة: ١١٠

٣- قال تعالى: ﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ

شَيْءًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَأْتَاخْت هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾

(١) قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة دار التأليف - القاهرة (٢/٤١٦).

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
 ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
 وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
 وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ سورة مريم ٢٧-٣٤.

فكان أول ما تكلم به عَلَيْهِ السَّلَامُ العبودية لله تعالى، وأنه عبد لله ليس
 بابن له ولا إله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ
 إِلَّا ثَلَاثَةً عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي
 جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أُحْيِيهَا أَوْ أُصَلِّي فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ
 وَجُوهَ الْمُؤْمِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ
 فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ
 فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ
 أَبُوكَ يَا غُلَامُ قَالَ الرَّاعِي قَالُوا بَنِي صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ
 طِينٍ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو
 شَارَةٍ فَقَالَتِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ نَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ
 اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَدْيِهَا يَمِصُّهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ
 إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مَرَّ بِأَمَةٍ فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ

ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ فَتَرَكَ نَدْبَهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَقَالَتْ لِمَ ذَاكَ فَقَالَ الرَّاِكِبُ جَبَّارًا مِنْ الْجَبَابِرَةِ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ يَقُولُونَ سَرَقْتِ زَيْنَتِ وَكَمْ تَفْعَلُ^(١).

المطلب الرابع: مسألة مفهوم العدد ثلاثة.

هل مفهوم العدد ثلاثة هنا مقصود به الحصر أم أنه للتنبية الى شريف قصتهم؟، وأنه كحديث العشرة المبشرين بالجنة مع أن من بشر بالجنة أكثر من عشرة، فقد وردت نصوص أخرى تفيد أن من تكلم في المهد أكثر من ثلاثة؟

حديث أبي هريرة الطويل، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج^(٢)

وذكر عيسى، وصاحب جريج، وكذلك الرجل الفارس الذي مر بامرأة ومعها صبي ترضعه، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك الثدي، وقال: اللهم لا تجعلني مثله.

هؤلاء هم الثلاثة، لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى، وصاحب جريج، وهذا الغلام. وصح عند الإمام أحمد، والحديث أصله في صحيح مسلم لكن من غير هذه الزيادة: في خبر أصحاب الأخدود، وفيه أن امرأة

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها [مريم: ١٦] [٤ / ١٦٥]، رقم: (٣٤٣٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها [٤ / ١٩٧٦]، رقم: (٢٥٥٠).

لما جيء بها لتلقي بنفسها في النار، ترددت وتلكأت، وهي تحمل صبياً، فقال لها: يا أماء، اصبري، فإنك على الحق.

هذه الزيادة ليست في صحيح مسلم، ولكن الحديث في صحيح مسلم، وهي زيادة ثابتة في مسند الإمام أحمد، وعلى هذا صاروا أربعة.

وكذلك أيضاً ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ﴾ يوسف: ٢٦.

وأوصله بعضهم إلى أربعة عشر، ولكنه لا يثبت في الزيادة على هؤلاء الثلاثة إلا هذا فقط الذي ذكرته عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وأصله في صحيح مسلم.

وأما شاهد يوسف فلا يصح أنه كان صبياً في المهد، بل جاء عن ابن عباس أنه كان رجلاً ذالحية.

ويحيى لا يثبت أنه تكلم في المهد، ولا نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ابن ماشطة فرعون.

المطلب الخامس: آراء العلماء وتفسيراتهم.

فهنا من أهل العلم من قال: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة أي من بني إسرائيل، والبقية ليسوا من بني إسرائيل، وإذا قلنا: إنه لم يثبت في الزيادة على هؤلاء إلا واحد، وهو الذي قال: يا أماء اصبري فإنك على الحق، فقصة أصحاب الأحدود هؤلاء من بني إسرائيل كما هو معلوم، وكانوا على دين النصرانية، فهذا الجواب فيه إشكال.

ومن أهل العلم من قال: إن المراد لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، وذلك الغلام لم يكن في المهد، كان صبياً صغيراً لا يتكلم مثله، لكنه لم يكن في المهد، وهذا جواب جيد.

والذي يظهر في أخبار الذين تكلموا في المهد يتمثل في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عَيْسَى^(١).**

وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبْهَا أَوْ أَصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَمِتْهُ حَتَّى تَرِيَهُ وَجُوهَ الْمُؤَمِّسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلامُ؟ قَالَ الرَّاعِي. قَالُوا: بَنِي صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ.

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرَضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمصُّهُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمصُّ إِبْصَعَهُ، ثُمَّ مَرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا،

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٣٦) ومسلم برقم (٢٥٥٠).

فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّائِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَيَّيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلِي.

وأما قصة ابن ماشطة ابنة فرعون، فالذي يظهر أن الحديث مشكوك في ثبوته، فقد ورد من رواية حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، وعطاء اختلط حديثه آخر عمره فوقع في أوهام كثيرة، وحماد سمع منه قبل الاختلاط وبعده كما قال النقاد من المحدثين.

ولكن ذلك لا يعني الجزم بعدم ثبوت الرواية، فقد تكون مما حفظ عطاء، أو مما رواه حماد بن سلمة عنه قبل الاختلاط، ولهذا صحح الحديث جماعة من العلماء، خاصة وأنه لا يشتمل على أمر منكر أو مستغرب، إنما فيه حكاية من أخبار بني إسرائيل، ورد نحوها في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة، ومثل هذه الأخبار لا حرج في روايتها وتحديث الناس بها لأخذ العظة والعبرة، أو لتوضيح بعض مقاطع القصص في القرآن الكريم.

وقد ورد وصف الطفل في قصة ماشطة ابنة فرعون بأنه رضيع، فهذه اللفظة مشكلة مع الحديث الثابت الصحيح عن أبي هريرة: أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة؛ وما في الصحيح أولى وأثبت.

وعلى فرض صحة الحديث: فالجملة الأخيرة منه من كلام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وليست من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول فيها ابن عباس: «تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصاحب جريج،

وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون».

ومعلوم أن الصحابي إذا قال قولاً من عنده، ولم ينسبه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يخطئ ويصيب، ويفوته بعض العلم الذي لم يبلغه أو نسيه أو أخطأ في فهمه، فلا يقال حينئذ إن ثمة تعارضاً أو نقصاً في السنة النبوية، فالكلام المرفوع المنسوب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء، وكلام الصحابة من قولهم أو فعلهم أو اجتهاد رأيهم شيء آخر.

وأما قصة أصحاب الأخدود فقد وردت في حديث صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في حديث طويل، قال فيه: (فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا تُرْضِعُهُ، فَكَانَتْهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِي النَّارِ. فَقَالَ الصَّبِيُّ: يَا أُمَّهُ، اضْبِرِّي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ) ^(١)

وقد رواه الإمام مسلم قال: حدثنا هدا بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة بالإسناد السابق، ولكن قال فيه: (حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها) ولم يقل إنه رضيع، الأمر الذي اقتضى بالإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أن يقول: «ذلك الصبي لم يكن في المهد، بل كان أكبر من صاحب المهد وإن كان صغيراً» ^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤/٣٩) قال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، وقد رواه الإمام مسلم في «صحيحه» (٣٠٠٥).

(٢) انتهى من «شرح مسلم» (١٠٦/١٦).

هذا فضلا عن أن حماد بن سلمة قد خولف أيضا، فرواه معمر عن ثابت بسياق ليس صريحا في رفعه من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

لذلك قال الحافظ المزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى»^(٢).

هذا، وقد ذكر العلماء أطفالا آخرين تكلموا في المهد، ولكن أخبارهم وردت في آثار موقوفة أو مقطوعة، أو أخبار مرفوعة ضعيفة^(٣) حديث ابن عباس ضعيف لا يصح، فضلا عن أن آخر جملة منه وهي محل الإشكال وردت من كلام ابن عباس موقوفا عليه، وليست مرفوعة من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عَيْسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ كَانَ يَصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبْهَا أَوْ أَصَلِّي؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُؤْتِهِ حَتَّى تُرِيَهُ وَجْهَ الْمُؤْمَسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ، فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غَلَامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا

(١) كما في «مصنف عبد الرزاق» (٥/٤٢٠)، و«سنن الترمذي» (٣٣٤٠)، و«مسند البزار» (١٨/٦)، و«معجم الطبراني» (٤١/٨).

(٢) انتهى من «تفسير القرآن العظيم» (٨/٣٨٩).

(٣) ويمكن مراجعتها في «شرح الشفا» (١/٢٣٣)، «فتح الباري» (٦/٤٨٠).

صومعته، وأنزلوه وسبّوه، فتوضّأ وصلّى، ثمّ أتى الغلام، فقال: مَنْ أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبي صومعتك من ذَهَبٍ، قال: لا، إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمرّ بها رجلٌ راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمضه قال أبو هريرة: كأنني أنظرُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمضُ إصبعه ثم مرّ بأمّة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الراكب جبارٌ من الجبابرة، وهذه الأمّة يقولون: سَرَقَتْ زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلِ^(١).

وقال ابن حجر في شرح الحديث ما مختصره: «حديث أبي هريرة في قصة جرّيج الراهب وغيره، والغرض منه ذكْرُ الذين تكلموا في المهد، وأورده في ترجمة عيسى أنه أوّلهم، قوله: ((لم يتكلّم في المهد إلا ثلاثة))، قال القرطبي: في هذا الحضر نظرٌ، إلا أن يُحمَلَ على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك، وفيه بُعد، ويحتمل أن يكون كلامُ الثلاثة المذكورين مُقَيِّداً بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مَهْدٍ، لكنّه يُعَكَّرُ عليه أن في رواية ابن قُتَيْبَةَ: أَنَّ الصَّبِيَّ الَّذِي طَرَحَتْهُ أُمُّهُ فِي الْأَخْدُودِ كَانَ ابْنَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ، وَصُرِّحَ بِالْمَهْدِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِيهِ تَعَقُّبٌ عَلَى النَّوَوِيِّ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ صَاحِبَ الْأَخْدُودِ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَهْدِ، وَالسَّبَبُ فِي قَوْلِهِ هَذَا مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْبَزَّارِ،

(١) أخرجه البخاري، (ح/ ٣١٨١)، ومسلم (ح/ ٤٦٢٦) نحوه، واللفظ للبخاري.

وابن حَبَّانَ والحاكم: (لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا أَرْبَعَةً)، فلم يَذْكَرِ الثالث الذي هنا، وَذَكَرَ شَاهِدَ يَوْسُفَ، وَالصَّبِيَّ الرُّضِيعَ الَّذِي قَالَ لِأُمِّهِ وَهِيَ مَاشِطَةُ بِنْتُ فِرْعَوْنَ لَمَّا أَرَادَ فِرْعَوْنَ إِقْدَاءَ أُمِّهِ فِي النَّارِ: (اصْبِرِي يَا أُمَّاهُ، فَإِنَّا عَلَى الْحَقِّ) ^(١)

ثم ذَكَرَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَدَدَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي الْمَهْدِ فَقَالَ: (وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَيَجْتَمِعُ مِنْ هَذَا خَمْسَةٌ، وَوَقَعَ ذَكَرُ شَاهِدِ يَوْسُفَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، لَكِنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكَرِ ابْنَ الْمَاشِطَةِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ: «أَنَّ امْرَأَةً جِيءَ بِهَا لِتُلْقَى فِي النَّارِ أَوْ لِتَكْفُرَ، وَمَعَهَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ، فَتَقَاعَسَتْ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّاهُ، اصْبِرِي؛ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»، وَزَعَمَ الضَّحَّاكُ فِي تَفْسِيرِهِ: أَنَّ يَحْيَى تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ؛ أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ، فَإِنْ ثَبَتَ صَارُوا سَبْعَةً ^(٢)

وَذَكَرَ البَغْوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، وَفِي «سِيرِ الْوَأَقِدِيِّ»: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ أَوْائِلَ مَا وُلِدَ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبَارِكِ الْيَمَامَةِ، وَقِصَّتُهُ فِي «دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ»؛

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة (٤ / ٩١).

للبيهقي من حديث مُعْرِضٍ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ (١).

على أَنَّهُ اِخْتَلَفَ فِي شَاهِدِ يَوْسُفَ، فَقِيلَ: كَانَ صَغِيرًا، وَهَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَآخَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَمُجَاهِدٍ أَنَّهُ كَانَ ذَا لِحْيَةٍ، وَعَنْ قَتَادَةَ وَالْحَسَنِ أَيْضًا كَانَ حَكِيمًا مِنْ أَهْلِهَا؛ انْتَهَى (٢)

جاء في الحديث المذكور آنفًا: (ثلاثة تكلموا في المهدي)، وهم:

١ - عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢ - صاحب جُرَيْجِ الرَّاهِبِ.

٣ - ابن المرأة الرضيع.

وعن صهيب أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كان ملكٌ فيمَن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلمَّا كَبُرَ، قال للملك: إني قد كَبُرْتُ، فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحرَ، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرًّا بالراهب، وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربَه، فشكا ذلك إلى الراهب،

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ (٥٩/٦).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، (٤/٢٣٤).

فقال: إذا خشيتَ الساحر، فقل: حَبَسَنِي أَهْلِي، وإذا خشيتَ أهلك، فقل: حَبَسَنِي السَّاحِر، فبينما هو كذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبستِ الناس، فقال: اليوم أعلمُ الساحرَ أفضل أم الراهبَ أفضل، فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليك من أمرِ الساحر، فاقتل هذه الدابة؛ حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُني، أنت اليوم أفضل مني وقد بلغ من أمرِك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله؛ فإن أنت آمنت بالله، دعوتُ الله فشفاك، فأمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له: الملك من ردَّ عليك بصرك، قال: ربِّي، قال: ولك ربُّ غيري؟! قال: ربِّي وربُّك الله، فأخذه فلم يزل يعذِّبه؛ حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُني، قد بلغ من سحرِك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمُشار، فوضع المُشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المُشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفرٍ من

أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتُم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرُورٍ؛ أي: مَرَكَبٍ، فتوسَّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتي؛ حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كِنَانِي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله ربّ الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك، قتلتني، فجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كِنَانَتِهِ، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله ربّ الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: أمنا ربّ الغلام، أمنا ربّ الغلام، أمنا ربّ الغلام، فأتى الملك، فقيل له: أرايت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرُك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخذت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم ففعلوا، حتى جاءت امرأةٌ معها صبِيٌّ لها، فتعاسست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمّاه، اصبري؛ فإنك على الحقِّ.

ويُضاف إلى الثلاثة المذكورين سلفًا هذا الرضيع، ويكون العدد أربعة.

ولاحظ اختلاف النووي والقرطبي رَحِمَهُمُ اللَّهُ الذي ذكرناه بشأن هذا الرضيع: هل كان في المهد أو لا؟ واختيار النووي أنه لم يكن في المهد، وإن كان صغيرًا؛ وذلك لأنَّ الحديث صريحٌ بأنهم ثلاثة وبدأ بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رغم أنَّ ميلاده بعد قصة أصحاب الأخدود، فلمَّا لم يذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الثلاثة، دلَّ هذا على أنه لم يكن في المهد، والله أعلم.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» بعد ذكره لقصة جريج الراهب ما مختصره:

«فهؤلاء ثلاثة تكلموا في المهد: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج الراهب ابن البغي من الراعي واسمه: «يابوس»، كما ورد مُصَرَّحًا به في صحيح البخاري، والثالث ابن المرأة التي كانت تُرضعه، وقد وردَ فيمن تكلم في المهد أيضًا شاهدُ يوسف كما تقدّم، وابن ماشطة آل فرعون^(١).

والحاصل أنَّ الثلاثة الذين ذكرناهم لا اختلافَ عليهم، وباقي الروايات لا تثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل رواية الحاكم ولفظه: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وشاهدُ يوسف، وصاحب

(١) قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة دار التأليف -

جُرَيْج، وابن ماشطة بنت فرعون»^(١).

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: هذا الحديث بهذا الإسناد باطل عندي؛ وذلك
لأمرين:

الأول: أنه حَصَرَ المتكلمين في المهْد في ثلاثة، ثم عند التفصيل
ذَكَرَهُم أربعة!

والثاني: أن الحديث رواه البخاري في «صحيحه» من الطريق التي
عند الحاكم تمامًا، إلا أنه خالفه في اللفظ، فقال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا
ثَلَاثَةً». ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: وَلَمْ أَجِدْ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ مَا يَنَافِي هَذَا الْحَضْرَ
الوارد في حديث الصحيحين، إلا ما في قصة غلام الأخدود، ثم إن ظاهر
القرآن في قصة الشاهد أنه كان رجلاً لا صَبِيًّا في المهْد؛ إذ لو كان طفلاً،
لكان مجرد قوله: إنها كاذبة كافياً وبرهاناً قاطعاً؛ لأنه من المعجزات،
ولما احتُجَّجَ أن يقول: ﴿مَنْ أَهْلِيهَا﴾، ولا أن يأتي بدليل حيٍّ على براءة
يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٢) وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿

يوسف: ٢٦ ٢٧.

وقد رَوَى ابنُ جرير بإسنادٍ رجاله ثقات عن ابن عباس أن الشاهد
كان رجلاً ذالِحِيَّةً، وهذا هو الأرجح^(٢)

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢ / ٢٩٥).

(٢) في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٢ / ٢٧١) مُختَصراً وبتصرف.

المطلب السادس: الخلاصة.

الذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن مفهوم العدد ثلاثة ليس للحصر، لصحة الخبر عن الرابع في قصة أصحاب الأُخدود، كما قال العلامة الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ**: ولم أجد في حديث صحيح ما ينافي هذا الحصر الوارد في حديث الصحيحين، إلا ما في قصة غلام الأُخدود وعلى ذلك من تكلم في المهد أربعة الثلاثة الذين ذكروا في حديث أبي هريرة والرابع في قصة أصحاب الأُخدود، وجميع ما ذكر بعد ذلك لم يصح منه شيء والله أعلم.

قال الألوسي:

وقد جمع من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر نفساً، وقد نظمهم الجلال السيوطي فقال:

ويحيى وعيسى والخليل ومريم	تكلّم في المهد النبيّ محمّد
وطفل لدى الأُخدود يرويه مسلم	ومبري جريج ثمّ شاهديوسف
يقال لها تزني ولا تتكلّم	وطفل عليه مرّ بالأمة التي
وفي زمن الهادي المبارك يختم	وماشطة في عهد فرعون طفلها

قال البيهقي:

قد كنت نظمت جملة الأطفال الذين تكلّموا في المهد، في أربعة أبيات من بحر الرجز، الذي هو من بحور الشعر في العدّ، لأنّي قد رأيت النظم الشهير للحافظ الجلال السيوطي غير مستوفٍ لهم في الحدّ، فعنّ

لي أن أشرحه بكلام موجز، تعبق منه رائحة الندّ، فشرعت فيه مسرعاً
قائلاً: عِدَّة مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ أَرْبَعَةٌ عَشْرَ، بِحَسَبِ الْإِطْلَاعِ وَالْمَدِّ.

ونظمه هو:

محمّدٌ في المهد قد تكلمّا نوحٌ وإبراهيم موسى فاعلما
يحيى وعيسى طفل ذي الأخدود وشاهدٌ ليوسفٍ ومريما
مبري جريجٍ هكذا مبري الأمة مبارك اليمامة الذي انتمى
ماشطة بنت فرعون ابنها وبنت محيي الدين جاءت فاختما
وللبيلي رسالة سماها «جملة من تكلم في المهد» شرح فيها أبياته هذه.

ومن المؤلفات في ذلك:

١- تحفة الأحباب فيمن تكلم في المهد بالأمر العجائب لفتح الله
البنانيّ ت ١٣٥٣هـ.

٢- الميثاق والعهد فيمن تكلم في المهد لإبراهيم بن محمّد
البرماويّ ت ١١٠٦هـ.

٣- جملة من تكلم في المهد لأحمد البيليّ ت ١٢١٣هـ.

المطلب السابع: حفظ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشيطان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ بَنِي آدَمَ
يَطْعُنُ الشَّيْطَانَ فِي جَنْبِهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُوَلَّدُ، غَيْرَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ
يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ.

وقد مرت بنا روايات الأحاديث في ذلك وشرحها، في أول الكتاب في فضائل السيدة مريم مما يغني عن الإعادة هنا.

المطلب الثامن: منزلة عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّمَاءِ.

لقد رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإسراء والمعراج منزل عيسى في السماء، فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء الثانية.

ففي حديث الإسراء والمعراج: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أبيضٌ طویلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُتَّهَى طَرْفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ، حَتَّى أُتِيتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتِ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

وفي حديث مالك بن صعصعة: ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا فَسَلَّمْتُ فَرَدًّا ثُمَّ قَالَا مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

المطلب التاسع: تأييد عيسى بروح القدس جبريل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

قال تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، الآية
وقال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، الآية

وقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ أَلطِينٍ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿﴾

روح القدس: هو الملك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، نص عليه ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن كعب القرظي، وإسماعيل بن أبي خالد،

والسدي، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، وقتادة، ورجحه المفسرون منهم ابن كثير وابن عطية وغيرهم.

والنصارى يزعمون أن روح القدس منبثق من ذات الله تعالى فهو جزء منه فادعو فيه الألوهية كما ادعوها في عيسى وهذه هي عقيدة التثليث عندهم الأب والأبن والروح القدس تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وإنما سماه الله بروح القدس إضافة ملك له سبحانه فالمخلوقات كلها ملك له **عَزَّوَجَلَّ**، كما أنها إضافة تشریف تبين علو منزلة الملاك جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وهو الملاك الموكل بالوحي، وغاية ما في الأمر أن الله تعالى أيد به عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لينصره ويسدده، لما لقيه عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من جحود قومه وتكذيبهم له، فاحتاج للنصرة والتأييد، كما نزل جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في بدر هو والملائكة لنصرة نبينا محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه الكرام، وكما قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك ^(١)



(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٠) مطولاً بمعناه، صحيح الترمذي برقم ٢٤٨٦ وحسنه الألباني **رَحْمَةُ اللهِ**.

المبحث الثالث:

بعض شمائل المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.



المطلب الأول: إجلال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لاسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَأَى عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ فَقَالَ لَهُ: أَسْرَفْتَ، قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَقَالَ عَيْسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي

قال ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان: وَالْحَقُّ أَنَّ اللَّهَ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَحْلِفَ بِهِ أَحَدٌ كَاذِبًا، فَدَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ تَهْمَةِ الْحَالِفِ وَتَهْمَةِ بَصَرِهِ فَرَدَّ التُّهْمَةَ إِلَى بَصَرِهِ، كَمَا ظَنَّ آدَمَ صِدْقَ إِبْلِيسَ لَمَّا حَلَفَ لَهُ أَنَّهُ لَهُ نَاصِحٌ^(١). ١.١. هـ

المطلب الثاني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولي العزم من الرسل.

قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾

﴿أُولُو الْعَزْمِ﴾: أي أصحاب العزم والصبر والعزم وهم نوح ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم وهم أصحاب الشرائع،. والظاهر انهم المذكورون في قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، ومن الجائز أن يكون عدد أولي العزم أكثر من مما ذكر.

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٤٤)، ومسلم برقم (٢٣٦٨).

المطلب الثالث: المدة ما بين عيسى ورسول الله عليهما الصلاة

والسلام.

عَنْ سَلْمَانَ قَالَ:

(فَتْرَةٌ بَيْنَ عَيْسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ: سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ)

قال ابن كثير: وروى البخاري عن سلمان: قال: الفترة ما بين

عيسى ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستمائة سنة

وعن قتادة خمسمائة وستون سنة^(١).

وقيل خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبضع

وثلاثون سنة.

والمشهور ستمائة سنة.

ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمرية، لتكون ستمائة

بالشمسية^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، (٧٠/٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، (٧٠/٣).

المطلب الرابع: تبشير عيسى بنينا محمد عليهما الصلاة

والسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ .

يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد قام في ملا بني إسرائيل مبشرا بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ (١). وفي رواية مسلم:، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَيَّ عَقْبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ (٢)

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، مؤسسة زايد بن سلطان أبو ظبي الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م. (٥/١٦١٤)، البخاري برقم (٣٥٣٢).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٥٤).

يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ
التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ (١)

وقد قال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ الآية

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَاءَ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابِ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ
أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ ﴾

قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث
محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد
وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه (٢).

عن أبي هريرة قال: أوحى الله **عَزَّجَلَّ** إلى عيسى بن مريم: يا عيسى
جد في أمرى ولا تن، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إنك
من غير فحل، وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي فاعبد وعلي فتوكل، خذ
الكتاب بقوة فسر لاهل السريانية بلغ من بين يديك أنى أنا الحق الحي
القائم الذي لا أزول، صدقوا النبي الامي العربي صاحب الجمل والتاج

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٥٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة للنشر
والتوزيع، (٦/١).

وهي العمامة والمدرعة والنعلين والهراوة وهي القضيبي الانجل العينين الصلت الجبين الواضح الخدين، الجعد الرأس، الكث اللحية، المقرون الحاجبين، الأفتى الانف، المفلج الثنايا، البادئ العنفة، الذي كأن عنقه إبريق فضة وكأن الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من لبتة إلى سرته تجرى كالقضيبي، ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره، شثن الكف والقدم، إذا التفت التفت جميعاً وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صيب، عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه، ولم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القامة الطيب الريح، نكاح النساء ذا النسل القليل، إنما نسله من مباركة، لها بيت يعنى في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب، تكفله يا عيسى في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك، له منها فرخان مستشهدان وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر، كلامه القرآن ودينه الإسلام وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه.

قال عيسى: يا رب وما طوبى؟ قال: غرس شجرة أنا غرستها بيدي، فهي للجنان كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

قال عيسى: يا رب اسقنى منها.

قال: حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي، وحرام على الامم أن يشربوا منها حتى تشرب منها أمة ذلك النبي.

قال: يا عيسى، أرفعك إلي.

قال رب ولم ترفعني؟ قال: أرفعك ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال، أهبطك في وقت صلاة ثم لا تصلى بهم لأنها مرحومة ولا نبي بعد نبيهم.

وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه، أن عيسى قال: يا رب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة.

قال: أمة أحمد، هم علماء حكماء كأنهم أنبياء، يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل، وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله.

يا عيسى هم أكثر سكان الجنة، لانه لم تذلل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم، ولم تذلل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم^(١). رواه ابن عساكر.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَجَعْفَرُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرْفُطَةَ وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَأَبُو مُوسَى، فَاتُوا النَّجَاشِيَّ وَبَعَثَتْ قُرَيْشُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَا لَهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَّنَا

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (١/٣٧٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/٩٢)، وقصص الأنبياء (٢/٤٠٢).

نَزَلُوا أَرْضَكَ وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مَلَّتِنَا، قَالَ: فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ فِي أَرْضِكَ
فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: جَعَفَرُ أَنَا خَطِيبُكُمْ الْيَوْمَ فَاتَّبِعُوهُ، فَسَلِّمْ
وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا
لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهِ؟

قَالُوا: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ كَلِمَةٌ مِنْ رَبِّهِ أَلْقَاهَا إِلَى
الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ.

قَالَ: فَرَفَعَ عَوْدًا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقِسْيَسِينَ
وَالرُّهْبَانَ وَاللَّهَ مَا يَزِيدُونَ عَلَيَّ الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا يَسُوئِي هَذَا، مَرَحَبًا بِكُمْ
وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَإِنَّهُ الَّذِي نَجَدُ فِي الْإِنْجِيلِ،
وَإِنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ.

انزَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ وَاللَّهُ لَوْ لَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ
أَنَا أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ وَأُوضِّئُهُ.

وَأَمَرَ بِهَدْيِيَةِ الْآخِرِينَ فَرَدَّتْ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ
حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا وَرَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ (١)

(١) تقدم تخريجه.

وَعَنْ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجِدٌ لِي فِي طَيْبَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عَيْسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ (١).

وفي رواية زاد: إِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَتْ حِينَ وَصَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ (٢)

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧١٥١) و (١٧١٦٣)، حديث صحيح لغيره دون قوله: «وكذلك أمهات النبيين ترين»، سعيد ابن سويد الكلبي روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال البخاري: لم يصح حديثه، فذكر الحافظ في ترجمته في «التعجيل» أنه يريد هذا الحديث، وقال: وخالفه ابن حبان والحاكم فصححه، وقال البزار في «كشف الأستار» ١١٣/٣: شامي لا بأس به، وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٠) من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد، مختصراً، وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٦٨-٦٩، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» ٣٤٥/٢، والطبري في «تفسيره» (٢٠٧٢)، وابن حبان (٦٤٠٤)، والطبراني في «الكبير» ١٨/ (٦٢٩)، والآجري في «الشریعة» (٤٢١)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٩)، والبيهقي في «الدلائل» ١٣٠/٢ من طرق عن معاوية بن صالح، به.

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧١٥١) وفي إسناده الفرج بن فضالة، وهو ضعيف. وآخر من حديث خالد بن معدان عن نفر من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ابن إسحاق في «السيرة» ١/١٧٥- ومن طريقه أخرجه الطبري (٢٠٧٠)، والحاكم ٢/٦٠٠، والبيهقي في «الدلائل» ١/٨٣- عن ثور بن يزيد، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وزيادة رؤية النور الذي أضاء له قصور الشام يشهد لها كذلك حديث عتبة بن عبد السلمي، في المسند برقم (١٧٦٤٨).

وعن أبي أمامة قال: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ أَوَّلَ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عَيْسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورَ الشَّامِ^(١).

المطلب الخامس: مزمنة عيسى ليحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرِّسَالَةِ

والنبوة.

عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِحَيِّيْ بْنِ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا فَقَالَ عَيْسَى إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا فِيمَا أَنْ تَأْمُرُهُمْ وَإِنَّمَا أَنْ أَمَرُهُمْ فَقَالَ يَحْيَى أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ فَجَمَعَ النَّاسُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَتَعَدَّوْا عَلَيَّ الشُّرْفَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

- أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَيَّ غَيْرَ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ.

- وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ.

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧١٥١) و (١٧١٦٣)، حديث صحيح لغيره.

- وَأَمْرُكُمْ بِالصَّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

- وَأَمْرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَوْثَقُوهُ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ.

- وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرَزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ^(١).

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ وَمَنْ أَدْعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ قَالَ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ^(٢).

(١) رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٤/٤٤٦).

(٢) رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٤/٤٤٦).

المطلب السادس: تلقين الله لعيسى حجته يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: يُلْقَى عِيسَى حُجَّتَهُ، فَلَقَّاهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ لِلنَّاسِ أُخْتَدُونِ وَأُمِّيَ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلَقَّاهُ اللَّهُ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ الآية كُلِّهَا^(١).

إِنَّمَا يَقُولُ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أُخْتَدُونِ وَأُمِّيَ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ اسْتِنْفَهُامٌ وَمَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ وَالتَّوْبِيخُ لِمَنْ ادَّعَى ذَلِكَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّصَارَى؛ لِأَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُلْهَا فَمَا وَجْهُ هَذَا السُّؤَالِ لَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ؟

وَجْهُ هَذَا السُّؤَالِ تَثْبِيتُ الْحُجَّةِ عَلَى قَوْمِهِ وَإِكْذَابُ لَهُمْ فِي ادِّعَائِهِمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِهِ فَهُوَ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ الْآخَرُ، أَفَعَلْتَ كَذَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ وَإِنَّمَا أَرَادَ تَعْظِيمَ ذَلِكَ الْفِعْلَ فَنَفَى عَنْ نَفْسِهِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَقَالَ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾

(١) رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (١١٠/٥).

فَاعْتَرَفَ بِالْعُبُودِيَّةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِإِلَهِ كَمَا زَعَمَتْ وَادَّعَتْ فِيهِ النَّصَارَى .
 ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ أَيُّ إِنْ صَحَّ أَنِّي قُلْتُهُ فِيمَا مَضَى فَقَدْ
 عَلِمْتَهُ . وَالْمَعْنَى أَنِّي لَا أَحْتَاجُ إِلَى الْاِعْتِدَارِ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْهُ وَلَوْ
 قُلْتُهُ عَلِمْتَهُ ؛ لِأَنَّكَ ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ . أَيُّ تَعْلَمُ مَا
 أَخْفِيهِ فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا تُخْفِيهِ مِنْ مَعْلُومَاتِكَ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾ .

المطلب السابع: إحالة عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة يوم

القيامة إلى نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه هي الشفاعة الكبرى التي يفرع فيها الخلق إلى الأنبياء
 ليشفَعوا لهم عند الله فيأذن لهم بالبدء في الحساب، لما يروونه من الكرب
 والبلاء في أرض الموقف، فيتصل الأنبياء وحدًا تلو الآخر من هذه
 الشفاعة حتى تصل إلى نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه هي الشفاعة
 الكبرى والمقام المحمود الوارد ذكره في القرآن الكريم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنبَى بِلَحْمٍ فُرِغَ
 إِلَيْهِ الذَّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَشَّ مِنْهَا نَهْشَةً ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي
 صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ
 النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا
 تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ
 النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِأَدَمٍ.

فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ
وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا
تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ
الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ
الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ
وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ
فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ
يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي
نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ
غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ
كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا
إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَصَلِّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ
وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ
إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ
وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي
أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا أَشْفَعُ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَىٰ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكَرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ أَشْفَعُ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْطَلِقْ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ تَعْطُهُ وَأَشْفَعُ تُشَفِّعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ (١)

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) وأحمد في المسند برقم (١١٢٤٠).

المطلب الثامن: فضل من دخل في الإسلام من النصارى.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَدَّبَ الرَّجُلُ أُمَّتَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَرَوَّجَهَا، كَانَ لَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا أَمَنَ بَعِيسَى، ثُمَّ أَمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعَبْدُ إِذَا اتَّقَى رَبَّهُ وَأَطَاعَ مَوْلِيَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ (١)

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢)

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ فَاتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمَ، فَظَنَرَ إِلَيَّ أَبِي وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطَعِ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ (٣)

المطلب التاسع: فضل من شهد شهادة الحق في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ،

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٦).

أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ - وفي رواية زَادَ - مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ (١)

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مَقْصُودُ هَذَا الْحَدِيثِ التَّنْبِيهُ عَلَيَّ مَا وَقَعَ لِلنَّصَارَى مِنْ الضَّلَالِ فِي عَيْسَى وَأُمَّه، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ مَا يُلْقَنُهُ النَّصْرَانِيُّ إِذَا أَسْلَمَ (٢)

قَالَ النَّوَوِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمُ الْمَوْقِعِ، وَهُوَ مِنْ أَجْمَعَ الْأَحَادِيثِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَيَّ الْعَقَائِدِ؛ فَإِنَّهُ جُمِعَ فِيهِ مَا يَخْرُجُ عَنْهُ جَمِيعُ مِلَلِ الْكُفْرِ عَلَيَّ اخْتِلَافِ عَقَائِدِهِمْ وَتَبَاعُدِهِمْ (٣).

وَقَالَ غَيْرُهُ: فِي ذِكْرِ عَيْسَى تَعْرِيزٌ بِالنَّصَارَى وَإِذَانٌ بِأَنَّ إِيمَانَهُمْ مَعَ قَوْلِهِمْ بِالتَّثْلِيثِ شِرْكٌ مَحْضٌ

وَكَذَا قَوْلُهُ: «عَبْدُهُ» وَفِي ذِكْرِ «رَسُولُهُ» تَعْرِيزٌ بِالْيَهُودِ فِي إِنْكَارِهِمْ رَسُولَاتِهِ وَقَذْفُهُ بِمَا هُوَ مُنَزَّرٌ عَنْهُ وَكَذَا أُمَّهُ

وَفِي قَوْلِهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ تَشْرِيفٌ لَهُ، وَكَذَا تَسْمِيَتُهُ بِالرُّوحِ وَوَصْفُهُ بِأَنَّهُ مِنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرْنَاكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْهُ كَمَا أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ الْأُخْرَى أَنَّهُ سَخَّرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كَائِنَةً مِنْهُ، أَيَّ أَنَّهُ مُكُونٌ كُلِّ ذَلِكَ وَمُوجِدُهُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٣٥).

(٢) فتح الباري (٦/٤٥٧).

(٣) فتح الباري (٦/٤٧٥).

﴿ وَكَلِمَتُهُ ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَبَدَعَهُ مِنْ غَيْرِ
 أَبَ وَأَنْطَقَهُ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ وَأَحْيَا الْمَوْتَى عَلَى يَدِهِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ كَلِمَةَ اللَّهِ
 لِأَنَّهُ أَوْجَدَهُ بِقَوْلِهِ كُنْ، فَلَمَّا كَانَ بِكَلَامِهِ سُمِّيَ بِهِ كَمَا يُقَالُ سَيْفُ اللَّهِ وَأَسَدُ
 اللَّهِ، وَقِيلَ: لَمَّا قَالَ فِي صِغَرِهِ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ بِالرُّوحِ فَلَمَّا كَانَ
 أَقْدَرُهُ عَلَيْهِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَقِيلَ: لِكَوْنِهِ ذَا رُوحٍ وَوَجِدَ مِنْ غَيْرِ جُزْءٍ مِنْ
 ذِي رُوحٍ.

وَقَوْلُهُ: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ» يَقْتَضِي دُخُولَهُ
 الْجَنَّةَ وَتَخْيِيرَهُ فِي الدُّخُولِ مِنْ أَبْوَابِهَا
 وَمَعْنَى قَوْلِهِ «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» أَيِّ مِنْ صَلَاحٍ أَوْ فَسَادٍ،
 لَكِنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ
 وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» أَيُّ يَدْخُلُ
 أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِ كُلِّ مِنْهُمْ فِي الدَّرَجَاتِ.

المطلب العاشر: تأييده بروح القدس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تفسير علماء السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ لقوله تعالى: إِذْ أَيَّدْتَكَ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ:

لا شك أن روح القدس هو الملك الذي هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا
 هو القول الراجح كما قاله ابن كثير، وجزم به في تفسير قوله تعالى: (وَآتَيْنَا
 عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) وذكر أن ابن مسعود
 نص عليه، وتابعه على ذلك ابن عباس ومحمد بن كعب وإسماعيل

بن خالد والسدي والربيع بن أنس وعطية العوفي وقتادة، وذكر في قوله تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لحسان: أجب عني، اللهم أيده بروح القدس. وفي بعض الروايات أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لحسان: اهجهم وجبريل معك. وقال حسان:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء
وروى ابن حبان وغيره عن ابن مسعود، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن روح القدس نفث في روعي إنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها^(١).

وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن قالا: القدس هو الله وروحه جبريل، أي روح من الأرواح التي خلقها الله. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس (بروح القدس) هو الاسم الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى، ونقل نحوه عن سعيد بن جبير وعبيد بن عمير^(٢).

وقال الربيع بن أنس: القدس هو الله تعالى، وقال السدي: القدس: البركة، وقال العوفي عن ابن عباس: القدس: الطهر، وقال ابن زيد: أيد الله عيسى بالإنجيل روحمًا كما جعل القرآن روحمًا.

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ (١٤ / ٣٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٢١٤).

وقال الزمخشري في قوله تعالى: (بروح القدس)، بالروح المقدسة، أي روح عيسى نفسه المطهرة ^(١) بِرُوحِ الْقُدُسِ بِالرُّوحِ المقدسة، كما تقول: حاتم الجود، ورجل صدق، ووصفها بالقدس كما قال: (وَرُوحٌ مِنْهُ) فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة، وقيل: لأنه لم تضمه الأصلاب، ولا أرحام الطوامث، وقيل بجبريل، وقيل بالإنجيل كما قال في القرآن: (رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيى الموتى بذكره..

والصحيح الأول وعليه الجمهور، وسمي عيسى روحًا من الله؛ لأنه من الخلق الذين خلق أجسامهم وأرواحهم، وسمي جبريل روحًا؛ لأنه روح مجردة من جسم محسوس، وهو مقدس أي منزه ومطهر عن المعاصي والمخالفات، فإن التقديس هو التطهير والتعظيم، كقول الملائكة: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)، أي نعظمك ونجلك ونزهك عن النقائص والمعائب.



(١) تفسير الكشاف للزمخشري (١/١٦٢).

المبحث الرابع:

بشرية عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأنه من جنس ولد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.



المطلب الأول: الآيات الدالة على بشرية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تحدثنا عن الآيات من كتاب الله تعالى التي تتكلم عن ولادة مريم ونشأتها وولادة عيسى وبداية أمره، وحتى رفع الله تعالى له إلى السماء حياً بجسده وروحه، وتقرير الآيات بأنه لم يمت ولم يُقتل ولم يُصلب، ونأتي الآن على الآيات التي تبين بشرية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتأكد القرآن الكريم على بشريته وأنه كبقية بني آدم خلقه الله تعالى مثل بقية خلقه بقدرته وبكلمته فإنه تعالى إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وأنه تعالى عن اتخاذ الصاحبة والولد والشريك، وأن الله وحده لا شريك له. وأنت آيات عدة لتبين وتوضح لكل ذي عقل بشرية عيسى وكونه كبقية بني آدم يحمل نفس الصفات البشرية، ونفي الألوهية عنه وأنه عبدالله ورسوله، غير أن الله عَزَّوَجَلَّ اختصه واصطفاه برسالته، وجعله وأمّه آية من آياته الكبرى الدالة على قدرته، وأنه عَزَّوَجَلَّ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ففي سورة آل عمران يبين الله تعالى صفة خلق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل ويأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتحدي من يدعي غير ذلك، ويأمره بملاعة

هُؤْلَاءِ الْأَدْعِيَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَبَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فعل - فأخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران عندي كسبه آدم الذي خلقته من تراب، ثم قلت له كن فكان، من غير فعل، ولا ذكر، ولا أنثى. يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير فعل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، فكان لحمًا، يقول: وأمري إذ أمرته أن يكون فكان، فكذا خلقي عيسى أمرته أن يكون فكان.

وذكر أهل التأويل أن الله عَزَّجَلَّ أنزل هذه الآية احتجاجًا لنيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى، عن عامر، قال: كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولاً، فكانوا يجادلون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنزل الله عَزَّجَلَّ هذه الآية في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٠﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وذلك أن رهطاً من أهل نجران قدموا على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: من هو؟

قالوا: عيسى، تزعم أنه عبد الله، فقال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أجل إنه عبد الله.

قالوا له: فهل رأيت مثل عيسى، أو أنبتت به؟

ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل بأمر ربنا السميع العليم، فقال: قل لهم إذا أتوك ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾... إلى آخر الآية ١. هـ ونحو هذا قال غيرهم^(١).

قال ابن كثير: يقول **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب (كمثل آدم) حيث خلقه من غير أب ولا أم بل (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى.

وإن جاز ادعاء النبوة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب فيجوز ذلك في آدم بالطريق الأولى ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواه في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً ولكن الرب **جَلَّ جَلَالُهُ** أراد أن يظهر قدرته

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ (٦/٤٦٨).

لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى.

وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر،
كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم:
﴿وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ وقال ههنا: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُمْتَرِينَ﴾.

أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح
سواه وماذا بعد الحق إلا الضلال^(١).

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ
عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٦١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَتَّهَلَكُ الْكَافِرُونَ
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا
وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ﴾.

ثم قال تعالى أمرا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يباهل من عاند الحق
في أمر عيسى بعد ظهور البيان ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أي
نحضرهم في حال المباهلة.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٤٢).

(ثم نبتهل) أي نلتعن.

﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ أي منا ومنكم.

وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران:

إن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والإلهية فأنزل الله صدرًا في هذه السورة ردًا عليهم. كما ذكره الإمام محمد بن إسحاق وغيره: وقدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد نصارى نجران ستون راكبًا، فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم، يؤول أمرهم إليهم وهم: العاقب واسمه عبدالمسيح والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأويس بن الحارث، وزيد وقيس ويزيد وابناه، وخويلد وعمرو وخالد وعبدالله ومحسن، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم، وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه والسيد وكان عالمهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم وأبو حارثة بن علقمة، وكان أسقفهم صاحب مدارسهم، وكان رجلًا من العرب من بني بكر بن وائل، ولكنه تنصر فعظمت الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس، وأخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينهم، وقد كان يعرف أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفته وشأنه، بما علمه من الكتب المتقدمة ولكن حمله ذلك على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها^(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جيب وأردية من جمال رجال بني الحارث بن كعب قال: يقول من رآهم من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دعوهم فصلوا الى المشرق قال: فكلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبدالمسيح والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله ويقولون: هو ولد الله ويقولون: هو ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً^(١).

وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً وذلك كله بأمر الله وليجعله الله آية للناس ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون: لم يكن له أب يعلم وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله.

ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى: فعلنا،

الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، (١/٥٧٤).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة:

الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، (١/٥٧٤).

وأمرنا، وخلقنا، وقضينا فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقنا ولكنه هو وعيسى ومريم.

تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وفي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أسلما قالوا قد أسلمنا قال: إنكما لم تسلما فأسلما، قالوا: بلى قد أسلمنا قبلك قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير، قالوا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهما فلم يجبهما فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها^(١).

ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال: فلما أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعتهم أن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبدالمسيح ماذا ترى؟

فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم فإن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في

(١) السيرة النبوية لابن هشام، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، (١/٥٧٤).

صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضا^(١).

قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين فكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى الظهر مهجراً فلما صلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

روى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريدان أن يلاعنا فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبتنا من بعدنا قالوا إنا نعطيك ما سألتنا، وأبعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف

(١) السيرة النبوية لابن هشام، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، (١/٥٧٤).

لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ (١).

وقال الإمام أحمد: عن ابن عباسٍ قال: قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عند الكعبة لا تبتنه حتى أطأ على عنقه فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم في النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً. (٢)

ثم قال الله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٢) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾. أي عن هذا إلى غيره، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أي من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به وسيجزيه على ذلك سواء الجزاء وهو القادر الذي لا يفوته شيء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نقمته.

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨ / ٩٣ - ٩٤ رقم ٤٣٨٠) في المغازي، باب قصة أهل نجران، ومسلم في «صحيحه» (٤ / ١٨٨٢ رقم ٥٥) في فضائل الصحابة، باب فضل أبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل بن عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة أخرجه برقم (٢٢٢٥).

مجراهم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها.

ثم فسر لها بقوله: (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثناً ولا صليماً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا بِاللَّهِ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقال ابن جريج: يعني يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله، وقال عكرمة: يسجد بعضنا لبعض، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم^(١).

وفي الآيات من سورة مريم كذلك بعد أن ذكر الله تعالى قصة ولادة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكلامه في المهد (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) فكان أول ما تكلم به هو إعلانه العبودية لله تعالى وأنه ليس برب ولا إله بل هو بشر يقر لله بالعبودية ويلتزم له بالطاعة

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤)

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٦).

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْخِذَ مِنْ وِلْدٍ سَبَّحْنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ .

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي يختلف المبطلون والمحققون ممن آمن به وكفر به، ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبياً نزه نفسه المقدسة فقال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْخِذَ مِنْ وِلْدٍ سَبَّحْنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْخِذَ مِنْ وِلْدٍ سَبَّحْنَهُ﴾ أي عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً ﴿قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي إذا أراد شيئاً فإنما يأمر به فيصير كما يشاء كما قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٢﴾ .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال ﴿فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم أي قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى^(١).

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٥).

المطلب الثاني: الآيات من سورة النساء.

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

وفي هذه الآيات أيضًا يقرر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنه المتفرد بالربوبية والألوهية، وأن الله وحده لا شريك له ولا ولد، وأن عيسى عبده ورسوله، بل أن كل ما سوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إنما هو عبد له مخلوق.

كما أنه تعالى ينهى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصراني فانهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعواهم في كل ما قالوه سواء كان حقًا أو باطلاً أو ضلالاً أو رشادًا أو صحيحًا أو كذبًا ولهذا قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ (١)

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، برقم (٣٤٤٥)، وأخرجه مطوّلًا في =

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرِنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِينَكُمْ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَاللَّهُ مَا أَحْبَبَ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (١)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً تعالى الله **عَزَّجَلَّ** عن ذلك علواً كبيراً وتنزهه وتقدس فلا إله إلا هو ولا رب سواه ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه **عَزَّجَلَّ** فكان عيسى بإذنه **عَزَّجَلَّ** وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق لله

= كتاب الحدود: باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، برقم: (٦٨٣٠)، وأخرجه الحميدي في «مسنده» (٢٧)، وأحمد في «مسنده» (١٦٤)، (١٥٤)، (٣٣١)، والدارمي في «سننه» (٢٧٨٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٣٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٥٣)، والبرزاري في «مسنده» (١٩٤) والطيالسي في «مسنده» (٢٤) وعبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٥٨).

(١) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٠٧٧)، وأحمد (١٢٥٥١) باختلاف يسير وصححه الألباني.

عَزَّجَلَّ ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل.

قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ إلى آخر السورة

وقال تعالى إخباراً عن المسيح: ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾.
وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ هو كقوله ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).
وروى ابن أبي حاتم عن شاذان بن يحيى في قول الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾،

قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى^(٢).

وروى البخاري: عن عبادة بن الصامت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٦).

وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل^(١)

وعن جنادة زاد: من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وكذا رواه مسلم^(٢)

فقوله في الآية والحديث: ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَاكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، أي من خلقه ومن عنده وليست من: للتبويض كما تقوله النصارى عليهم لعنة الله بل هي لا ابتداء الغاية كما في الآية الأخرى.

وقد قال مجاهد في قوله: ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي ورسول منه وقال غيره ومحبة منه والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾، وفي قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾.

وكما روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأدخل على ربي في داره^(٣)، أضافها

(١) حديث عبادة، فأخرجه مسلم حديث (٢٨)، وأخرجه البخاري في «كتاب الأنبياء» (باب يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) حديث (٣٤٣٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث (٢٩)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي في «كتاب الإيمان» (باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله) حديث (٢٦٣٨).

(٣) من حديث أنس في الشفاعة يوم القيامة، وهو حديث طويل وفيه: «ثم أعود =

إليه إضافة تشریف وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد.

وقوله: (فأمّنوا بالله ورسوله)، أي فصدقوا بأن الله واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾، أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ وكما قال في آخر السورة المذكورة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾، وقال في أولها: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، أي يكن خيراً لكم، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾، أي تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيهما عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال في الآية الأخرى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ - إلى قوله: ﴿فَرْدًا﴾.

= الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه». رواه البخاري (٧٤٤٠)، وأحمد في مسنده (١٣٥٦٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٠٤) وغيرهم.

المطلب الثالث: الآيات من سورة الزخرف.

ومن سورة الزخرف: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا إِلَهَتَنَا خَيْرٌ أَمَ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصِدَّدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾

يقول تعالى مخبراً عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال: وجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ الآيات.

ثم قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقبل عبدالله بن الزبيري التميمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه، حسب جهنم فقال عبدالله بن الزبيري أما والله لو وجدته لخصمته سلوا محمداً أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟

فنحن نعبد الملائكة واليهود نعبد عزيزاً والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال (كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته، فأنزل الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، (أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عَزَّجَلَّ فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ الآيات، ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضر من حجته وخصومته ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمٌ مِّنْهُ يَصُدُّونَ﴾ أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله.

ثم ذكر عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ فهو قائم لله تعالى بالعبودية، ليس بإله ولا ابن إله، بل هو بشر ممن خلق، غير أن الله اصطفاه وأنعم عليه ﴿أَنعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة والحكمة والعلم والعمل ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

ثم قال تعالى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ أي: لجعلنا بدلکم ملائكة يخلفونکم في الأرض، ويكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من جنسهم، وأما أنتم يا معشر البشر، فلا تطيقون أن ترسل إليکم الملائكة، فمن رحمة الله بکم، أن أرسل إليکم رسلاً من جنسکم، تتمكنون من الأخذ عنهم.

﴿وَإِنَّهُ لَوَعْلَمُ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَوَعْلَمُ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة ﴿فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا﴾ أي: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر.

﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ بامثال ما أمرتكم، واجتنب ما نهيتكم، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ موصل إلى الله عز وجل.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ عما أمرکم الله به، فإن الشيطان ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ حريص على إغوائکم، باذل جهده في ذلك.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالة على صدق نبوته وصحة ما جاءهم به من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك من الآيات.

(قَالَ) لبني إسرائيل ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ النبوة والعلم، بما ينبغي على الوجه الذي ينبغي. ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: أبين لكم صوابه وجوابه، فيزول عنكم بذلك اللبس، فجاء عَلَيْهِ السَّلَامُ مكملًا ومتممًا لشريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولأحكام التوراة. وأتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد له، وقبول ما جاءهم به.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وآمنوا بي وصدقوني وأطيعون.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ففيه الإقرار بتوحيد الربوبية، بأن الله هو المربي لجميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة والباطنة، والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخبار عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصاري: (إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة) (والإخبار بأن هذا المذكور صراط مستقيم، موصل إلى الله وإلى جنته).

فلما جاءهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا (اختلف الأحزاب) المتحزبون على التكذيب (مِنْ بَيْنِهِمْ) كل قال بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مقالة باطلة، ورد

ما جاء به، إلا من هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة، وصدقوا بكل ما جاء به، وقالوا: إنه عبد الله ورسوله.

﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ آيَمٍ﴾ أي ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارهم في ذلك اليوم.

المطلب الرابع: وجود عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذُرِّيَةِ آدَمَ يَوْمَ أَنْ أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ.

وهذا من دلائل بشرية عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه كبقية البشر الذين خلقهم الله تعالى، ليس به صفة من صفات الألوهية بحال.

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، الْآيَةَ قَالَ:

(جَمَعَهُمْ فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا ثُمَّ صَوَّرَهُمْ فَاَسْتَنْطَقَهُمْ فَتَكَلَّمُوا، ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَأَشْهَدُ عَلَيْكُمْ آبَائِكُمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ نَعْلَمْ بِهَذَا، اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرِي وَلَا رَبَّ غَيْرِي فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَإِنِّي سَأُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي وَأَنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي.

قَالُوا: شَهِدْنَا بِأَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا لَا رَبَّ لَنَا غَيْرَكَ، فَأَقْرَأُوا بِذَلِكَ، وَرَفَعَ عَلَيْهِمْ آدَمُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَرَأَى الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرَ وَحَسَنَ الصُّورَةِ وَدُونَ ذَلِكَ فَقَالَ: رَبِّ لَوْ لَا سَوَّيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ، قَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْكَرَ،

وَرَأَى الْأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ مِثْلَ الشَّرْحِ عَلَيْهِمُ النُّورُ خُصُّوا بِمِيثَاقِ آخَرَ فِي
الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ كَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْوَاحِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى
مَرْيَمَ فَحَدَّثَ عَنْ أَبِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ مِنْ فِيهَا.

عن أبي العالية: عن أبي بن كعب: في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنَ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

قال: جمعهم فجعلهم أرواحًا ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا
فأخذ عليهم العهد والميثاق أن لا إله غيره وأن روح عيسى كانت في تلك
الأرواح فأرسل إلى مريم ذلك الروح، فسئل مقاتل بن حيان أين ذلك
الروح؟ فذكر عن أبي العالية عن أبي أنه دخل من فيها^(١).



(١) فتح الباري (٦ / ٥٤٠ - ٥٤١)، راجع موسوعة الحافظ ابن حجر (٣ / ٣٢٧).

الفصل الرابع:

معجزات عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

* تمهيد.

* **المبحث الأول:** أنه يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله.

* **المبحث الثاني:** أنه يمسح على الأكمه فيبرئه بإذن الله.

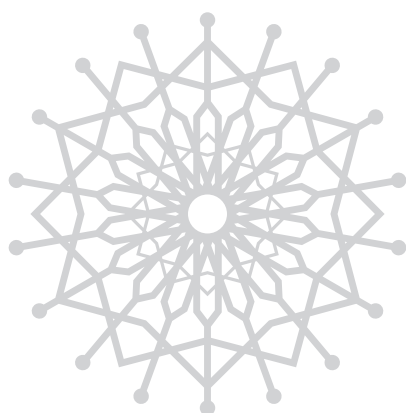
* **المبحث الثالث:** أنه يمسح على الأبرص فيشفيه بإذن الله.

* **المبحث الرابع:** أنه يحيي الموتى بإذن الله.

* **المبحث الخامس:** أنه ينبيء الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم،

* **المبحث السادس:** طلب الحواريون من عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء.

* **المبحث السابع:** كفَّ اللهُ بني إسرائيل عنه حين أرادوا قتله، ثم رفعه إليه



تمهيد



أرسل الله عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قوم عرفوا بمهارتهم في الطب، فأجرى الله على يديه معجزات باهرات تشاكل نوع مهارة قومه بحسب الصورة ولكن بمستوى لا يستطيع الطب بالغاً ما بلغ أن يصل إليه أو يدانيه، وردت في سورة المائدة بشأن عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ آيات فيها نصُّ على جميع هذه المعجزات قال الله عَزَّجَلَّ:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنْوَ عَلَيْهِمَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ

يَكْفُرُ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٧﴾

المعجزة الأولى: أنه يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله.

المعجزة الثانية: أنه يمسح على الأكمة وهو من ولد أعمى فيبرئه بإذن الله.

المعجزة الثالثة: أنه يمسح على الأبرص فيشفيه بإذن الله.

المعجزة الرابعة: أنه يحيي الموتى بإذن الله.

المعجزة الخامسة: أنه ينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

المعجزة السادسة: طلب الحواريون من عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء ليأكلوا منها ولتطمئن قلوبهم بالإيمان. فدعا عيسى ربه فأنزل عليه المائدة التي طلبوها.

المعجزة السابعة: كفُّ الله بني إسرائيل عنه حين أرادوا قتله، وإلقاء شبهه على من دل على مكانه ثم رفعه إليه. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (سورة النساء الآية: ١٥٧)

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (سورة النساء الآية: ١٥٧) ﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (سورة النساء الآية: ١٥٨)

(١٥٧١٥٨)



المبحث الأول:

أنه يخلق من الطين كهيئة الطير،
فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.



قال الطبري رَحْمَةُ اللَّهِ:

في قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٤٩ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، ثُمَّ يَبَيِّنُ عَنِ الْآيَةِ مَا هِيَ، فَقَالَ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾ آل عمران: ٤٩

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ بِأَنَّ أَخْلُقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، وَالطَّيْرُ جَمْعُ طَائِرٍ. وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ: (كَهَيْئَةِ الطَّائِرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا)، عَلَى التَّوْحِيدِ، وَقَرَأَهُ آخَرُونَ: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ آل عمران: ٤٩ عَلَى الْجَمَاعِ كِلَيْهِمَا.

وَأَعْجَبُ الْقِرَاءَاتِ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ آل عمران: ٤٩ عَلَى الْجَمَاعِ فِيهِمَا جَمِيعًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ صِفَةِ عِيسَىٰ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مُوَافِقٌ لِخَطِّ الْمُصْحَفِ، وَاتِّبَاعُ خَطِّ الْمُصْحَفِ مَعَ صِحَّةِ الْمَعْنَى وَاسْتِفَاضَةِ الْقِرَاءَةِ

بِهِ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ خِلَافِ الْمُصْحَفِ^(١).

وَكَانَ خَلَقَ عَيْسَى: مَا كَانَ يَخْلُقُ مِنَ الطَّيْرِ كَمَا: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سَلَمَةُ، قَالَ: ثنا ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ عَيْسَى، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، جَلَسَ يَوْمًا مَعَ غُلَمَانٍ مِنَ الْكُتَّابِ، فَأَخَذَ طِينًا، ثُمَّ قَالَ: أَجْعَلُ لَكُمْ مِنْ هَذَا الطِّينِ طَائِرًا؟ قَالُوا: وَتَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ بِإِذْنِ رَبِّي، ثُمَّ هَيَّأَهُ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي هَيْئَةِ الطَّائِرِ نَفَخَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: كُنْ طَائِرًا بِإِذْنِ اللَّهِ فَخَرَجَ يَطِيرُ بَيْنَ كَفَيْهِ، فَخَرَجَ الْغُلَمَانُ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ فَذَكَرُوهُ لِمُعَلِّمِهِمْ، فَأَفْشَوْهُ فِي النَّاسِ، وَتَرَعَرَعَ. فَهَمَّتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا خَافَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ حَمَلَتْهُ عَلَى حَمِيرٍ لَهَا ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ هَارِبَةً^(٢)

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الطَّيْرَ مِنَ الطِّينِ سَأَلَهُمْ: أَيُّ الطَّيْرِ أَشَدُّ خَلْقًا؟ فَقِيلَ لَهُ الْخُفَّاشُ كَمَا: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: قَوْلُهُ: ﴿أَيُّ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ آل عمران: ٤٩ قَالَ: (أَيُّ الطَّيْرِ أَشَدُّ خَلْقًا)؟ قَالُوا: الْخُفَّاشُ إِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ، قَالَ فَفَعَلَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ آل عمران: ٤٩ وَقَدْ قِيلَ: ﴿أَيُّ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ آل عمران: ٤٩؟ قِيلَ: لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: فَأَنْفُخُ فِي الطَّيْرِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ: فَأَنْفُخُ فِيهَا، كَانَ صَحِيحًا جَائِزًا، كَمَا قَالَ فِي الْمَائِدَةِ: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ آل عمران: ٤٩ يُرِيدُ: فَأَنْفُخُ فِي الْهَيْئَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ: (فَأَنْفُخُهَا)

(١) تفسير الطبري جامع البيان، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (٦/٤٢٥).

(٢) تفسير الطبري جامع البيان، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (٦/٤٢٥).

بِغَيْرِ (في)، وَقَدْ تَفَعَّلُ الْعَرَبُ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَقُولُ: رَبِّ لَيْلَةٍ قَدْ بَتَّهَا وَبِتُّ فِيهَا، قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

مَا شَقَّ جَيْبٌ وَلَا قَامَتَكَ نَائِحَةٌ وَلَا بَكَتَكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَسْلَابٍ
بِمَعْنَى: وَلَا قَامَتَ عَلَيْكَ، وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ:

إِحْدَى بَنِي عَيْدِ اللَّهِ اسْتَمَرَ بِهَا. حُلُوُّ الْعَصَارَةِ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ^(٢)
قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَبَى أَخْلَقُ لَكُمْ﴾، أي أصور وأقدر لكم.
﴿بِنِ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، قرأ الأعرج وأبو جعفر «كَهَيْئَةِ»
بِالتَّشْدِيدِ.

وقرأ الباقون بالهمز، والطيير يذكر ويؤنث^(٣).

﴿فَأَنْفَخُ فِيهِ﴾، أي في الواحد منه أو منها أو في الطين فيكون

(١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، الأغاني ١٧: ٦٨، ومعاني القرآن للفراء ١: ٢١٥. وهو من أبيات من خبرها أن عبيد الله بن زياد، كان عدواً لابن مفرغ، فلما قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد يوم الزاب، قال ابن مفرغ فيه، وفي طغيانه عليه، وهو عظة لكل جبار طاغية: إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَارًا بِذِمَّتِهِ : وَعَاشَ عَبْدًا، قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ.

(٢) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٤١٨/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة (٩٣/٤).

طائراً، وطائر وطيّر مثل تاجر وتجر، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق من فعل الله عزَّجَلَّ.

وقيل: لم يخلق غير الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً ليكون أبلغ في القدرة لأن لها ثدياً وأسناناً وأذناً، وهي تحيض وتطهر وتلد، ويقال: إنما طلبوا خلق خفاش لأنه أعجب من سائر الخلق؛ ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، فيكون له الضرع يخرج منه اللبن، ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جداً، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تحيض المرأة.

ويقال: إن سؤالهم كان له على وجه التعنت فقالوا: أخلق لنا خفاشاً واجعل فيه روحاً إن كنت صادقاً في مقاتلك؛ فأخذ طيناً وجعل منه خفاشاً ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض؛ وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى والخلق من الله، كما أن النفخ من جبريل والخلق من الله^(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة (٤/٩٣).

المبحث الثاني:

أنه يمسح على الأكمه وهو من ولد أعمى فيبرئه بإذن الله.



قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله الأكمه: الذي يولد أعمى؛ عن ابن عباس.

وكذا قال أبو عبيدة قال: هو الذي يولد أعمى؛ وأنشد لرؤبة:

فارتد ارتداد الأكمه

وقال ابن فارس: الكمه العمى يولد به الإنسان وقد يعرض.

قال سويد: كمهت عيناه حتى ابيضتا

مجاهد: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل.

عكرمة: هو الأعمش، ولكنه في اللغة العمى؛ يقال كمه يكمه

كمهاً وكمهتها إذا أعميتها.

والبرص معروف وهو بياض يعتري الجلد، والأبرص القمر،

وسام أبرص معروف، ويجمع على الأبارص.

وخص هذان بالذكر لأنهما عياءان.

وكان الغالب على زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الطب فأراهم الله المعجزة

من جنس ذلك. وأحيي الموتى بإذن الله قيل: أحيأ أربعة أنفس: العاذر:

وكان صديقاً له، وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح^(١).

فأما العاذر فإنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام فدعا الله فقام بإذن الله وودكه يقطر فعاش وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مر به يحمل على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله.

وأما بنت العاشر فكان أتى عليها ليلة فدعا الله فعاشت بعد ذلك وولد لها؛ فلما رأوا ذلك قالوا: إنك تحيي من كان موته قريباً فلعلهم لم يموتوا فأصابتهم سكتة فأحیی لنا سام بن نوح فقال لهم: دلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه، حتى انتهى إلى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه.

فقال له عيسى: كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب؟ فقال: يا روح الله، إنك دعوتني فسمعت صوتا يقول: أجب روح الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن هول ذلك شاب رأسي.

فسأله عن النزاع فقال: يا روح الله إن مرارة النزاع لم تذهب عن حنجرتي؛ وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة، فقال للقوم: صدقوه فإنه نبي؛ فأمن به بعضهم وكذبه بعضهم وقالوا: هذا سحر^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية - القاهرة (٩٤ / ٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر

وروي من حديث إسماعيل بن عياش قال: حدثني محمد بن طلحة عن رجل أن عيسى ابن مريم كان إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى: تبارك الذي بيده الملك.

وفي الثانية (تنزيل السجدة) فإذا فرغ حمد الله وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء: يا قديم يا خفي يا دائم يا فرديا وتر يا أحديا صمد^(١)



بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية - القاهرة (٩٣/٤).

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، مكتبة السوادي، جدة - (٢٨٨/١)، وقال البيهقي: ليس إسناده بالقوي.

المبحث الثالث:

أنه يمسح على الأبرص فيشفيه بإذن الله.



قوله: ﴿وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ﴾ وأبرئ عطف على ﴿أَخْلَقُ﴾ فهو داخل في خبر ﴿أَبْرَأُ﴾.

يقال: أبرأت زيد عن العاهة ومن الدّين، وبرأتك من الدين بالتضعيف. وبرأت من المرض أبرأ وبرئت أيضا وأما برئت من الدّين ومن الذّنْب، فبرئت لا غير.

وقال الأصمعي: برئت من المرض لغة تميم، وبرأت لغة الحجاز. قال الراغب: برأت من المرض وبرئت، وبرأت من فلان، فالظاهر من هذا أنه لا يقال الوجهان أعني فتح الرء وكسرهما إلا في البراءة من المرض ونحوه. وأما الدّين والذّنْب ونحوهما، فالفتح ليس إلا. والبراءة: التخلص من الشيء المكروه مجاورته؛ وكذلك التبري والبراء.

والبرص: داء معروف، وهو بياض يعتري الإنسان، ولم تكن العرب تنفر من شيء نُفرتَها منه، ويُقال: برص يبرص برصًا، أي: أصابه ذلك، ويقال له: الوضح، وفي الحديث: (وَكَانَ بِهَا وَضْحٌ). والوضّاح من ملوك العرب هابوا أن يقولوا له: الأبرص.

ويقال للقمر: أبرص؛ لشدة بياضه.

وقال الراغب: وللنكته التي عليه وليس بظَاهِرٍ، فَإِنَّ النُّكْتَةَ التي عليه سوداء، والوزغ سامٌّ أبرص، سُمِّيَ بذلك؛ تشبيهاً بالبرص، والبريص: الذي يَلْمَعُ لمعان البرص ويقارب البصيص^(١)

قال الفخر: روي أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى من أطاق منهم أناه، ومن لم يطق أناه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده، وقوله: ﴿يَا ذُنَّ اللَّهِ﴾ رفع لتوهم من اعتقد فيه الإلهية.

إنما خَصَّ هذين المرضيين لأنهما أعيا الأطباء، وكان الغالب في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الطبَّ، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك.^(٢) اهـ.

قال في ملاك التأويل: قوله سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾، وقال في المائدة: ﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق (٣/ ١٩٩).

(٢) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٨/ ٢٢٩).

وَتَبَرَّئُ الْأَكْمَمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴿١﴾. الآية،

للسائل أن يسأل عن تذكير الضمير وتأنيثه وعن وجه تكرير قوله تعالى:

﴿بِإِذْنِي﴾ في آية المائدة مضافا إلى ضميره سبحانه في أربعة مواضع

مع وجازة الكلام وتقارب ألفاظ الآية وقد جرى هذا الغرض في آية آل

عمران فورد فيها ذلك في موضعين خاصة مضافا من اسمه سبحانه؟

والجواب عن السؤال الأول بعد تمهيد الجواز في تذكير الضمير

في قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ في الآية الأولى وتأنيثه في الآية الثانية ﴿فَتَنْفُخُ

فِيهَا﴾ مع اتحاد ما يعود عليه ^(١).

قال الزمخشري في الأولى:

الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون

طيِّراً أي فيصير طائراً كبقية

الطيور، وقال في قوله: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ الضمير للكاف لأنها صفة

الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف

إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء قال وكذلك الضمير في

تكون ^(٢).

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من

آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، دار الكتب العلمية،

بيروت، (١/٨٣).

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،

الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة:

الثالثة - ١٤٠٧هـ، (١/٣٦٤).

وبقى السؤال عن وجه تخصيص كل من الموضوعين بالوارد فيه وهو مقصودنا في هذا الكتاب، وعن وجه التكرار في قوله تعالى في سورة المائدة ﴿بِإِذْنِي﴾ في أربعة مواضع مع وجازة الكلام وتقارب ألفاظ الآية؟

الجواب عن وجه التخصص والله أعلم: أن الترتيب الذي استقر عليه القرآن في سوره وآياته أصل مراعى وقد تقدم بعض إشارة إلى ذلك ولعلنا سنزيد في بيانه إن شاء الله وعودة الضمير على اللفظ وما يرجع إليه أولى وعودته على المعنى ثان عن ذلك وكلا التعبيرين عال فصيح فعاد في آية آل عمران على الكاف لأنها تعاقب مثل وهو مذكر فهذا لحظ لفظي ثم عاد في آية المائدة إلى الكاف من حيث هي في المعنى صفة لأن المثل صفة في التقدير المعنوي فحصل مراعاة المعنى ثانيا على ما يجب كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بعودة الضمير من يقنت مذكرا رعا للفظ ﴿وَمَنْ﴾، ثم قال: وتعمل بالتاء رعا للمعنى وهو كثير وقد بينا أن رعى اللفظ في ذلك هو الأولى فجرى في آية آل عمران على ذلك لأنها متقدمة في الترتيب وجرى في آية المائدة على ما هو ثان إذ هي ثانية في الترتيب وذلك على ما يجب.

وجواب ثان: وهو أنه قد ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنْفُخْ فِيهِ﴾ نحو من عشرين ضميرا من ضمائر المذكر فورد الضمير في قوله: ﴿فَأَنْفُخْ

فيه ﴿ضمير مذكر ليناسب ما تقدمه ويشاكل الأكثر الوارد قبله﴾^(١).

أما آية العقود فمفتحة بقوله تعالى: ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ وخلق الطائر ونفخه فيه من أجل نعمه تعالى عليه لتأييده بذلك فناسب ذلك تأنيث الضمير ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها هناك فجاء كل من الآيتين على أتم مناسبة.

والجواب عن السؤال الثاني: وهو تكرر قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِي﴾ في آية المائدة أربع مرات مع تقارب الألفاظ؟ ووجه أن آية آل عمران إخبار وبشارة لمريم بما منح لبنها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبمقاله عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل تعريفا برسالته وتحديا بمعجزاته وتبرئا من دعوى استبداد أو انفراد بقدرة في مقاله: ﴿أَفَنِي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ إلى ما بعده ولم تتضمن هذه الآية غير البشارة والإعلام وأما آية المائدة فقصد بها غير هذا وبنيت على توبيخ النصارى وتعنيفهم في مقالهم في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فوردت متضمنة عده سبحانه إنعامه على نبيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على طريقة تجارى العتب وليس بعتب تقريراً يقطع بمن وقع في العظيمة ممن عبده ومثل ذلك فيما يجرى بيننا ولكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المثل الأعلى.

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١/٨٣).

قول القائل لعبده الأحمب إليه المتبرئ من عصيانه: ألم أفعل لك كذا ألم أعطك كذا ويعدد عليه نعمًا ثم يقول: أفعل لك ذلك غيري؟، هل أحسنت إلي فلان إلا بما أعطيتك؟، هل قهرت عدوك إلا بمعونتي لك؟ فيقصد السيد بهذا قطع تخيل من ظن أن ما كان من هذا العبد من إحسان إلي أحد أو إرغام عدو أن ذلك من قبل نفسه مستبدًا به وليس من قبل سيده فإذا قرره السيد على هذا واعترف العبد بأن ذلك كما قال السيد انقطعت حجة من ظن خلافه وتوهم استقلال العبد فعلى هذا النحو والله أعلم وردت الآية الكريمة ولذلك تكرر فيها ما تكرر مع الآيات قوله تعالى: ﴿يَا ذِي نُوَيْنٍ﴾ وتكرر ذلك أربع مرات عقب أربع آيات مما خص به عَلَيْهِ السَّلَامُ من خلق الطير والنفخ فيه فيحيا وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وهى من الآيات التي ضل بسببها من ضل من النصارى وحملتهم على قولهم بالتليث تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ فأعلم الله سبحانه وتعالى أن تلك الآيات ياذنه.

وأكد ذلك تأكيداً يرفع توهم حول أو قوة لغير الله سبحانه أو استبداد ممن ظنه ونزه نبيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن نسبة شيء من ذلك لنفسه مستقلاً بإيجاده أو ادعاء فعل شيء إلا بقدره ربه سبحانه وإذنه وبرأه من شنيع مقالتهم.

وزيد هذا الغرض بياناً ما أعقبت به هذا الآية من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. الآيات فهل هذا للنصارى إلا أعظم توبيخ وتقرير

والمقصود منه جواب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله في إخبار الله سبحانه عنه: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ فافتتح بتنزيه ربه ثم نفى عن نفسه ما نسبوا إليه وأتبع بالتبرئ والتسليم لربه فقال: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ فآية آل عمران بشارة وإخبار لمريم وآية المائدة وإردة فيما يقوله سبحانه لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ توييحاً للنصارى كما بينا فلما اختلف القصدان اختلفت العبارتان (١) اهـ.



(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١/٨٣).

المبحث الرابع:

أنه يحيي الموتى بإذن الله.



قال أبو جعفر الطبري في تفسير: قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَا الْمَوْتَىٰ يَأْذَنُ

اللَّهُ﴾.

وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله، يدعو لهم، فيستجيب له، كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال، حدثني عبد الصمد بن معفل: أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة، أوحى الله إلى أمه وهي بأرض مصر، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر: أن اطلعي به إلى الشام. ففعلت الذي أمرت به. فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله إليه قال: وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي إليه، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله^(١). أهـ

(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٦ / ٤٣٢).

وقد روى أبو حذيفة إسحق بن بشر بأسانيده عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وابن عباس وسلمان الفارسي، دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا:

لما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل المنافقون والكافرون من بني إسرائيل يعجبون منه ويستهزئون به فيقولون: ما أكل فلان البارحة وما ادخر في منزله؟ فيخبرهم، فيزداد المؤمنون إيماناً والكافرون والمنافقون شكاً وكفراناً.

وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوى إليه، إنما يسبح في الارض ليس له قرار ولا موضع يعرف به، فكان أول ما أحيا من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهي تبكى فقال لها: مالك، أيتها المرأة؟ فقالت ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها وإني عاهدت ربي أن لا أبرح من موضعي هذا حتى أذوق ما ذاقته من الموت أو يحييها الله لي فأنظر إليها.

فقال لها عيسى: رأيت إن نظرت إليها أراجعة أنت؟ قالت: نعم.

قالوا فصلى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر فنادى يا فلانة قومي بإذن الرحمن فاخرجي.

قال: فتحرك القبر ثم نادى الثانية فانصدع القبر بإذن الله، ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب، فقال لها عيسى: ما أبطأ بك عنى؟ فقالت: لما جاءني الصيحة الأولى بعث الله لي ملكاً فركب

خلقي ثم جاءتني الصيحة الثانية فرجع إلي روحي، ثم جاءتني الصيحة الثانية فخنفت أنها صيحة القيامة فشاب رأسي وحاجبائي وأشفار عيني من مخافة القيامة، ثم أقبلت على أمها فقالت: يا أماه ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين يا أماه اصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا، يا روح الله وكلمته سل ربي أن يردني إلى الآخرة وأن يهون علي كرب الموت. فدعا ربه فقبضها إليه واستوت عليها الارض. فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضباً.

وروي أن بني إسرائيل سألوه أن يحيي لهم سام ابن نوح فدعا الله **عَزَّوَجَلَّ** وصلى لله فأحياه الله لهم فحدثهم عن السفينة وأمرها ثم دعا فعاد تراباً^(١).

وقد روى السدي عن أبي صالح وأبي مالك، عن ابن عباس في خبر ذكره وفيه أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل مات وحمل على سيره فجاء عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فدعا الله **عَزَّوَجَلَّ** فأحياه الله **عَزَّوَجَلَّ**، فرأى الناس أمراً هائلاً ومنظراً عجيباً.

عن وهب بن منبه يقول: لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة، أوحى الله إلى أمه وهي بأرض مصر، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر أن اطلعي به إلى الشام، ففعلت الذي أمرت به

(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٦ / ٤٣٢).

فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله إليه.

قال: وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي إليه، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله^(١).



(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٦ / ٤٣٢).

المبحث الخامس:

أنه ينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.



قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أي بالذي تأكلونه وما تدخرون. وذلك أنهم لما أحيوا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر للغد؛ فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا؛ فذلك قوله وأنبئكم الآية.

وقرأ مجاهد والزهري والسختياني (وما تدخرون) بالذال المعجمة مخففا. وقال سعيد بن جبير وغيره: وكان يخبر الصبيان في الكتاب بما يدخرون حتى منعهم آباؤهم من الجلوس معه. قتادة: أخبرهم بما أكلوه من المائدة وما ادخروه منها خفية.^(١)

قوله: ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ يجوز في ما أن تكون موصولة اسمية أو حرفية ونكرة موصوفة. فعلى الأول والثالث تحتاج إلى عامل بخلاف الثاني عند الجمهور وكذلك ما في قوله: ﴿وَمَا تَدْخِرُونَ﴾ محتملة لما

(١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة (٩٣/٤).

ذكر. وأتى بهذه الخوارق الأربع بلفظ المضارع؛ دلالةً على تجدد ذلك كل وقتٍ طُلِبَ منه. اهـ.

- من أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾:

قال الفخر: في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان من أول مرة يخبر عن الغيوب، روى السدي: أنه كان يلعب مع الصبيان، ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم، وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا فيرجع الصبي إلى أهله ويكي إلى أن يأخذ ذلك الشيء ثم قالوا للصبيانهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر، وجمعوهم في بيت، فجاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يطلبهم، فقالوا له، ليسوا في البيت، فقال: فمن في هذا البيت، قالوا: خنازير قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كذلك يكونون فإذا هم خنازير.

والقول الثاني: إن الأخبار عن الغيوب إنما ظهر وقت نزول المائدة، وذلك لأن القوم نهوا عن الادخار، فكانوا يخزنون ويدخرون، فكان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبرهم بذلك^(١) اهـ.

قال الألوسي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ ما في الموضعين موصولة، أو نكرة موصوفة

(١) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٨/ ٢٢٩).

والعائد محذوف أي تأكلونه وتدخرونه والظرف متعلق بما عنده وليس من باب التنازع، والادخار الخبء وأصل تدخرون تذخرون بذال معجمة فتاء فأبدلت التاء ذالاً ثم أبدلت الذال دالاً وأدغمت، ومن العرب من يقلب التاء دالاً ويدغم، وقد كان هذا الأخبار بعد النبوة وإحيائه الموتى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** على ما في بعض الأخبار، وقيل: قبل، فقد أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: كان عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وهو غلام يلعب مع الصبيان يقول لأحدهم: تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك؟ فيقول: نعم فيقول: خبأت لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها: أطمعيني ما خبأت لي فتقول: وأي شيء خبأت لك؟ فيقول: كذا وكذا فتقول: من أخبرك؟ فيقول: عيسى ابن مريم فقالوا: والله لأن تركتم هؤلاء الصبيان مع عيسى ليفسدنهم فجمعوهم في بيت وأغلقوه عليهم فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم حتى سمع ضوضاهم في بيت فسأل عنهم فقال: ما هؤلاء أكان هؤلاء الصبيان؟ قالوا: لا إنما هي قردة وخنازير قال: اللهم اجعلهم قردة وخنازير فكانوا كذلك، وذهب بعضهم أن ذلك كان بعد نزول المائدة وأيد بما أخرجه عبد الرزاق وغيره عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه في الآية أنه قال: **﴿وَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾** من المائدة **﴿وَمَا تَدْخُرُونَ﴾** منها، وكان أخذ عليهم في المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا فادخروا وخانوا فعلوا قردة وخنازير، ويمكن أن يقال: إن كل ذلك قد وقع وعلى سائر التقادير فالمراد الأخبار بخصوصية هذين الأمرين كما يشعر به الظاهر،

وقيل: المراد الأخبار بالمغيبات إلا أنه قد اقتصر على ذكر أمرين منها ولعل وجه تخصيص الأخبار بأحوالهم لتيقنهم بها فلا يبقى لهم شبهة، والسر في ذكر هذين الأمرين بخصوصهما أن غالب سعي الإنسان.

وصرف ذهنه لتحصيل الأكل الذي به قوامه والادخار الذي يطمئن به أكثر القلوب ويسكن منه غالب النفوس فليفهم^(١) اهـ.

قال الفخر الرازي: الأخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة، وذلك لأن المنجمين الذين يدعون استخراج الخير لا يمكنهم ذلك إلا عن سؤال يتقدم ثم يستعينون عند ذلك بألة ويتوصلون بها إلى معرفة أحوال الكواكب، ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيراً، فأما الأخبار عن الغيب من غير استعانة بألة، ولا تقدم مسألة لا يكون إلا بالوحي من الله تعالى^(٢) اهـ.



(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٦٣ / ٢).

(٢) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٢٢٩ / ٨).

المبحث السادس:

طلب الحواريون من عيسى أن ينزل عليهم

مائدة من السماء



ومن المعجزات التي أيده الله بها نزول المائدة من السماء

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

فالجُمهور على أنها نزلت، وقد رجح ذلك الطبري، فقال ما حاصله: والصواب من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه؛ فإنه تعالى ذكره لا يخلف وعده، ولا يقع في خبره الخُلف، وقد قال تعالى ذكره مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأله ما سأله من ذلك: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة: ١١٥)، وغير جائز أن يقول تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ثم لا ينزلها؛ لأن ذلك منه تعالى خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر، ولو جاز أن يقول: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ثم لا ينزلها عليهم،

جاز أن يقول: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ١١٥)، ثم يكفر منهم بعد ذلك، فلا يعذبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة. وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك.

قال ابن كثير معقبًا على قول الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وهذا القول هو والله أعلم الصواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم). هذا، والذي يراجع بعض كتب التفسير يقرأ عجبًا عن كيفية نزول المائدة، ومكان نزولها، وعن كيفية استقبالها، وكشف غطاها، وما كان عليها من أصناف الطعام، والأكل منها، والباقي عليها بعد الأكل، ونحو ذلك من الكلام الذي لا خير في ذكره والوقوف عليه؛ لضعف سنده، وعدم تعلق فائدة ترجى من ورائه. وقد ذكر ابن كثير أثرًا طويلًا في هذا الصدد، ثم قال معقبًا عليه: هذا أثر غريب جدًا، قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة، وقد جمعته أنا له؛ ليكون سياقه أتم وأكمل.

والمهم في هذا المقام ما قاله الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول؛ وجائز أن يكون كان سمكًا وخبزًا، وجائز أن يكون كان ثمرًا من ثمر الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به، إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل.

ويشار هنا إلى قول مقابل لرأي الجمهور، وهو قول الحسن ومجاهد أن المائدة لم تنزل، وقد روى الطبري عنهما ما يفيد عدم

نزولها، لكن المعول عليه قول الجمهور المتقدم؛ لأن ظاهر الآيات تؤيده، وكذلك الآثار الصحيحة التي وردت في ذلك^(١).

اختلفت القراء في قراءة قوله تعالى: (هل يستطيع ربك):

فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين: (هل تستطيع) بالياء بال نصب

بمعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك، وهل تستطيع أن تدعو ربك، أو هل تستطيع وترى أن تدعوه؟ وقالوا: لم يكن الحواريون شاكين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينزل عليهم ذلك، وإنما قالوا العيسى: هل تستطيع أنت ذلك؟

قالت عائشة: كان الحواريون لا يشكون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى، هل تستطيع ربك؟.

عن سعيد بن جبير أنه قرأها كذلك: (هل يستطيع ربك) وقال: تستطيع أن تسأل ربك؟ وقال: ألا ترى أنهم مؤمنون؟

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق: (هل يستطيع) بالياء ربك.

بمعنى أن ينزل علينا ربك، كما يقول الرجل لصاحبه: أتستطيع أن تنهض معنا في كذا؟ وهو يعلم أنه يستطيع، ولكنه إنما يريد: أتنهض معنا فيه؟

وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك: هل يستجيب لك ربك ويطيعك أن تنزل علينا؟

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٦).

قال الطبري: وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ ذلك: (هل يستطيع) بالياء ربك برفع الرب، بمعنى: هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل من أن قوله: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ من صلة (إذ أوحيت)، وأن معنى الكلام: وإذ أوحيت إلى الحواريون أن آمنوا بي وبرسولي ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾

فبين إذ كان ذلك كذلك، أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قيلهم ذلك، والإقرار لله بالقدرة على كل شيء، وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الأخبار. وقد قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له استعظاما منه لما قالوا: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ففي استتابة الله إياهم، ودعائه لهم إلى الإيمان به وبرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قيلهم ما قالوا من ذلك، واستعظام نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمتهم، الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة في ذلك بالياء ورفع الرب إذ كان لا معنى في قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له: هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ أن تستكبر هذا الاستكبار^(١).

فإن ظن أن قولهم ذلك له إنما هو استعظام منهم، لأن ذلك منهم كان مسألة آية، فإن الآية إنما يسألها الأنبياء من كان بها مكذبا،

(١) تفسير الطبري (١١ / ٢١٨).

ليتقرر عنده حقيقة ثبوتها وصحة أمرها، كما كانت مسألة قريش نبينا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحول لهم الصفا ذهباً ويفجر فجاج مكة أنهاراً من سأله من مشركي قومه، وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذبي قومه، ومسألة شعيب أن يسقط كسفاً من السماء من كفار من أرسل إليهم.

وكان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، على هذا الوجه كانت مسألتهم، فقد أحلهم الذين قرءوا ذلك بالتاء ونصب الرب محلاً أعظم من المحل الذي ظنوا أنهم نزهوا ربهم عنه، أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهم موقنون بأنه لله نبي مبعوث ورسول مرسل، وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك قادر. فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك، وإنما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه، إذا كان فقيراً أن يسأل له ربه أن يغنيه، وإن عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها، فأنى ذلك من مسألة الآية في شيء؟ بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلى ربه، فسأل نبيه مسألة ربه أن يقضيها له^(١).

وخبر الله تعالى عن القوم ينبئ بخلاف ذلك، وذلك أنهم قالوا لعيسى، إذ قال لهم: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا) فقد أنبأ هذا من قيلهم أنهم لم

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢١٨).

يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوته، فلا بيان أبين من هذا الكلام في أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشك في دينهم وتصديق رسولهم، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختباراً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس: أنه كان يحدث عن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لبني إسرائيل: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً، ثم تسألوه فيعطيكُم ما سألتهم؟ فإن أجز العامل على من عمل له! ففعلوا؛ ثم قالوا: يا معلم الخير، قلت لنا: إن أجز العامل على من عمل له، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أطمعنا حين نفرغ طعاماً فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، قالوا: نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين،. إلى قوله، لا أعذبه أحدا من العالمين) قال: فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم.

عن السدي: (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) قالوا: هل يطيعك ربك إن سألته؟ فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطعام إلا اللحم فأكلوا منها^(١).

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢١٨).

قال ابن كثير في تفسيره:

هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها فأنزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين^(١)

وقال في قصص الأنبياء:

قد ذكرنا في التفسير الآثار الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من السلف، ومضمون ذلك: أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً، فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم، وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لا ولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم^(٢).

فوعظهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عَزَّجَلَّ.

فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحاً من شعر وصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٢).

(٢) قصص الأنبياء ابن كثير (٥٢٠).

الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا.

فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلاً قليلاً، وكلما دنت سأله عيسى ربه **عَزَّوَجَلَّ** أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة.

فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول: بسم الله خير الرازقين، فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة.

ويقال: واخل ويقال: وroman وثمار، ولها رائحة عظيمة جداً، قال الله لها كوني فكانت.

ثم أمرهم بالاكل منها، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل.

فقال: إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها.

فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء، فأمر الفقراء والمحويج والمرضى والزمنى وكانوا قريباً من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك.

ثم قيل: إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف، ثم كانت تنزل يوماً بعد يوم، كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم.

ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحويج دون الأغنياء.

فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك، فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير^(١).

وقد اختلف أهل التأويل في المائدة، هل أنزلت عليهم أم لا؟ وما كانت؟

والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال وهو قول الجمهور إن الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه، وإنما قلنا ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم غير من انفرد بما ذكرنا عنه. وبعد، فإن الله تعالى لا يخلف وعده ولا يقع في خبره الخلف، وقد قال تعالى مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين سأله ما سأله من ذلك: **﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾**، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره إني منزلها عليكم، ثم لا ينزلها؛ لأن ذلك منه تعالى خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر.

ولو جاز أن يقول: إني منزلها عليكم، ثم لا ينزلها عليهم، جاز أن يقول: **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾** ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة، وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك.

وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول، وجائز أن يكون كان سمكاً وخبزاً، وجائز أن يكون كان

(١) قصص الأنبياء ابن كثير (٥٢٠).

ثمرًا من ثمر الجنة ؛ وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل^(١)

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾

وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم، فقال تعالى ذكره: إني منزلها عليكم أيها الحواريون فمطعمكموها. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ﴾ يقول: فمن يجحد بعد إنزالها عليكم وإطعامكموها فمن يجحد منكم رسالتي إليه وينكر نبوة نبيي عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته، فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من عالمي زمانه، عندئذ اتجه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ربه يدعو:

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾.

وفي دعاء عيسى بن مريم كما يكرر السياق القرآني هذه النسبة أدب العبد المجتبي مع إلهه ومعرفته بربه، فهو يناديه: يا الله. يا ربنا. إنني أدعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء، تعمنا بالخير والفرحة كالعيد، فتكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا؛ وأن هذا من رزقك فارزقنا وأنت خير الرازقين فهو إذن يعرف أنه عبد؛ وأن الله ربه. وهذا الاعتراف يعرض

(١) تفسير الطبري (١١ / ٢١٨).

على مشهد من العالمين، في مواجهة قومه، يوم المشهد العظيم! واستجاب الله دعاء عبده الصالح عيسى بن مريم؛ ولكن بالجد اللائق بجلاله سبحانه، لقد طلبوا خارقة، واستجاب الله، على أن يعذب من يكفر منهم بعد هذه الخارقة عذاباً شديداً بالغاً في شدته لا يعذبه أحداً من العالمين: قال الله: ﴿إِنِّي مُزَلِّمَةٌ عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

فهذا هو الجد اللائق بجلال الله؛ حتى لا يصبح طلب الخوارق تسلية ولهواً، وحتى لا يمضي الذين يكفرون بعد البرهان المفحم دون جزاء رادع! وقد مضت سنة الله من قبل بهلاك من يكذبون بالرسول بعد المعجزة.. فأما هنا فإن النص يحتمل أن يكون هذا العذاب في الدنيا، أو أن يكون في الآخرة^(١).

وقال غيره: قال الحواريون لعيسى إننا نريد نزول هذه المائدة علينا من السماء لأسباب:

أولها: إننا نرغب في الأكل منها لننال البركة، ولأننا في حاجة إلى الطعام بعد أن ضيق علينا أعداؤك وأعداؤنا الذين لم يؤمنوا برسالتك.
وثانيها: أننا نرغب في نزولها لكي تزداد قلوبنا اطمئناناً إلى أنك صادق فيما تبلغه عن ربك فإن انضمام علم المشاهدة إلى العلم الاستدلالي، مما يؤدي إلى رسوخ الإيمان وقوة اليقين.

(١) تفسير الطبري (١١ / ٢١٨).

وثالثها: أننا نرغب في نزولها لكي نعلم أن قد صدقتنا في دعوة النبوة، وفي جميع ما تخبرنا به من مأمورات ومنهيات، لأن نزولها من السماء يجعلها تخالف ما جئتنا به من معجزات أرضية، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على صدقك في نبوتك.

ورابع هذه الأسباب: أننا نرغب في نزولها لكي نكون من الشاهدين على هذه المعجزة عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ليزداد الذين آمنوا منهم إيماناً، ويؤمن الذي عنده استعداد للإيمان.

وبذلك نرى أن الحواريين قد بينوا لعيسى كما حكى القرآن عنهم أنهم لا يريدون نزول المائدة من السماء لأنهم يشكون في قدرة الله، أو في نبوة عيسى أو أن مقصدهم من هذا الطلب التعنت، وإنما هم يريدون نزولها لتلك الأسباب السابقة التي يبغون من ورائها الأكل وزيادة الإيمان واليقين والشهادة أمام الذين لم يحضروا نزولها بكمال قدرة الله وصدق عيسى في نبوته^(١)

ويكشف لنا هذا الحوار عن طبيعة قوم عيسى، المستخلصين منهم وهم الحواريون، فإذا بينهم وبين أصحاب رسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرق بعيد.

إنهم الحواريون الذين ألهمهم الله الإيمان به وبرسوله عيسى، فأمنوا وأشهدوا عيسى على إسلامهم، ومع هذا فهم بعدما رأوا من معجزات عيسى ما رأوا، يطلبون خارقة جديدة. تطمئن بها نفوسهم.

(١) تفسير الطبري (١١ / ٢١٨).

ويعلمون منها أنه صدقهم. ويشهدون بها له لمن وراءهم.

فأما أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يطلبوا منه خارقة واحدة بعد إسلامهم، لقد آمنت قلوبهم واطمأنت منذ أن خالطتها بشاشة الإيمان، ولقد صدقوا رسولهم فلم يعودوا يطلبون على صدقه بعد ذلك البرهان، ولقد شهدوا له بلا معجزة إلا هذا القرآن.

هذا هو الفارق الكبير بين حواربي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحواريي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك مستوى، وهذا مستوى، وهؤلاء مسلمون وأولئك مسلمون، وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون ولكن تبقى المستويات متباعدة كما أرادها الله تعالى.

فهم يريدون أن يأكلوا من هذا الطعام الفريد الذي لا نظير له عند أهل الأرض، وتطمئن قلوبهم برؤية هذه الخارقة وهي تتحقق أمام أعينهم؛ ويستيقنوا أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد صدقهم، ثم يكونوا شهوداً لدى بقية قومهم على وقوع هذه المعجزة، وكلها أسباب كما قلنا تصور مستوى معيناً دون مستوى أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهؤلاء طراز آخر بالموازنة مع هذا الطراز!



المبحث السابع:

كُفَّ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْهُ حِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ.



وقال الله تعالى عن واحدة من المعجزات التي أيد بها عبده عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَمِنٌ﴾

يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ مما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات ومن ذلك، وإذ أيدتك بروح القدس وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَمِنٌ﴾ وهذا من تأييد الله تعالى له.

أي واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم فكذبوك واتهموك بأنك ساحر وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم ورفعتك إلي وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا أو يكون هذا الامتنان واقعا يوم القيامة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (٣/ ٢٢٤).

ومن تأييد الله تعالى أيضاً لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ن جعل له أنصاراً
وأصحاباً:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا
ءَامِنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ وهذا
أيضاً من الامتنان عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً ثم قيل إن
المراد بهذا الوحي وحي إلهام كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ
ارْضِعِيهِ﴾، الآية وهو وحي إلهام بلا خلاف، و كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ
رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾، وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية:
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ﴾، أي ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا قال الحسن البصري ألهمهم
الله عَزَّجَلَّ ذلك وقال السدي: قذف في قلوبهم ذلك ويحتمل أن يكون المراد
وإذ أوحيت إليهم بواسطة فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله واستجابوا
لك وانقادوا وتابعوك فقالوا آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون.

وقرر ابن كثير في تفسيره أن المراد بالوحي هنا الإلهام، وعلى ذلك كثير
من المفسرين، ومنهم من يرى أن المراد بقوله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾
أي: أمرتهم في الإنجيل على لسانك أو أمرتهم على السنة رسلي^(١).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٩٩).

قال الألوسي معززاً هذا الرأي: وقد جاء استعمال الوحي بمعنى الأمر في كلام العرب، كما قال الزجاج وأنشد:

الحمد لله الذي استقلت بإذنه السماء وأطمأنت
أوحى لها القرار فاستقرت، أي: أمرها أن تقر فامتثلت^(١).

بداية مكر اليهود بنبي الله عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: اليهود قوم بهت وحسد وحقده، وأكثر خلق الله تعالى معاندة للأنبياء، ومنذ خروج عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الدنيا بدأوا برمي أمه الطاهرة الصديقة بالفاحشة، فبرأها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأطلق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المهدي، فكانت آية لكل ذي عينين، ثم جاءهم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بالآيات والمعجزات والبينات من الله تعالى، فما ازدادوا إلا حقداً وحسداً.

حتى كان التآمر على قتله، والتخلص منه، ويحكي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هذا الأمر بجلية ووضوح كما في كتابه الكريم وهي في عدة مواضع نسردها بإذن الله.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة آل عمران: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي

(ت ١٢٧٠هـ) علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ (٤/٥٦).

فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
 الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكِ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ
 مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَأَعَذَبْنَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
 ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ
 الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

يقول تعالى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾، أي استشعر منهم التصميم على
 الكفر والاستمرار على الضلال قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ قال مجاهد:
 أي من يتبعني إلى الله وقال سفيان الثوري وغيره: أي من أنصاري مع الله
 وقول مجاهد أقرب^(١).

والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله كما كان النبي
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر يقول: من رجل يؤويني
 حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي^(٢)، حتى

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
 الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع
 (٤٥ / ٢).

(٢) تحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي (١٩٥ / ٨).

وجد الأنصار فأووه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وهكذا عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ انتدب له طائفة من بني إسرائيل فأمنوا به ووازره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ولهذا قال تعالى مخبراً عنهم ﴿ قَالِ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ^{٥٢} رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿

الحواريون: قيل: كانوا قصارين، وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل: صيادين.

والصحيح: أن الحواري الناصر، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل نبي حواري وحواري الزبير ^(١).

عن مجاهد: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ قال: كفروا وأرادوا قتله، فذلك حين استنصر قومه، قال: ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾

رَبَّنَا ءَامِنًا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ

﴿ قَالِ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ قال: هؤلاء أمنا بالله، صدقنا بالله، واشهد

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة. (٢٢ / ٤٧١).

أنت يا عيسى بأنا مسلمون. وهذا خبر من الله **عَزَّوَجَلَّ** أن الإسلام دينه الذي ابتعث به عيسى والأنبياء قبله، لا النصرانية ولا اليهودية.

وتبرئة من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها، كما برأ إبراهيم من سائر الأديان غير الإسلام، وذلك احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على وفد نجران. كما: عن محمد بن جعفر بن الزبير **﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾** والعدوان، **﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾** **﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ﴾** وهذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربه، واشهد بأنا مسلمون، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه، يعني وفد نصارى نجران.

﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾:

ثم قال تعالى مخبراً عن ملا بني إسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وإرادته بالسوء والصلب حين تماثلوا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان وكان كافراً أن هنا رجلا يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك ويفسد الرعايا ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب وأنه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم ورفع من روزنة ذلك البيت إلى السماء وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى فأخذوه وأهانوه

وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك^(١).

وكان هذا من مكر الله بهم فإنه نجى نبيه ورفعهم من بين أظهرهم وتركهم في ضلالهم يعمهون يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازمًا لهم وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾.

قال الطبري: وأما مكر الله بهم فإنه فيما ذكر السدي: إلقاءه شبه عيسى على بعض اتباعه، حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى، وقد رفع الله عزَّجَلَّ عيسى قبل ذلك، عن السدي قال: ثم إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة، فأخذها رجل منهم، وصعد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء، فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة، ويرون صورة عيسى فيهم فشكوا فيه، وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى، وصلبوه، فذلك قول الله عزَّجَلَّ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَهُمْ﴾^(٢).

(١) تفسير الطبري (٥ / ٤٤٦).

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٤٥٤).

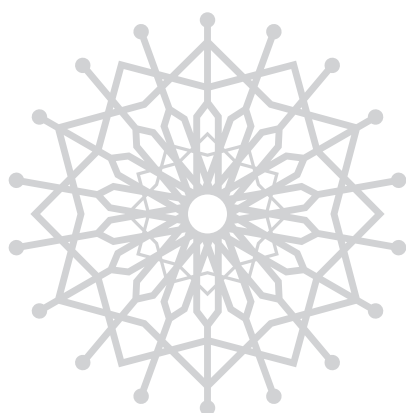
﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم، إذ قال الله جل ثناؤه:

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ف إذ صلة من قوله: ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ يعني: ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ ﴾ فتوفاه ورفعاه إليه (١).



(١) تفسير الطبري (٥ / ٤٤٦).



الفصل الخامس:

حياته الآن ورفعہ وبيان ضلال النصارى

في دعوى قتله وصلبه

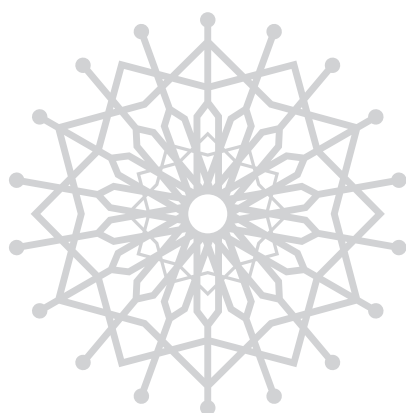
وفيه أربعة مباحث:

* المبحث الأول: حياته الآن ورفعہ الى السماء.

* المبحث الثاني: ماذا حدث لمريم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بعد رفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ
إلى السماء؟

* المبحث الثالث: بيان سيرة عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعماله بعد نزوله بما
ورد في السنة وموضوع دعوته في آخر الزمان.

* المبحث الرابع: فرية صلب المسيح عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



المبحث الأول:

حياته الآن ورفعته الى السماء



المطلب الأول: معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾.

القول الأول: وهو الصحيح معنى ذلك: إني قابضك من الأرض، فرافعك إلي.

قالوا: ومعنى الوفاة: القبض، لما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته، أي قابضك من الأرض حياً إلى جوارى، وأخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك.

عن مطر الوراق: قال: متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت، وعن الحسن قال: متوفيك من الأرض، وعن ابن جريج قال: فرفعه الله إليه، توفيه إياه، وتطهيره من الذين كفروا.

عن كعب الأحبار قال: ما كان الله عزَّجَلَّ ليميت عيسى ابن مريم، إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه، شكاً ذلك إلى الله عزَّجَلَّ، فأوحى الله إليه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وليس من رفعته عندي ميتاً، وإني سأبعثك على الأعور الدجال فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحي، قال كعب الأحبار: وذلك يصدق حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حيث قال: كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها؟^(١).

قلت: قول كعب (ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة) لا يصح لأنه ثبت في الحديث الصحيح أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعيش أربعين سنة ثم يموت ويدفنه المسلمون آخر الزمان.

عن محمد بن جعفر بن الزبير: يا عيسى إني متوفيك: أي قابضك^(٢).

فال ابن زيد: متوفيك: قابضك، قال: ومتوفيك ورافعك واحد.
قال: ولم يمّت بعد حتى يقتل الدجال، وسيموت، وقرأ قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال: رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً، قال: وينزل كهلاً.

(١) معجم الشيوخ، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دار البشائر دمشق، (١/٤٥١)، وقال ابن عساكر: هذا حديث غريب جداً وخالد بن يزيد غير مشهور ومحمد بن إبراهيم هو ابن محمد بن علي الإمام وأبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وقال في التقريب: ضعيف مع كونه فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين، والحديث قال عنه الألباني في الضعيفة (٢٣٤٩): منكر، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٦/٤٥٥).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٦/٤٥٥).

عن الحسن قال: رفعه الله إليه، فهو عنده في السماء.

القول الثاني: هي وفاة نوم.

وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني منيمك، ورافعك في نومك.
ذكر من قال ذلك:

عن الربيع قال: يعني وفاة المنام: رفعه الله في منامه.

قال الحسن: قال رسول الله لليهود: «إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة».

القول الثالث: إني متوفيك وفاة موت.

وهو قول ضعيف جداً لا يصح بحال، وهو مبني على إعتقاد باطل فالنصارى يزعمون أن اليهود قتلوه وصلبوه ومات ودفن في قبر ثم قام من الموت في اليوم الثالث وكل هذا باطل، مخالف لقول الله تعالى في كتابه الكريم.

القول الرابع: إني رافعك إلي، ومطهرك من الذين كفروا. ومتوفيك

بعد إنزالي إياك إلى الدنيا. وقال: هذا من المقدم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم.

قلت: وهو قول وجيه جداً، يتناسب مع القول الأول، فلا تعارض بينهما إلا في اللفظ فقط، فالأول عبر بالنوم والرابع رفعه مباشرة بدون نوم، والجامع بينهما حياته حين رفعه وهو التعبير القرآني، خلافاً لتخرصات اليهود والنصارى.

والراجع القول الأول:

وهو أن الوفاة بمعنى القبض، أي أن الله قبضه من الأرض ورفعهُ إلى السماء، وهو لا يزال حيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى يأذن الله تعالى بنزوله إلى الأرض مرة أخرى فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، وسنأتي على ذكر ذلك بالتفصيل مع الأدلة إن شاء الله تعالى.

قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي، لتواتر الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال» ثم يمكث في الأرض مدة، ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفونونه^(١).

ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عَزَّجَلَّ لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتين، لأن الله عَزَّجَلَّ إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَاءَ﴾، فتأويل الآية إذاً: قال الله لعيسى: يا عيسى إني قابضك من الأرض

(١) والحديث رواه أحمد في المسند: ٧٨٩٠ (٢ / ٢٩٠-٢٩١ حلي)، بنحوه، مطولا، عن يزيد، وهو ابن هارون، عن سفيان، وهو ابن حسين، عن الزهري، عن حنظلة، ورواه أحمد قبل ذلك، مختصراً: ٧٢٧١، عن سفيان، وهو ابن عيينة. و: ٧٦٦٧، عن عبد الرزاق، عن معمر - كلاهما عن الزهري، عن حنظلة، ورواه أيضاً مختصراً: ١٠٦٧١ (٢ / ٥١٣)، من طريق ابن أبي حفصة. و: ١٠٩٨٧ (٢ / ٥٤٠)، من طريق الأوزاعي كلاهما عن الزهري، عن حنظلة، وهذه الرواية المختصرة عند أحمد - رواها مسلم (١ / ٣٥٦-٣٥٧).

ورافعك إلي، ومطهرك من الذين كفروا، فجددوا نبوتك، وهذا الخبر وإن كان مخرجه مخرج خبر، فإن فيه من الله **عَزَّوَجَلَّ** احتجاجاً على الذين حاجوا رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في عيسى من وفد نجران، بأن عيسى لم يقتل ولم يصلب كما زعموا، وأنهم واليهود الذين أقروا بذلك وادعوا على عيسى كذبة في دعواهم وزعمهم^(١).

المطلب الثاني: قوله تعالى: (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة).

﴿وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، يعني بذلك جل ثناؤه: وجاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الإسلام، وفطرته فوق الذين جحدوا نبوتك، وخالفوا بسيلهم جميع أهل الملل، فكذبوا بما جئت به، وصدوا عن الإقرار به، فمصيبرهم فوقهم ظاهرين عليهم. كما جاء عن قتادة: هم أهل الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وستته فلا يزالون ظاهرين على من ناوهم إلى يوم القيامة.

عن ابن جريج قال: ناصر من اتبعك على الإسلام على الذين كفروا إلى يوم القيامة.

عن الحسن: جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة،

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٤٥٨/٦).

قال: المسلمون من فوقهم، وجعلهم أعلى ممن ترك الإسلام إلى يوم القيامة.

قال ابن كثير: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ﴾، وهكذا وقع فإن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعاً بعده فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله وآخرون قالوا هو الله وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثه^(١).

وقد حكى الله مقاتلتهم في القرآن ورد على كل فريق فاستمروا على ذلك قريبا من ثلاثمائة سنة ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل: حيلة ليفسده فإنه كان فيلسوفاً وقيل: جهلاً منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة وأحل في زمانه لحم الخنزير وصلوا إلى المشرق وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد وبنى المدينة المنسوبة إليه واتبعه طائفة الملكية منهم وهم في هذا كله قاهرون لليهود

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، (٤٧/٢).

أيده الله عليهم لأنه أقرب إلى الحق منهم وإن كان الجميع كفارًا عليهم لعائن الله. (١)

فلما بعث الله محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي العربي خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الإطلاق الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته مما قد حرفوا وبدلوا ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين الحق الذي لا يبدل ولا يغير إلى قيام الساعة ولا يزال قائما منصورا ظاهرا على كل دين فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها واحتازوا جميع الممالك ودانت لهم جميع الدول وكسروا كسرى وقصروا قيصر وسلبوهما كنوزهما وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عَزَّوَجَلَّ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ الآية

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، (٤٨/٢).

فلهذا لما كانوا هم المؤمنون بالمسيح حقاً سلبوا النصراني بلاد الشام وألجئوهم إلى الروم فلجئوا إلى مدينتهم القسطنطينية ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة وقد أخبر الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستفيئون ما فيها من الأموال ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۗ﴾ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّيْهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١﴾ هـ.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّيْهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ هـ.

قال الطبري: فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى، وخالفوا ملتك، وكذبوا بما جئتهم به من الحق، وقالوا فيك الباطل، وأضافوك إلى غير الذي ينبغي أن يضيفوك إليه من اليهود والنصارى، وسائر أصناف الأديان؛ فإني أعذبهم عذاباً شديداً؛ أما في الدنيا فبالقتل والسبب والذلة والمسكنة؛ وأما في الآخرة، فبنار جهنم خالدين فيها أبداً. (٢) هـ.

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، (٤٨/٢).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٤٥٨/٦).

قال ابن كثير: وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من النصراني عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق «وما لهم من الله من واق»^(١).

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

وأما الذين آمنوا بك يا عيسى وصدقوك فأقروا بنبوتك، وبما جئتهم به من الحق من عندي، ودانوا بالإسلام الذي بعثتك به، وعملوا بما فرضت من فرائضي على لسانك، وشرعت من شرائعي، وسنتت من سنني كما جاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: أدوا فرائضي، فيوفيهم أجورهم، يقول: فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملا لا يخسون منه شيئا ولا ينقصونه^(٢).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾.

أي هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره هو مما قاله تعالى وأوحاه إليك ونزله عليك من اللوح

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، (٤٨/٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، (٤١/٢).

المحفوظ فلا مرية فيه ولا شك كما قال تعالى في سورة مريم: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿وهنا قال الله تعالى: ﴿إِن مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

ذكر الله تعالى مؤكداً رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حياً في سورة النساء أيضاً، وإبطال ما يدعيه اليهود والنصارى من قتله وصلبه، فقال سبحانه:

﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٥٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿

قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾، أي وبكفر هؤلاء اليهود (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) يعني: بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا، وهو البهتان العظيم؛ لأنهم رموها بذلك وهي مما رموها به بغير ثبوت ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، (٢/٤١).

كذبهم الله في قيلهم فقال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(١)
يعني: وما قتلوا عيسى وما صلبوه، ولكن شبه لهم.

المطلب الثالث: واختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي

شبه لليهود في أمر عيسى.

قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء.

فقال بعضهم: لما أحاطت اليهود به وبأصحابه، أحاطوا بهم، وهم لا يثبتون معرفة عيسى بعينه، وذلك أنهم جميعا حولوا في صورة عيسى، فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل عيسى، عيسى من غيره منهم، وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى، فقتلوه وهم يحسبونه عيسى، جاء ذلك عن وهب ابن منبه، قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت، وأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى، فقالوا لهم: سحرتونا! لتبرز لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا! فقال عيسى لأصحابه: من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة؟ فقال رجل منهم: أنا فخرج إليهم فقال: أنا عيسى! وقد صوره الله على صورة عيسى، فأخذوه فقتلوه وصلبوه^(١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٣٦٧ / ٩).

فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى، وظنت النصراني مثل ذلك أنه عيسى، ورفع الله عيسى من يومه ذلك، وقد روي عن وهب بن منبه غير هذا القول: إن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً، فقال: احضروني الليلة، فإن لي إليكم حاجة! فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم، وقام يخدمهم، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه، فتعاضموا ذلك وتكارهوه، فقال: ألا من رد علي شيئاً الليلة مما أصنع فليس مني ولا أنا منه! فأقروه، حتى إذا فرغ من ذلك، قال: أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي، فليكن لكم بي أسوة، فإنكم ترون أني خيركم، فلا يتعظم بعضكم على بعض، وليبذل بعضكم لبعض نفسه كما بذلت نفسي لكم، وأما حاجتي التي استعنتكم عليها، فتدعون لي الله وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي! فلما نصبوا أنفسهم للدعاء، وأرادوا أن يجتهدوا، أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها؟ قالوا: والله ما ندري ما لنا، لقد كنا نسمر فنكثر السمر، وما نطبق الليلة سمرًا وما نريد دعاءً إلا حيل بيننا وبينه! فقال: يذهب بالراعي وتفرق الغنم، وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه، ثم قال: الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبيني أحدكم بدراهم يسيرة، وليأكلن ثمني! فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه، فأخذوا شمعون أحد الحواريين، فقالوا:

هذا من أصحابه، فجحد، وقال: ما أنا بصاحبه، فتركوه.

ثم أخذوا آخرون، فجحدوا كذلك، ثم سمع صوت ديك، فبكى وأحزنه، فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود، فقال: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها ودلهم عليه، وكان شبه عليهم قبل ذلك، فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل، فجعلوا يقودونه ويقولون له: أنت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون؟ أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويصقون عليه، ويلقون عليه الشوك، حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها، فرفعه الله إليه، وصلبوا ما شبه لهم، فمكث سبعاً.

ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب، فجاءهما عيسى، فقال: علام تبكيان؟ قالتا عليك، فقال: إني قد رفعتني الله إليه، ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شبه لهم، فأمر الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا! فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر، وفقد الذي كان باعه ودل عليه اليهود، فسأل عنه أصحابه، فقالوا: إنه ندم على ما صنع، فاختنق وقتل نفسه، فقال: لو تاب لتاب الله عليه! ثم سألهم عن غلام يتبعهم يقال له: يحنا، فقال: هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم، فليذرهم وليدعهم^(١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٩/ ٣٦٧).

وقال آخرون: بل سأل عيسى من كان معه في البيت أن يلقي علي بعضهم شبهه، فانتدب لذلك رجل، فألقي عليه شبهه، فقتل ذلك الرجل ورفع عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهو قول: عن قتادة: (إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه) أولئك أعداء الله اليهود ائتمروا بقتل عيسى ابن مريم رسول الله، وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه. وذكر لنا أن نبي الله عيسى ابن مريم قال لأصحابه: أيكم يقذف عليه شبهي فإنه مقتول؟ فقال رجل من أصحابه: أنا يا نبي الله. فقتل ذلك الرجل، ومنع الله نبيه ورفع له إليه.

وعنه: ألقى شبهه علي رجل من الحواريين فقتل، وكان عيسى ابن مريم عرض ذلك عليهم، فقال: أيكم ألقى شبهي عليه له الجنة؟ فقال رجل: علي.

عن السدي: أن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الحواريين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منهم، وصعد بعيسى إلى السماء، فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد صعد به إلى السماء، فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلاً من العدة، ويرون صورة عيسى فيهم، فشكوا فيه، وعلي ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه، فذلك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَهُمْ﴾... إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٣٦٧ / ٩).

عن القاسم بن أبي بزة: أن عيسى ابن مريم قال: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني؟ فقال رجل من أصحابه: أنا يا رسول الله. فألقي عليه شبيهه، فقتلوه، فذلك قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

عن ابن إسحاق، قال: حدثني رجل كان نصرانياً فأسلم أن عيسى حين جاءه من الله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال: يا معشر الحواريين: أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة حتى يشبهه للقوم في صورتني فيقتلوه مكاني؟ فقال سرجس: أنا يا روح الله! قال: فأجلس في مجلسي. فجلس فيه، ورفع عيسى صلوات الله عليه، فدخلوا عليه فأخذوه، فصلبوه، فكان هو الذي صلبوه وشبه لهم به. وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة، قد رأوهم فأحصوا عدتهم، فلما دخلوا عليه ليأخذوه وجدوا عيسى فيما يرون وأصحابه وفقدوا رجلاً من العدة، فهو الذي اختلفوا فيه. وكانوا لا يعرفون عيسى، حتى جعلوا ليودس زكريا يوطا ثلاثين درهماً على أن يدلهم عليه ويعرفهم إياه، فقال لهم: إذا دخلتم عليه فإني سأقبله، وهو الذي أقبل فخذوه! فلما دخلوا عليه، وقد رفع عيسى، رأى سرجس في صورة عيسى، فلم يشك أنه هو عيسى، فأكب عليه فقبله، فأخذوه فصلبوه. ثم إن يودس زكريا يوطا ندم على ما صنع، فاختنق بحبل حتى قتل نفسه، وهو ملعون في النصراني، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه. وبعض النصراني يزعم أن يودس زكريا يوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه، وهو يقول: إني لست بصاحبكم! أنا الذي دللتكم عليه! والله أعلم أي ذلك كان^(١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٦٥٦ / ٧).

قال ابن جريج: بلغنا أن عيسى ابن مريم قال لأصحابه: أيكم يتدب فيلقى عليه شبهي فيقتل؟ فقال رجل من أصحابه: أنا يا نبي الله. فألقي عليه شبه فقتل، ورفع الله نبيه إليه.

عن مجاهد في قوله: ﴿شُبَّهَ لَهُمْ﴾ قال: صلبوا رجلاً غير عيسى يحسبونه إياه، عن مجاهد قال: صلبوا رجلاً شبهوه بعيسى يحسبونه إياه، ورفع الله إليه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حياً.

قال أبو جعفر الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب أحد القولين اللذين ذكرناهما عن وهب بن منبه، من أن شبه عيسى ألقى على جميع من كان في البيت مع عيسى حين أحيط به وبهم، من غير مسألة عيسى إياهم ذلك، ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ من مكروه ما أرادوا به من القتل، ويبتلي به من أراد ابتلاءه من عباده في قبلة في عيسى وصدق الخبر عن أمره، أو القول الذي رواه عبد العزيز عنه^(١).

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بالصواب، لأن الذين شهدوا عيسى من الحواريين لو كانوا في حال ما رفع عيسى، وألقي شبهه عليه من ألقى عليه شبهه، كانوا قد عاينوا عيسى وهو يرفع من بينهم، وأثبتوا الذي ألقى عليه شبهه، وعاینوه متحولاً في صورته بعد الذي كان به من صورة نفسه بمحضر منهم، لم يخف ذلك من أمر عيسى، وأمر من ألقى عليه شبهه

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٩/ ٣٧٥).

عليهم مع معاينتهم ذلك كله، ولم يلتبس ولم يشكل عليهم وإن أشكل على غيرهم من أعدائهم من اليهود أن المقتول والمصلوب كان غير عيسى، وأن عيسى رفع من بينهم حيًّا^(١).

وكيف يجوز أن يكون قد أشكل ذلك عليهم، وقد سمعوا من عيسى مقالته: من يلقي عليه شبهي ويكون رفيقي في الجنة؟ إن كان قال لهم ذلك، وسمعوا جواب مجيبه منهم: أنا، وعانوا تحول المجيب في صورة عيسى بعقب جوابه، ولكن ذلك كان إن شاء الله على نحو ما وصف وهب بن منبه، إما أن يكون القوم الذين كانوا مع عيسى في البيت الذي رفع منه من حواريه حولهم الله جميعًا في صورة عيسى حين أراد الله رفعه، فلم يثبتوا عيسى معرفة بعينه من غيره لتشابه صور جميعهم، فقتلت اليهود منهم من قتلت وهم يرونه بصورة عيسى ويحسبونه إياه، لأنهم كانوا به عارفين قبل ذلك، وظن الذين كانوا في البيت مع عيسى مثل الذي ظنت اليهود، لأنهم لم يميزوا شخص عيسى من شخص غيره لتشابه شخصه وشخص غيره ممن كان معه في البيت، فاتفقوا جميعهم - أعني اليهود والنصارى - من أجل ذلك على أن المقتول كان عيسى، ولم يكن به، ولكنه شبه لهم، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّوهُ﴾.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٩/ ٣٧٥).

أو يكون الأمر في ذلك كان على نحو ما روى عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه، أن القوم الذين كانوا مع عيسى في البيت تفرقوا عنه قبل أن يدخل عليه اليهود، وبقي عيسى، وألقي شبهه على بعض أصحابه الذين كانوا معه في البيت بعد ما تفرق القوم غير عيسى وغير الذي ألقى عليه شبهه، ورفع عيسى، فقتل الذي تحول في صورة عيسى أصحابه، وظن أصحابه واليهود أن الذي قتل وصلب هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفاء أمر عيسى عليهم؛ لأن رفعه وتحول المقتول في صورته كان بعد تفرق أصحابه عنه، وقد كانوا سمعوا عيسى من الليل ينعى نفسه ويحزن لما قد ظن أنه نازل به من الموت، فحكوا ما كان عندهم حقاً، والأمر عند الله في الحقيقة بخلاف ما حكوا، فلم يستحق الذين حكوا ذلك من حواريه أن يكونوا كذبة، أو حكوا ما كان حقاً عندهم في الظاهر وإن كان الأمر عند الله في الحقيقة بخلاف الذي حكوا^(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (النساء).

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقولهم: ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٣٧٥ / ٩).

منهم من باب التهكم والاستهزاء، كقول المشركين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وكان من خبر اليهود - عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه - أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات، التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرا ثم ينفخ فيه فيكون طائرا يشاهد طيرانه بإذن الله، **عَزَّوَجَلَّ**، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى، **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه، **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان وكان رجلا مشرگا من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته: اليونان - وأنموا إليه: أن بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه على الناس، فلما وصل الكتاب امتثل متولي بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى، **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وهو في جماعة من أصحابه، اثنا عشر أو ثلاثة عشر وقيل: سبعة عشر نفرًا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصره هنالك، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه عليهم قال لأصحابه: أيكم يلتقى عليه شبيهي،

وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم، فكانه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا يتدب إلا ذلك الشاب، فقال: أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة من النوم، فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمُ مَا مَنَّكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمَطَهْرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [آل عمران: ٥٥]، فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتجحوا بذلك، وسلم لهم طوائف من النصراني ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقيون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال: إنه خاطبها، والله أعلم، وهذا كله من امتحان الله عباده؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيد بالمعجزات والبيانات والدلائل الواضحات، فقال تعالى وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، المطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السماوات والأرض، العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَمَا قَنُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، أي: رأوا شبهه فظنوه إياه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَعْنِي سَلَكِ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظُّلْمِ وَمَا قَنُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿يعني بذلك: من ادعى قتله من اليهود،

ومن سلمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر، ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين^(١).

المطلب الرابع قوله تعالى: (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).

قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، قال ابن كثير: أي منيع الجناب لا يرام جنبه ولا يضام من لاذ ببابه «حكيماً» أي في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم^(٢).

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشر مرة بعد أن آمن بي قال: ثم قال أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سناً فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا فقال: هو أنت ذاك فألقى عليه شبه عيسى

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، (٤٤٩/٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، (٤٤٩/٢).

ورفع عيسى من روزنه في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق:

فقال فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوه فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١). وكذا ذكره غير واحد من السلف أنه قال لهم أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة، وذكر ابن كثير روايتا وهب ابن منبه ثم قال بعدها: سياق غريب جدًا.

ثم ساق بعدها الروايات الأخرى التي ذكرها ابن جرير ثم قال:
وقال ابن جرير الطبري عن مجاهد: صلبوا رجلًا شبه بعيسى ورفع الله عَزَّجَلَّ عيسى إلى السماء حيًّا واختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقى على جميع أصحابه.

قال ابن كثير في قصص الأنبياء: ويروى عن أمير المؤمنين علي أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان، وتلك الليلة في

(١) وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه جامع البيان (٩/ ٣٧٥).

مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة أيام^(١).

وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءتته سحابة فذنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي تنظر وألقى إليها عيسى رداءً له وقال: هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيامة، وألقى عمامته على شمعون، وجعلت أمه تودعه بإصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها، وكانت تحبه حباً شديداً، لأنه توفر عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له، وكانت لا تفارقه سفيراً ولا حضراً وكانت كما قال بعض الشعراء:

وكنت أرى كالموت من بين ساعة فكيف بين كان موعده الحشر^(٢)

وذكر إسحاق بن بشر، عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك، تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس، فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمان، فقيل له إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والابرص ويفعل العجائب، فعدوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه وحبسوهم فبعث فجئ بهم وفيهم يحيى بن

(١) قصص الأنبياء ابن كثير، (٢/ ٤٥٨).

(٢) البيت من الطويل، وهو لسلمة بن يزيد الجعفي في سمط اللآلي ٧٠٨، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٠٨١، و المقاصد النحوية (٣/ ٢٧٣)، ولليلي بنت سلمى في حماسة البحري ٢٧٤.

زكريا وشمعون وجماعة، فسألهم عن أمر المسيح فأخبروه عنه، فبايعهم في دينهم وأعلى كلمتهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم، وبعث إلى المصلوب فوضع عن جذعه وجيء بالجذع الذي صلب عليه ذلك الرجل فعظمه فمن ثم عظمت النصارى الصليب، ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم.

وفي هذا نظر من وجوه:

أحدها: أن يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى، فإنه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق.

الثاني: ان الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلاثمائة سنة، وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن باني المدينة المنسوبة إليه.

الثالث: أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم ألقوه بخشبه جعلوا مكانه مطرًا للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات.

فلم يزل كذلك حتى كان في [زمان] قسطنطين المذكور فعمدت أمه هيلانة الحرانية الفندقانية ^(١) فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه

(١) هيلانة، هي والدة الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير. وُلدت (هيلانة) (حوالي ٢٥٠-٣٢٧ م) بمدينة الرُّها من أبوين مسيحيين نحو سنة ٢٤٧ م، فربَّيها تربية مسيحية وأدَّبها بالآداب الدينية. وكانت حسنة الصورة جميلة النفس، واتفق لقسطنس ملك بيزنطية أن نزل بمدينة الرُّها وسمع بخبرها وجمال منظرها، فطلبها وتزوجها حوالي عام ٢٧٠ م، فرزقت منه بقسطنطين فربَّته أحسن تربية وعلمته الحكمة والآداب.

المسيح، ووجدوا الخشبة التي صلب عليها المصلوب، فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفي، فالله أعلم أكان هذا أم لا، وهل كان هذا لان ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلاً صالحاً أو كان هذا محنة وفتنة لامة النصارى في ذلك اليوم، حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللاآلىء، ومن ثم اتخذوا الصلبانات وتبركوا بشكلها وقبلوها، وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبنى مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة، فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها، ويسمونها القيامة يعنون التي يقوم جسد المسيح منها، ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس، فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخبث والانجاس، ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله ليلة الاسراء بالأنبياء وهو المسجد الأقصى^(١).

المطلب الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

قال ابن جرير الطبري الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، (١/١٠٣).

أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن ابن عباس ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال ابن مالك في قوله تعالى ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: ذلك عند نزول عيسى وقبل موت عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به، عن ابن عباس ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني اليهود خاصة، وقال الحسن البصري: يعني النجاشي وأصحابه.

وقال ابن جرير الطبري: عن الحسن ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى والله إنه لحي الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

وقال ابن أبي حاتم: عن جويرية بن بشير قال: سمعت رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى إن الله رفع إليه عيسى وهو باعته قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر. وكذا قال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد، وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان^(١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٤ / ٣٥٦).

قال ابن جرير الطبري: وقال آخرون:

يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به بعيسى قبل موت الكتابي ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه، عن ابن عباس في الآية قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته قبل موت صاحب الكتاب، قال ابن عباس: لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى، وعن ابن عباس قال: لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبدالله ورسوله ولو عجل عليه بالسلاح.

عن ابن عباس وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال: هي في قراءة أبي قبل موتهم ليس يهودي يموت أبدا حتى يؤمن بعيسى قيل لابن عباس: رأيت إن خر من فوق بيت قال: يتكلم به في الهوى قيل: رأيت إن ضربت عنق أحدهم؟ قال: يلجلج بها لسانه.

عن ابن عباس ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن ضرب بالسيف تكلم به، قال: وإن هوى تكلم به وهو يهودي وكذا روى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي هارون الغنوي عن عكرمة عن ابن عباس فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس وكذا صح عن مجاهد وعكرمة ومحمد بن سيرين وبه يقول الضحاك وجوير وقال السدي: وحكاه عن ابن عباس

ونقل قراءة أبي بن كعب قبل موتهم، وقال عبدالرزاق عن إسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن في قوله: ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: «لا يموت أحد منهم حتى يؤمن» بعيسى قبل أن يموت وهذا يحتمل أن يكون مراد الحسن ما تقدم عنه ويحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء.

قال ابن جرير الطبري: وقال آخرون: معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل موت الكتابي^(١).

قال عكرمة لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.

ثم قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصحة: القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا آمن به قبل موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصراني الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٣٨٣ / ٩).

ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً أي بأعمالهم التي شاهدتها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض.

فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعاً له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ الآية وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ الآيةين وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاهق أو ضرب سيف أو افترسه سبع فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى فالإيمان به في

هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه والله أعلم .
 ومن تأمل هذا جيداً وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى «الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء» اليهود وأفرط هؤلاء النصارى تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علواً كبيراً وتنزهه وتقدس لا إله إلا هو^(١).

المطلب السادس: ماذا حدث لمريم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد رفع المسيح

عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ؟

أما ماذا حدث لأمه بعد رفعه إلى السماء؟ وكيف ماتت؟ ومتى ماتت؟ وأين دفنت؟ ونحو تلك الأسئلة: فلا طائل تحتها، ولا نجد لها في نصوص الوحيين جواباً، وإنما نجد نقولاً عن أهل الكتاب، الذين لا يوثق بأقوالهم، وأقوالاً لا يعتد بها، ولا يحتاج بها.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وَحَكَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (٣٨٣ / ٩).

بْنِ حَبِيبٍ، فِيمَا بَلَغَهُ أَنَّ مَرْيَمَ سَأَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ - بَعْدَ مَا صُلِبَ الْمَصْلُوبُ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَهِيَ تَحْسَبُ أَنَّهُ ابْنُهَا - أَنْ يُنْزَلَ جَسَدُهُ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَدُفِنَ هُنَالِكَ، فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِأُمِّ يَحْيَى: أَلَا تَذْهَبِينَ بِنَا نَزُورُ قَبْرِ الْمَسِيحِ، فَذَهَبْنَا فَلَمَّا دَنَّا مِنَ الْقَبْرِ، قَالَتْ مَرْيَمُ لِأُمِّ يَحْيَى: أَلَا تَسْتَرِينَ، فَقَالَتْ: وَمِمَّنْ أَسْتَرِي، فَقَالَتْ: مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ عِنْدَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ أُمُّ يَحْيَى: إِنِّي لَا أَرَى أَحَدًا. فَرَجَتْ مَرْيَمُ أَنْ يَكُونَ جَبْرِيلَ، وَكَانَتْ قَدْ بَعْدَ عَهْدِهَا بِهِ فَاسْتَوْقَفَتْ أُمُّ يَحْيَى وَذَهَبَتْ نَحْوَ الْقَبْرِ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنَ الْقَبْرِ قَالَ لَهَا جَبْرِيلُ، وَعَرَفْتُهُ: يَا مَرْيَمُ، أَيْنَ تَرِيدِينَ؟ فَقَالَتْ: أَزُورُ قَبْرَ الْمَسِيحِ وَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَأَحْدِثُ عَهْدًا بِهِ، فَقَالَ: يَا مَرْيَمُ، إِنَّ هَذَا لَيْسَ الْمَسِيحَ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ الْمَسِيحَ وَطَهَّرَهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَلَكِنَّ هَذَا الْفَتَى الَّذِي أُلْقِيَ سَبَّهُ عَلَيْهِ وَصُلِبَ وَقُتِلَ مَكَانَهُ، وَعَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَهُ قَدْ فَقَدُوهُ فَلَا يَدْرُونَ مَا فَعَلَ بِهِ، فَهُمْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ كَذَا وَكَذَا، فَأُتِيَ غَيْصَةَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّكَ تَلْقَيْنِ الْمَسِيحَ.

قَالَ: فَرَجَعَتْ إِلَى أُخْتِهَا، وَصَعِدَ جَبْرِيلُ فَأَخْبَرْتَهَا عَنْ جَبْرِيلَ، وَمَا قَالَ لَهَا مِنْ أَمْرِ الْغَيْصَةِ. فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، ذَهَبَتْ فَوَجَدَتْ عِيسَى فِي الْغَيْصَةِ، فَلَمَّا رَأَاهَا أَسْرَعَ إِلَيْهَا فَأَكَبَّ عَلَيْهَا، فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَجَعَلَ يَدْعُو لَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ، وَقَالَ: يَا أُمَّهُ، إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَقْتُلُونِي، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَعَنِي إِلَيْهِ، وَأَذِنَ لِي فِي لِقَائِكَ، وَالْمَوْتُ يَأْتِيكَ قَرِيبًا، فَاصْبِرِي وَادْكُرِي اللَّهَ. ثُمَّ صَعِدَ عِيسَى فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا تِلْكَ الْمَرَّةَ حَتَّى مَاتَتْ.

قَالَ: وَبَلَّغَنِي أَنَّ مَرْيَمَ بَقِيَتْ بَعْدَ عَيْسَى خَمْسَ سِنِينَ، وَمَاتَتْ وَلَهَا
ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا (١).

وَقَدْ رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَيْسَى لَمَّا رَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ
جَاءَتْهُ سَحَابَةٌ، فَدَنَّتْ مِنْهُ حَتَّى جَلَسَ عَلَيْهَا، وَجَاءَتْهُ مَرْيَمُ فودعته وبكت،
ثم رفع وهي تنظر، وَالْقَى إِلَيْهَا عَيْسَى بُرْدًا لَهُ وَقَالَ: هَذَا عَلَامَةٌ مَا بَيْنِي
وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَجَعَلَتْ أُمُّهُ تُودِّعُهُ بِأُضْبُعِهَا تُشِيرُ بِهَا إِلَيْهِ حَتَّى غَابَ عَنْهَا، وَكَانَتْ
تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، لِأَنَّهُ تَوَفَّرَ عَلَيْهَا حُبُّهُ مِنْ جِهَتَيْ الْوَالِدَيْنِ، إِذْ لَا أَبَّ لَهُ،
وَكَانَتْ لَا تُفَارِقُهُ سَفَرًا وَلَا حَضْرًا (٢).

(١) من «البداية والنهاية» (٢ / ٥١٤).

(٢) وهذا الذي ذكره عن ابن عباس، رواه ابن عساکر في تاريخه (٤٧ / ٤٧٦) بنحوه
من طريق إسحاق بن بشر أنبأنا جويبر ومقاتل عن الضحاک عن ابن عباس به،
وهذا إسناد ليس بشيء، والضحاک لم يلق ابن عباس، وجويبر ضعيف جدا، قال
ابن معين: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: لا يشتغل به، وقال النسائي والدارقطني
وغيرهما: متروك الحديث، ميزان الاعتدال (١ / ٤٢٧)، ومقاتل، هو ابن
سليمان، متهم، كذبه وكيع والنسائي، وقال الجوزجاني: كان دجالا جسورا، ميزان
الاعتدال (٤ / ١٧٣)، وإسحاق بن بشر كذبه علي بن المديني، وقال ابن حبان
لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب، وقال الدارقطني كذاب متروك. «لسان
الميزان» (١ / ٣٥٤)، وما ذكره عن يحيى بن حبيب رواه ابن عساکر أيضا (٧٠ /
١٢١) من طريق أبي حذيفة إسحاق بن بشر قال: قال علي بن عاصم: أخبرني
يحيى بن حبيب... فذكره، وهذا مع كونه مقطوعا من كلام يحيى بن حبيب، فهو
لا يصح عنه، وإسحاق بن بشر تقدم الكلام فيه وأنه متروك متهم.

ولما رفعه الله إلى السماء وقال اليهود ما قالوا، أنزله الله من السماء إلى أمه مريم وهي تبكي عليه، فقال لها: إن الله رفعني إليه، ولم يصبني إلا الخير وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الأرض رسلاً عن الله. ثم رفعه الله تعالى وتفرق الحواريون. وكان رفعه لمضي ثلاثمائة وست وثلاثين من غلبة الاسكندر، وكان بين رفع عيسى ومولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريباً.

وعاشت مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ ثلاثاً وخمسين سنة، وحملت بالمسيح ولها ثلاث عشرة سنة، وحاضت قبل حملها حيضتين، وعاشت مجتمعه معه ثلاثاً وثلاثين سنة، وبقيت بعد رفعه ست سنين. وكان ملك اليهود الذي هم بقتل عيسى اسمه هردوس، قال ابن سعيد: وكانت اليهود قد جددت في طلبه فحضر بعض الحواريين إلى هردوس ملك اليهود، وقال له ولجماعة اليهود، ما تجعلون لي إذا دلتكم على المسيح. فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه فرفع الله المسيح إليه وألقى شبهه على الذي دلهم عليه، فقبضه اليهود وربطوه بحبل وقادوه ويقولون له: أنت كنت تحيي الموتى، أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل ويصقون في وجهه، ويلقون عليه الشوك وهو يستغيث بهم ويقول لهم: أنا فلان وهم لا يصدقونه وصلبوه على الخشبة ست ساعات ثم استوهبه يوسف النجار من هردوس ودفنه في قبر كان يوسف قد أعده لنفسه ثم ظهر لهم أنه هو الحواري الذي دل على عيسى، وأنزل الله عيسى على أمه وهي تبكي واجتمع بالحواريين وبعثهم رسلاً إلى البلاد^(١).

(١) من «البداية والنهاية» (٢/ ٥١٤).

وفاتها **عَلَيْهَا السَّلَامُ**: توفيت مريم بعد رفع عيسى بخمس سنوات، وكان عمرها حينئذ ثلاثاً وخمسين سنة، ويقال: إن قبرها في أرض دمشق^(١)

المطلب السابع: هل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الآن في الجنة كما

يدعي النصارى؟

قد ذكر الله أنه رفع عيسى إليه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وهو في السماء الثانية، ومعه يحيى بن زكريا؛ وهما ابنا الخالة كما في حديث الإسراء الذي رواه البخاري في صحيحه عن أنس، ثم إن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن رفع إلى السماء أصبح كغيره من الأنبياء الذين رفعوا، ووجدهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عرج به إلى السموات، فقد لقي آدم في الأولى، و يحيى و عيسى في الثانية، و يوسف في الثالثة، و إدريس في الرابعة، و هارون في الخامسة، و موسى في السادسة، و إبراهيم في السابعة، ولم يذكر بقية الأنبياء^(٢).

وقد ذكر الحافظ في الفتح: أن المراد أرواحهم، فإن أجسادهم قد دفنت في الدنيا، ولا شك أن عيسى رفع جسده إلى السماء فلعله بعد أن رفع بقي كالملائكة لا يحتاج إلى أكل طعام ولا شراب، ولا تحسب السنوات التي مرت به من عمره، فإذا أنزل عاد إلى حياته قبل أن يرفع،

(١) انتهى من «البداية والنهاية» (٢/ ٥١٤).

(٢) كما في حديث الإسراء الذي رواه البخاري في صحيحه عن أنس وقد تقدم.

أي أصبح مثل بني آدم في الأكل ونحوه، فأما قول النصارى (إنه في الجنة) فيكذبه ما ورد في حديث المعراج المذكور، وغيره^(١) من أنه في السماء الثانية، ولا شك أن الجنة في أعلى عليين، أي في السماء السابعة أو فوقها.



(١) روى البخاري في صحيحه حديث الإسراء والمعراج عن مالك بن صعصعة

المبحث الثاني:

بيان سيرة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعماله

بعد نزوله بما ورد في السنة.



المطلب الأول: نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى.

قال الله عزَّوجلَّ: ﴿وَأَنَّهُ لَئِمَّا لِلسَّاعَةِ﴾.

تواترت الأحاديث بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان، بعد خروج المسيح الدجال، فينزل عند صلاة الفجر فيصلي مع المسلمين وراء إمامهم، ثم يخرج ومعه المسلمون فيطلب الدجال فيقتله، ويقاتلون اليهود معه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم الناس بشريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي زمانه يخرج يأجوج ومأجوج، ويهلكهم الله أيضًا في زمانه، وينزل الله تعالى البركات والرحمات والخيرات في زمانه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنوه.

عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ قَالَ: أَطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: مَا تَذَاكُرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالذَّجَالَ، وَالذَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ حُسُوفٍ حَسْفٍ بِالمَشْرِقِ وَحَسْفٍ بِالمَغْرِبِ وَحَسْفٍ

بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِقُرَيْشٍ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُمْ قُرَيْشُ أَنْ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا فَلَيْنَ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكُمْ تَقُولُونَ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾، قَالَ قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: يَضِجُونَ، ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ قَالَ هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَيَّ مِنْ نَاوَأِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ: يَعْنِي أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ نَزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَى صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ.

عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِيَهْلَنَ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيْثِنَيْنَهُمَا.

قال النووي: وَهَذَا يَكُونُ بَعْدَ نُزُولِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَأَمَّا فَجُّ الرَّوْحَاءِ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْحَارِثِيُّ، هُوَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَالَ: وَكَانَ طَرِيقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرٍ وَإِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ١.١ هـ^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَمْحُو الصَّلِيبَ وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ وَيُعْطَى الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَ وَيَضَعُ الْخِرَاجَ وَيَنْزِلُ الرَّوْحَاءَ فَيُحْجُّ مِنْهَا أَوْ يَعْتَمِرُ أَوْ يَجْمَعُهُمَا، قَالَ وَتَلَا أَبُو هُرَيْرَةَ «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»
(لَيُوشِكَنَّ) أَي لَيَقْرَبَنَّ أَي لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ سَرِيعًا.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢، (٨/ ٢٣٤).

(أَنْ يُنَزَّلَ فِيكُمْ) أَيُّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، «فَإِنَّهُ حِطَابٌ لِبَعْضِ الْأُمَّةِ مِمَّنْ لَا يُدْرِكُ نُزُولَهُ.

(حَكَمًا) أَيُّ حَاكِمًا، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُنَزَّلُ حَاكِمًا بِهِذِهِ الشَّرِيعَةِ فَإِنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ بَاقِيَةٌ لَا تُنْسَخُ، بَلْ يَكُونُ عَيْسَى حَاكِمًا مِنْ حُكَّامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

(حَكَمًا مُقْسَطًا) الْمُقْسَطُ الْعَادِلُ بِخِلَافِ الْقَاسِطِ فَهُوَ الْجَائِرُ.

وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ: يُنَزَّلُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ عَلَى مِلَّتِهِ

(فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ) أَيُّ يُبْطِلُ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ بِأَنْ يَكْسِرَ الصَّلِيبَ حَقِيقَةً وَيُبْطِلُ مَا تَزَعَّمُهُ النَّصَارَى مِنْ تَعْظِيمِهِ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ تَحْرِيمُ إِفْتِنَاءِ الْخَنزِيرِ وَتَحْرِيمُ أَكْلِهِ وَأَنَّهُ نَجَسٌ، لِأَنَّ الشَّيْءَ الْمُتَمَتِّعَ بِهِ لَا يُشْرَعُ إِتْلَافُهُ.

(وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ) وَالْمَعْنَى أَنَّ عَيْسَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ.

(وَيَفِيضُ الْمَالَ) أَيُّ يَكْثُرُ، وَفِي رِوَايَةٍ وَكَيْدُعُونَ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ

وَسَبَبَ كَثْرَتَهُ نُزُولُ الْبَرَكَاتِ وَتَوَالِي الْخَيْرَاتِ بِسَبَبِ الْعَدْلِ وَعَدَمِ الظُّلْمِ وَحِينَئِذٍ تُخْرَجُ الْأَرْضُ كُنُوزَهَا وَتَقِلُّ الرِّغْبَاتُ فِي إِفْتِنَاءِ الْمَالِ لِعِلْمِهِمْ بِقُرْبِ السَّاعَةِ.

(حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةَ الْوَاحِدَةَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) أَيُّ إِنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْعِبَادَةِ، لَا بِالتَّصَدُّقِ بِالْمَالِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ

أَنَّ النَّاسَ يَرْغَبُونَ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةَ الْوَاحِدَةَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ «حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةَ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

وَأَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ
أَيُّ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا نَزَلَ
عِيسَى إِلَّا آمَنَ بِهِ

وَبِهَذَا جَزَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ
عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي رَجَاءٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى: وَاللَّهِ إِنَّهُ
الْآنَ لَحَيٌّ وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ آمِنُوا بِهِ أَجْمَعُونَ، وَنَقَلَهُ عَنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَرَجَّحَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: مَعْنَى الْآيَةِ عَلَيَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ
يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ إِلَّا آمَنَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ قَبْلَ خُرُوجِ رُوحِهِ بِعِيسَى وَأَنَّهُ عَبْدُ
اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ، وَلَكِنْ لَا يَنْفَعُهُ هَذَا الْإِيمَانُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ
إِنِّي تُبْتُ الْآنَ. (١)

قَالَ: وَهَذَا الْمَذْهَبُ أَظْهَرَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ يَخُصُّ الْكِتَابِيَّ الَّذِي يُدْرِكُ نَزُولَ
عِيسَى، وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ عُمُومُهُ فِي كُلِّ كِتَابِيٍّ فِي زَمَنِ نَزُولِ عِيسَى وَقَبْلَهُ.

(١) فتح الباري (٦/ ٤٩٢).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحِكْمَةُ فِي نُزُولِ عِيسَى دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى كَذِبَهُمْ وَأَنَّهُ الَّذِي يَقْتُلُهُمْ، أَوْ نُزُولَهُ لِدُنُوِّ أَجَلِهِ لِيُدْفَنَ فِي الْأَرْضِ، إِذْ لَيْسَ لِمَخْلُوقٍ مِنَ التُّرَابِ أَنْ يَمُوتَ فِي غَيْرِهَا. وَقِيلَ: إِنَّهُ دَعَا اللَّهَ لَمَّا رَأَى صِفَةَ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْهُمْ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَأَبْقَاهُ حَتَّى يَنْزِلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مُجَدِّدًا لِأَمْرِ الْإِسْلَامِ، فَيُؤَفِّقُ خُرُوجَ الدَّجَالِ، فَيَقْتُلُهُ، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ. ١. هـ

وقال النووي في شرح مسلم: وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَكَمًا: أَي يَنْزِلُ حَاكِمًا بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ لَا يَنْزِلُ بِرِسَالَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ، وَشَرِيعَةٌ نَاسِخَةٌ، بَلْ هُوَ حَاكِمٌ مِنْ حُكَّامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَالْمُقْسِطُ الْعَادِلُ، يُقَالُ: أَقْسَطَ يُقْسِطُ إِقْسَاطًا فَهُوَ مُقْسِطٌ إِذَا عَدَلَ، وَالْقِسْطُ بِكَسْرِ الْقَافِ الْعَدْلُ، وَقَسَطَ يُقْسِطُ قَسِطًا يَفْتَحُ الْقَافَ فَهُوَ قَاسِطٌ إِذَا جَارَ (١).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ مَعْنَاهُ يَكْسِرُهُ حَقِيقَةً وَيُبْطِلُ مَا يَزْعُمُهُ النَّصَارَى مِنْ تَعْظِيمِهِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرَاتِ وَآلَاتِ الْبَاطِلِ، وَقَتْلِ الْخَنْزِيرِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ لِلْمُخْتَارِ مِنْ مَذَهَبِنَا وَمَذَهَبِ الْجُمْهُورِ أَنَّا إِذَا وَجَدْنَا الْخَنْزِيرَ فِي دَارِ الْكُفْرِ أَوْ غَيْرِهَا وَتَمَكَّنَّا مِنْ قَتْلِهِ قَتْلَانَاهُ، وَإِبْطَالِ لِقَوْلِ مَنْ شَدَّ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ فَقَالَ: يُتْرَكُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ ضَرَاوَةٌ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ: فَالْصَّوَابُ فِي مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا

(١) فتح الباري (٦ / ٤٩٢).

يَقْبَلُهَا وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَّا الْإِسْلَامَ وَمَنْ بَدَّلَ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ لَمْ يَكُفَّ عَنْهُ بِهَا بَلْ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوْ الْقَتْلَ.

هَكَذَا قَالَهُ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى. ١.١ هـ^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَعْرِفُوهُ رَجُلًا مَرْبُوعًا إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبِيَاضِ عَلَيْهِ ثُوبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ وَتَقَعُ الْأَمْنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ وَالنَّمَارِ مَعَ الْبَقَرِ وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.

ممصران: أي التي فيها صفرة خفيفة، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ وَيَرْجِعُ السَّلْمَ، وَيَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِلَ،

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢، (٢/ ١٩٠).

وَتَدَهَبُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتُنزَلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا، حَتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ فَلَا يُضُرُّهُ، وَيُرَاعِي الْغَنَمَ الذُّبُّ فَلَا يُضُرُّهَا، وَيُرَاعِي الْأَسَدَ الْبَقْرَ فَلَا يُضُرُّهَا، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِمَامًا مَهْدِيًّا وَحَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِزِيرَ وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا،

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا وَعَادِلًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَنَّ الْخِزِيرَ وَيَضَعَنَّ الْحِزْيَةَ وَيَكْتُرَنَّ الْقِلَاصَ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَدَهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالْبُعْضَاءُ وَالتَّحَاوُدُ وَيَكْدَعُونَ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ.

قال النووي: وَيَكْتُرَنَّ الْقِلَاصَ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَالْقِلَاصُ بِكَسْرِ الْقَافِ جَمْعُ قُلُوصٍ بِفَتْحِهَا وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ كَالْفَتَاةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْحَدَثُ مِنَ الرِّجَالِ. وَمَعْنَاهُ أَنْ يُزْهَدَ فِيهَا وَلَا يُرْغَبَ فِي إِقْتِنَائِهَا لِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، وَقِلَّةِ الْأَمَالِ، وَعَدَمِ الْحَاجَةِ، وَالْعِلْمِ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ الْقِلَاصُ لِكَوْنِهَا أَشْرَفَ الْإِبِلِ الَّتِي هِيَ أَنْفَسُ الْأَمْوَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ. وَهُوَ شَبِيهُ بِمَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾

وَمَعْنَى لَا يُسْعَى عَلَيْهَا: لَا يُعْتَنَى بِهَا أَيْ يَتَسَاهَلُ أَهْلُهَا فِيهَا، وَلَا يَعْتَنُونَ بِهَا. هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ.

(وَيَكْدَعُونَ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ) وَإِنَّمَا لَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ لِمَا ذَكَرْنَا

مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، وَقِصْرِ الْأَمْالِ، وَعَدَمِ الْحَاجَةِ، وَقِلَّةِ الرَّغْبَةِ لِلْعِلْمِ بِقُرْبِ
السَّاعَةِ. ١. هـ^(١)

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ
ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ
عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا

فَقَالَ: مَا سَأَلْتُمْ؟

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى
ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ.

فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ
دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُّوا حَاجِبِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قَطَنِ فَمَنْ
أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ
وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَائْتُوا.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبَّثُهُ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشْهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ
كَأَيَّامِكُمْ.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَتِهِ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن
شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة:
الثانية ١٣٩٢، (٢/ ١٩٢).

قَالَ: لَا أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ.

قَالَ: كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمدده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحليين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر ربح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لُد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور وبعث الله ياجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسرون حتى ينتهوا إلى جبل الحمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض

هَلُمَّ فَلَنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَيَرْمُونَ بِشَبَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 نُشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا، وَيُخْصِرُ نَبِيَّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ
 الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى
 وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغْفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُضْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ
 نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ
 فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى
 وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ
 حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبِرٍ فَيَغْسِلُ
 الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِيَّ ثَمَرَتِكَ وَرُدِّي
 بَرَكَتِكَ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيَبَارِكُ فِي
 الرَّسْلِ حَتَّى أَنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ
 الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ
 فَيَبِينَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطِهِمْ فَتَقْبِضُ
 رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ
 الْحُمْرِ فَعَلَيْهِمْ تَقْوَمُ السَّاعَةُ^(١).

عن مُجَمِّعِ ابْنِ جَارِيَةَ الْأَنْصَارِيِّ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَالَ بِبَابِ لُدٍّ^(٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٩٣٧ (٤/ ٢٢٥٠).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٥٤٦٨).

وعن أم شريك بنت أبي العكر قالت: يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم بيت المقدس وإمامهم رجل صالح فينمأ إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى **عليه السلام** افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً ويقول عيسى **عليه السلام** إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا العرقة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله.

عن أبي هريرة أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدايق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نحلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونها فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتنون قسطنطينية فينمأ هم يقتسمون

الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ فَيَحْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ فَيَنِمَّا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْدَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيَرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ

المطلب الثاني: فضل القتال مع عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ عِصَابَةٌ تَعَزُّوْا الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وهذا الشرف العظيم: وهو القتال مع نبي عظيم من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا الفضل العظيم: وهو النجاة والتحرر من النار، هذه الفضائل يحصلها أفراد هذه الأمة الكريمة على الله تعالى، وهم أفراد الطائفة المنصورة المجاهدة الباقية إلى يوم الدين. وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ.

وقتل الدجال لا يكون إلا مع عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المطلب الثالث: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى الناس بعيسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عِلَاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا أَوْلَى النَّاسِ
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ لِعِلَاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ
شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ

(أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ) أَيَّ أَحْصَ النَّاسُ بِهِ، وَأَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ
بَشَرٌ بِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ.

(وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ) الْمَعْنَى أَنَّ أَصْلَ دِينِهِمْ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّوْحِيدُ
وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ فُرُوعُ الشَّرَائِعِ، وَقِيلَ الْمُرَادُ أَنَّ أَزْمَتَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ.

(لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ) هَذَا أَوْرَدَهُ كَالشَّاهِدِ لِقَوْلِهِ إِنَّهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ.

وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ بَعْدَ عِيسَى أَحَدٌ إِلَّا نَبِيًّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْحَدِيثُ يُضَعِّفُ مَا وَرَدَ مِنْ وَجُودِ أَنْبِيَاءٍ فِي الْفِتْرَةِ مَا بَيْنَ عِيسَى
وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ صَحِيحٌ بِلَا تَرَدُّدٍ وَفِي غَيْرِهِ مَقَالٌ.

أَوْ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ بَعْدَ عِيسَى نَبِيٌّ بِشَرِيعةٍ مُسْتَقِلَّةٍ، وَإِنَّمَا بُعِثَ
بَعْدَهُ مَنْ بُعِثَ بِتَقْرِيرِ شَرِيعةِ عِيسَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال النووي في شرح مسلم: قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَوْلَادُ الْعِلَاتِ بِفَتْحِ

أَلْعَيْنُ الْمُهْمَلَةَ وَتَشْدِيدَ اللَّامِ هُمْ الْإِخْوَةَ لِأَبٍ مِنْ أُمَّهَاتٍ شَتَّى. وَأَمَّا
الْإِخْوَةَ مِنَ الْأَبَوَيْنِ فَيُقَالُ لَهُمْ أَوْلَادُ الْأَعْيَانِ. قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى
الْحَدِيثِ أَصْلُ إِيمَانِهِمْ وَاحِدٌ، وَشَرَائِعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي
أُصُولِ التَّوْحِيدِ، وَأَمَّا فُرُوعُ الشَّرَائِعِ فَوَقَعَ فِيهَا الْاِخْتِلَافَ. ١. هـ^(١)



(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢، (١٥/١١٩).

المبحث الثالث:

موضوع دعوة عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الزمان



نزول عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الزمان:

أشراط الساعة الكبرى عشرة، منها هبوط عيسى على الأرض بعد احتجابه عنها أمداً طويلاً في مكان ما من ملكوت الله تعالى، وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التي أحياها الله بها إذ كان في الأرض رسولاً نبياً.

فيبقى في الأرض فترة من الزمن يحكم بالشرعية الإسلامية ويدعو إليها. وينبغي أن نعلم أن نزوله لا يناقض الاعتقاد في أن النبي محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع التي خلت. والدليل على نزول عيسى منصوص عليه في القرآن والسنة. أما القرآن فهناك ثلاث آيات تشير إلى نزوله:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧ ﴾ بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨ ﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿ النساء: ١٥٧ ١٥٩ والمعنى: أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى إلا آمن به قبل موت عيسى. وهو نص في أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يمت بعد.

٢- قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُكُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ الزخرف: ٦١. أي إن عيسى دليل على قيام الساعة وذلك بنزوله من السماء حكماً مقسطاً عادلاً. وهناك قراءة أخرى للآية ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي إشارة ورمز للساعة.

٣- وقوله تعالى ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ آل عمران: ٤٦ ودلالة الآية واضحة لأن عيسى كلم الناس في المهدي، وسوف يكلمهم وهو كهل أي بعد نزوله.

أما في السنة فالأحاديث التي أخبرت عن نزول عيسى كثيرة جداً وقد بلغت درجة التواتر، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِيُوشِكُنَ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ وَيَضَعُ الْحَرْبَ، وَيَفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ النساء: ١٥٩^(١).

و في حديث آخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، يَعْنِي عَيْسَى، وَإِنَّهُ نَازِلٌ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحَمْرَةِ وَالْبِيَاضِ^(٢)، بَيْنَ مَمْصَرَتَيْنِ^(٣)، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ

(١) التصريح ص ٩١-٩٣.

(٢) معتدل القامة وهو إلى الطول أقرب. و لونه أقرب إلى الحمرة والبياض.

(٣) فيهما صفرة خفيفة.

وإن لم يصبه بلل^(١) فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال^(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»^(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟». وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟»^(٤)
 وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَرَأَلْ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ فَصَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»^(٥).

(١) هذا كناية عن النظافة والنضارة.

(٢) ورد في حديث أن عيسى يقتله في باب لُد في فلسطين. انظر التصريح ص ١٤١.

(٣) حديث أبي هريرة الأول أخرجه مسلم حديث (١٥٥)، وأخرجه البخاري

«كتاب البيوع» «باب قتل الخنزير» حديث (٢٢٢٢)، وأخرجه الترمذي في

«كتاب الفتن» «باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ» حديث (٢٢٣٣)

(٤) و حديث أبي هريرة هذا، أخرجه مسلم (١٥٥)، وأخرجه البخاري في «كتاب

الأنبياء» «باب نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» حديث (٣٤٤٩)

(٥) وحديث جابر هذا أخرجه مسلم حديث (١٥٦)، وانفرد به عن البخاري، =

وفي رواية: «وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفَرُّوْا إِنِ شِئْتُمْ: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيَوْمٍ مِّنْ يَّوْمِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ❁

وفي رواية لمسلم: «وَلَسْتُ رَكْنَ الْقِلَاصِ فَلَا يَسْعَى عَلَيْهَا. وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّخْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ»

(فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون)^(١).

حديث القرآن الكريم عن رفع الله لعبده ورسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ورد في آيتين كريمتين، الأولى: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ❁ آل عمران: (٥٥)، ومما يجب التنبه له هنا هو أن موضوع دعوة عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الزمان هو موضوع دعوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن عيسى آخر الزمان يحكم بشرعية محمد

= وأخرجه مسلم أيضًا مرة أخرى في «كتاب الجهاد» «باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق».

(١) سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى:

٢٧٥هـ) محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا بيروت، برقم

٤٣٢٤ (٤/ ١١٧) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

التصريح ص ١٤٠.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا ينسخ منها شيئاً. فإن قيل كيف يضع عيسى الجزية، كما ورد عند البخاري ويضع الجزية^(١) والجزية مقررة في شريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أليس هذا بمعنى النسخ؟

يجيب عن هذا ابن حجر قائلًا:

ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيته مقيدة بنزول عيسى، لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية بل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المبين للنسخ بقوله هذا، قال ابن بطلان: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال، بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال؛ فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد. ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب، وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زالت الشبهة بحصول معانيته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حاجتهم، وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً، والله أعلم^(٢).

وعلى هذا فإن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو في آخر الزمان إلى الإسلام، فلا يهودية ولا نصرانية في ذلك الوقت، وموضوع الدعوة عنده في ذلك الوقت هو دعوة الإسلام، وفي هذا ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عن قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يوشك

(١) سبق الحديث وتخريجه..

(٢) فتح الباري ٦/٤٩٢، ٤٩١. وانظر: النووي في شرح صحيح مسلم ٢/١٩٠.

المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكماً قسطاً وإماماً عدلاً فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة^(١).

هذه صورة نبي الله عيسى وأمه الطاهرة مريم كما صورها لنا القرآن الكريم، ونبينا محمد ﷺ، وهي تختلف كثيراً عن الصورة التي رسمها له النصارى وعلى رأسهم بولس. ويفيدنا الدكتور محمد فاروق الزين أنه منذ زهاء قرنين من الزمن بدأت في الغرب عملية بحث لدراسة الفروق بين عيسى المسيح التاريخي وعيسى بولس الذي آمنت به الكنيسة.

وكان الرئيس الأمريكي الثالث توماس جيفرسون من رواد عملية البحث هذه، فقد حاول تطهير الكتاب المقدس من مفهوم مسيح بولس الأسطوري والإبقاء على تعاليم عيسى المسيح التاريخي، وأسفرت البحوث أن هناك فرقاً كبيراً بين المسيح الأسطوري والتاريخي^(٢) ويضيف المؤلف بأنه ظهر توافق لافت للنظر بين نتائج أبحاث الكتاب المقدس الحديثة وبين الرؤية القرآنية لعيسى.



(١) المسند ٢/٣٩٤.

(٢) المسيحية والإسلام والاستشراق ص ١١.

المبحث الرابع:

فريّة صلب المسيح عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



المطلب الأول: الصلب هو التعليق على خشبة الصليب.

واليهود والنصارى يعتقدون أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ مات مصلوبًا. ويزعم اليهود أن المسيح كفر بالله؛ لهذا حملوا عليه وطالبوا بدمه، وزعموا أنه مات مصلوبًا.

والموت على الصليب يستلزم اللعنة عندهم، فقد ورد في سفر التثنية: وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنها في ذلك اليوم؛ لأن المعلق ملعون من الله^(١).

أما النصارى فهم يعتقدون كذلك أن المسيح مات مصلوبًا، إلا أنهم يعللون ذلك بأنه صلب فداءً للبشر؛ لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي أكله من الشجرة التي نهي عنها، فانقلت تلك الخطيئة إلى أبنائه، وأغضبت الله عليهم أيضًا، فكان لا بد من وسيط يتحمل هذا الإثم، ويرضى بأن يموت على الصليب، وهذا الوسيط المخلص في زعمهم لا بد أن يكون ذا وضع متميز خال من الإثم والخطأ، ولا يكون هذا إلا ابن الله، الذي هو الله في زعمهم، ثم لا بد أن يكتسب الخطيئة عن

(١) سفر التثنية (٢١/٢٢).

طريق الجسد، فهذا ما جعله يتجسد في صورة عيسى، ويخرج من بطن مريم ثم يموت على الصليب فداء للبشر، فيرضى الله بذلك عن بني آدم. يختلف الإسلام مع النصرانية في قضية أساسية من قضايا الإيمان في عقائد المسيحيين، وهي القول بأن المسيح انتهت حياته بالصلب، وأن ذلك كان ضرورة للتكفير عن خطايا البشر حسب نظرية بولس.

إن القرآن الكريم يقرر بوضوح عدم صلب المسيح، وأن الله نجاه من محاولات اليهود لقتله، بأن رفعه إليه، كما سبق أن رفع أنبياء وأبراراً، وإن الأمر كان فتنة اختلطت فيها حقيقة الأمر على كثير من الناس.

فالقرآن يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

ويكفي أن نرجع إلى الأسفار في هذه القضية لنعلم منها الآتي:

١- حين شعر المسيح بالخطر يتهدده وهو في الحديقة، كانت صلواته حارة إلى الله؛ كي ينجيه من الموت، فقد «بدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت. ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن. وقال: يا أبا الآب، كل شيء مستطاع لك، فأجرعني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد بل ما تريد أنت، وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض»^(١).

(١) إنجيل مرقس ١٤: ٣٣ - ٣٦، لوقا ٢٢: ٤٣ - ٤٤.

٢- حين جاءت قوة الظلم وتقدم يهوذا الخائن ليدلهم على سيده، «قال له يسوع: يا صاحب، لماذا جئت؟!»^(١).

٣- وفي المحاكمة «اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح فقل لنا. فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون. وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني»^(٢).

وهنا وقفة: لنفرض جدلاً أنه كان المسيح، فإن هذا يعني أنه كان يرجو إطلاق سراحه، وهذا ينفي ما نقرؤه في رسائل بولس، وما اقتبس منها في الأناجيل، مثل القول بأن المسيح: «بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الشرير»، أو أنه: «بذل نفسه فدية لأجل الجميع».

ومعنى ذلك: أنه لو كان المسيح قد قتل حقاً، لكان ذلك رغباً عنه، وبهذا تتعاضم خطيئة البشرية التي قتلتها ظلماً وقهراً، ومن يكفر عن تلك الخطيئة العظمى بعد ذلك؟!!

وإذا افترضنا أنه ليس المسيح، فإن هذا ما يفيد المضمون، خاصة إذا علمنا أن الفقرة التالية لهذا هي قول ذلك الذي يستجوبونه: «منذ الآن يكون ابن الإنسان (المسيح) جالساً عن يمين قوة الله»^(٣).

(١) إنجيل متى ٢٦: ٥٠.

(٢) إنجيل لوقا ٢٢: ٦٦ - ٦٨.

(٣) إنجيل لوقا ٢٢: ٦٩.

وهذا يقطع بأن الشخص الذي قبضوا عليه وحاكموه وصلبوه إنما كان شخصاً آخر غير المسيح، وأنه رآه بعيني رأسه وقد صعد إلى السماء؛ ولهذا قال: «منذ الآن».

٤- ولقد كانت آخر صرخة للمصلوب هي قوله: الوي، الوي، الوي لِم

شبقنتني؟!!

الذي تفسيره: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني»^(١).

لكن المسيح قرر في الإنجيل أن الله معه ولن يتركه أبداً، وهذا ما يعتقدُه كل المؤمنين، فهو يقول: «الذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي؛ لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه»^(٢).

فمن المؤكد أن الذي أطلق صرخة اليأس تلك على الصليب إنما كان شخصاً آخر غير المسيح الذي أكد أن الله معه في كل حين.

٥- لقد تنبأ المسيح بنجاته من القتل - كما تنبأت المزامير كثيراً وكثيراً - فلا يزال بين أيدينا ما قاله المسيح في تحدُّ لليهود حين حاولوا اصطياده في إحدى المرات، «فقد أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه، فقال لهم يسوع: أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني ولا تجدونني، حيث أكون أنا لا تقدرُون أنتم أن تأتوا»^(٣).

(١) إنجيل مرقس ١٥ : ٣٤.

(٢) إنجيل يوحنا ٨ : ٢٩.

(٣) إنجيل يوحنا ٧ : ٣٢ - ٣٤.

لا نظن أحدًا يشك في وضوح هذا القول، الذي يعني أن اليهود حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجدوه؛ لأن الله سيحفظه بالرفع، ومن الطبيعي أن يقال: إن السماء مكان يعجز اليهود عن الوصول إليه تعقبًا للمسيح.

٦- هذا ولقد اختلفت الأناجيل الأربعة في عناصر قصة الصلب، ويكفي أن نذكر أن العشاء الأخير كان حسب الثلاثة الأولى - متى ومرقس ولوقا - هو عشاء الفصح، وأما الإنجيل الرابع فقد جعله قبل الفصح بأيام، وقد ترتب على هذا أن كان يوم الصلب حسب الثلاثة يوم الجمعة، بينما هو حسب إنجيل يوحنا يوم الخميس - اليوم الذي ذبحت فيه خراف الفصح^(١).

ولما كانت المقبرة التي وضع فيها جسد المصلوب قد وجدتها مريم المجدلية خالية صباح الأحد، فإن هذا يعني أن جسد ذلك المصلوب لم يدفن في الأرض «ثلاثة أيام وثلاث ليال» حسبما هو شائع في الأناجيل^(٢)، فالفترة بين يوم الجمعة يوم الصلب، ويوم الأحد يوم القيامة لا تزيد عن: يوم واحد وليلتين.

هذا قليل من كثير مما يبرهن على عدم صلب المسيح.

(١) (إنجيل يوحنا ١٨: ٢٨، ١٩: ١٤).

(٢) متى ١٢: ٤٠، ١٧: ٢٣ - مرقس ٩: ٣١ - لوقا ٩: ٢٢.]

المطلب الثاني: ماذا يفعل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نزوله.

قتل المسيح الدجال:

بعد أن ينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو واضع يديه على أجنحة الملك، كأنه ينحدر منه ماء الوضوء إذا طأ رأسه، يذوب عدو الله الدجال عندما يراه كما يذوب الملح في الماء، فيتبعه عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى يقتله بحرته، وفي الحديث النبوي الشريف ذكر لصفة نزوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وقتله للمسيح الدجال، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَائِكَيْنِ، إِذَا طَأَّأَ رَأْسَهُ فَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْبُئُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسُحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بَدْرَ جَنَّتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثْ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

الحكم بشرية الله تعالى:

حيث ينزل عَلَيْهِ السَّلَامُ ليحكم بشرية النبي محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يأتي بشرية جديدة أو رسالة مستقلة، وقال العراقي عن المقصود في أنه يأتي حاكمًا بشرية الله، أي أنه لا يأتي بشرية ناسخة لما قبلها، أو رسالة مستقلة، فلا نبي بعد النبي محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك لا شريعة ناسخة للشريعة الإسلامية لأنها باقية إلى قيام الساعة، وفي الحديث النبوي:

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ.

يكسر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتهلك الملل كلها ما عدا الإسلام.

التضرع لله تعالى لكي يهلك يأجوج ومأجوج: حيث يهلكهم الله شر هلكة، ويموتون حتى لا يبقى منهم أحد بعد شرورهم وفتنتهم في الأرض، وقال القاضي عياض عن يأجوج ومأجوج أنهم من كثرتهم لا يكون لأحد قدرة على قتالهم، وأنهم حين يحاصرون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين معه، يدعو عليهم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيهلكهم الله تعالى حينما يرسل عليهم النغف وهو الدود في رقابهم، ثم يؤذون بتنتهم المؤمنون، فيدعو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه **جَلَّ وَعَلَا** فيرسل سبحانه طيرًا تحمل جثثهم حيث شاء تعالى.

مدّة بقاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأرض بعد نزوله: جاء حديثان في مدّة بقاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نزوله، أولهما حديث: **فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ،** وفي الحديث الآخر قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** **فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمَكْتُ النَّاسَ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَيَّ وَجْهٌ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضْتَهُ.**

وقد أجاب ابن كثير على من أشكل عليهم مدّة مكوثه في الأرض بأن السبع سنين التي يمكث فيها في الأرض تحمل على مدّة إقامته بعد

نزوله، فتضاف تلك المدة إلى مدة مكثه في الأرض قبل أن يرفع إلى السماء، فيكون مجموع المدة أربعين سنة لأنه توفي عَلَيْهِ السَّلَامُ وعمره ثلاث وثلاثون سنة كما هو مشهور، والظاهر من الأحاديث أن المقصود بالسبع سنين في حديث عمرو بن العاص المدة التي يمكث فيها الناس بدون عداوة، أما حديث أبي هريرة فيدل على مدة مكثه في الأرض بعد نزوله وهي أربعون سنة.

مكان دفن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم يرد في مكان موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

نص، وإن ذكر بعض العلماء أنه يموت في المدينة المنورة، ويدفن مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وصاحبيه، وذكر القرطبي الاختلاف في مكان الدفن، فقليل يدفن مع النبي كما ذكر، وقيل يدفن في الأرض المقدسة كما ذكر الحلبي^(١).

تلخيص أعمال المسيح عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن مريم بعد نزوله في

آخر الزمان تلخيص في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: والذي نفس محمد بيده، لينزلنَّ عيسى ابن مريم إمامًا مُقسطًا، حَكَمًا عدلًا، فليكسِرَنَّ الصليب، وليَقْتُلَنَّ الخنزير، وليُصْلِحَنَّ ذاتَ البَيْنِ، وليُدْهِبَنَّ الشَّحْنَاءَ، وليُعْرِضَنَّ عليه المال فلا يقبله.



(١) التذكرة في أحوال الموتى وامور الآخرة محمد القرطبي (١/ ٤٩٨).

فهرس الموضوعات

- المقدمة ٧
- الفصل الأول** ٢١
- المبحث الأول: المتشابه اللفظي والتكرار الوارد في الآيات في قصة
عيسى ابن مريم ٢٣
- المطلب الأول: لفظ عيسى في القرآن الكريم. ٢٣
- المطلب الثاني: ورد لفظ المسيح عيسى ابن مريم ثلاث مرات خلال
ثلاث آيات ٢٧
- المطلب الثالث: مجمل الآيات التي ذكر فيها كلمة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .. ٢٨
- المطلب الرابع: مجمل الآيات التي أشارت الى عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .. ٣٢
- المبحث الثاني: الآيات الواردة في خصائص ومعجزات عيسى
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ٣٥
- المطلب الأول: الآيات التي أيد الله بها عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ٣٥
- المطلب الثاني: عيس وأمه مريم يعتبران آية من آيات الله. ٣٨
- المطلب الثالث: كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المههد. ٣٩
- المبحث الثالث: من هم آل عمران ولماذا اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ؟ .. ٤١
- المطلب الأول: آل عمران..... ٤١
- المطلب الثاني: أفراد آل عمران. ٤٣
- المبحث الرابع: السيدة مريم البتول بنت عمران. ٤٥

- المطلب الأول: ولادة مريم البتول عَلَيْهَا السَّلَامُ. ٤٥
- المطلب الثاني: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ ٥٠
- المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ٥٣
- المطلب الرابع: ٦٠
- المبحث الخامس: بعض خصائص مريم وفضائلها عَلَيْهَا السَّلَامُ من القرآن الكريم ٦٦
- المطلب الأول: معنى اسمها عَلَيْهَا السَّلَامُ: ٦٦
- المطلب الثاني: السيدة مريم من أفضل بيوت العالمين. ٦٨
- المطلب الثالث: علو ذكر السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ. ٦٩
- المطلب الرابع: قبول الله تعالى لمريم وتولّى أمرها. ٧٠
- المطلب الخامس: كفالة نبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لها. ٧١
- المطلب السادس: إكرام الله تعالى لها بالأرزاق ٧٢
- المطلب السابع: إثبات الصديقية للسيدة مريم. ٧٢
- المطلب الثامن: تكليم الملائكة لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ. ٧٤
- المطلب التاسع: تبرئة السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ. ٧٤
- المطلب العاشر: اصطفاء السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ. ٧٥
- المطلب الحادي عشر: عفة السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ. ٧٧
- المطلب الثاني عشر: العذراء البتول ٧٨

- المطلب الثالث عشر: كمال السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ. ٨٠
- المطلب الرابع عشر: السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ من أفضل نساء الجنة. ٨١
- المطلب السادس عشر: خيرية السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ. ٨٤
- المطلب السابع عشر: السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ آية من آيات الله تعالى. ٨٩
- المطلب الثامن عشر: المراد بقوله تعالى: (يا أخت هارون). ٩٠
- المطلب التاسع عشر: وجود صورة مريم في جوف الكعبة ومحو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها. ٩٢
- المبحث السادس: زكريا وهو والد يحيى ابن خالة عيسى وهو من كفل مريم. ٩٤
- المطلب الأول: نسبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ٩٤
- المطلب الثاني: حياته. ٩٥
- المطلب الثالث: دخول زكريا على مريم في المحراب. ٩٨
- المطلب الرابع: ميلاد يحيى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ١٠٣
- المطلب الخامس: زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام مع الملك. ١٠٣
- المطلب السادس: قوله تعالى: (فنادته الملائكة). ١٠٥
- المطلب السابع: قوله تعالى: (لم نجعل له من قبل سميا). ١٠٥
- المطلب الثامن: قوله تعالى: (قال آيتك ألا تكلم الناس). ١٠٧
- المطلب التاسع: قوله تعالى: (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة). ١٠٨
- المطلب العاشر: مقتل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ. ١٠٩

- المبحث السابع: أحفاد آل عمران وهم عيسى ويحيى عليهم الصلاة والسلام..... ١١٣.
- المطلب الأول: نبي الله يحيى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..... ١١٣.
- المطلب الثاني: صفات نبي الله يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ١١٩.
- المطلب الثالث: مقتل نبي الله يحيى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..... ١٢١.
- المطلب الرابع: وفي قصة يحيى من العبر..... ١٢٢.
- المبحث الثامن: عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..... ١٢٦.
- المطلب الأول: اسمه ونسبه..... ١٢٦.
- المطلب الثاني: أعظم ماورد فيه وأمه من افتراءات عَلَيْهِمَا السَّلَامُ..... ١٢٨.
- المطلب الثالث: ميلاد عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المعجز..... ١٣٠.
- المطلب الرابع: قوله تعالى: (فحملته)..... ١٣٦.
- المطلب الخامس: قوله تعالى: (فنفخنا فيها)..... ١٣٧.
- المطلب السادس: نشأته وحياته قبل النبوة..... ١٣٨.
- المطلب السابع: خروجهم من بيت لحم..... ١٤٢.
- المبحث التاسع: الواجب نحو أنبياء الله ورسله والرسالات التي بعثوا بها..... ١٤٤.
- المطلب الأول: تعريف النبي..... ١٤٧.
- المطلب الثاني: تعريف الرسول..... ١٤٧.
- المطلب الثالث: الفرق بين الرسول والنبي..... ١٤٨.

- المطلب الرابع: الإيمان بالأنبياء والرسل من أصول الإيمان. ... ١٥٠
- المطلب الخامس: الصلة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل
والرسالات. ١٥١
- المطلب السادس: وجوب الإيمان بجميع الرسل. ١٥٢
- المطلب السابع: مسألة هل يجوز الصلاة والسلام على الأنبياء
السابقين. ١٥٣
- الفصل الثاني: دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونبوته وقومه. ١٥٩**
- المبحث الأول: دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ١٦١
- المطلب الأول: دعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ١٦١
- المطلب الثاني: توحيد الله هو رسالة عيسى والأنبياء جميعاً عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ... ١٦٢
- المطلب الثالث: الإقرار بالتوحيد في كتاب النصارى الذين يسمونه
بالكتاب المقدس. ١٦٥
- المطلب الرابع: بيان ما جاء في دائرة المعارف الأمريكية. ١٦٨
- المبحث الثاني: نبوته والشريعة التي التي كان يدعو إليها وقومه الذين
بعث فيهم. ١٧٠
- المطلب الأول: قومه الذين بعث فيهم وحالهم. ١٧٠
- المطلب الثاني: خصوصية رسالة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل. ... ١٧٢
- المبحث الثالث: الآداب والأخلاق التي كان يدعو إليها عيسى
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ١٧٦

- المطلب الأول: الآداب والأخلاق التي كان يدعو إليها عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ١٧٦.....
- المطلب الثاني: الإنجيل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ١٨٢.....
- المطلب الثالث: القرآن يحدثنا عن الإنجيل. ١٨٣.....
- المطلب الرابع: من آيات الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ... ١٨٥.....
- المطلب الخامس: ما هو الكتاب المقدس المشهور عند النصارى. ١٨٦.....
- المبحث الرابع: كيف كانت صلاة المسيح ابن مريم و الأنبياء السابقين؟..... ١٩٠.....
- المطلب الأول: الصلاة كانت مفروضة على أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام..... ١٩٠.....
- المطلب الثاني: كانت صلاتهم ذات ركوع وسجود..... ١٩١.....
- المطلب الثالث: صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأنبياء ليلة الإسراء إماماً. ١٩٤.....
- المبحث الخامس: قصة حوارٍ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ٢٠١.....
- المطلب الأول: معنى الحواريون..... ٢٠١.....
- المطلب الثاني: آيات ورد فيها الحواريون..... ٢٠٤.....
- المطلب الثالث: من هم الحواريون. ٢٠٥.....
- المطلب الرابع: قوله تعالى: (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) (المائدة: ١١٢). .. ٢١١.....

- المطلب الخامس: قوله سبحانه: (إِن تَعَذِّبِهِمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) المائدة: ١١٨..... ٢٢٠
- المطلب السادس ٢٢٣
- المطلب السابع: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ). ٢٣٦
- المطلب الثامن: أسماء حواربي عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ. ٢٣٧
- المطلب التاسع: مجمل عقيدة المسلمين في عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ٢٣٩
- الفصل الثالث: صفات عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وشمائله وخصائصه ... ٢٤٣**
- المبحث الأول: وصف عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ٢٤٥
- المطلب الأول: صفته في القرآن الكريم. ٢٤٥
- المطلب الثاني: صفة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في السنة. ٢٤٧
- المطلب الثالث: مشابهة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للصحابي عروة بن مسعود. . ٢٥٠
- المطلب الرابع: مشابهة أبي ذر الغفاري لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في زهده
وتواضعه..... ٢٥١
- المطلب الخامس: تمة صفة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ٢٥٣
- المبحث الثاني: خصائصه عَلَيْهِ السَّلَامُ. ٢٥٧
- المطلب الأول: تسميته عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمسيح. ٢٥٧
- المطلب الثاني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آية عظيمة من آيات الله تعالى. ٢٥٩
- المطلب الثالث: كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المههد. ٢٦٠
- المطلب الرابع: مسألة مفهوم العدد ثلاثة. ٢٦٢

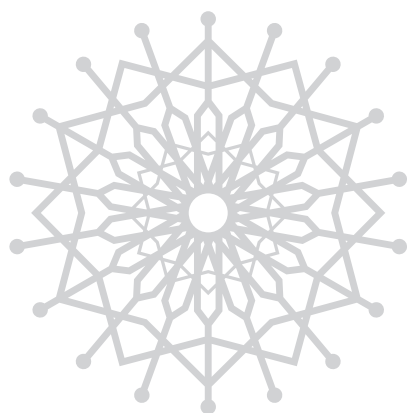
- المطلب الخامس: آراء العلماء وتفسيراتهم. ٢٦٣.....
- المطلب السادس: الخلاصة. ٢٧٥.....
- المطلب السابع: حفظ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشيطان. ٢٧٦.....
- المطلب الثامن: منزلة عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السماء. ٢٧٧.....
- المطلب التاسع: تأييد عيسى بروح القدس جبريل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. ٢٧٨...
- المبحث الثالث: بعض شمائل المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ٢٨٠.....
- المطلب الأول: إجلال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لاسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. ٢٨٠.....
- المطلب الثاني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولي العزم من الرسل. ٢٨٠.....
- المطلب الثالث: المدة ما بين عيسى ورسول الله عليهما الصلاة والسلام. ٢٨١.....
- المطلب الرابع: تبشير عيسى بنينا محمد عليهما الصلاة والسلام. ٢٨٢.....
- المطلب الخامس: مزامنة عيسى ليحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرسالة والنبوة. ٢٨٨.....
- المطلب السادس: تلقين الله لعيسى حجته يوم القيامة. ٢٩٠.....
- المطلب السابع: إحالة عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة يوم القيامة إلى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ٢٩١.....
- المطلب الثامن: فضل من دخل في الإسلام من النصارى. ٢٩٤.....
- المطلب التاسع: فضل من شهد شهادة الحق في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ٢٩٤.....
- المطلب العاشر: تأييده بروح القدس عَلَيْهِ السَّلَامُ. ٢٩٦.....

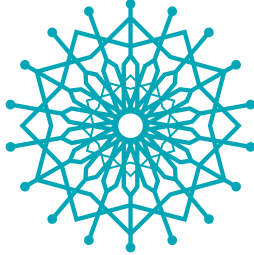
- المبحث الرابع: بشرية عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه من جنس ولد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٢٩٩
- المطلب الأول: الآيات الدالة على بشرية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٢٩٩
- المطلب الثاني: الآيات من سورة النساء..... ٣١٠
- المطلب الثالث: الآيات من سورة الزخرف..... ٣١٥
- المطلب الرابع: وجود عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذرية آدم يوم أن أخذ الله عليهم العهد..... ٣١٩
- الفصل الرابع: معجزات عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ..... ٣٢١**
- تمهيد..... ٣٢٣
- المبحث الأول: أنه يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله..... ٣٢٥
- المبحث الثاني: أنه يمسح على الأكمه وهو من ولد أعمى فيبرئه بإذن الله..... ٣٢٩
- المبحث الثالث: أنه يمسح على الأبرص فيشفيه بإذن الله..... ٣٣٢
- المبحث الرابع: أنه يحيي الموتى بإذن الله..... ٣٣٩
- المبحث الخامس: أنه ينسج الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم..... ٣٤٣
- المبحث السادس: طلب الحواريون من عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء..... ٣٤٧
- المبحث السابع: كف الله بني إسرائيل عنه حين أرادوا قتله، ثم رفعه إليه..... ٣٦٠

- الفصل الخامس: حياته الآن ورفعهِ وبيان ضلال النصارى في دعوى قتله وصلبه..... ٣٦٩
- المبحث الأول: حياته الآن ورفعهِ الى السماء ٣٧١
- المطلب الأول: معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ٣٧١
- المطلب الثاني: قوله تعالى: (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) ٣٧٥
- المطلب الثالث: واختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شبه لليهود في أمر عيسى..... ٣٨١
- المطلب الرابع قوله تعالى: (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).... ٣٩١
- المطلب الخامس ٣٩٥
- المطلب السادس: ماذا حدث لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بعد رفع المسيح عَلَيْهَا السَّلَامُ الى السماء؟ ٤٠٠
- المطلب السابع: هل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الآن في الجنة كما يدعي النصارى؟ ٤٠٤
- المبحث الثاني: بيان سيرة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعماله بعد نزوله بما ورد في السنة..... ٤٠٦
- المطلب الأول: نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى..... ٤٠٦
- المطلب الثاني: فضل القتال مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٤١٨

- المطلب الثالث: الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى الناس بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ .. ٤١٩
- المبحث الثالث: موضوع دعوة عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الزمان .. ٤٢١
- نزول عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الزمان ٤٢١
- المبحث الرابع: فرية صلب المسيح عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٤٢٧
- المطلب الأول: الصلب هو التعليق على خشبة الصليب. ٤٢٧
- المطلب الثاني: ماذا يفعل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نزوله ٤٣٢







عَلِيٌّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ

سِيرَتُهُ وَحَيَاتُهُ

مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

ح هشام إبراهيم محمد أحمد، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أحمد، هشام إبراهيم محمد

عيسى بن مريم عليه السلام، سيرته وحياته من خلال القرآن الكريم
(دراسة موضوعية). / هشام إبراهيم محمد أحمد. - جدة، ١٤٤٠هـ

٢٥٤ ص؛ ٥، ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-١٣١٦-٧

١- المسيح في القرآن ٢- قصص الأنبياء أ. العنوان

١٤٤٠/١١٥٧٠

ديوي ٥، ٢٢٩

رقم الإبداع: ١٤٤٠/١١٥٧٠

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-١٣١٦-٧

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ



تصميم وإخراج

الخطيب 0554267436



عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَلِيٌّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ

سِيرَةٌ وَحَيَاتُهُ
مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

دراسة موضوعية

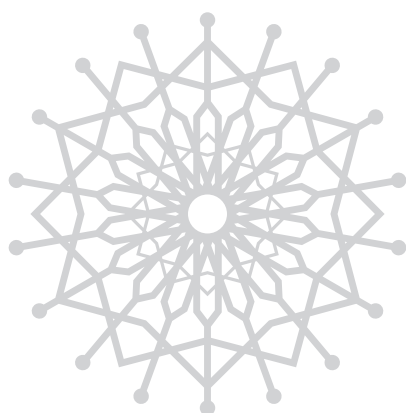
الجزء الثاني

فرق النصارى قديماً وحديثاً



تأليف

هشام بن إبراهيم بن هشام



الفصل السادس:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾
و فرق النصارى قديماً وحديثاً.

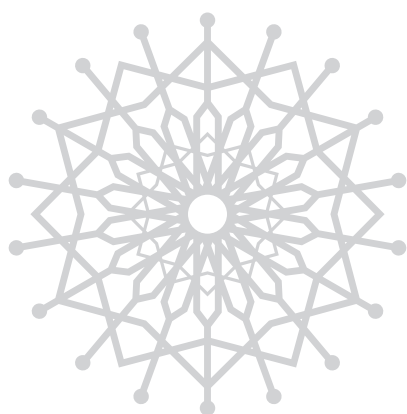
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قوله تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ).

المبحث الثاني: فرق النصارى قديماً.

المبحث الثالث: الفرق النصرانية المعاصرة.

المبحث الرابع: الإنجيل كتاب عيسى وأصل الأناجيل الموجودة اليوم.



المبحث الأول:

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ إِذْ بَانَ مِنْهُمْ قِيسِيَّتٌ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ﴾.



المطلب الأول: تفسير الآية.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لتجدن،
يا محمد، أشد الناس عداوةً للذين صدّقوك واتبعوك وصدّقوا بما جئتهم
به من أهل الإسلام ﴿الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: عبدة الأوثان
الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يقول: ولتجدن
أقرب الناس مودةً ومحبة.

و«المودة» «المفعلة»، من قول الرجل: «وددت كذا أو ددته ودًا،
وودًا، وودًا ومودة»، إذا أحببته^(١)

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يقول: للذين صدّقوا الله ورسوله محمدًا
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ إِذْ بَانَ مِنْهُمْ قِيسِيَّتٌ
وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، عن قبول الحق واتباعه والإذعان به.

(١) انظر تفسير «ود» الطبري ٢: ٤٧٠/٥: ٥٤٢: ٦/٥٠٠: ٨/٣٧١: ٩: ١٧.

وقيل: إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفرٍ قَدِمُوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نصارى الحبشة، فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقيل: إنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه. عن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشي وفدًا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقرأ عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلموا. قال: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، إلى آخر الآية. قال: فرجعوا إلى النجاشي فأخبروه، فأسلم النجاشي، فلم يزل مسلمًا حتى مات. قال: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أحاكم النجاشي قدمات، فصلوا عليه! فصلى عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، والنجاشي ثم. عن مجاهد في قول الله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾، قال: هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة.

عن ابن عباس: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾، قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبي طالب، وابن مسعود وعثمان بن مظعون، في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة.

فلما بلغ ذلك المشركين، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم، ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي، فقالوا، إنه

خرج فينا رجل سفّه عقول قريش وأحلامها، زعم أنه نبيّ! وإنه بعث إليك رهطاً ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم.

قال: إن جاءوني نظرت فيما يقولون! فقدم أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأثموا باب النجاشي^(١) فقالوا: استأذن لأولياء الله^(٢) فقال، ائذن لهم، فمرحباً بأولياء الله!

فلما دخلوا عليه سلّموا، فقال له الرهط من المشركين: ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك؟

لم يحيوك بتحيتك التي تحيّا بها! فقال لهم: ما منعكم أن تحيوني بتحيتي؟ فقالوا: إنا حينئذ بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة! قال لهم: ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟

قال يقول: «هو عبد الله، وكلمة من الله ألقاها إلى مريم، وروح منه»، ويقول في مريم: «إنها العذراء البتول.

قال: فأخذ عوداً من الأرض فقال: ما زاد عيسى وأمه علي ما قال صاحبكم قدر هذا العود! فكره المشركون قوله، وتغيّرت وجوههم.

قال لهم: هل تعرفون شيئاً مما أنزل عليكم؟ قالوا: نعم! قال: اقرءوا! فقرءوا، وهنالك منهم قسيسون ورهبانٌ وسائرُ النصراني،

(١) في المطبوعة: «فأقاموا بباب النجاشي»، والصواب المحض من المخطوطة.

(٢) في المطبوعة: «فقالوا: أتأذن»، والصواب من المخطوطة. يعني: قالوا لحاجب باب النجاشي، ولذلك جاء الجواب: «فقال: ائذن لهم».

فعرفت كل ما قرأوا وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق.

قال الله تعالى ذكره: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴿٨٢﴾ الْآيَةَ.

وقال آخرون: بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنوا به.

عن قتادة قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فقرأ حتى بلغ: فَكَتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى، يؤمنون به وينتهون إليه. فلما بعث الله نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صدقوا به وآمنوا به، وعرفوا الذي جاء به أنه الحق، فأثني عليهم ما تسمعون.

قال أبو جعفر الطبري: والصواب في ذلك من القول عندي: أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: ﴿إِنَّا نَصْرِيُّ﴾، أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجدهم أقرب الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسم لنا أسماءهم. وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه^(١).

(١) تفسير الطبري (٥ / ٨٢).

وأما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا﴾، فإنه يقول: قُرِبَت مَوَدَّةٌ هُوَ لَاءُ الَّذِينَ وَصَفَ اللَّهُ صِفَتَهُمَ لِلْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا. و«القسيسون» جمع «قسيس». وقد يجمع «القسيس»، «قسوسًا»^(١)، لأن «القَسَّ» و«القسيس»، بمعنى واحد.

قال ابن زيد: «القسيس»، عَبَّأْهُمْ^(٢).

وأما الرهبان، فإنه يكون واحدًا وجمعًا. فأما إذا كان جمعًا، فإن واحدهم يكون «راهبًا»، ويكون «الراهب»، حيثُ «فاعلا» من قول القائل: «رَهَبَ اللهُ فلان»، بمعنى خافه، «يرهبه رَهْبًا وَرُهْبًا»، ثم يجمع «الراهب»، «رهبان» مثل «راكب» و«ركبان»، و«فارس» و«فرسان». ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعًا قول الشاعر:^(٣)

يَا أُمَّ طَلْحَةَ، مَا لَقِينَا مِثْلَكُمْ فِي الْمُنْجِدِينَ وَلَا بَعُورِ الْعَائِرِ
رُهَبَانُ مَدِينِ لَوْ رَأَوْكَ تَنْزَلُوا وَالْعُصْمُ مِنْ شَعْفِ الْعُقُولِ الْفَادِرِ^(٤)

(١) في المطبوعة: «قسوس»، والصواب من المخطوطة.

(٢) في المطبوعة: «القسيسين»، بالجمع، وأثبت ما في المخطوطة، فهو صواب، ولا بأس هنا بشرح المفرد بالجمع.

(٣) هو جرير، ونسبه ياقوت في معجم البلدان لكثير عزة، وأدخله في شعره جامع ديوانه ص: ٢٤٠، والصواب أنه لجرير.

(٤) ديوانه: ٣٠٥، وديوان كثير ١: ٢٤٠، واللسان (رهب) ومعجم البلدان (مدین، من قصيدة هجا فيها الأخطل والفرزدق.

وقد يكون «الرهبان» واحداً. وإذا كان واحداً كان جمعه «رها بين» مثل «قربان» و«قرايين»، و«جُردان». و«جرادين» ويجوز جمعه أيضاً «رهابنة» إذا كان كذلك. ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحداً قول الشاعر^(١):

لَوْ عَايَنْتَ رُهْبَانَ دَيْرٍ فِي الْقَلِّ لَأَنْحَدَرَ الرَّهْبَانَ يَمْشِي وَنَزَلَ^(٢)

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: «ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً».

فقال بعضهم: عني بذلك قوم كانوا استجابوا لعيسى ابن مريم حين دعاهم، وأتبعوه على شريعته، عن ابن عباس في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾، قال: كانوا نَوَاتِيءَ في البحر يعني: ملاحين^(٣).

قال: فمر بهم عيسى ابن مريم، فدعاهم إلى الإسلام فأجابوه: قال: فذلك قوله: ﴿قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾.

(١) الجردان: ما يستحى من ذكره من الإنسان وغيره.

(٢) تفسير القرطبي ٦: ٢٥٨، مع اختلاف شديد في الرواية. «عين الشيء معاينة وعياناً»: نظر إليه بعينه مواجهة. ومنه قيل: «رأيت فلاناً عياناً» أي: مواجهة. وحق شرح هذا اللفظ هنا أن يقال: لو رمتهم بعينها مواجهة. و«القلل»: جمع «قلة»: وهي رأس الجبل، وإنما عني بذلك صوامع الرهبان في الجبال.

(٣) في ابن الأثير ثم في لسان العرب «كانوا نَوَاتِيءَ، أي ملاحين - تفسيره في الحديث» وكذلك نقله عنهما صاحب تاج العروس. ولعله خطأ من النسخ، وأن صوابه «كانوا نواتي»، أي ملاحين، كما جاء هنا وفي المخطوطة أيضاً.

وقال آخرون: بل عني بذلك، القوم الذين كان النجاشي بعثهم إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن أبي صالح في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا﴾، قال: ستة وستون، أو سبعة وستون، أو ثمان وستون^(١) من الحبشة، كلهم صاحب صومعة، عليهم ثياب الصوف.

عن سعيد بن جبیر: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا﴾، قال: بعث النجاشي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسين أو سبعين من خيارهم، فجعلوا يبكون، فقال: هم هؤلاء!

عن سالم الأفظس، عن سعيد بن جبیر: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا﴾، قال: هم رُسل النجاشي الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلاً اختارهم الخير فالخير، فدخلوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقرأ عليهم: ﴿يَسَ ۝١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿سورة يس: ١، ٢، فبكوا وعرفوا الحق، فأنزل الله فيهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وأنزل فيهم: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يَوْمِنُونَ ۝٥٤﴾ وَإِذَا يُنَادَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿سورة القصص: ٥٤

(١) هكذا في المطبوعة: «أو اثنان وستون»، وفي المخطوطة: «اثنان وستون» بغير «أو»، وغير منقوطة، فأرجح أن صواب قراءتها: «أو ثمان وستون»... وهو الذي يدل عليه السياق، ولذلك أتبنتها كذلك.

قال أبو جعفر الطبري: والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله، أن ذلك إنما كان منهم لأن منهم أهل اجتهاد في العبادة، وترهب في الديارات والصوامع^(١) وأن منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها، فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق إذا عرفوه، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبينوه، لأنهم أهل دين واجتهاد فيه، ونصيحة لأنفسهم في ذات الله، وليسوا كاليهود الذين قد دربوا بقتل الأنبياء والرسول، ومعاندة الله في أمره ونهيه، وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه^(٢).

قال الجصاص في أحكام القرآن: ومن الجهال من يظن أن في هذه الآية مدحاً للنصارى، وإخباراً بأنهم خير من اليهود. وليس ذلك كذلك، لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول. يدل عليه ما ذكر في نسق التلاوة، من إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان بالله والرسول^(٣)، ومعلوم عند كل ذي فطنة صحيحة أمعن النظر في مقالتي هاتين الطائفتين، أن مقالة النصارى أقبح وأشد استحالة،

(١) في المطبوعة: «وترهب»، وفي المخطوطة: «وترهب» غير منقوطة، وصواب قراءتها ما أثبت، فإنه لا يقال: «رهب ترهيباً»، وإنما يقال: «ترهب ترهباً»، إذا صار راهباً يخشى الله، ويتعبد في صومعته.

(٢) الجصاص في أحكام القرآن ٢: ٤٥١

(٣) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ (٢: ٤٥١).

وأظهر فسادًا من مقالة اليهود، لأن اليهود تقر بالتوحيد في الجملة، وإن كان فيها مشبهة تنقض ما اعتقدته في الجملة من التوحيد بالتشبيه». ونقل هذا: أبو حيان في تفسيره، ثم قال: «والظاهر ما قاله المفسرون وغيرهم من أن النصارى على الجملة أصلح حالًا من اليهود^(١)».

وقد ذكر المفسرون فيما تقدم، ما فضل به النصارى على اليهود من كرم الأخلاق، والدخول في الإسلام سريعًا، وليس الكلام واردًا بسبب العقائد، وإنما ورد بسبب الانفعال للمسلمين. وأما قوله: لأن ما في الآية من ذلك، إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول»، ليس كما ذكر، بل صدر الآية يقتضي العموم، لأنه قال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾، ثم أخبر أن من هذه الطائفة علماء وزهادًا متواضعين، وسريعي استجابة للإسلام، وكثيري بكاء عند سماع القرآن، واليهود بخلاف ذلك، والوجود يصدق قرب النصارى من المسلمين، وبعد اليهود^(٢).

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت (٣٤٤/٤).

(٢) وقد دار حوار بيني وبين أحد الفضلاء، يرى في ذلك أن النصارى هم من غزوا بلاد المسلمين، وأنهم هم من قاد الحملات الصليبية علينا، فأخبرته بأن اليهود هم من يتلاعبون بالنصارى، ويحركونهم كالدمي، وهم من أشعل تلك الحروب الطويلة بيننا وبين النصارى، أعظم القيادات في بلاد الغرب من أصول يهودية بل صهيونية، لكن المسلمين لا يعلمون حقيقة العلاقة بين اليهود النصارى، وأن النصارى لا يملكون من أمرهم شيئًا، وأن كل شيء بيد اليهود، =

المطلب الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ
وَالْبَيِّنَاتِ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۗ ﴿٦٤﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ۗ﴾ (الزخرف: ٦٥-٦٣).

قال أبو جعفر الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾. اختلف أهل
التأويل في المعنيين بالأحزاب، الذين ذكرهم الله في هذا الموضع، فقال
بعضهم: عنى بذلك: الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى، واختلفت
فيه، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال: هم
الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل يقولون في عيسى^(١). وقال آخرون: بل
هم اليهود والنصارى، عن السدي، في قوله: ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾

= في أمريكا وأوروبا حصراً ومن يرى الواقع اليوم ويتأمل فيه يعرف حقيقة هذه
العلاقة، وقد تابعت قبل فترة قريبة حلقة تلفزيونية تناولت برنامجاً عن رحلات
منظمة من أمريكا للنصارى لزيارة فلسطين وتتضمن الرحلة برنامجاً للنصارى
للعمل في فلسطين خدمة لليهود ويعملون في المصانع وبعض المواقع، اعتقاداً
منهم أن ذلك يسرع من خروج المسيح، ويعجل به وأغلب هؤلاء من النصارى
الذين يسمونهم بالمحافظين الجدد، وهم نصارى متصهينون، راجع الكلام
في نفس الكتاب تحت عنوان الصهيونية المسيحية، وراجع أيضاً الكلام على
طائفة المورمون الذي سيأتي في نفس الكتاب.

(١) تفسير الطبري (٢٠/٦٣٨).

قال: اليهود والنصارى والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك فاختلف الفرق المختلفون في عيسى ابن مريم من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقاء الله والعمل بطاعته، وهم اليهود والنصارى، ومن اختلف فيه من النصارى، لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسليين^(١) مختلفي الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه، وقوله لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ آلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره فالوادي السائل من القبيح والصديد في جهنم للذين كفروا بالله، الذين قالوا في عيسى ابن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في هذه الآية ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ آلِيمٍ﴾ يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام، إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه، وذلك يوم القيامة، كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي في قوله تعالى: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ آلِيمٍ﴾ قال: من عذاب يوم القيامة^(٢). عن ابن جريج.

قوله ﴿الَّذِي فِيهِ يَمَّرُونَ﴾ قال: اختلفوا؛ فقالت فرقة: هو عبد الله ونبيه، فأمنوا به. وقالت فرقة: بل هو الله. وقالت فرقة: هو ابن الله. تَبَارَكَ وَتَعَالَى عما يقولون علواً كبيراً، قال: فذلك قوله ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾

(١) «مبتسليين» بتقديم التاء على الباء. قال في اللسان: تبسل الرجل: عبس من الغضب أو الشجاعة أما ابتسل الرجل بتقديم الباء، فمعناه: أخذ على رقبته أجراً. اهـ.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/٦٣٨).

من بَيْنِهِمْ ﴿﴾ والتي في الزخرف، قال دقيوس ونسطور ومار يعقوب، قال أحدهم حين رفع الله عيسى: هو الله، وقال الآخر: ابن الله، وقال الآخر: كلمة الله وعبده، فقال المفتريان: إن قولي هو أشبه بقولك، وقولك بقولي من قول هذا، فهلّم فلنقاتلهم، فقاتلوهم وأوطئوهم إسرائيل، فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج كل قوم عالمهم، فامتروا في عيسى حين رُفِعَ، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض وأحيا من أحياء، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم النسطورية، فقال الاثنان: كذبت، ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه، قال: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وهو إله، وأمه إله، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى؛ قال الرابع: كذبت، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، وهم المسلمون، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتلوا، فظهروا على المسلمين، وذلك قول الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قال قتادة: هم الذين قال الله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ اختلفوا فيه فصاروا أحزابًا.

وفي سورة الزخرف ورد قوله تعالى بخصوص دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عَيْسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۗ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ إِلِيمٍ﴾ (الزخرف: ٦٣٦٥).

فقد أرسل سبحانه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قومه، فخطبهم ناصحًا ومرشدًا: يا قوم! لقد جئتكم بالمعجزات البينات الواضحات، التي

تشهد بصدق ما جئكم به من الإنجيل، المشتمل على ما تقتضيه الحكمة الإلهية من آداب وتشريعات ومواعظ، ثم طلب منهم أن يسمعوا لما جاءهم به، ويطيعوا ما أمرهم به؛ لأن في ذلك نجاة لهم، بيد أن قوم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اختلفوا في أمره اختلافاً شديداً.

﴿وَالْأَحْزَابُ﴾ الذين اختلفوا في أمر عيسى هم اليهود والنصارى؛ لأنهم أمة دعوته، وقيل: المراد النصارى، وهم أمة إجابته، وقد اختلفوا في أمره شيعاً وأحزاباً، فمنهم الملكانية، ومنهم النسطورية، ومنهم اليعقوبية.

وقالوا في أمره أقوالاً باطلة، وقد توعد سبحانه الذين اختلفوا في أمره بالعذاب الأليم؛ بسبب اختلافهم وبغيهم، ونسبتهم إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما هو بريء منه.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

وقوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على أنه ولد زنية، وقالوا كلامه هذا سحر، وقالت طائفة أخرى إنما تكلم الله، وقال آخرون بل هو ابن الله، وقال آخرون ثالث ثلاثة.

وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله إليه المؤمنين وقد روي نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن

جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف^(١)

روى عبدالرزاق عن قتادة في قوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع

فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية^(٢) فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية^(٣) فقال الاثنان كذبت، ثم قال أحد الاثنان للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمّه إله، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله^(٤)، قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون، فكان

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٥).

(٢) وبتنشر رعاياها في سورية وفلسطين ولبنان ومصر والعراق وبلاد الهند. وقد ظهرت لفظة «اليعقوبية أو اليعاقبة» في القرن الخامس الميلادي وسيأتي بيانهم في المطلب القادم.

(٣) هو المعتقد الديني المسيحي الراض لمجمع أفسس المعقود سنة ٤٣١ م سميت هذه العقيدة باسم نسطور بطريرك القسطنطينية الذي فضل استعمال عبارة كريستوتوقس (والدة المسيح) بدلا عن الشيوطوقس (والدة الله) في وصف مريم العذراء سيأتي بيانهم في المطلب القادم..

(٤) الملكانيون أو الملكيون ينتشر أتباع هذا التقليد المسيحي في الشرق الأوسط وبخاصة في سوريا ولبنان وفلسطين (إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة) والأردن وسيأتي بيانهم.

لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وذلك قول الله تعالى ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾. قال قتادة وهم الذين قال الله ﴿فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال اختلفوا فيه فصاروا أحزابًا

وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريبًا من ذلك .

وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين^(١) جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة

(١) قسطنطين ولد في ٢٧ فبراير حوالي ٢٧٢ م وتوفي في ٢٢ مايو ٣٣٧ م ولد في ما يعرف اليوم بـ نيش بصربيا، كان معروفًا أيضًا باسم قسطنطين الأول، كان الإمبراطور اليوناني الذي حكم من ٣٠٦ م إلى ٣٣٧ م، أبوه قسطنطوس كلوروس، كان ضابط في الجيش الروماني من أصل إيليريوني، وأمه كانت الإمبراطورة هيلانة، أصبح والده القيصر، ونائب الإمبراطور في الغرب. في ٢٩٣ م. وهو من قام ببناء مدينة القسطنطينية، حيث مثلت هزيمة ليسينوس هزيمة للمعتقدات الاغريقية الوثنية في الشرق أمام روما المسيحية اللاتينية، ولأجل عدم إغضاب سكان الشرق تم إقترح إنشاء عاصمة جديدة للإمبراطورية لتمثل شرق الإمبراطورية، وتكون المركز الجديد للتعليم والازدهار والواجهة الثقافية في الإمبراطورية الرومانية الشرقية. بحث قسطنطين في عدة مواقع، ففكر في مدينة سيرديكا (صوفيا اليوم) وذكر أن سيرديكا هي روما خاصتي. كذلك فكر في مدينة سيرميوم والتي تقع قرب مسقط رأسه وفكر أيضًا بمدينة تسالونيكى المقدسة عند المسيحيين. إستقر قسطنطين في الأخير على المدينة الإغريقية بيزنطة والتي كانت قد بنيت عدة مشاريع رومانية حضارية فيها تعود لزم من سبتيموس سيفيروس و كاراكالا والذين عرفوا أهمية موقعها الإستراتيجي. تمت المباشرة بإنشاء المدينة في سنة ٣٢٤، وإكتمل بنائها في ١١ مايو ٣٣٠، وتم تسميتها بإسم Constantinopolis (بمعنى مدينة قسطنطين).

عندهم فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا فاختلفوا في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ اختلافًا متباينًا جدًا فقالت كل شردمة فيه قولًا فمائة تقول فيه شيئًا وسبعون تقول فيه قولًا آخر وخمسون تقول شيئًا آخر ومائة وستون تقول شيئًا ولم يجتمعوا على مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فمال إليهم الملك وكان فيلسوفًا فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الأمانة الكبيرة بل هي الخيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعًا كثيرة وحرّفوا دين المسيح وغيره فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها في بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسة وبنّت أمه هيلانة قمامة على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله إلى السماء.

وقوله ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله وافترى وزعم أن له ولدًا ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلمًا وثقة بقدرته عليهم فإنه الذي لا يعجل على من عصاه كما جاء في الصحيحين: إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) ^(١) وفي الصحيحين أيضًا عن رسول الله

(١) راه البخاري برقم (٤٦٨٦)، (٧٤ / ٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أذَى سَمِعَهُ مِنْ اللَّهِ إِثْمَهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيَعَافِيهِمْ^(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيْرِ﴾ وقال

تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي يوم القيامة.

وقد جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل^(٢).

﴿اسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يقول تعالى مخبراً عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾.

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ [النساء: ١٧١]، برقم (٣٤٣٥)، ومسلم، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، برقم (٢٨).

أي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئاً ولو كان هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعاً لهم ومنقداً من عذاب الله ولهذا قال (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم وأبصرهم (يوم يأتوننا) يعني يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم) أي في الدنيا (في ضلال مبين) أي لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أنذر الخلائق يوم الحسرة ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ما صار إليه مخلداً فيه ﴿وَهُمْ﴾ أي اليوم ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يصدقون به.

روى الإمام أحمد: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت - قال - فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت - قال - فيؤمر به فيذبح قال ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأشار بيده ثم قال أهل الدنيا في غفلة الدنيا^(١)

(١) هكذا رواه الإمام أحمد وقد خرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الأعمش به ولفظهما قريب من ذلك

والنصارى من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقد إلهًا ومنهم من يعتقد شريكًا، ومنهم من يعتقد ولدًا، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة وسيأتي تفصيل فرقهم.

ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم، واسمه سعيد بن بطريق الاسكندرية، في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية، أنهم اجتمعوا المجمع الكبير، الذي عقدوا فيه مايسمونه بالأمانة الكبيرة التي لهم وما هي إلا مجرد هرطقة، وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة وأنهم اختلفوا عليه اختلافًا لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفًا فكانوا أحزابًا كثيرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص.

فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفرًا، وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها، وكان فيلسوفًا داهية ومحقق ما عداها من الأقوال، وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر، وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتبًا وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقونها الولدان من الصغار، ليعتقدوها ويعمدونهم عليها، وأتباع هؤلاء هم الملكانية.

ثم إنهم اجتمعوا مجمعًا ثانيًا فحدث فيهم اليعوقوية، ثم مجمعا ثالثًا فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت، على زعمهم

هل اتحدا أو ما اتحدا أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى، والحق أن الثلاث طوائف كفروا بالله عَزَّوَجَلَّ.

المطلب الثالث: هل يصح إطلاق المسيحية على النصرانية؟

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويسمون ديانتهم (المسيحية)، وأول ما دُعي النصارى (بالمسيحيين) في أنطاكية حوالي سنة (٤٢م)، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم.

ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة، كما أن المسيح حسب الإنجيل لم يسم أصحابه وأتباعه بالمسيحيين، وهي تسمية لا توافق واقع النصارى؛ لتحريفهم دين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالحق والصواب أن يطلق عليهم نصارى، أو أهل الكتاب؛ لأن في نسبتهم للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ خطأ فاحشاً؛ إذ قد يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والانحراف إلى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو منه بريء.

وسئل فضيلة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ هل الصحيح أن يقال: مسيحي أو نصراني؟

فأجاب قائلاً: معنى مسيحي نسبة إلى المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم يزعمون أنهم ينتسبون إليه وهو بريء منهم، وقد كذبوا فإنه لم يقل لهم إنه ابن الله، ولكن قال: عبد الله ورسوله. فالأولى أن يقال

لهم نصارى، كما سمّاهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ** ﴾... [البقرة: ١١٣].

وسئل فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ** عن إطلاق المسيحية على النصرانية؟ والمسيحي على النصراني؟

فأجاب بقوله: لا شك أن انتساب النصاري إلى المسيح بعد بعثة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** انتساب غير صحيح؛ لأنه لو كان صحيحاً لآمنوا بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإن إيمانهم بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إيمان بالمسيح عيسى ابن مريم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ **وَإِذ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رُسُلَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقَاتِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يَا بَنِي بَعْدِي أَسْمِعُوا أَصْوَاتِي فَمَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الصف: ٦]، ولم يبشروهم المسيح عيسى ابن مريم بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، إلا من أجل أن يقبلوا ما جاء به؛ لأن البشارة بما لا ينفع لغو من القول لا يمكن أن تأتي من أدنى الناس عقلاً، فضلاً عن أن تكون صدرت من عند أحد الرسل الكرام أولي العزم، عيسى ابن مريم، **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وهذا الذي بشر به عيسى ابن مريم بنى إسرائيل هو محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقوله: ﴿ **فَمَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الصف: ٦]. وهذا يدل على أن الرسول الذي بشر به قد جاء، ولكنهم كفروا به وقالوا: هذا سحر مبين. فإذا كفروا بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإن هذا كفر بعيسى ابن مريم الذي بشرهم بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وحينئذ لا يصح أن ينتسبوا إليه فيقولوا: إنهم مسيحيون، إذ لو كانوا حقيقة لآمنوا بما بشر به المسيح ابن مريم؛ لأن عيسى ابن

مريم وغيره من الرسل قد أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا
 بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
 لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
 لْتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ
 فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. والذي جاء مصدقاً
 لما معهم هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨].

وخلاصة القول أن نسبة النصارى إلى المسيح عيسى ابن مريم
 نسبة يكذبها الواقع؛ لأنهم كفروا ببشارة المسيح عيسى ابن مريم
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكفرهم به كفر بعيسى ابن
 مريم، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



المبحث الثاني: فرق النصراني قديماً

المطلب الأول: تعريف النصرانية ونشأتها وتاريخها.

فالنصرانية في أصلها دين منزل من الله تعالى على نبيه عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنها غيّرت وبدلت وحرّفت نصوصها، وتعددت أناجيلها، وتحوّل أتباعها من التوحيد إلى الشرك وذلك باعتراف مؤرخي النصراني أنفسهم، ثم نسخت بالإسلام، فأصبحت باطلة؛ لتحريفها ولنسخها كاليهودية، فالنصرانية تعتبر امتداداً لليهودية؛ لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسل إلى بني إسرائيل مجدداً في شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومصححاً لما حرفه اليهود منها، وليحل لهم بعض الطيبات التي حرّمت عليهم، قال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۗ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، [آل عمران: ٤٨ - ٥٠].

فبعيسى جاء كذلك مبشراً بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا يأتي من بعده، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

لكن غالب بني إسرائيل (اليهود) كَذَّبوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنكروا رسالته وحاربوا أتباعه، ولمَّا رفعه الله إليه حَرَّفوا الدين الذي جاء به، وحاولوا طمسه بمكرهم ووسائلهم، ولم يمض ثلاثة قرون على الديانة النصرانية حتى تحوَّلت تمامًا عن مسارها الصحيح المتمثل في التوحيد إلى الشرك المتمثل في التثليث، وتبدَّلت نصوصها وأحكامها، كما فعلوا بدين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قبل.

فالنصرانية الحاضرة صنعة اليهود، تسير في ركابهم، لذلك نرى النصراني لا يزالون يعترفون بكتاب اليهود (التوراة)، ووصايا الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رغم تحريف اليهود لدينهم وكتابهم، ويسمون التوراة بالعهد القديم بالإضافة إلى كتابهم الإنجيل المحرَّف الذي يسمونه (العهد الجديد).

أما اليهود فهم ينكرون كل ما عدا التوراة، إلا ما ورد عن علمائهم ومفسريهم ويسمونه (التلمود)، وهو مقدم عندهم على التوراة، والنصارى يكفِّرون اليهود؛ لتكذيبهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، واليهود يكفِّرون النصارى؛ لأنهم يرونهم مبتدعين، ودينهم باطل؛ لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بزعمهم ساحر كذاب، قال الله تعالى عن الفريقين: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣].

النصرانية لغة: قيل: نسبة إلى نصرانة، وهي قرية المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية واليوم يطلق عليها بلدة الناصرة^(١)، تُعتبر هذه المدينة من أكثر المدن قداسة بالنسبة للنصارى؛ والسبب في ذلك يعود إلى الاعتقاد بأنها المدينة التي بشر فيها الملك جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** مريم العذراء بأنها ستُزق بالمسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، بالإضافة إلى أنها المدينة التي نشأ فيها المسيح، وهذا ما يفسر إطلاق اسم يسوع الناصري على المسيح، كذلك فقد عُرف أتباعه باسم النصارى، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى.

النصرانية اصطلاحًا: هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وكتابهم الإنجيل، وقيل هي: هي الرسالة التي أنزلت على عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، مكملّة لرسالة موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**،

(١) الناصرة من أهم مدن فلسطين التاريخية، تقع اليوم في لواء الشمال في منطقة الجليل، وتبعد عن القدس حوالي ١٠٥ كم إلى الشمال. أصبحت المدينة بعد النكبة عام ١٩٤٨ مركزًا إداريًا وثقافيًا والمركز الرئيسي لعرب ٤٨ في فلسطين، وقد أصبحت هذه المدينة عبارة عن مركز ديني مهم منذ العصر البيزنطي، وأصبحت هذه المدينة مركزًا للأبرشيات الكاثوليكية بعد الحملات الصليبية للمدينة، وفيما بعد أصبحت مقصدًا للنصارى الزائرين من جميع أنحاء العالم، كما يعيش فيها أكبر تجمع نصراني موجود في فلسطين التاريخية. ثم تعاقب على هذه المدينة على مرّ التاريخ العديد من الغزاة، ولعل أبرز هذه القوى الفرس، والإغريق، وكذلك الرومان، والبيزنطيين، والصليبيين، والمغول بالإضافة إلى البريطانيين، وفيما بعد تحديدًا في ١٦ تموز ١٩٤٨م استولت عليها المنظمات اليهودية المسلحة وبقيت تحت الاحتلال الاسرائيلي حتى يومنا هذا.

ومتمة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهادًا شديدًا، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيرًا عن أصولها الأولى؛ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.

تطلق النصرانية على الدين المنزل من الله تعالى على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكتابه الإنجيل

وأتباعها يقال لهم: (النصارى) نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين، وهي التي ولد فيها المسيح.

أو إشارة إلى صفة: وهي نصرهم لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتناصرهم فيما بينهم، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر، ثم أطلق عليهم كلهم على وجه التغليب، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، [آل عمران: ٥٢].

ونسبة لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية، والحرب التي شنها اليهود والتحريف الذي زرعه فيها، تفرقت النصرانية قديمًا وحديثًا إلى عدة فرق وطوائف، يكفر بعضها بعضًا، وسوف نبدأ بطوائفها قديمًا وهي اليعقوبية، والنسطورية والملكانية.

المطلب الثاني: اليعقوبية.

ترجع الكنيسة اليعقوبية بجذورها إلى نشأة المسيحية في القرن الأول الميلادي، ويتنشر رعاياها في سورية وفلسطين ولبنان ومصر والعراق وبلاد الهند. وقد ظهرت لفظة «اليعقوبية أو اليعاقبة» في الخامس الميلادي نسبة إلى الأسقف يعقوب البرادعي أحد الاسقفين الذين أرسلتهما الامبراطورة تيودورا زوجة الامبراطور جستنيان إلى الملك الغساني الحارث بن جبلة لتعليم قومه وتنصيره، وأما الأسقف الثاني فهو تيودورس أسقف العرب الذي عين للجزيرة العربية وفلسطين.

والكنيسة اليعقوبية أو الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، كنيسة مونوفيزية تعتقد برأي الراهب أوطيخا القائل أن في المسيح شخصية واحدة وطبيعة واحدة فقط هي الالهية، وقد تكونت هذه الكنيسة بعد تجمع خلقيدونيا التي تقع شمال شرق البسفور في الشاطئ المقابل لمدينة اسطنبول عاصمة تركيا اليوم والذي عقد عام ٤٥١م لحسم الخلاف حول ألوهية المسيح وناسوتيته وانتهى إلى تحريم تعاليم أوطيخا، وأدى إلى نشأة الكنيسة اليعقوبية المؤمنة بالطبيعة الواحدة في مقابل الكنيسة الملكية التي أخذت بقرار المجمع الخلقيدوني (المونوفيزية).

المسيحيين، الذين ينتمون للكنائس الميافيزية المصريين (الكنيسة القبطية الارثوذكسية)، التي يرأسها بابا الاسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية و السريان (كنيسة انطاكية للسريان الارثوذكس) وهذه الكنائس لهم مذهب يقول أن المسيح هو الرب طبيعة واحدة من جوهرين، واحد

الهي (لاهوت) و الثاني انساني (ناسوت)، لكنهم متحدين (ميافيزية) و معناها الطبيعة الواحدة و هي غير مذهب المونوفيزية التي معناها الطبيعة الوحيدة و التي تؤمن بطبيعة وحيدة و ليست واحدة للسيد المسيح (لاهوت) فقط تلاشت فيه الطبيعة الانسانية (الناسوت) حسب أفكار أوطاخي و التي اعتبرتها الكنائس كافة هرطقة و خاصة الارثوذكسية المشرقية القبطية و السريانية و الأرمنية وكان البابا القبطي ديسقورس من أهم من دحضوا هرطقة أوطاخي المونوفيزية، و كان يعقوب البرادعي الذي عاش في القرن السادس الميلادي و توفي في مصر من أكثر الأساقفة نشاطاً في الدفاع عن مذهب الطبيعة الواحدة (الميافيزية).

انتشر أتباع الكنيسة اليعقوبية في سورية و العراق و فلسطين، و نشط يعقوب البرادعي في تنظيمها و تعليم معتقدها، و أسس المراكز الأسقفية المتعددة.

وقد رحبت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالفتوحات العربية هرباً من مضايقات الامبراطور و الاضطهادات الدينية التي كانت تتعرض لها، و لهذا جعل مقر البطيركية في المناطق العربية فتنقلت بين ديار بكر و ماردين، ثم كانت في أنطاكية فحلب فدير الزعفران بالقرب من حمص، و أخيراً استقرت في دمشق منذ عام ١٩٥٩ م.

وقد ازدهرت هذه الكنيسة في القرن التاسع الميلادي و كان لعلمائها و أساقفتها أثر كبير في بلاط الخلفاء و حركة النقل و العلم في العصور الاسلامية، و من أعلامها ساويروس الأنطاكي و بطيريك

ديار بكر ديونيسيوس الصليبي (المتوفى سنة ١١٧١م) وغريغوريوس أبو الفرج المعروف بابن العبري (المتوفى سنة ١٢٨٦م). وهو مؤرخ وفيلسوف ولاهوتي.

ويرجع وجود هذه الكنيسة في فلسطين إلى ما قبل المجمع الخلقيدوني في القرن الخامس، فالفلسطينيون أول شعب تنصر مع الفئات اليهودية الأولى في عهد السيد المسيح، ثم في عهد الرسل، ولغتهم المحكية والكنيسة هي اللغة التي كان ينطق بها السيد المسيح، وهي اللغة السريانية أو الآرامية الغربية.

وكان أول أسقف ترأس الكنيسة الفلسطينية هو يعقوب الملقب (بأخي الرب). والطقوس الدينية لهذه الكنيسة هي أقدم الطقوس الكنسية، وقد سبقت الطقس البيزنطي اليوناني الذي نشأ في القسطنطينية ولم يدخل فلسطين الا في عهد متأخر.

بعد الفتوحات العربية نعم العنصر السوري بشيء من الامتياز وأقصي العنصر اليوناني، وظل معظم بطاركة القدس اليونانيين يعيشون في المنفى في القسطنطينية، الا أن أتباع الكنيسة السريانية انتقلوا في العهد العربي الاسلامي إلى مصر.

وعندما أرادوا العودة إلى ديارهم أثناء حكم الصليبيين تم لهم ذلك في عهد البطريك ميخائيل السوري الكبير الذي قابل الملك الصليبي بودوان الرابع في عكا عام ١١٧٩م وأيده البطريك اللاتيني في

القدس، ويعتبر البطريرك ميخائيل من أعلام الكنيسة السريانية في القرن الثاني عشر، ومن مشاهير كتاب هذا العصر.

وقد ذكر أحد المؤرخين المعاصرين للكنيسة السريانية أنه كان لهذه الكنيسة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين أبرشية^(١) في غزة مركزها في ميمومة (خربة المنية)، وأبرشيته في طبرية من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر الميلادي، وفي عكا في القرن الثالث عشر الميلادي، وفي نابلس في القرن الثاني عشر الميلادي، وكان لها عدة أديار وكنائس في القدس وأريحا وغزة ووادي الأردن.

ومن علماء الكنيسة السريانية الفلسطينيين يوحنا روفس من قرية روفينا قرب عسقلان، وكان أسقف ميومه في القرن السادس، وزكريا أسقف المدني (٥٣٦م) وأصله من غزة، وتوما الهرقلي أسقف منبج (القرن السابع الميلادي) وأندراوس المقدسي (القرن السابع الميلادي). يعد أتباع الكنيسة السريانية الأرثوذكسية اليوم نحو ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف نسمة في البلاد العربية والهند وأوروبا وأمريكا.

ويحمل بطريركها لقب قداسة بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم، ويعتبر هذا البطريرك الثاني والعشرين بعد المئة في سلسلة بطاركة أنطاكية الشرعيين.

(١) تعتبر الأبرشية باللاتينية: (Episcopatus) في بعض أشكال المسيحية أصغر وحدة في النظام الكنسي، وهي جزء من أجزاء المركز، يرأس الأسقف الكنيسة الخاصة بالأبرشية وسيأتي الكلام عليها في مطلب بعض المصطلحات.

وينوب عنه في بلاد الهند رئيس أساقفة يحمل لقب «مفريان»، وهي لفظة سريانية تعني المعطي أو المثمر، وفي البلاد الغربية والهند والمهجر سبع وعشرون مطرانية^(١).

ويعد أتباع هذه الكنيسة في فلسطين اليوم نحو خمسة آلاف نسمة، ومقرها في القدس في كنيسة القديس مرقس، ولها كنائس في بيت لحم ووادي الأردن وعمان، ودير في القدس، و يترأس هذه الكنيسة نائب بطريركي يقيم في دير القديس مرقس الشهير بمكتبته المنشأة عام ١٧١٨م، وتحوي عدة مخطوطات وأيقونات ثمينة^(٢).

المطلب الثالث: النسطورية.

هو المعتقد الديني المسيحي الراض لمجمع أفسس المعقود سنة (٤٣١م)، يعرف داعمو كيرلس الأول النسطورية بأنها العقيدة القائلة بأن يسوع المسيح مكون من جوهرين يعبر عنهما بالطبعين وهما: جوهر إلهي وهو الكلمة، وجوهر إنساني أو بشري وهو يسوع، فبحسب النسطورية لا يوجد اتحاد بين الطبيعتين البشرية والإلهية في شخص يسوع المسيح، بل هناك مجرد صلة بين إنسان والألوهة، وبالتالي لا يجوز إطلاق اسم والدة الإله على مريم العذراء بحسب النسطورية،

(١) مُطْرَانِيَّة: اسم مؤنَّث منسوب إلى مُطْران / مُطْران / مُطْران: وهو رئيس الكهنة عند المسيحيين، درجة حَبْرِيَّة وهي منطقة خاضعة لسلطة المُطْران، وهي دار المطران، مركز إقامته وعمله.

(٢) سويروس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، ١٩٥٧.

لم تلد إلهًا بل إنسانًا فقط حلت عليه كلمة الله أثناء العماد وفارقه عند الصليب، فيكون هذا المذهب بذلك مخالفًا للمسيحية التقليدية القائلة بوجود أقنوم الكلمة المتجسد الواحد ذو الطبيعتين الإلهية والبشرية.

سميت هذه العقيدة باسم نسطور بطريرك القسطنطينية الذي فضل استعمال عبارة كريستوطوقس (والدة المسيح) بدلاً عن الثيوطوقس والدة (الله)، (تعالى الله جَلَّ وَعَلَا) في أدنى في نهاية الأمر إلى حرمانه ومنع تعاليم مدرسة الرها المقربة منه.

غير أن نسطور نفى في كتابه بازار هيراقليدس الذي كتبه في منفاه بمصر أن يكون قد دعا إلى فصل الطبيعتين، كما يرى معظم لاهوتيي القرن العشرين أن نسطور نفسه لم يكن نسطوريًا بحسب التعريف التقليدي لها.

أدى إغلاق مدرسة الرها إلى نزوح معلميها وطلابها الذين تعاطفوا مع نسطور إلى مدرسة نصيبين الواقعة ضمن الإمبراطورية الساسانية وأحد معاقل كنيسة المشرق الرئيسية، وكنتيجة لتأثيرهم لم تعترف كنيسة المشرق بمجمع أفسس ما أدى إلى وصفها بالنسطورية.

يتفق اللاهوتيون أن وصف كنيسة المشرق بالنسطورية غير دقيق من الناحيتين العقائدية والتاريخية، كما نعت أتباع مجمع خلقيدونية الذي حاول حل الخلاف النسطوري بالنساطرة من قبل الأرثوذكس المشاركة وخاصة في الفترة التي سبقت وصول جستينيان الأول لسدة الحكم على الإمبراطورية البيزنطية.

أدى دعم كنيسة المشرق لنسطور ورفضها لمجمع أفسس في سينودس بيت لافط سنة ٤٨٤م إلى وصفها ب«الكنيسة النسطورية»، حيث يعتبر نسطور أحد قديسيها كما سمي أحد أنافورات كنيسة المشرق باسمه.

كما تباين رأي أتباع الكنيسة بين من دافع عن نسطور كونه مدافعاً عن العقيدة الأرثوذكسية وبين من رأى أنه ليس من آباء كنيسة المشرق وبالتالي فإن أفكاره، بغض النظر عن كونها هرطقة أو لا، ليست بذات أهمية بالنسبة لهذه الكنيسة.

وقد أدت هذه المعتقدات لدى النسطوريين إلى نبذهم ومعاداتهم من قبل متبعي كيرلس الأول الإسكندري، ولذلك فإنهم حرموا من مجمع أفسس ومجمع خلقيدونه في سنتي (٤٣١م) و (٤٥١م)، وبالرغم من معاداتهم ونبذهم استمر نسطوريوس في نشر معتقداته التي لاقت قبول واسع في موطنه انطاكية حتى انتشرت إلى الشرق في بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وامتد التأثير ليشمل الجزيرة العربية ويمتد الخلاف بينهم وبين أتباع كيرلس الأول أيضاً، ليشمل الطقوس الدينية فقد أولى النسطوريون العبادة والطقوس الدينية أهمية كبيرة وقد تطورت طقوسهم الدينية منذ السنوات الأولى من انفصالهم عن الكنيسة الأم، حيث يلتقون للصلاة في الصباح الباكر وفي المساء.

وقد تحاشى النسطوريون الفيلوك في عقيدتهم واعتبروا فكرة انبثاق الروح القدس من الأب الابن غير صحيحة، وبالرغم من تقديسهم

للسيدة مريم العذراء والصليب إلا انهم لا يتفقون على تسمية السيدة العذراء بوالدة الإله ويمتنعون عن إقامة الصليب في كنائسهم.

ونظراً للصعاب التي لاقتهم في نشر وممارسة دينها في موطنها في الشام فقد اضطروا للهجرة لبلاد فارس والتي كانت في ذلك الوقت في صراع بين الإمبراطورية البيزنطية، وهكذا أصبحت بلاد فارس ملجأهم، حيث استفادوا من لجوئهم فأقاموا عدد من الكنائس واستطاعوا أن يحملوا البعض من عرب الحيرة على اعتناق ديانتهم، فأثار نجاحهم النسبي في إثارة المخاوف لدى الفرس، فقد شعروا بأنهم لا يجب أن يسمحوا لهذه الحركة الدينية بأن تنتشر بين أتباعهم، وفي عهد سابور الثاني تعرضت النسطورية للإضطهاد سنة ٣٧٩م، حيث اضطرت للهجرة مرة أخرى إلى شبة الجزيرة العربية عن طريق الخليج العربي فاستقروا في البداية في عمان ومن ثم بدأوا بالانتشار حول الأحساء على السواحل الشرقية لشبه الجزيرة.

ولم يتعرض أحد من سكان الجزيرة العربية على هجرتهم ومع مرور الوقت اعتنق عدد قليل من سكان المنطقة، وكان الساحل الشرقي للجزيرة العربية ملجأً ممتازاً لهم لعدم وجود حركة مناوئة لهم.

وقد ازدهرت النسطورية في شرق الجزيرة العربية، واستطاعت الوصول عبر الطرق التجارية التقليدية باتجاه الشمال الغربي حتى المدينة، دون أن يكون لها تأثير يذكر^(١).

(١) الموسوعة العربية المسيحية نسخة محفوظة ٢٤ مايو ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

المطلب الرابع: الطائفة الملكانية.

الملكانيون أو الملكيون هي تسمية تطلق على المسيحيين من الروم الأرثوذكس والكاثوليك الذين يتبعون الطقس البيزنطي، تعود التسمية إلى السريانية ملكويي/ ملكايي بمعنى «أتباع الملك» كونهم تبعوا الأباطرة البيزنطيين عقب الخلافات الكنسية في القرن الخامس الميلادي، ينتشر أتباع هذا التقليد المسيحي في الشرق الأوسط وبخاصة في سوريا ولبنان وفلسطين والضفة الغربية وقطاع غزة والأردن.

يرى الملكيون أنفسهم على أنهم المسيحيون الأوائل، ويرجعون تاريخ كنيستهم لزمان تلاميذ المسيح، ويقال أن هذا المجتمع الأول كان خليطاً من أفراد يونان ورومان وسريان ويهود، بعد السيطرة الإسلامية على الشام في القرن السابع الميلادي، بدأ الملكيون باستخدام اللغة العربية في لغتهم الطقسية ومع التعريب التدريجي الذي حدث في الشرق الأوسط. استخدم المصطلح «الملكانيون» كمذمة خلال الانقسام في المسيحية الشرقية بعد مجمع خلقدونية في ٤٥١م، واستخدم من قبل اللا-خلقدونيون للإشارة إلى أولئك الذين ساندوا المجمع والملك/ الإمبراطور البيزنطي.

المطلب الخامس: الخلاف بين الطائفة الملكانية والطائفة

المونوفيزية.

الطائفة المونوفيزية هي حزب القبط المونوفيزيين وهم أهل مصر والحبشة، وكان المونوفيزيون يعتقدون أن للسيد المسيح طبيعة واحدة، وهي الإلهية التي تلاشت فيها طبيعة المسيح البشرية اشتد الخلاف بين

الطائفتين في القرنين السادس والسابع الميلادي، حتى صار كأنه حرب عوان بين دينين متنافسين.

يقول الدكتور ألفرد. ج. بتلر^(١):

«إن ذينك القرنين كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومان، نضال يذكيه اختلاف في الجنس واختلاف في الدين، وكان اختلاف الدين

(١) ألفريد جوشوا بتلر (١٨٥٠ - ١٩٣٦) (بالإنجليزية: Alfred Joshua Butler) مؤرخ بريطاني، درس بأكسفورد وحصل على زمالة كلية براسينوز عام ١٨٧٧ ودرجة الدكتوراه عام ١٩٠٢. اهتم بالتاريخ المصري وكتب فيه عدة مؤلفات تنوعت ما بين العصر القبطي إلى العصور الوسطى. من أهم كتبه «الكنائس القبطية القديمة في مصر» (أوكسفورد ١٨٨٤) و«فتح العرب لمصر والثلاثين عاما الأخيرة من حكم الرومان» (أوكسفورد ١٩٠٢) وكتاب «الحياة الملكية في البلاط الملكي» (١٨٨٧) وفيه تفاصيل عن البلاط الملكي المصري (١) في تلك الفترة، فيذكر المؤلف في مقدمته أنه تم استدعائه لمصر في يناير ١٨٨٠ ليدرس أبناء الخديوي توفيق فبقي هناك إلى أن رحل عن مصر عام ١٨٨١ م، بعد أن شهد واقعة قصر النيل في فبراير ١٨٨١ م، وله تعليقات على كتاب أبو المكارم «تاريخ الكنائس والأديرة» والذي ترجمه عن العربية «بي. تي. أ. ايفتس» (B. T. A. Evetts) (١٨٩٥)، في كتابه ضرب الإسكندرية في ١١ يوليو، يذكر العقاد أن ألفريد بتلر كان من المقربين من الخديوي توفيق، وفي كتابه عمرو بن العاص يورد العقاد في ثنايا كلامه عن بتلر أنه عاش في مصر قبل الإحتلال البريطاني وبعده وأنه أجتهد في تمحيص الوثائق التي عثر بها في القصور الخديوية وفي المكتبات العامة والخاصة، راجع: محمد فريد أبو حديد، الدكتور ألفرد بتلر مجلة الرسالة عدد ١٤٧. مجلة الرسالة - ويكي مصدر.

أشد من اختلاف الجنس، إذ كانت علة العلل في ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمنوفيسية، وكانت الطائفة الأولى كما يدل على اسمها حزب مذهب الدولة الإمبراطورية وحزب الملك والبلاد، وكانت تعتقد العقيدة الموروثة، وهي ازدواج طبيعة المسيح، على حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب القبط المنوفيسيين، أهل مصر، كانت تستبشع تلك العقيدة وتحقرها، وتحاربها حرباً عنيفة في حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصورها أو نعرف كنهها في قوم يعقلون^(١).

محاولة إنهاء الخلاف بين الطائفتين ونتائجها.

حاول الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) توحيد المذهبيين في مذهب جديد وهو المذهب المنوئيلي، وينص على أن يمتنع الناس عن الخوض في الكلام عن كنه طبيعة السيد المسيح، وعماً إذا كانت له صفة واحدة أم صفتان، ولكن عليهم بأن يشهدوا بأن الله له إرداة واحدة أو قضاء واحد، وصار المذهب المنوئيلي مذهباً رسمياً للدولة.

رد فعل المنوفيسيين: تبرأوا من هذه البدعة والتحريف وناذوه العداة واستماتوا في سبيل عقيدتهم القديمة.

وقع اضطهاد فظيع على يد مقوقس الحاكم البيزنطي لمصر استمر عشر سنين، وقع خلالها ما تقشعر منه الجلود؛ فرجاله كانوا يعذبون ثم يقتلون إغراقاً، وتوقد المشاعل وتسلط نارها على الأشقياء حتى يسيل

(١) محمد فريد أبو حديد، فتح العرب لمصر ص ٣٧-٣٨.

الدهن من الجانبين إلى الأرض، ويوضع السجين في كيس مملوء من الرمل ويرمى به في البحر، إلى غير ذلك من الفظائع^(١).

المطلب السادس: مصطلحات الأبرشية والكاتدرائية والمطرائية.

أولاً: الأبرشية.

تعتبر الأبرشية باللاتينية: (Episcopatus) في بعض أشكال المسيحية أصغر وحدة في النظام الكنسي، وهي جزء من أجزاء المركز، يرأس الأسقف الكنيسة الخاصة بالأبرشية.

في المسيحية الغربية: في الكنيسة الأنجليكانية تعد الأبرشية جزء من الأسقفية، وهناك حوالي ١٣،٨٧٠ أبرشية دينية في بريطانيا على سبيل المثال. تأسست دوائر الحكومة المحلية بموجب قانون صادر من البرلمان عام ١٨٩٤ م، وهي تطابق بوجه عام حدود الأبرشية الدينية.

في المسيحية الشرقية: الأبرشية بالإنجليزية: (Eparchy) في المسيحية الشرقية هي وحدة قطاعية كنسية مسؤول عنها المطران أو الأسقف، وهي وحدة رئيسية من الحكم الكنسي.

الأبرشانة (congregationalism) نوع من تنظيم كنسي تتمتع فيه كل أبرشية باستقلال ذاتي، وقد تبني البروتستانت هذا الشكل

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، الطبعة السابعة عشر

الإداري للكنيسة، ويطلق عليهم اسم «الطائفون» حيث جعلوا كل جماعة مصليين يديرون شؤونهم بأنفسهم، وأول طائفة منهم بروانستس، نسبة إلي روبرت براون الذي عرّف مبدأ جماعة المصلين (الطائفة) عام ١٥٨٠م.

ثانيًا: الكاتدرائية.

الكاتدرائية هي كنيسة نصرانية تستخدم مقرًا لمطران الأبرشية، المصطلح مستخدم في الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الانغليكانية وبعض الكنائس اللوثرية، وهذا المصطلح غير مستخدم في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، حيث إن كنيسة المطران تسمى بـ «الكنيسة العظمى» ولكن لظالما استخدم مصطلح كاتدرائية في الترجمة إلى اللغة الإنجليزية.

ثالثًا: المُطْرانيَّة.

اسم مؤنث منسوب إلى مَطْران / مُطْران / مطران: وهو رئيس الكهنة عند المسيحيين، درجة حَبْرِيَّة وهي منطقة خاضعة لسلطة المُطْران، دار المطران، مركز إقامته وعمله.

المطلب السابع: شاؤول اليهودي أو بولس الرسول هو من

حرف النصرانية للمشرك.

بولس الطرسوسي، من ألقابه الدينية: رسول الأمم، تاريخ الميلاد حوالي ٥ م، طرسوس، تاريخ الوفاة بين ٦٤ م و ٦٧ م، روما قديس في جميع الكنائس المسيحية.

ويعرف عند المسيحيين بأنه بولس الرسول أو القديس بولس أحياناً يُكتب اسمه بالعربية بحرف الصاد بولص، هو أحد قادة الجيل المسيحي الأول وينظر إليه البعض على أنه ثاني أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد يسوع نفسه، يعرف من قبل المسيحيين برسول الأمم حيث يعتبرونه من أبرز من بشر هذه الديانة في آسيا الصغرى وأوروبا، وكان له الكثير من المريدين والخصوم على حد سواء. يتوقع أنه لم يتمتع بذات المكانة التي خصها معاصروه من المسيحيين لبطرس أو ليعقوب أخي الرب، ومن خلال الرسائل التي تنسب إليه تتبين ملامح صراع خاضه بولس ليثبت شرعية ومصداقية عمله كرسول للمسيح. ساهم التأثير الذي خلفه بولس في المسيحية بجعله واحداً من أكبر القادة الدينيين في العالم على مر العصور. احتفل العالم المسيحي بين ٢٩ حزيران ٢٠٠٨ و ٢٩ حزيران ٢٠٠٩ باليوبيل الألفي الثاني على مولده في طرسوس (أسية الصغرى).

يعتبر بولس عموماً واحداً من أهم الشخصيات في العصر الرسولي، وفي منتصف سنة ٣٠ إلى منتصف سنة ٥٠ من الميلاد أسس العديد من الكنائس في آسيا الصغرى وأوروبا، واستفاد من وضعه كيهودي ومواطن روماني ليخدم كل من الجمهور اليهودي والروماني، وفقاً للكتابات في العهد الجديد وقبل تحوله، كرس بولس حياته إلى اضطهاد تلاميذ عيسى الأوائل في منطقة القدس.

في رواية أعمال الرسل (غالباً ما يشار إليها ببساطة باسم سفر

أعمال الرسل)، كان بولس يسافر على الطريق من القدس إلى دمشق في مهمة «لاعتقالهم وإعادتهم إلى القدس» عندما ظهر له يسوع المبعث من قبل ضوء كبير، مما أدى إلى أصابته بالعمى، ولكن بعد ثلاثة أيام، استعاد حنانيا بصره وبدأ بولس يبشر بأن يسوع الناصري هو المسيح اليهودي وابن الله. ما يقرب من نصف سفر أعمال الرسل يتناول حياة بولس وأعماله.

ثلاثة عشر من الكتب السبعة والعشرين الموجودة في العهد الجديد تُنسب تقليديًا إلى بولس سبعة من الرسائل لا جدال فيها من قبل العلماء بأنها أصلية، بينما أربعة من الرسائل تعتبر على نطاق واسع مؤلفات منحولة، في حين أن تأليف الاثنين الآخرين يخضع للنقاش، لم يتم تأكيد تأليف بولس للرسالة إلى العبرانيين في الرسالة نفسها وكان هناك شك بالفعل في القرن الثاني والثالث، لم يكن هناك جدال تقريبًا من القرن الخامس إلى القرن السادس عشر أن بولس هو مؤلفها، ولكن هذه النظرة أصبحت الآن مرفوضة من قبل أغلبية العلماء. يعتقد بعض العلماء أن الستة رسائل المتنازع عليها قد جاءت من أتباع يكتبون باسم بولس، مستخدمين محتويات من رسائل بولس الباقية وغير الباقية. يجادل باحثون آخرون إن فكرة الانتحال للرسائل المتنازع عليها تثير الكثير من المشاكل. وفقا لباحثين آخرين، فقد حدث تزوير لها بعد وفاة بولس في محاولة من الكنيسة لضم أنصار بولس الغنوصيين.

اليوم، لا تزال رسائل بولس تشكل جذور حيوية للاهوت والعبادة والحياة الرعوية في التقاليد الكاثوليكية والبروتستانتية للغرب المسيحي، وكذلك تقاليد الشرق الأرثوذكسية. وقد تم وصف تأثير بولس على الفكر والممارسة المسيحية على أنه «عميق كما هو منتشر»، من بين العديد من الرسل والمبشرين الآخرين المشاركين في انتشار الإيمان المسيحي. طور أوغسطينوس فكرة بولس أن الخلاص مبني على الإيمان وليس على «أعمال الشريعة». تأثر تفسير مارتن لوثر بكتابات بولس حول عقيدة سولا فيدي.

التحول:

بعد أن أصبح شاؤول نفسه فريسيًا^(١) متحمسًا ذا ميول متطرفة

(١) الفريسيون (بالإنجليزية: Pharisees) هم حزب سياسي ديني برز خلال القرن الأول داخل المجتمع اليهودي في فلسطين؛ يعود أصل المصطلح إلى اللغة الآرامية ويشير إلى الابتعاد والاعتزال عن الخاطئين؛ كان الفريسيون يتبعون مذهبًا دينيًا متشددًا في الحفاظ على شريعة موسى والسنن الشفهية التي استنبطوها، كان الفريسيون على خلاف دائم مع الصدوقيين الذين أنكروا القيامة والملائكة والأرواح، وبينما كانت قوة الصدوقيين في السنهدرين والعائلات الثرية فضلًا عن السلطات الرومانية، كانت قوة الفريسيين من الشعب، كذلك فقد كان أغلب الكتبة وهم علماء الكتاب المقدس ينتمون إليهم، قرعهم عيسى مرات عديدة، حسب رأيه بسبب الكذب وتمسكهم بالألفاظ دون المعاني، وكان الجدل حول يوم السبت الوارد في (متى ١٢ / ١-١٤) من أكبر المجادلات بين عيسى وبينهم، وأقد أنذرهم يسوع بالهلاك، بيد أنه صادق بعضًا منهم كنيقوديموس وسمعان الأبرص، وكان بولس الرسول قبل اهتدائه، فريسيًا متشددًا، كما ذكر الفصل التاسع من سفر أعمال الرسل.

عمل على محاربة المسيحية الناشئة على أنها فرقة يهودية ضالة تهدد الديانة اليهودية الرسمية، فنرى أول ظهور له في سفر أعمال الرسل في الإصحاح السابع حيث كان يراقب الشمس استفانوس وهو يرحم حتى الموت بينما كان يحرس هو ثياب الراجمين وهو راضٍ بما يقومون به. عقب إعدام إستفانوس شن اليهود حملة اضطهاد بحق كنيسة أورشليم متسببين في تشتت المسيحيين في كل مكان، فقام بولس بعد أن نال موافقة الكهنة بتتبع المسيحيين الذين كانوا يسمون بأناس الطريق حتى مدينة دمشق ليسوقهم موثقين إلى أورشليم القدس.

على طريق دمشق:

في طريقه إلى دمشق وبحسب رواية العهد الجديد حصلت رؤيا لشاول كانت سبباً في تغير حياته، حيث أعلن الله له عن ابنه بحسب ما قاله هو في رسالته إلى الغلاطيين، وبشكل أكثر تحديداً فقد قال بولس بأنه رأى (الرب يسوع)، وفي سفر أعمال الرسل يتحدث الإصحاح التاسع عن تلك الرؤيا فيصفها على النحو الآتي « وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتةً أبرق حوله نورٌ من السماء»، بعد ذلك حصل حوار بينه وبين المسيح اقتنع شاول على إثره بأن يسوع الناصري هو المسيح الموعود، يتكرر ذكر هذه الرؤيا في سفر أعمال الرسل مع بعض الاختلافات الطفيفة في (٢٢: ٦-١١) و(٢٦: ١٣-١٨).

بعد تلك الرؤيا اقتيد شاول وهو مصاب بالعمى إلى مدينة دمشق حيث اعتمد على يد حنانيا ورُدَّ إليه بصره بحسب رواية الكتاب المقدس، وعرف شاول باسم بولس بعد اعتناقه المسيحية. قضى

بولس فترة من الزمن في العربية (ربما بادية الشام) ثم عاد إلى دمشق، وهناك تأمر عليه اليهود ليقتلوه وأبلغوا عنه الحاكم فقام رفاقه بتسهيل هروبه من المدينة بأن دلوه في سلم من فوق السور في الموقع الذي يعتقد أنه كنيسة مار بولس في باب كيسان اليوم.

تأليف رسائل بولس:

سبعة من الرسائل التي تحمل اسم بولس - الرسالة إلى أهل روما، ١ كورنثوس، ٢ كورنثوس، غلاطية، فيلبي، ١ تسالونيكي، فليمون - مقبولة بالإجماع تقريباً بأنها أصلية تماماً (أملهاها بولس نفسه). وهي تعتبر أفضل مصدر للمعلومات عن حياة بولس وخاصة أفكاره.

أربع من الرسائل (أفسس، ١ و ٢ تيموثاوس وتيطس) تعتبر على نطاق واسع منحوّلة، في حين أن تأليف الاثنين الآخرين خاضع للنقاش، يعتقد بعض العلماء أن الستة رسائل المتنازع عليها قد جاءت من أتباع يكتبون باسم بولس، مستخدمين محتويات من رسائل بولس الباقية وغير الباقية، وبالنظر الفاحص فيما خلف بولس من رسائل يتضح للناظر فيها ملاحظات عديدة، أذكر منها أهم مخالفاته لدعوة عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أولاً: ادعاؤه أن المسيح ابن الله.

ثانياً: ادعاؤه أن الغاية من مجيء المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الصلب وتكفير الخطايا.

ثالثاً: ادعاؤه أن دعوة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت عامة لجميع بني

البشر.

رابعاً: إلغاؤه لشريعة موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ودعواه أن الإنسان ينجو بالإيمان المجرد بدون عمل.

التأثير على المسيحية:

تأثير بولس على التفكير المسيحي كان أكثر أهمية من أي مؤلف آخر لكتب العهد الجديد أعلن بولس أن «المسيح هو نهاية القانون وتشمل كتابات بولس الإشارة الأقدم إلى «العشاء الأخير»، مواضيع القدر التي توجد في المسيحية الغربية لا تظهر في اللاهوت الشرقي، استمد أوغسطينوس من بولس، وخاصة الرسالة إلى أهل روما.

هيمنت شخصية بولس الطرسوسي على العصر الرسولي للمسيحية، كما أن رسائله خلفت أثراً عظيماً على هذه الديانة، فقد تضمنت أولى كتابات اللاهوت المسيحي، وكانت كتاباته تلك ذات طابع روحاني أكثر من أن تكون تحليلات ذات صفة منهجية.

وأصبح لاهوت بولس منبعاً للعقائد المسيحية أعطى له اللاهوتيون المسيحيون تفسيرات عديدة، فقد اعتمدت عليه الكنيسة منذ العصور الأولى وإليه استندت الفرق المسيحية المختلفة لاحقاً؛ لدعم معتقداتها، فمثلاً:

اعتمد مارتن لوثر على رسالة بولس إلى أهل روما؛ ليثبت مبدأه حول الخلاص بالإيمان فقط بدون الأعمال، وبشكل عام فإن فكر بولس حول حياة وموت وقيامته المسيح، وحول كون الكنيسة هي جسد

المسيح السري، وتعليمه عن الناموس والنعمة، ونظرته حول التبرير قد ساهمت بشكل قاطع بإعطاء الإيمان المسيحي شكله المعروف اليوم.

اعتقاله وإعدامه:

في فترة الخمسينات زار بولس أورشليم مع بعض مسيحيي الأمم الذين آمنوا على يديه، وهناك تم اعتقاله لأنه قام بإدخالهم (وهم يونانيون) إلى حرم الهيكل، وبعد سلسلة من المحاكمات أُرسِل إلى روما ليقتضى بها سنتين وعظ خلالها اليهود والأمم وهو في الأسر، هنا تنتهي رواية سفر أعمال الرسل فلا يعرف بالضبط ماذا حصل له بعد ذلك.

يُورخ وصوله إلى قيصرية إلى ما بين عامي ٥٨ و ٦٠ ووصوله إلى روما لربيع عام ٦١م، بحسب التقليد المسيحي فأن بولس أعدم بقطع رأسه بأمر من نيرون، على إثر حريق روما العظيم، الذي اتهم المسيحيون بإشعاله عام ٦٤ م.

يقترح بعض الكتاب نهاية لحياة بولس على الشكل الآتي: فيرون أنه بعد السجن في روما تمت تبرئته وإطلاق سراحه، فذهب بولس لأسبانيا وعاد بعدها إلى الشرق فتوجه إلى أفسس وإلى مقدونيا واليونان حيث كتب خلال هذه الفترة رسالته الأولى إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس. وبعد اضطهاد نيرون تم توقيفه باعتباره منتمياً إلى الجماعة المسيحية التي كانت تعتبر حينها خارجة عن القانون، وتمت إعادته إلى روما، وخلال هذه الفترة كتب رسالته الثانية إلى تيموثاوس، عانى بولس

في الأسر وبعد محاكمات طويلة حكم عليه بالإعدام بقطع رأسه على طريق أوستي حوالي عام ٦٧.

هذه الحبكة مرفوضة من قبل الكثير من النقاد، وبشكل عام فقد تم بناؤها اعتمادًا على رسائل بولس الثلاث الأنفة الذكر والتي تسمى بالرسائل الرعوية، وعلى تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري وعلى رواية القديس جيروم.



المبحث الثالث:

الفرق النصرانية المعاصرة



المطلب الأول: الأرثوذكس.

هي أحد الكنائس الرئيسية الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام (١٠٥٤م)، وتمثلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الأب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح، وتدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد، مقابل الكنائس الأخرى، ويتركز أتباعها في المشرق، ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية. الأرثوذكس: وهم نصارى الشرق الذين تبعوا الكنيسة الشرقية في القسطنطينية

وأهم ما يتميزون به هو:

- ١- أن الروح القدس انبثق عندهم من الأب فقط.
 - ٢- تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا، فإنه يجوز عندهم.
 - ٣- لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد، بل كل كنيسة مستقلة بنفسها. وهذا المذهب منتشر في أوروبا الشرقية وروسيا.
- في نهاية القرن التاسع الميلادي، وبالتحديد بعد انقضاء مجمع القسطنطينية الخامس عام (٨٧٩) م أصبح يمثل الأرثوذكسية كنيسة رئيسية في:

١- الكنيسة الأرثوذكسية المصرية أو القبطية، والمعروفة باسم الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية أو كنيسة الإسكندرية، التي تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشئة واحدة، وتضم كنائس الحبشة والسودان، ويوافقها على ذلك كنائس الأرمن واليعقوبية.

٢- الكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة القسطنطينية، والمعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية، تخالف الكنيسة المصرية في طبيعة المسيح، بينما توافق الكنيسة الكاثوليكية الغربية بأن للمسيح طبيعتين ومشئتين، ويجمعها مع الكنيسة المصرية الإيمان بانبثاق الروح القدس عن الأب وحده، وتضم كنائس أورشليم واليونان وروسيا وأوروبا الشرقية.

الكنيسة الأرثوذكسية المصرية: يدعي أصحابها أن مؤسسها مرقص الرسول عام (٤٥ م)، ظهرت بوادر الانفصال المذهبي للكنيسة المصرية، منذ أن جعل الإمبراطور ثيودوسيوس كنيسة القسطنطينية هي الكنيسة الرسمية للإمبراطورية الشرقية عام (٣٨١ م)، وأن كنيسة الإسكندرية تليها في المرتبة، مما دفع بطريرك الإسكندرية كيرلس عام (٤١٢ م)، إلى تولي زعامة الشعب ضد الإمبراطور وعماله في مصر.

زادت هوة الخلاف بين الكنيستين على إثر إعلان نسطور أسقف القسطنطينية مقالته التي تصدى لها كيرلس بطريرك الإسكندرية في مجمع أفسس عام (٤٣١ م)، الذي استطاع استصدار حكم ضد نسطور باللعن والطرده.

الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية:

رغم الانفصال المذهبي للكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية تحت اسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية، برئاسة بطريرك القسطنطينية بعد رفض قرارات مجمع القسطنطينية الرابع عام (٨٩٦) م، إلا أنها خضعت إدارياً للكنيسة الغربية تحت رئاسة بابا روما حتى الانفصال النهائي عام (١٠٥٤) م.

توسعت الكنيسة البيزنطية في القرن التاسع في أوروبا الشرقية؛ فأسست في بلغاريا كنيسة، وأصبحت النصرانية الدين الرسمي للدولة بعدما أجبر الحاكم البلغاري بوريس الأول (٨٥٢ - ٨٨٨) م، على قبول المعمودية من الإرساليات التبشيرية.

عمل خليفته القيصر سيمون (٨٩٣ - ٩٢٧) م، على حماية الكنيسة، وجعل اللغة السلافية لغة الطقوس الكنيسية بدلاً من اليونانية، وفي عهده استقلت الكنيسة البلغارية في بطريركية مستقلة.

أثناء حكم الإمبراطور باسل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥) م، توطدت دعائم الكنيسة الأرثوذكسية السلافية على يد مبشري الدولة البيزنطية، مثل القديسين كيرلس، وميثوديوس والمعروفين برسل السلاف، ولذلك حيكّت ضد الإمبراطور المؤامرات مما اضطره إلى الاستعانة بأمير كييف فلاديمير (٩٧٨ - ١٠١٥) م، للتصدي لها، فكان ذلك سبباً في اعتناق فلاديمير النصرانية على المذهب الأرثوذكسي عام (٩٩٠) م، لتنضم

روسيا إلى الكنيسة الأرثوذكسية، وتصبح كنيستها أحد فروع الكنيسة اليونانية.

المطلب الثاني: الكاثوليك.

أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدّعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة.

الكاثوليك: وهم أتباع البابا في روما، وأهم ما يميزون به هو:

١- قولهم بأن الروح القدس انبثق من الأب والابن معا.

٢- يبيحون أكل الدم والمخنوق.

٣- أن بابا الفاتيكان هو الرئيس العام لجميع الكاثوليك.

٤- تحريم الطلاق بتاتاً حتى في حالة الزنا، والكاثوليك هم أكثر

الأوروبيين الغربيين وشعوب أمريكا الجنوبية، وتسمّى كنيستهم الكنيسة الغربية.

يدعي أصحابها بأن القديس بطرس ت(٦٢) م، هو المؤسس

الأول لكنيستها على حسب ما أشار إليه القديس سيريريان (٢٤٨-٢٥٨)

م، مع أن مصادر التاريخ الكنسي تشير إلى أن لكل من بولس وبطرس دوره في وجودها.

أول من استعمل لفظ كاثوليك للدعوة لتأييد الكنيسة مقابل حركات الخروج على مفاهيمها وعقائدها - الهرطقة - أسقف أنطاكية القديس أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثاني الميلادي.

منذ أن أسس قسطنطين مدينة القسطنطينية، روما الجديدة، وبنى فيها كنيستها (أجا صوفيا) وجعلها تلي كنيسة روما في المكانة، قام التنافس بين الكنيستين في السيطرة على العالم المسيحي، الذي استمر إلى أن تم الانفصال الإداري بينهما عام (٨٦٩) م، بعد مجمع القسطنطينية.

وفي خلال تلك الفترة وما يليها وقعت أحداث جسام، وبرز باباوات وقديسون، كان لهم أكبر الأثر في تطور الكنيسة، وفيما يلي أهم تلك الأحداث وأبرز هذه الشخصيات:

١- اعترف مجمع سردিকা عام (٣٤٣) أو (٣٤٤) م، بحق استئناف قرارات المجامع الإقليمية إلى أسقف روما، مما زاد من دعاوى روما بأنها الحكم الأعلى للنصرانية.

٢- البابا داماسوس الأول (٣٦٦ - ٣٨٤) م، (له دور كبير) في ترجمة الإنجيل إلى اللاتينية، كما رأس مجمع روما عام (٣٨٢) م، للرد على قرارات مجمع القسطنطينية لعام (٣٨١) م، لتأكيد صدارة روما التي تستمد مكانتها من وعد المسيح لبطرس الرسول بقوله: (وأنا أقول لك أنت الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني كنستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها).

٣- البابا ليو الأول (٤٤٠ - ٤٦١) م، والملقب بليو العظيم؛ حيث كان له دور بارز في حماية روما والحفاظ عليها بعد سقوطها عام (٤١٠) م، في يد الآريوسيين^(١) أتباع آريوس - و..... في تمييز الكنيسة الغربية بعقيدها في المسيح من حيث إن له طبيعتين كما هو المذهب الملكاني بعد تصديه لأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح كما هو مذهب المونوفيزتية في مجمع كلدونية عام (٤٥١) م.

٤- أصدر الإمبراطور فالنتيان سنة (٤٥٥) م، مرسومًا يقضي بخضوع كل أساقفة وموظفي الإمبراطورية للبابا، مما زاد في نفوذ وثروات الكنيسة، وأقبل الناس على الدخول في الكنيسة بأعداد كبيرة تطلعًا للمكانة والكسب المادي.

٥- كان لاعتناق الإمبراطور كلوفس النصرانية، وتعميده على العقيدة الكاثوليكية عام (٤٩٦) م أكبر الأثر في اعتناق الفرنجة السالين وهم أحد الطوائف الجرمانية للمذهب الكاثوليكي.

(١) الآريوسيون: طائفة دينية نصرانية تُنسب إلى (آريوس) الذي ظهر في القرن الرابع الميلادي و(آريوس) هو قسيس نصراني ظهر في مصر في كنيسة الإسكندرية القبطية ورفض القول بالتثليث وألوهية المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، وهذا ما استدعى بابا الإسكندرية في ذلك الوقت (إسكندر) إلى رفض هذه العقيدة والحكم على (آريوس) وأتباعه والحكم عليهم بـ (الهرطقة)، وقد قام (آريوس) بنشر هذه العقيدة في مصر وبلاد الشام فتبعه بعض قساوسة النصارى على ذلك.

٦- في (٦ أغسطس سنة ٥٢٥) م، قرّر الإمبراطور ثيودريك تسليم جميع الكنائس الكاثوليكية للأريوسيين، ردّاً على حملة الإمبراطور جستنيان في الدولة البيزنطية ضد الأريوسيين. فأنزل الاضطهاد والتعذيب على الكاثوليك، وسجن في هذه الفتنة البابا يوحنا الأول عام (٥٢٥) م.

٧- العصور المظلمة: ويطلقها مؤرخو النصرانية على الفترة من تولّي البابا جرجوري الأول عام ٥٩٠ م حتى تولّي شارلمان الإمبراطورية (٨٠٠ - ٨٤٠) م حيث شهدت العديد من الصراعات والانشقاقات التي أدّت إلى الانهيار السياسي والانحطاط العلمي والثقافي للنصرانية. وإن تميّزت بقوة التبشير النصراني، بالإضافة إلى شروق شمس الإسلام من جبال فاران (بمكة المكرمة) عام (٦١٠) م، حتى عمّت أشعتها نصف العالم، وأخضعت العديد من الممالك النصرانية في مصر وأفريقيا والأندلس وصقلية ودول الشام وإيران، ومن أبرز شخصيات هذا العصر:

٨- البابا جرجوري الأول (٥٩٠ - ٦٠٤) م: الذي يلقب بجريجوري العظيم؛ لاهتمامه البالغ بتطوير الكنيسة وإصلاحها، متأثراً بمبادئ وأصول الأديرة البندكتية التي نشأ فيها. بالإضافة إلى اهتمامه بالنواحي السياسية والإدارية، والدعوة للنصرانية حتى امتد نفوذ الكنيسة في عهده إلى أفريقيا وغاليا-فرنسا- ودخلت إسبانيا وإنجلترا في النصرانية بعد بعثة القديس أوغسطين عام (٥٩٧) م، وقد أصبحت الكنيسة في عهده أشبه بالحكومة المدنية العلمانية، وبذلك استطاع فرض سيادة

البابوية على الأساقفة الشرقيين في النواحي القضائية بما فيهم بطريك القسطنطينية، فحقق بذلك للبابوية قسطاً من السمو لم يسبق إليه مما كان لذلك الأثر البالغ في تذكية الصراع بين البابوية والإمبراطورية.

٩- القرون الوسطى: وتطلق على الفترة ما بين (٨٠٠ - ١٥٢١)

م، التي اتسمت بكثرة الحروب الأهلية، والتي دامت طويلاً بين البابوية والإمبراطورية، واتسمت بظهور حركات الخروج على مبادئ الكنيسة فيما سَمَّتها الكنيسة بالهرطقة، ولذلك توسعت في استخدام محاكم التفتيش ضد هذه الحركات، وضد الأصوات المنادية بالإصلاح الكنسي. وفي تلك الفترة أيضاً كانت بداية الحروب الصليبية، بالإضافة إلى فتح المسلمين للقسطنطينية عام (١٤٥٣) م ويمكن تقسيم أهم أحداث الكنيسة الكاثوليكية خلالها إلى:

١٠- العهد فيما بين شارلمان وجريجوري السابع (٨٠٠ -

١٠٧٣م): وفيه ازدهرت البابوية، حيث اعتبر شارلمان المتوج من البابا ليو الثالث (٨٠٠م)، نفسه حامياً للبابوية، وأنه رأس الكنيسة والدولة معاً، فأصبح يعين الأساقفة، ويتولّى رئاسة المجامع الرئيسية التي يدعو إليها، بالإضافة إلى تشريعه للقوانين اللازمة للكنيسة - القانون الكنسي - كما اهتم بإصلاح المدارس الدينية، ورفع مستوى رجال الدين الثقافي؛ فظهرت لذلك نهضة علمية واسعة في عصره، إلا أن الصراع مع البابوية تجدد مرة أخرى؛ لرغبة البابا ليو الثالث في التخلص من سيطرة الإمبراطور، لكنه لم يفلح في ذلك.

١١- الشقاق العظيم: والمراد به الاختلاف الكبير الذي أدّى إلى الانفصال النهائي للكنيسة الشرقية والأرثوذكسية عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية، بعد محاولة البابا ليو التاسع ١٠٥٤ م فرض عقائد وأفكار الكنيسة الغربية على الشرق، التي رفضها بطريرك القسطنطينية ميخائيل كيرولاوريوس، الأمر الذي فجّر ما بينهما من الخلافات القديمة حول انبثاق روح القدس.

١٢- العهد فيما بين البابا جريجوري السابع والبابا بوفيس (١٠٧٣ - ١٢٩٤) م: كان للبابوية في هذه الفترة دورها الكبير في تقرير تاريخ أوروبا كما كان لها في السابق، وذلك بعد سلسلة من الصراعات بين البابوية والإمبراطورية التي عقدت من أجلها اللاتران الأول عام (١١١٢) م، والثاني عام (١١٣٩) م، الذي أعلن فيه البابا أنوسنت الثاني (١١٣٠ - ١١٤٣) م، أن البابا له السيادة العليا على جميع الحكام العلمانيين، وما أنتهى هذا الصراع في هذه المرحلة إلا بعد توقيع الصلح بين البابوية والإمبراطور فردريك (١١٧٧) م.

١٣- ومن أهم أحداث هذه الفترة انطلاق الحملات الصليبية التي دعا إليها البابا جريجوري السابع عام (١٠٧٤) م.

١٤- وقد أعلن عن بداية هذه الحملات البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت عام (١٠٩٥) م، ولم يكتب لهذه الحملات النصر إلا في الحملة الأولى، ثم انكسرت شوكتهم بعد ذلك.

١٥- كما شهدت تلك الفترة ظهور حركات الهرطقة ضد الكنيسة، ومنها حركة المارسونية التي تُمثل أكبر بدعة ناهضت الكنيسة في تلك الفترة، بالإضافة إلى سقوط القسطنطينية على يد الحملة الصليبية الرابعة (١٤٥٣) م، بالإضافة إلى تقنين القانون الكنسي.

١٦- العهد بين البابا بونيفيس الثامن إلى عهد الإصلاح (١٢٩٤-١٥١٧ م): وهذه الحقبة التاريخية تمثل آخر فترات القرون الوسطى في أوروبا، وفيها اشتد الصراع بين البابوية والإمبراطورية التي عملت على تفتيت قوة ونفوذ البابوية إلى أن تمَّ إضعافها تحت ضربات حركات الإصلاح المتتالية، وتأسيس كنيسة البروتستانت المعترضين.

١٧- ومن أهم الأحداث الكنسية في تلك الفترة: فشل حركات الإصلاح الكنسي؛ لتواطؤ البابا مارتن الخامس والبابا أبو جينوس الخامس (١٤١٧-١٤٤٧) م على إجهاض حركات الإصلاح؛ تحقيقاً لأطماعهم الشخصية.

١٨- كما شهدت تأسيس عدد من الجمعيات الرئيسية لمساعدة الكنيسة ضد حركات الخروج عليها، وإمدادها بأتباع مخلصين مثل: اليسوعيين عام (١٥٣٤) م، والإخوان الفرنسيسكان والإخوان الدومينكان.

١٩- مجمع ترنت (١٥٤٢-١٥٦٣) م: الذي عقد على أثر ثورات الإصلاح التي علا صوتها بعد إعدام حنايس التي من أبرزها ثورة مارتن لوثر التي ساندتها الحكومة والشعب الألماني.

٢٠- وفي الوقت نفسه كان في سويسرا ثورة أخرى بقيادة الرخ زونجلي، ليعارض الكنيسة، ويؤيد دعوة لوثر، فعُقد مجمع ترنت ليقرر عدم قبول آراء الثائرين، ويقضي بمحاكمة لوثر أمام محكمة التفتيش، ثم ليصدر البابا ليو العاشر قرارًا بحرمانه من الحقوق المدنية والرئيسية والقانونية.

٢١- ليظهر بعد ذلك معارض ثالث في فرنسا: جون كلفن الذي هرب إلى سويسرا لينشر مبادئ مارتن لوثر، ويجمع حولها الأنصار، وتؤيده في ذلك بعض الدول؛ ليتخلص نفوذ الكنيسة الغربية - الكاثوليكية - وتفصل عنها كنيسة جديدة - البروتستانتية - لتزيد من الفرقة والشقاق في العالم النصراني، ولتشتعل الحروب الطاحنة بين الكنيستين لعدة سنوات التي ذهب ضحيتها خلق كثير، حتى أمكن التوصل إلى صلح - صلح أوجزبرج - سنة (١٥٥٥) م، على أساس إقرار مبدأ إسبيير الأول سنة (١٥٢٦) م، القائل بأن لكل أمير الحق في اختيار المذهب الذي يريد سريانه في إمارته. وهكذا غربت شمس الكنيسة الكاثوليكية، وتقلص سلطانها؛ إذ أصبح بمقدور كل دولة الخروج على سلطة البابا.

٢٢- مجمع روما (١٧٦٩) م: في هذا الجو العاصف بالحركات الثائرة على الكنيسة عُقد هذا المجمع ليحدث مزيداً من الانشقاق داخل الكنيسة بسبب تقريره عصمة البابا، لتظهر جماعة من المخالفين للقرار، سمّوا أنفسهم بالكاثوليك القدماء.

٢٣- موقف الكنيسة من العلم والعلماء: ما أن ظهرت في أوروبا بوادر ما يسمى بالنهضة العلمية المتأثرة بحضارة المسلمين في الأندلس بعد ترجمة العلوم الإسلامية واليونانية إلى اللاتينية، وبرز عدد من العلماء الذين بينوا بطلان آراء الكنيسة العلمية، وبخاصة في الجغرافيا والفلك، حتى تصدّت لهم الكنيسة استناداً على ما ورد في الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا: (إن كان أحد لا يثبت فيّ، يُطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق)، ولذلك استخدمت ضدهم الرقابة على الكتب والمطبوعات؛ لئلا يذيعوا آراءً مخالفةً للعقيدة الكاثوليكية، وتوسّعوا في تشكيل محاكم التفتيش ضدهم، وقد حكمت تلك المحاكم في الفترة من (١٤٨١ - ١٤٩٩) م، على تسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بأحكام مختلفة، كما أصدرت قرارات تحريم قراءة كتب جاليليو وجيوردا نويرنو، وكوبرنيكوس، ونيوتن؛ لقوله بقانون الجاذبية الأرضية، وتأمراً بحرق كتبهم، وقد أحرق بالفعل الكاردينال إكيمنيس في غرناطة ثمانية آلاف كتاب مخطوط؛ لمخالفتها آراء الكنيسة.

المطلب الثالث: البروتستانت.

فرقة من النصرانية احتجوا على الكنيسة الغربية باسم الإنجيل والعقل، وتسمّى كنيستهم بالبروتستانتية حيث يعترضون (Protest) على كل أمر يخالف الكتاب وخلص أنفسهم، وتسمى بالإنجيلية أيضاً حيث يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أن لكل قادر الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه.

البروتستانت: ويسمون الإنجيليين: وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا، وكان ينادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها.

وأهم ما يميّز به أتباع هذه النحلة هو:

١- أن صكوك الغفران دجل وكذب، وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة.

٢- أن لكل أحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، وليس وقفاً على الكنيسة.

٣- تحريم الصور والتماثيل في الكنائس؛ لأنها مظهر من مظاهر الوثنية.

٤- منع الرهبنة.

٥- أن العشاء الرباني تذكّار لما حلّ بالمسيح من الصلب في زعمهم، وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٦- ليس لكنائسهم رئيس عام يتبعون قوله.

وهذه النحلة تنتشر في ألمانيا وبريطانيا وكثير من بلاد أوروبا وأمريكا الشمالية.

الكنيسة البروتستانتية حركة إصلاحية بدأت في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة لها، ومن ثمّ تحولت من حركة إصلاحية داخل الكنيسة إلى حركة عقائدية مستقلة ومناهضة لها، ومن أبرز المؤسسين: -

مارتن لوثر: ولد لوثر في ألمانيا، وعاش في بيئة نصرانية تشيع فيها الخرافات والمعتقدات الزائفة وفي عام (١٤٠٥م)، نال شهادة أستاذ في العلوم من جامعة إيرمورت، ولكنه لم يُتَمِّد دراسته القانونية، وتحوّل بعدها إلى الدراسات اللاهوتية، فدخل إلى دير الرهبان الأوغسطين.

في عام (١٥٠٧م)، عُيِّن قسيساً لرعاية كنيسة كنتبرج بألمانيا.

في عام (١٥١٠م)، دفعته نزعته الدينية وإخلاصه للكنيسة ورجالها إلي أن يحجج إلى روما؛ ليتبرك بالمقر الرسولي في روما، حيث منى نفسه برؤية القديسين والزهاد من الرهبان والكرادلة. ولكن ما أن حلّ في روما حتى هاله ما رأى من دعوى: غفران الذنوب، وامتلاك سرّ التوبة، وحقّ منح صكوك الغفران، وتفشّي مظاهر الفساد والانحلال الخلقي في الطبقات العليا من الكنيسة بوجه أخص، ومن ثم عاد إلى ألمانيا خائباً رجاؤه، ومستنكراً ما رأى، وأصبح منشغلاً بوضع خطة لإصلاح الكنيسة.

في عام (١٥١٧م)، أرسل البابا ليو العاشر مندوبه الراهب حمنا تنزل؛ لبيع صكوك الغفران في ألمانيا، فما أن أعلن عنها وبالع في أمرها حتى ثار عليه لوثر، وكتب في معارضته وثيقته الشهيرة التي تتضمن خمسة وتسعين مبدأ في معارضة الكنيسة، وعلّقها على باب كنيسة القلعة.

في الوقت الذي نشط في تأليف الكتب التي تعلن مبادئه، والتي أصبحت حديث الطبقة المتعلمة في ألمانيا مما زاد في التفاف الناس حوله، ولهذا كله أصدر البابا قراراً بحرمانه في عام (١٥٢٠م)، عندما

تلقَّى لوثر القرار بحرمانه، قام بتحريض من بعض الأمراء الألمان من أصحاب دعوى الانفصال عن الإمبراطورية بحرقه في وسط الجموع الحاشدة في وتنبرج، التي أصبحت جامعتها المهد الأساسي للتعاليم اللوثرية في ألمانيا.

في عام (١٥٢٠) م، بعد ما أظهر مارتن لوثر تأييداً للنزعة القومية في الدولة الألمانية في تولِّي إدارة كنيستها، عقدت الكنيسة في روما مجمعاً قضى بمحاكمة لوثر أمام محكمة التفتيش، لكنه هرب إلى قلعة وارتنبورج، وفيها ترجم العهد الجديد إلى الألمانية، ثم شرع في ترجمة الكتاب المقدس كله، لكنه لم يتمه، وعاد إلى وتنبرج مرة أخرى.

في عام (١٥٢٩) م، أراد الإمبراطور تنفيذ قرارات الحرمان ضد مارتن لوثر، فأعلن حكام الولايات الإنجيلية في ألمانيا في مجلس سبير في (١٩) نيسان أنهم مستعدون لطاعة أوامر الإمبراطور والمجلس في كل القضايا الواجبة إلا التي تتعارض مع الكتاب المقدس أو التي لا يوجد لها نص فيه، وبالتالي رفضوا تسليم لوثر لمندوبي الإمبراطور.

عندما رأى لوثر صعوبة تحقيق دعوة الإصلاح الكنسي كرس كل جهده لقضايا الإيمان في الكنائس الإنجيلية الناشئة، توفي لوثر في بلدة وتنبرج عام (١٥٤٦) م، مخلفاً مجموعة من الكتب والمؤلفات التي تؤصل قواعد دعوته.

الروح هولدرينخ زوينجلي: (١٤٨٤-١٥٣١م):

ولد ونشأ في سويسرا، وأصبح قسيسًا وأحد دعاة حركة الإنسانية التي بدأت مع عصر النهضة الأوروبية، دعا إلى نفس المبادئ التي دعا إليها مارتن لوثر، وبدأ دعوته في زيوريخ بسويسرا، وقد قاوم استعمال الطقوس والصور والتماثيل في الكنائس، كما عارض فكرة عزوبة رجال الأكليروس^(١)، وحبذ المسؤولية الفردية في المعتقد، لاقت دعوة زوينجلي التأييد من السلطات الحكومية في مدينة زيوريخ، فشاعت لذلك دعوته، وأصبح زعيمًا للبروتستانت في جنوب ألمانيا ومعظم سويسرا.

في عام (١٥٢٩) م، وفي مدينة ماربورج التقى زوينجلي بمارتن لوثر، وتناقشا حول إصلاح الكنيسة، واختلفا حول فرضية أو سرّ العشاء الرباني، كما اختلفا في أسلوب معارضة الكنيسة الكاثوليكية، حيث استخدم زوينجلي القوة في سبيل نشر مبادئه ابتداءً من الحظر التجاري

(١) الإكليروس هو النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس المسيحية ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي وتتفق الكنيسة الرومانية الكاثوليكية مع الكنائس الأرثوذكسية في درجات النظام الكهنوتي إلا أن البابا في الكنيسة الكاثوليكية يتمتع بسلطات أعلى من نظيره في الكنيسة الأرثوذكسية. أما البروتستانت فلا يعترفون إلا بدرجتين فقط من درجات هذا النظام وهما (القس والشماس) في الكنيسة البروتستانتية حيث يمتنع رجال الإكليروس في الكاثوليكية عن الحقوق الزوجية التي يترتب علي مخالفتها العقوبات الصارمة بينما لا تعترف الكنيسة البروتستانتية بذلك أما في الكنيسة الأرثوذكسية القبطية فيحظر الزواج على البطريرك والراهب فقط.

الذي فرضه على بعض المقاطعات الكاثوليكية في شرقي سويسرا، حتى القتال والصدام مع رجال الكنيسة الذي قُتل فيه، وهُزم أتباعه في كايل عام (١٥٣١م)، ذابت تعاليم زوينجلي في تعاليم جون كالفن التي ارتكز في بعضها على عقيدته.

جون كالفن ١٥٠٩ - ١٥٦٤م:

ولد ونشأ في فرنسا، وتثقف بثقافة قانونية، لكنه مال عنها إلى الدراسة اللاهوتية، فتأثر بآراء مارتن لوثر دون أن يقابله بواسطة بعض أقاربه وبعض أساتذته، شارك في إعداد خطاب ألقاه نيكولاس كوب مدير جامعة السربون بفرنسا التي كانت مركزاً لأكثر علماء الكاثوليكية، والذي يتضمن شرحاً لآراء مارتن لوثر؛ مما أغضب آباء الكنيسة عليه، فاضطرَّ إلى الهرب إلى جنيف في سويسرا، بعد أن عاد في الحادي والعشرين من مايو (١٥٣٤م)، إلى مدينة نويون مسقط رأسه سلم كهنة كاتدرائيتها كل شارات الامتياز الأكليريكية الخاصة به، ثم هرب بصحبة نيكولاس كوب إلى جنيف في سويسرا مرة أخرى.

في عام (١٥٣٥) م، شارك كالفن في حوار دعا إليه المبشرون المصلحون مع الأساقفة الكاثوليك في المدينة، الذي انتهى بانسحاب الكاثوليك، مما مكّن دي فاريل صديق كالفن الحميم من الاستيلاء على الكنائس الرئيسية الثلاثة في المدينة: كنيسة سان بيتر، المجдлиّة، سان جرفيز؛ وتحويلها إلى كنائس إنجيلية أو بروتستانتية.

استغلَّ كلفن استقراره في جنيف في تنظيم وتقنين مبادئ زعماء الإصلاح، وعلى رأسهم مارتن لوثر، وظهرت له مؤلفات وكتابات عديدة في ذلك، ولذلك فإنه يعد أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي.

خالف كلفن لوثر في سرِّ فرضية العشاء الرباني من حيث كيفية حضور المسيح العشاء، رغم اتفاقهما على عدم استحالة (أي عدم تحول) الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، عدل كلفن عن فكرة لوثر في إشراف الحكومة على الكنائس؛ لما رأى ما يحدث للبروتستانت في فرنسا، وطالب بأن تحكم الكنيسة نفسها بنفسها، وعلى الحاكم المدني أن يساعدها ويحميها، مما كان سبباً في انقسام الكنيسة الإنجيلية إلى لوثرية وكلفينية (الإصلاحية - الكلفينية). تميّزت حركته بالانتشار في فرنسا، فأصبحت الدين الرسمي في أسكتلندا، كما امتدت إلى المقاطعات شرق سويسرا، واعتنقها معظم سكان المجر، يقول فيشر: أصبحت أكثر أشكال الإصلاح البروتستاني اتساعاً.

تأسست جمهورية هولندا عام (١٦٦٩م)، على مبادئ البروتستانت الكلفينية بعد الحرب الدامية بين الكاثوليك والبروتستانت، نتيجةً للحرية الفردية في فهم وتفسير الكتاب المقدس لكل فرد من المؤمنين بالمذهب البروتستانتي انقسمت الحركة البروتستانتية إلى كنائس عديدة، وطوائف مختلفة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها حسب إحصائيات عام (١٩٨٢م)، يوجد (٧٦،٧٥٤،٠٠٩) بروتستانتي ينتمون إلى (٢٠٠) طائفة إنجيلية.

أهم الكنائس البروتستانتية:

الكنيسة اللوثرية:

وقد بدأ إطلاق هذه التسمية على المؤمنين بأفكار معتقدات مارتن لوثر في القرن السادس عشر، وذلك رغم مقاومة لوثر نفسه لهذه التسمية، وأصبحت جامعة وتبرج المهد الأساسي لها، اهتمَّ مارتن لوثر بقضايا الإيمان، وترك الأمر الإداري للكنيسة لغيره يقوم به، لكنه عين بعض المراقبين ليتعاونوا مع حكام الدولة في الأفضية، وبذلك كان أول ظهور لنظام السينودس.

ارتبطت اللوثرية في ألمانيا ارتباطاً وثيقاً بالحالة السياسية منذ أن دعا لوثر إلى إشراف الدولة على الكنيسة، ولذلك فإن الحكومة الألمانية تدخلت أكثر من مرة لحل الخلافات بين أعضاء الكنيسة، أو للاتفاق مع كنائس المصلحة.

كان لظهور الكنائس المعمدانية في القرن السابع عشر أثرها في إثارة الخلافات بين البروتستانت مرة أخرى.

في زمن فريدريك وليم الثالث ملك بروسيا تمَّ الاتحاد بين الكنائس اللوثرية والمصلحة، ومنها تشكَّلت الكنيسة القديمة، غير أن جماعة كبيرة من اللوثرية لم تنضمَّ إلى هذه الكنيسة، وعُرفوا باللوثرين القدماء.

في عام (١٩٢٣) م، تأثرت الكنيسة بالنظام النازي في ألمانيا، حيث حاول صبغ الكنيسة الألمانية بصبغة قومية، فجرى توحيد (٢٨) كنيسة

مصلحة ولوثرية على أساس أن الدم الآري أحد المؤهلات العضوية لهذه الكنيسة القومية العنصرية. وقد تناول هذا التأثير العقائد والمبادئ أيضاً، مما مهّد لقيام ثورة من آلاف القسوس البروتستانت من بينهم مارتن تيمولر؛ للمطالبة بتشكيل السينودس الذهبي.

في عام (١٩٣٤) م، عارض السينودس الذهبي تدخل الدولة في شؤون الكنيسة بل رفض ذلك رفضاً حاسماً.

في عام (١٩٣٥) م، أنشأت الحكومة وظيفة وزير الدولة للشؤون الكنسية، وحوّلت له سلطات مطلقة على الكنيسة الإنجيلية الألمانية.

انتشرت في عام (١٩٣٦) م، حركة الإيمان الألماني التي تحالفت مع الفلسفة الوثنية الجديدة.

بعد الحرب العالمية الثانية ألغت الكنيسة الإنجيلية دستورها المؤصّي به من النازية لعام (١٩٣٣) م، وبدأت تنظيم نفسها من جديد.

والكنيسة اللوثرية هي كنيسة الدولة في الدنمارك وأيسلندا والنرويج والسويد وفنلندا.

يصدر الاتحاد اللوثيري العالمي مجلة اللوثرية العالمية بالألمانية والإنجليزية.

الكنائس المصلحة:

وإن كان يُقصد بها بوجه عام جميع الكنائس البروتستانتية، إلا أنه من الناحية التاريخية تقتصر على الكنائس البروتستانتية التي يركز

أصلها على عقائد كلفن، وعلى أساس النظام الكنسي المشيخي الذي تركز فيه السلطات على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين ورجال الأكليروس، وتنزع إلى الشكل البسيط في العبادة، وقد قويت هذه الكنائس في إنجلترا في القرن السادس عشر، وخصوصاً في أسكتلندا وشمال أيرلندا، وسميت كنائس سويسرا وهولندا وعدد من كنائس ألمانيا بالمصلحة، كما توجد بالولايات المتحدة الأمريكية كنائس تحمل لقب المصلحة.

الكنائس الأسقفية:

تطلق الكنيسة الأسقفية عند الإطلاق على الكنيسة الإنجليزية، ويتبعها في أمريكا عدد من الكنائس الأسقفية، وتتبع هذه الكنائس النظام الأسقفي على أنه نظام إلهي، خلافاً لسائر الفرق البروتستانتية، وذلك في تعيين أو اختيار أو عزل القساوسة، والشمامسة، أو تدشين الأراضي والأبنية الدينية، وإدارة تركات الموتى لحين وجود وصي شرعي للميت. ويلقب أساقفة إنجلترا بلقب لورد حيث يُعتبرون من أشرف المملكة، ويرأس ملوك إنجلترا الكنيسة الإنجليزية، وبذلك يعينون الأساقفة الذين يتم انتخابهم من القسوس بعد ذلك، ورئيس أساقفة كانتربري هو رأس الكنيسة، ويليه في المرتبة رئيس أساقفة يورك، أما أساقفة الولايات المتحدة الأمريكية فينتخبهم نواب من قسوس الأسقفية وأهاليها قبل عرضهم على مجمع الأساقفة أو على مجمع نواب مؤلف من السينودس والأهالي.

الصهيونية المسيحية:

كان لليهود المهاجرين من إسبانيا إلى أوروبا- وبخاصة فرنسا وهولندا- أثرهم البالغ في تسرب الأفكار اليهودية إلى النصرانية من خلال حركة الإصلاح، وبخاصة الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضلة، كذلك أحقيتهم في ميراث الأرض المباركة.

في عام (١٥٢٣م)، أصدر مارتن لوثر كتاب عيسى وُلد يهوديًا متأثرًا فيه بالأفكار الصهيونية.

وفي عام (١٥٤٤م)، أصدر لوثر كتابًا آخر فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم.

كانت هزيمة القوات الكاثوليكية وقيام جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستانتية الكالفينية عام (١٦٠٩م)، بمثابة انطلاقة للحركة الصهيونية المسيحية في أوروبا، مما ساعد على ظهور جمعيات وكنائس وأحزاب سياسية عملت جميعًا على تمكين اليهود من إقامة وطن قومي لهم في فلسطين.

ومن أبرز هذه الحركات: الحركة البيوريتانية التطهيرية التي تأسست على المبادئ الكالفينية بزعامة السياسي البريطاني أوليفر كروميل (١٦٤٩ - ١٦٥٩م)، الذي دعا حكومته إلى حمل شرف إعادة إسرائيل إلى أرض أجدادهم، حسب زعمه.

في عام (١٨٠٧م)، أنشئت في إنجلترا جمعية لندن؛ لتعزيز اليهودية بين النصارى، وقد أطلق أنطوني إشلي كوبر اللورد ريرل شانتسبري

(١٨٠١ - ١٨٨٥ م)، أحد كبار زعمائها شعار: (وطن بلا شعب لشعب بلا وطن) الأمر الذي أدّى إلى أن يكون أول نائب لقنصل بريطانيا في القدس وليم برنج أحد أتباعها، ويعتبر اللورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا (١٧٨٤ - ١٧٦٥ م)، من أكبر المتعاطفين مع أفكار تلك المدرسة الصهيونية المسيحية، وأيضًا فإن تشارلز هـ. تشرشل، الجد الأعلى لونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية الأسبق أحد كبار أنصارها.

انتقلت الصهيونية المسيحية إلى أمريكا من خلال الهجرات المبكرة لأنصارها نتيجة للاضطهاد الكاثوليكي، وقد استطاعت تأسيس عدة كنائس هناك من أشهرها الكنيسة المورمونية.

يعتبر سايسروس سكولوفليد (١٨٤٣ م)، الأب اللاهوتي للصهيونية المسيحية في أمريكا.

لعبت تلك الكنائس دورًا هامًا في تمكين اليهود من احتلال فلسطين، واستمرار دعم الحكومات الأمريكية لهم إلا ما ندر من خلال العديد من اللجان والمنظمات والأحزاب التي أنشئت من أجل ذلك، ومن أبرزها:

الفيدرالية الأمريكية المؤيدة لفلسطين التي أسسها القس تشارلز راسل عام (١٩٣٠ م)، واللجنة الفلسطينية الأمريكية التي أسسها في عام (١٩٣٢ م)، السناتور روبرت وازر، وضمت (٦٨) عضوًا من مجلس

الشيوخ، و(٢٠٠) عضو من مجلس النواب، وعدد من رجال الدين الإنجيليين، ورفعت هذه المنظمات شعارات: الأرض الموعودة، والشعب المختار.

وفي العصر الحديث تعتبر الطائفة التبديرية التي يبلغ عدد أتباعها (٤٠) مليون نسمة تقريباً والمعروفة باسم الأنجلو ساكسون، البروتستانت البيض من أكثر الطوائف مغلاة في تأييد الصهيونية، وفي التأثير على السياسة الأمريكية في العصر الحاضر.

ومن أشهر رجالها اللاهوتيين: بيل جراهام، وجيري فولويل، جيمي سويجارت، ومن أبرز رجالها السياسيين الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان.

اهتمّت الكنيسة البروتستانتية بنشر الإنجيل في أوروبا وأمريكا منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ثم تطور عملها في شكل منظمات وإرساليات، ووضعت اللوائح والقوانين المنظمة لها وكذلك الميزانيات اللازمة، ومن ثم انتقل العمل التبشيري البروتستانتي إلى القارتين الأفريقية والآسيوية، وبخاصة التي كانت تستعمرها الدول الغربية ذات العقيدة البروتستانتية. ومن أوائل الذين قادوا حركة التبشير: جوف وسلي، ووليام ولبرفورس، ووليام كيري، أبو المبشرين في العصر الحديث.

الأفكار والمعتقدات:

تؤمن الكنائس البروتستانتية بنفس أصول المعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية، ولكنها تخالفها في بعض الأمور، ومنها ما يلي: الخضوع لنصوص الكتاب المقدس وحده، حيث إن الكتاب المقدس بعهديه هو دستور الإيمان، وعليه تقاس قرارات المجامع السابقة وأوامر الكنيسة؛ فيُقبل ما يوافق فقط، يقول لوثر: (يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الأخير للعقيدة أو أداء الشعائر).

عدد أسفار العهد القديم ستة وستون سفرًا، وهي الأسفار القانونية، أما باقي الأسفار وعددها أربعة عشر فتسميها الأبوكريفيا، أي: غير الصحيحة فلا تعترف بها.

كما لا تؤمن الكنائس البروتستانتية بعصمة البابا أو رجال الدين، وتهاجم بيع صكوك الغفران حيث ترى أن الخلاص والفوز في الآخرة لا يكون إلا برحمة الله وكرمه، وفي الدنيا في الالتزام بالفرائض والكراسة: التبشير بالإنجيل، إن القديسين لقب يمكن أن يوصف به كل

إنسان نصراني، حيث إن القداسة في فهمهم ليست في ذات الشخص، ولكنها مقام يصل إليه، كما ترفض البروتستانتية مرتبة الكهنوت حيث إن جميع المؤمنين بها كهنة، وليس هناك وسيط ولا شفيع بين الله والإنسان سوى شخص المسيح؛ لأنه جاء في معتقدهم رئيسًا للكهنة، كما لا تؤمن بالبحور والهيكل.

تؤمن بسرّين فقط من أسرار فروض الكنيسة، وهما سرّاً المعمودية، والعشاء الرباني، على خلاف بينهم في كيفية حضور المسيح سر العشاء.

لا تؤمن بالصوم كفريضة، بل هو سنة حسنة، ولا يُطلق إلا على الإمساك عن الطعام مطلقاً فقط، كما لا تؤمن بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى.

الصلاة ليس لها مقدار محدد، كما أنه ليس من الحتم الالتزام بحرفية الصلاة الربانية؛ ولذلك يجيزون الصلاة بلغة غير مفهومة كاللاتينية التي تستعملها الكنائس الكاثوليكية، لا تؤمن الكنيسة البروتستانتية بنظام الرهبة، الكهنوت درجتان فقط هما:

القسوسية، الشمامسة، الراعي هو الأسقف، والرئاسة تكون بمجمع السنودس لا لفرد، منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها، معتقدين أن ذلك منهى عنه في التوراة، تؤمن بعض الكنائس الإنجيلية الصهيونية أن شرط المجيء الثاني للمسيح هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين.

المطلب الرابع: المارونية.

المارونية، طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين، قالوا بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، يتسبون إلى القديس مارون، ويعرفون باسم الموارنة متخذين من لبنان مركزاً لهم.

تنسب هذه الطائفة إلى القديس مارون الذي انزل في الجبال والوديان، مما جذب الناس إليه مشككين طائفة عرفت باسمه، وكانت حياته في أواخر القرن الرابع الميلادي، فيما كان موته حوالي سنة (٤١٠م)، بين أنطاكية وقورس.

- وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الأرثوذكس مما اضطرهم إلى الرحيل عن أنطاكية إلى قلعة المضيق قرب أفاميا على نهر العاصي، مشيدين هناك ديراً يحمل اسم القديس مارون.

- وقع كذلك خلاف آخر في المكان الجديد بينهم وبين اليعاقبة الأرثوذكس من أصحاب الطبيعة الواحدة عام (٥١٧م)، مما أسفر عن تهديم ديرهم، فضلاً عن مقتل (٣٥٠) راهباً من رهبانهم.

- خلال فترة الرحيل نالهم عطف الإمبراطور مرقيانوس الذي وسّع لهم الدير عام (٤٥٢) م. وعطف الإمبراطور يوستغيان الكبير (٥٢٧-٥٦٥م)، الذي أعاد بناء ديرهم بعد تهديم اليعاقبة له، وكذلك عطف الإمبراطور هرقل الذي زارهم سنة (٦٢٨م)، بعد انتصاره على الفرس.

- احتكم الموارنة واليعاقبة عام (٦٥٩م)، إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإنهاء الخلاف بينهم، لكن الخصومة استمرت؛ إذ حدثت حروب انتقامية بين الطرفين مما أسفر عن هجرة الموارنة إلى شمالي لبنان، وهو المكان الذي أصبح موطناً لهم فيما بعد.

- ظهر في موطنهم الجديد بلبنان القديس يوحنا مارون الذي يعتبر صاحب المارونية الحديثة ومقنن نظريتها ومعتقدها، وتلخّص سيرة حياته فيما يلي:

- ولد في سروم قرب أنطاكية، وتلقّى دراسته في القسطنطينية.
- عُيّن أسقفًا على البترون على الساحل الشمالي من لبنان.
- أظهر معتقد الموارنة سنة (٦٦٧) م، الذي يقول بأن في المسيح طبيعتين، ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد.
- لم تقبل الكنائس النصرانية هذا الرأي، فدعوا إلى مجمع القسطنطينية الثالث الذي عقد سنة (٦٨٠) م، وقد حضره (٢٨٦) أسقفًا، وقرّروا فيه رفض هذه العقيدة، وحرمان أصحابها ولعنهم وطردهم، وتكفير كل من يذهب مذهبهم.
- يعدُّ يوحنا مارون أول بطريرك لطائفة الموارنة، وبه يبدأ عهد البطاركة المارونيين.

تصدّى بجيش من الموارنة لجيش قاده يوستغيان الثاني الذي أراد هدم معابدهم واستئصالهم، إلا أن الموارنة هزموه في أميون مما أظهر أمرهم كأمة جبلية ذات شخصية مستقلة.

لقد تحالفت كنيسة روما بعد ذلك عليهم في سبيل تقريبهم منها، حيث قام البطريرك الماروني أرميا العمشيتي بزيارة لروما حوالي سنة (١١١٣) م، وعند عودته أدخل بعض التعديلات في خدمة القداس وطقوس العبادة وسيامة الكهنة.

ولقد زاد التقارب بينهما حتى بلغ في عام (١١٨٢م)، إعلان طاعتهم للكنيسة البابوية، أما في عام (١٧٣٦م)، فقد بلغ التقارب حد الاتحاد الكامل معها، فأصبحت الكنيسة المارونية بذلك من الكنائس الأثيرة لدى باباوات روما.

لقد كان لهم دور بارز في خدمة الصليبيين من خلال تقديمهم أدلاء؛ لإرشاد الحملة الصليبية الأولى إلى الطرق والمعابر، وكذلك إرسالهم فرقة من النشابة المتطوعة إلى مملكة بيت المقدس.

لقد بلغ رجالهم القادرون على القتال (٤٠،٠٠٠) على ما ذكر مؤرخو الحروب الصليبية.

احتلَّ الموارنة في الممالك التي شيدها الصليبيون المرتبة الأولى بين الطوائف النصرانية، متمتعين بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الفرنجة، كحق ملكية الأرض في مملكة بيت المقدس.

لويس التاسع كان أول صديق فرنسي لهم؛ إذ تقدم إليه- عندما نزل إلى البر في عكا- وفدٌ مؤلَّف من خمسة عشر ألف ماروني، ومعهم المؤمن والهدايا، وقد سلَّمهم بهذه المناسبة رسالة مؤرَّخة في (٢١/٥/١٢٥٠م)، فيها تصريح بأن فرنسا تتعهد بحمايتهم، فقد جاء فيها: ونحن مقتنعون بأن هذه الأمة التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية.

استمرَّ هذا التعاطف من الغرب مع الموارنة في الأجيال التالية،

وذلك عندما أرسل نابليون الثالث فرقة فرنسية؛ لتهدئة الجبل عام (١٨٦٠م)، وكذلك بعد الحرب العالمية الأولى عندما صار لبنان تحت الانتداب الفرنسي.

تيوفيل (تيوفيلوس) بن توما من شمال سوريا، ماروني، كان يعمل منجماً في قصر الخليفة العباسي المهدي (٧٧٥ - ٧٨٥) م، كما قام بترجمة إلياذة هوميروس.

المؤرخ إسطفانوس الدويهي المشهور، ماروني، توفي سنة (١٧٠٤م).

البطريك جرجس عميرة، ماروني، ألف أول غراماطيق سرياني، واضعاً قواعده باللاتينية؛ تسهيلاً على المستشرقين دراسة هذه اللغة. من مشاهيرهم: يوسف حبيش وبولس مسعد ويوحنا الحاج والبطريك إلياس الحويك، ومن الأساقفة: المطران جرمانوس فرحان ويوسف سمعان السمعاني ويوحنا حبيب ويوسف الدبس.

ومن بيوتاتهم المعروفة: آل خازن ودحداح وحبيش والسعد وكرام والظاهر والبستاني والشدياق والنقاش والباز، ومن زعاماتهم المعاصرة: آل جميل، وشمعون، وفرنجية، وإده..

من تنظيماتهم السياسية الحزبية العسكرية حالياً: حزب الكتائب وحزب الأحرار.

منذ عام (١٩٤٣م)، حتى اليوم استقرّ الأمر بأن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية من الطائفة المارونية، وذلك بموجب الميثاق

الوطني الذي تمّ فيه الاتفاق شفويًا بين المسلمين والنصارى حول توزيع المناصب الرئيسية للدولة اللبنانية على مختلف الطوائف الدينية فيها.

الأفكار والمعتقدات:

أهم نقطة تميزهم عن بقية الطوائف النصرانية هو معتقدتهم بأن للمسيح طبيعتين، وله مشيئة واحدة، وذلك لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد، عقيدة المشيئة الواحدة قال بها بطريرك الإمبراطور هرقل أيضًا (٦٣٨م)؛ ليوافق بين عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة الذين يشكّلون الأكثرية من رعاياه النصارى في سوريا وبين أصحاب العقيدة الأرثوذكسية للكنيسة البيزنطية، إلا أن هذه المحاولة لم تفلح في سد الثغرة بينهما.

يعتقدون أن خدمة القديس عندهم مأخوذة عن تلك الخدمة التي ينسبونها إلى القديس يعقوب، كما يعتقدون أن هذه الخدمة إنما هي أقدم خدمة في الكنيسة المسيحية؛ إذ إن أصولها ترجع إلى العشاء الرباني الأخير، ما تزال الكنيسة المارونية تحتفظ باللغة السريانية في القديس إلى يومنا هذا، وما يزال الطابع السرياني ساريًا حتى في الكنائس التي تعترف بسلطة البابا، منذ أوائل القرن الثالث عشر تمّ إدخال بعض التعديلات على الطقس الماروني القديم، وذلك في عهد البابا أنوسنت الثالث؛ ليكون أكثر تلاؤمًا مع الطقس اللاتيني ومن ذلك:

تغطيس المعمود ثلاث مرات في الماء، طلبة واحدة للثالوث، تكريس الأحداث على أيدي المطارنة فقط، لقد صار الكهنة يتبعون

الزي اللاتيني في لبس الخواتم والقلنسوة التي تشبه التاج والعكاز، استعمال الأجراس بدلاً من النواقيس الخشبية التي تستعملها سائر الكنائس الشرقية في الدعوة إلى القداس، متبعة بذلك التقليد اللاتيني.

الجزور الفكرية والعقائدية:

الموارنة فرع عن الكاثوليك الشرقيين، الذين هم بدورهم فرع عن النصرانية بشكل عام؛ لذا فإن جذورهم هي نفس الجذور النصرانية، يمتازون بالمحافظة الشديدة على تراثهم ولغتهم السريانية القديمة، وقد اقتربوا على مدار الزمن من الكنيسة البابوية بروما بعد إدخال عدد من التعديلات على الطقوس المارونية القديمة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

البداية في أنطاكية، ومن بعدها رحلوا إلى قلعة المضيق، وأخيراً صاروا إلى جبال لبنان موطنهم الحالي منذ النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، منذ القرن الخامس عشر الميلادي أصبح دير فنّوين شمالي لبنان فوق طرابلس المبني في صخر من صخور وادي قاديشا أي: المقدس، مقراً للبطيركية المارونية، كما أصبحت بكركي المبنية فوق جونية المقر الشتوي حتى يومنا هذا؛ إذ لا يزال سيد بكركي يُلقَّب ببطيرك أنطاكية وسائر الشرق؛ ذلك لأنه مستقل عن سائر البطاركة الشرقيين، كما تخضع لإدارته مطارنة وأبرشيات وجمعيات رهبانية مختلفة.

عندما استردَّ صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس غادر الملك غوي دي ليزيان إلى قبرص، فتبعه جمهور كبير من الموارنة؛ لوقوفهم

إلى جانب الصليبيين إبَّان الاحتلال، مستوطنين هناك الجبل الذي يقع شمالي نيقوسيا.

لقد فرَّ كثير من الموارد من لبنان بسبب الحروب والهجرة، فوصلوا إلى تكريت وغيرها من المدن بين دجلة والفرات منذ القرن الثاني والثالث عشر، كما ذهب بعضهم تجاه سوريا الداخلية مستوطنين دمشق وحلب، وفريق ذهب إلى القدس، وهبط بعضهم الآخر إلى مصر ورودس^(١) ومالطة، وهاجر آخرون إلى أمريكا وأفريقيا وإندونيسيا، وما يزال أغلبهم يعيشون في لبنان، ولهم أكبر الأثر في توجيه السياسة اللبنانية المعاصرة.

أن المارونية طائفة من النصارى الكاثوليك الشرقيين، الذين كانوا دائماً على خلاف مع معظم الطوائف الأرثوذكسية؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين ومشئة واحدة، وهم يتخذون من لبنان مركزاً لهم، وقد أعلنوا طاعتهم لبابا روما عام (١١٨٢م)، وقد تعاونوا مع الفرنجة إبَّان الحروب الصليبية، ومنذ عام ١٩٤٣م، تمَّ الاتفاق بين المسلمين والنصارى في لبنان، على أن يكون رئيس الدولة مارونياً^(٢).

(١) رودس هي جزيرة يونانية في البحر الأبيض المتوسط، تعرف الجزيرة تاريخياً بكونها موقع تواجد تمثال أبولورودس سابقاً، وهو أحد عجائب الدنيا السبع، تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، في منتصف المسافة بين جزر اليونان الرئيسية وقبرص، تعد رودس أبعد الجزر الشرقية بالنسبة لليونان وبحر إيجه، تبعد عن غرب تركيا بحوالي ١٨ كلم. في عام ٢٠٠١ بلغ عدد سكانها ١١٧٧٩٢ نسمة، منهم ٥٥ إلى ٦٠ ألف يعيشون في مدينة رودس، يقدر عدد المسلمين ب ٣٥٠٠ مسلم.

(٢) راجع للتوسع: النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي - مطبعة التقدم - مصر - (١٩٧٧) م.

المطلب الخامس: الجزويت.

الجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أوروبا بصفة عامة، وفي البرتغال وإسبانيا وفرنسا بصفة خاصة، وهي جمعية دينية متعصبة، تهدف حالياً إلى القضاء على الدين الإسلامي.

أنشأها قسيس فرنسي يُدعى أنياس لا يولا في القرون الوسطى، وقد ساهمت في القضاء على المسلمين في الأندلس من خلال محاكم التفتيش، ويقوم عليها الآن مجموعة كبيرة من القسس والرهبان.

الأفكار والمعتقدات

يلتزم الرهبان الذين ينتمون إليها بالمحافظة على أسرارها، وعدم إفشائها ولو لأعضائها، يلتزم أعضاؤها كذلك بالمحافظة على سرية تعليماتها، والحيلولة دون وصولها إلى أيدي الأجانب بشكل عام، والأعداء بشكل خاص.

بعد طرد هذه الجمعية من كثير من الدول الأوروبية، بدأت تستقطب عطف الساسة والمسؤولين من خلال إظهار العداء للدين الإسلامي، والتغلغل في الدول الإسلامية؛ لبث الأفكار الهدامة بين المسلمين من خلال المدارس، وتحت غطاء دور الخير والبر.

تستتر هذه الجمعية خلف أعمال البر، كإنشاء المدارس والمستشفيات في شتى بقاع العالم، وتظهر العطف على المرضى، وتلزم أعضاءها باصطناع التواضع؛ لاستقطاب الناس إليها، وإلى الدين النصراني.

تقبل التبرعات وتفتنَّ في أساليب جمع الأموال، ولكي تنفي عن نفسها مظنة الاكتناز، فإنها تتبرع ببعض الأموال في نفس المكان؛ للإيهام بأن هدفها هو خدمة الفقراء.

يلتزم أعضاء الجمعية بالمحافظة على هيبتها، فلا يختلفون أمام الغير، بل يظهرون تماسكهم، ورغبتهم في خدمة الآخرين.

تعتبر واردات الجمعية سرًّا مقدسًا، فلا يطلع عليها إلا رئيس الرهبان، وتعتبر خزانة الجمعية في روما، بكافة محتوياتها، سرًّا مقدسًا كذلك فلا يجوز إفشاؤه.

الهدف الأساسي لهذه الجمعية الآن هو القضاء على أتباع الديانات الأخرى، لاسيما الدين الإسلامي، لذلك فإن أعضاءها لا يستنكفون عن استخدام كافة أساليب الاستمالة، ووسائل جذب الناس من أجل تنصيرهم.

يتجنب أعضاء الجمعية التكلف في اللباس، ولا يقبلون الهدايا لأنفسهم، بل يحيلونها إلى دير الجمعية القريب من مكان وجودهم، حتى يدخلوا في روع الناس أنهم مخلصون، فيزداد العطف على الجمعية. يحاول أعضاء الجمعية بكافة الطرق الحيلولة دون إنشاء أو تأسيس أية مدارس بالقرب من مدارس الجمعية، التي تهتمُّ بالرياضة البدنية، وتتفانى في القيام بالعملية التربوية خير قيام، مع معاملة الدارسين معاملة حسنة، حتى يثقوا في هيئة التدريس وما تبثُّه من أفكار تبشيرية.

تعمل الجمعية بكافة الطرق الممكنة على كسب ود النساء الأرامل، ولكي تتم السيطرة التامة على الأرامل: فإن الجمعية ترغبهن في التصديق على الفقراء باسم المسيح ومريم، ويستمر هذا الوضع حتى تنفذ جميع أموالهن، وفي سبيل ذلك فإن هذه الجمعية لا تستنكف عن مساعدة هؤلاء الأرامل في إشباع رغباتهن، وقضاء وطهرهن عند الاقتضاء. وإذا كان للأرامل بنات فإنه يتم إقناعهن بالرهينة أو التربية النصرانية، أما البنون فإنه يتم حثهم على أن يغشوا الأديرة والكنائس، مع إغراقهم في الملدات، والتلميح لهم بأنه لا إثم في العلاقات الجنسية الحرة، كما تيسر لهم سبل الانخراط في معسكرات صيفية، يتم فيها إقناعهم بأهمية التربية النصرانية، كل من يخرج على هذه المبادئ الهدامة يُطرد ويتم اجتنابه.

إن الجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية، تستر خلف أعمال البرِّ كإنشاء المدارس والمستشفيات وغيرها؛ لتستقطب الناس للنصرانية، لاسيما المسلمين منهم، وتعتمد في ذلك على هدم القيم الدينية، ونشر الرذائل، والقول بطبيعية العلاقات الجنسية الحرة، وإشاعة الأفكار الهدامة بين المسلمين، ومن ثم جعلهم لبنة هشة تقبل التشكيل الذي يلائم أهداف هذه الفرقة.

أماكن الانتشار

تتخذ هذه الفرقة من أوروبا ككل، مركز انطلاق لها، وهي تتركز في البرتغال وإسبانيا حيث الرغبة في القضاء على كل أثر للإسلام هناك،

وفي فرنسا حيث نشأت مقولة الحرية المطلقة في مجال العقيدة، وإيطاليا حيث بابا الفاتيكان، ومن هذه المرتكزات تمدُّ هذه الفرقة أذرعها صوب التجمعات الإسلامية في دول حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوب شرق آسيا، وبخاصة في إندونيسيا^(١).

المطلب السادس: المورمون.

المورمون طائفة نصرانية جديدة نسبياً منشقة عن النصرانية الأم، تلبس لباس الدعوة إلى دين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتدعو إلى تطهير هذا الدين بالعودة به إلى الأصل أي: إلى كتاب اليهود، ذلك أن المسيح - في نظرهم - قد جاء لينقذ اليهود من الاضطهاد، وليمكنهم من الأرض، إنها - كما تسمِّي نفسها - طائفة القديسين المعاصرين لكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، نبيها المؤسس هو يوسف سميث، وكتابها المقدس هو الكتاب المقدس الحديث.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

ولد يوسف سميث في (٢٣/١٢/١٨٠٥) م، بمدينة شارون بمقاطعة وندسور التابعة لولاية فرمونت. وعندما بلغ العاشرة من عمره رحل مع والده إلى مدينة بالمايرا بمقاطعة أونتاريو التابعة لولاية نيويورك، في الرابعة عشرة من عمره انتقل مع أهله إلى مانشستر من نفس المقاطعة، ولما بلغ الخامسة عشرة وجد الناس حوله منقسمين

(١) محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي ط ٤ الشيخ محمد أبو زهرة.

إلى طوائف: الميثوديست، والمشيخية، والمعمداني.. فشعر باضطراب وقلق، في ربيع عام (١٨٢٠) م، ذهب إلى غابة، وأخذ يصلي منفردًا، طالبًا من الله الهداية، وبينما هو كذلك إذ شاهد - كما يزعم - نورًا فوق رأسه، تمثل هذا النور في شخصين سماويين هما الله، وابنه عيسى - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - وقد نبيهاه عن الانضمام إلى أي من هذه الفرق. يدّعي بأن الوحي قد انقطع عنه، وأنه خضع لاضطهاد عنيف وسخرية من جراء جهره برؤيته هذه، وقد تورّط خلال ذلك بزلات طائشة، إذ يقول عن نفسه: (وكثيرًا ما أدّت مخالطتي لشتى البيئات إلى اقرار زلات طائشة، وللاّتسام بما للشباب من نزق، وما للطبيعة البشرية من قصور، وقد ورّطني ذلك للأسف في ألوان من التجارب والآثام المبغضة إلى الله، ولا يتبادر إلى الذهن بسبب هذا الاعتراف أنني ارتكبت إثمًا فظيعةً أو وزرًا منكرًا، فما كان بي نزوع قط إلى مثل هذه الأوزار أو تلك الآثام) شهادة يوسف (ص ٧).

- كما يدّعي أنه في مساء (٢١ سبتمبر ١٨٢٣) م، نزل عليه ملاك من السماء اسمه موروني، وأخبره بأنه قد أعدّه لمهمة ينبغي عليه إنجازها، وأخبره عن كتاب نقشت عليه كلمات علي صحائف من الذهب، تروي أخبار القوم الذين استوطنوا القارة الأمريكية في الأزمنة الغابرة، وتاريخ السلف الذين انحدروا منهم، وأنبأه عن حجرين في قوسين من الفضة لترجمة الكتاب، وغادره هذا الملاك بعد أن نهاه عن إظهار أحد من الناس على هذه الصحف.

في (١٨ يناير ١٨٢٧) م، تزوّج من فتاة اسمها إيما هيل، فكان له من حميه فيما بعد سنداً قوياً أعانه على نشر فكرته، وذلك لما تتمتع به هذه الأسرة من مكانة طيبة.

في (٢٢ سبتمبر ١٨٢٧) م، استلم الصحف - كما يزعم - متعهداً بإعادتها بعد نهوضه بالمطلوب.

رحل عن مقاطعة مانشستر الأمريكية، وذهب إلى حيث حموه في مقاطعة سوسكويهانا بولاية بنسلفانيا، واستوطن مدينة هارموني.

شرع في الترجمة بمساعدة مارتن هاريس الذي أخذ بعض الحروف وشيئاً من الترجمة، وعرض ذلك على الأستاذ تشارلز آثون، والدكتور ميتشيل فأقرا بأن ما رأياه إنما هو ترجمة عن اللغة المصرية القديمة، وأن الأصل إنما يتألف من حروف مصرية قديمة، وحروف كلدانية، وحروف آشورية، وحروف عربية.

في (٢٥ مايو ١٨٢٥) م، ذهب مع أوليفر كودري للصلاة في الغابة، حيث زعما أنه هبط عليهما يوحنا المعمدان (أي: نبي الله يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأمرهما بأن يعمد كل منهما الآخر، وأخبرهما بأنه قد جاء إليهما تنفيذاً لأمر بطرس يعقوب، ورسمهما لرعاية الكنيسة المورمونية. يدّعي كل من أوليفر كودري، وداود ويتمر، ومارتن هاريس أنهم قد شاهدوا الصحف، وأنهم يشهدون على صحة الترجمة ودقتها، وبأن هذا الكتاب إنما هو سجل لقوم نافي ولإخوتهم اللامانيين.

أعلن في عام (١٨٣٠) م، وبحضور عدد من الشخصيات عن تأسيس كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة.

رحل يوسف سميث وأتباعه عن نيويورك إلى مدينة كيرتلاند المجاورة لمدينة كليفلاند بولاية أوهايو حيث شيد هيكلاً عظيماً، كما أنه قام بعمل تبشيري واسع النطاق في تلك المنطقة وما جاورها، بعث بإحدى الإرساليات إلى ولاية ميسوري للتبشير ولاكتساب المؤيدين.

تعرضوا للاضطهاد فتنازلوا عن منازلهم ومزارعهم، ورحلوا إلى ولاية إلينوي حيث اشتروا المستنقعات الشاسعة المهجورة على شاطئ المسيسيبي، وقاموا بإصلاحها، وبنوا مدينة نوفو، أي: الجديدة، سجن يوسف سميث وأخوه هايرم في مدينة كارسيج بولاية إلينوي لاثامات ضدهما، وبينما هما في السجن دخل عليهما مسلحان مقنعان فقتلتهما بالرصاص، وقد حدث ذلك في (٢٧ يونيو ١٨٤٤) م، فانتهد بذلك حياة هذا النبي المزعوم.

آلت رئاسة الحركة والنبوة بعده إلى بريجام يونج الذي رحل بالقوم إلى جبال روكي حيث حدّد لهم مكان إقامتهم، فبنوا مدينة سولت ليك، وقد خطط الهجرات إلى يوتاه؛ إذ كان بينهم آلاف البريطانيين والإسكندنافيةين، كما يعتبر يونج مسئولاً عن هذه الرحلة المأساوية، والتي حدثت عام (١٨٥٦) م، حيث مات أثناءها أكثر من مئتي شخص من أتباعه.

- رؤساء الكنيسة هم الأنبياء، فقد تتابع هؤلاء الأنبياء - بزعمهم - وآخرهم سبنسر كيمبل، وقد زاد عدد أعضاء هذه الطائفة إذ بلغوا خمسة ملايين شخص تقريباً، وما يزالون في نمو وازدياد، هناك أقلية من المورمون لم توافق على سيطرة يونج بعد موت يوسف سميث، فقد بقي هؤلاء في الينوي مؤسسين - بالتعاون مع إيما سميث الزوجة الأولى لنيهم ومع ابن سميث جوزيف - كنيسة يسوع المسيح للقديسين المعاصرين المعاد تنظيمها، ومركزها ميسوري، تنفيذاً لوصية النبي المؤسس الذي قال لهم: إن صهيون ستكون فيها. وقامت كذلك فئات أخرى منشقة، كل منها تدّعي بأنها قد تلقت صحفاً فيها كتب قديمة مقدسة.

أوليفر كودري، ومارتن هاريس، كانا ممن شارك في مرحلة التأسيس، وتلقيا الوحي المزعوم، وتتابع أنبياءهم الذين هم رؤساء الكنيسة على النحو التالي: يوسف سميث. بريجام يونج. جون تيلور. ويلفورد وودروف. لورينزوسنو. هيبير جرانت. جورج ألبرت سميث. داود مكاي. يوسفليدنج سميث. سبنسر كيمبل. يرد في كتبهم اسم: إلما، يارد، لحي، إنهم أنبياء في كتاب المورمون.

لهم شخصيات بارزة في مجلس الشيوخ الأمريكي ومجلس النواب.

الجدور الفكرية والعقائدية:

لليهود دور في نشوء هذه الطائفة؛ تعزيزاً للانشقاق داخل الكنائس المسيحية، بغية السيطرة عليها، كتاب المورمون يشبه التلمود في كل شيء ويحاكيه، وكأنه نسخة طبق الأصل عنه، إن إسرائيل قد جندت كل إمكانياتها لخدمة هذه الطائفة، عاملة على استمرارية العون والمساندة النصرانية لها.

يعملون على ربط صهيون أو القدس الجديدة بالأرض الأمريكية المقدسة - حسب وصايا الرب - انتظاراً لعودة المسيح الذي سيعود ليملك الأرض، ويملاؤها جنات خالدات.

يقولون عن فلسطين في كتاب المورمون في الإصحاح العاشر الفقرة (٣١): فاستيقظي وانتفضي من الثرى يا أورشليم، نعم... والبسي حللك الجميلة يا ابنة صهيون، ووسّعي حدودك إلى الأبد؛ لكي لا تعود مغلوبة، ولكي تتحقق عهد الأب الأزلية التي قطعها معك، يا بيت إسرائيل.

يقولون في الإصحاح الرابع عشر فقرة (٦) مخاطبين المورمون: لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا دوركم قدام الخنازير؛ لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت لتمزقكم.

نلاحظ تعانق الفكر الصليبي مع الفكر الصهيوني في نظرهم إلى فلسطين، إنهم يقولون ذلك منذ عام (١٨٢٥) م، يوم كانت فلسطين ما تزال جزءاً من أرض الإسلام.

المطلب السابع: شهود يَهُوه.

هي منظمة عالمية دينية وسياسية، تقوم على سرية التنظيم، وعلنية الفكرة، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما تدَّعي أنها مسيحية، والواقع يؤكد أنها واقعة تحت سيطرة اليهود، وتعمل لحسابهم، وهي تعرف باسم (جمعية العالم الجديد) إلى جانب (شهود يهوه) الذي عرفت به ابتداء من سنة (١٩٣١) م، وقد اعترف بها رسمياً في أمريكا قبل ظهورها بهذا الاسم وذلك سنة (١٨٨٤) م.

أسَّسها سنة (١٨٧٤م)، الراهب تشارلز راسل (١٨٦٢-١٩١٦م)، وكانت تعرف آنذاك باسم مذهب الراسلية أو الراسليين نسبة إلى مؤسسها كما عرفت باسم الدارسون الجدد للإنجيل. وعرفت بعد ذلك باسم جمعية برج المراقبة والتوراة والكراريس Watch Tower Bible and Tract Society ثم استقرَّ الأمر أخيراً وعرفت باسم يهوه نسبة إلى يَهُوه إله بني إسرائيل على ما تُردّد توراتهم^(١)، (وكلم الله موسى قال له: أنا الرب. أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلهاً قادراً على كل شيء، وأما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم).

ثم خلفه في رئاسة المنظمة فرانكلين رذرفورد (١٨٦٩-١٩٤٢م) الذي أَلَّف سنة ١٩١٧م، كتاب سقوط بابل، ويرمز ببابل لكل الأنظمة الموجودة في العالم، ثم جاء نارثان هرمر كنور (١٩٠٥م)، وفي عهده أصبحت المنظمة دولة داخل الدولة.

(١) راجع سفر الخروج ٦: (٢-٤).

الأفكار والمعتقدات:

إشاعة الفوضى الخلقية والتحلل من جميع الفضائل الإنسانية التي حثَّ عليها التعاليم الدينية.

يؤمنون بيهوه إلهًا لهم، وبعيسى رئيسًا لمملكة الله، يؤمنون بالكتاب المقدس للنصارى، ولكنهم يفسرونه حسب مصالحهم، الطاعة العمياء لرؤسائهم، يستغلون اسم المسيح والكتاب المقدس للوصول إلى هدفهم، وهو: إقامة دولة دينية دنيوية؛ للسيطرة على العالم، تهيئة النفوس لإقامة الدولة اليهودية الكبرى، نفي الحساب والعقاب في الآخرة، فلا إثم على من يقترف ذنبًا أو معصية في دنياه، لا يؤمنون بالآخرة ولا بجهنم، ويعتقدون بأن الجنة ستكون في الدنيا في مملكتهم، يعتقدون بقرب قيام حرب تحريرية يقودها عيسى، وهم جنوده يزيحون بها جميع حكام الأرض، يقتطفون من الكتاب المقدس الأجزاء التي تحبب إسرائيل واليهود إلى الناس، ويقومون بنشرها، لا يؤمنون بالروح وبخلودها، ولهم معابد خاصة بهم يسمونها القاعة الملكية أو بيت الرب، الأخوة الإنسانية مقتصرة عليهم دون من سواهم من البشر، يعادون النظم الوضعية، ويدعون إلى التمرد، ويعادون الأديان إلا اليهودية، وجميع رؤسائهم يهود، إشاعة الفوضى العالمية بتحريض الشعوب على التمرد على حكوماتهم، وشق عصا الطاعة عليها، ومقاطعة جميع النشاطات الرسمية في الدولة، ويبررون ذلك بما جاء في كتابهم الأخضر (ليكن الله صادقًا بأنهم سفراء الله في ملكوته المقدس، ومن ثمَّ فهم يتمتعون

بحصانة تعفيهم من الخضوع للحكومات المدنية أيًا كانت مقوماتها)، يعترفون بقداسة الكتب التي تعترف بها اليهودية وتقدسها، وهي ١٩ كتابًا، يقولون بالتثليث ويفسرونه بـ (يهوه، الابن، الروح القدس)، يمرُّ العضو فيها بمراحل معقدة، ويخضع الالتحاق بها إلى شروط قاسية، وتتنظم عضوية جمعية شهود يهوه ثلاث مراتب:

أعضاء الرجاء السماوي: وهم أعضاء الإدارة العليا، ويرأسهم العبد العظيم أو الحكيم، ويعرف مقره ببيت (إيل) أي: بيت الله.
 صف جلعاد أو الرجاء الأرضي: ويشمل من الأعضاء الرواد والمعاونين ونظار المناطق، وهؤلاء هم أعضاء الإدارة التنفيذية.
 المبشرون: ويعرف أعضاؤها بالخدم، وتضم هذه المرتبة الشهود، وهم الأعضاء المكلفون بتوزيع مطبوعات الجمعية ورسائلها.
 شعاراتهم ورموزهم:

تبني المينورا، وهي الشمعدان السباعي الذي هو رمز اليهود الديني والوطني، تبني النجمة السداسية، وهي رمز لليهود كذلك، تبني اسم يهوه، ويكتبونه بالعبرية، وهو (الإله) عند اليهود.

من كتب المنظمة:

تنطق باسمهم مجلة كانت تصدر تحت اسم برج مراقبة صهيون، ثم عدّلوها إلى: برج المراقبة؛ لإخفاء كلمة صهيون، هذا الخبر الجيد عن المملكة (المقصود مملكتهم المأمولة).

الأساس في الإيمان بعالم جديد، لقد اقترب علاج الأمم، العيش بأمل نظام عادل جديد.

الجدور الفكرية والعقائدية: يمكن اعتبارهم فرقة مسيحية منفردة بفهم خاص، إلا أنهم واقعون تحت سيطرة اليهود بشكل واضح، ويتبنون العقائد اليهودية في الجملة، ويعملون لأهداف اليهود، تأثروا بأفكار الفلاسفة القدامى واليونانيين منهم بخاصة، لهم علاقة وطيدة بإسرائيل وبالمنظمات اليهودية العالمية كالماسونية، لهم علاقة تعاون مع المنظمات التبشيرية والمنظمات الشيوعية والاشتراكية الدولية، لهم علاقة كبيرة مع أهل النفوذ من اليونانيين والأرمن، لا تكاد تخلو دولة في العالم من نشاط لهذه المنظمة السرية الخطرة، مركزهم الرئيسي في أمريكا حي بروكلين بنيويورك:

(Columbia Heights.i Brooklyn 1. New York - USA 124)

وصل عدد البلدان التي يزاولون فيها نشاطهم سنة ١٩٥٥ م إلى ١٥٨ دولة، وكان عددهم آنذاك (٦٣٢٩٢٩) عضوًا، وعدد دعواتهم (١٨١٤) داعية، فكم يكون إذن عددهم الآن؟ وقد فطنت بعض الدول إلى خطورتهم فمنعت نشاطهم، وتعقبتهم، ومن هذه الدول: سنغافورة، لبنان، ساحل العاج، الفلبين، العراق، النرويج، الكاميرون، الصين، تركيا، سويسرا، رومانيا، هولندا.. وما يزاولون ينشطون في هذه الدول بطريقتهم الخاصة السرية.

أما في أفريقيا والدول الإسلامية فغالبًا ما يكون نشاطهم بالتعاون مع المنظمات التبشيرية.

أن منظمة شهود يهوه تدّعي المسيحية، وتوالي اليهودية، وتعادي الإسلام، وهي من المنظمات المشبوهة التي يلزم وقف نشاطاتها في أي بلد إسلامي إن وجد وعدم السماح بتداول مطبوعاتها ومجلاتاها تحت أي مسمى كان، ويكفي أن علاقتهم وطيدة بإسرائيل، وأن روابطهم وثيقة بعملاء التنصير.^(١)

المطلب الثامن: أهل الكتاب هم اليهود والنصارى.

ويطلق على اليهود والنصارى معاً (أهل الكتاب) إشارة إلى أن أديانهم سماوية منزلة من الله تعالى إليهم بكتاب. وأحياناً يطلق على أحدهما، والكتاب هو التوراة المنزلة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإنجيل المنزل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد ورد هذا الإطلاق في الكتاب والسنة.

ومع أن اليهود والنصارى (أهل الكتاب) يكفّر بعضهم بعضاً إلا أنهم يجتمعون على الكيد للإسلام، والإضرار بالمسلمين. وقد ذكر الله عنهم ذلك في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

(١) شهود يهوه، د. محمد حرب.

والذين كفروا من أهل الكتاب هم من لم يسلم من اليهود والنصارى. وأهل الكتاب مكلفون بإقامة التوراة والإنجيل معا، لكنهم كفروا بهما، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة: ٦٨].

ومن إقامة التوراة والإنجيل: الإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث بَشَّرَتْ به هذه الكتب، واتباع الإسلام الذي نسخ ما قبله من الأديان المسيحية الأولى كانت توحيدًا، تقول دائرة المعارف الأمريكية: «لقد بدأت عقيدة التوحيد - كحركة لاهوتية - بداية مبكرة جدًا في التاريخ، وفي حقيقة الأمر، فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين. إنَّ الطريق الذي سارَ من أورشليم - مجمع تلاميذ المسيح الأوائل - إلى نيقية - حيث عُقد المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥؛ لمحاولة الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة - من النادر القول بأنه كان طريقًا مستقيمًا.

إنَّ عقيدة التثليث التي أُقِرَّت في القرن الرابع الميلادي، لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأوَّل فيما يتعلَّق بطبيعة الله، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافًا عن هذا التعليم؛ ولهذا فإنها تطوَّرت ضد التوحيد الخالص^(١)

(١) Unitarianism as a theological movement began much earlier in History; indeed it antedated trinitarianism by many decades. Christianity derived from Judaism and Judaism was strictly Unitarian

إنَّ التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة، أمَّا التثليث، فإنَّه انحراف عن هذه القاعدة؛ لذلك نجد من الصواب أن نتكلَّم عن التثليث باعتباره حركة متأخِّرة ظهرت ضد التوحيد، بدلًا من اعتبار هذا الأخير حركة دينية جاءت لتقاوم التثليث.

إنَّ أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث، ونجد ترتليان (٢٠٠م) الذي كان أوَّل مَنْ أَدْخَلَ تعبير التثليث في التفكير المسيحي مسؤولاً عن الفقرة التي تقول: إنَّ في أيامه كان غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنساناً»^(١)

لقد عاش الموحِّدون المسيحيون عبر القرون منذ مَجِيء المسيح وحتى اليوم، وهم يؤمنون بالإله الواحد الأحد ربًّا، وبالمسيح إنساناً نبياً ورسولاً، ولا يخلطون بين الله والمسيح، على أيِّ صورة من الصور.

لقد كانت مسيحية التوحيد - كما قال الكاردينال دانيلو - سائدة خلال القرن الأول في القدس وفلسطين، حيث عاش بقية الحواريين وأتباع المسيح، مثل بطرس ويوحنا ويعقوب، وكانت سائدة في أماكن

(١) (Tertullianus) ENCYCLOPEDIA AMERICLANA. 1959. VOL.27. P.294

او ترتليان (حوالي ١٦٠ - ٢٢٠م) مؤلف امازيغي مسيحي مبكر بونيقي، كان اول من كتب كتابات مسيحية باللغة اللاتينية، كان مهتمًا بالدفاع عن المسيحية ومعاداة الهرطقات، وشهرته كانت لصياغته كلمة الثالث (trinitas) وايضًا عبارة العهد القديم «vetus testamentum» والعهد الجديد «novum testamentum» وقد اطلق هذه التسميات حوالي ٢٠٠ ميلادية، اعتنق في اخر حياته مذهب المونتانيه، وقد وصف بأنه اول بروتستانتى.

أخرى، وَجَدَ فِيهَا بُولَسَ مَقَاوِمَاتٍ عَنِيفَةً لِمَسِيحِيَّتِهِ الصَّلِيبِيَّةِ، مِثْلَ: أَنْطَاكِيَّةِ، وَغَلَاطِيَّةِ، وَكُورِنْثُوسَ، وَكُولُوسِي، وَرُومَا.

وَلَقَدْ أَمَكَّنَ اقْتِفَاءَ آثَارِهِمْ حَتَّى الْقَرْنِ الرَّابِعِ بِالْمَشْرِقِ، وَخَاصَّةً فِي فِلَسْطِينَ، وَالْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا وَرَاءَ الْأُرْدُنِّ، وَسُورِيَا، وَمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ. وَإِذَا كَانَتْ عَقِيدَةُ التَّثْلِيثِ قَدْ اقْتَحَمَتِ الْمَسِيحِيَّةَ مُؤَخَّرًا، وَأَخَذَتْ صِيغَةً رَسْمِيَّةً فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ، فَمَا كَانَتْ تَمَثَّلُ إِلَّا فِكْرَ الْأَقْلِيَّةِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ فَرَضَهُ إِلَّا بِسُلْطَانِ الْإِمْبْرَاطُورِ الْوَثْنِيِّ آنَذَاكَ «قُسْطَنْطِينَ». إِنْ نَظَرْنَا سَرِيعَةً عَلَيَّ مَلْحَمَةِ الصَّرَاحِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ، بَيْنَ مَحَاوَلَاتِ إِنْقَاذِ بَقَايَا التَّوْحِيدِ فِي تَعَالِيمِ الْمَسِيحِ الَّذِي حَمَلَ لُؤَاءَ آرْيُوسَ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ أَوَّلَ الْقَائِلِينَ بِهِ، ضِدَّ فِكْرَةِ التَّثْلِيثِ الَّتِي قَالَ بِهَا إِسْكَانْدَرُ وَإِثْنَاثِيُوسُ لَتَرِينَا حَقِيقَةَ الْقَوْلِ الَّذِي نَقَلْنَاهُ أَنْفَاءً عَنِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْأَمْرِيكِيَّةِ مِنْ أَنَّ أَغْلَبَ الْمَسِيحِيِّينَ لَمْ يَقْبَلُوا التَّثْلِيثَ.

تقول المراجع المسيحية^(١):

«لَمَّا كَانَ الْاضْطِهَادُ الرُّومَانِيِّ ضِدَّ الْمَسِيحِيَّةِ قَدْ تَوَقَّفَ، فَإِنَّ السُّؤَالَ عَنْ لَاهُوتِ الْمَسِيحِ وَنَاسُوتِهِ بَدَأَ يَغْلِبُ فِي كَنِيسَةِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَكَمْ يَكُنْ آرْيُوسُ هُوَ أَوَّلَ مَنْ أَثَارَهُ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ مَوْضِعَ جَدَلٍ مِنْ قَبْلِ.

كَانَ آرْيُوسُ شَيْخًا لِكَنِيسَةِ بُوْكَالِيْسِ، وَكَانَ مُحْتَرَمًا فِي الْمَدِينَةِ، نُسِبَ إِلَيْهِ الطَّهْرُ وَالتَّقَشُّفُ، لَطِيفَ الْمَعْشَرِ، وَذَا خُلِقَ جَذَابًا، عُرِفَ

(١) Adolf harnack: history of dogma.

بنشاطه الديني، كما اعترف به الأسقف الجديد «إسكندر» الذي تولّى
عام ٣١٣ م.

إنَّ اندلاع المجادلات بين إسكندر وأريوس يكتنفها الغموض
بسبب ما نجده من روايات متناقضة، وأخيرًا قرَّر إسكندر طرد أريوس
من الكنيسة، وكذلك عزَّل بعض المشايخ والشمامسة من الإسكندرية،
وبعض المطارنة من ليبيا.

لكنَّ هذا الإجراء لم يُسكِّت أريوس، فقد وجد دُعْمًا من كثيرين،
وخاصة إيزيوس أسقف نيقوميديا، وبعد أن رجحت كِفَّة أريوس
وعضده كلُّ أساقفة الشرق، فإنه عاد ليستأنف عمله بالإسكندرية.

لكن الجدال لم يقتصر على الأساقفة ورجال الدين، بل تعدَّاهم إلى
عامة الشعب، وهنا أدرك الإمبراطور قسطنطين خطورة تلك المحاولات
التي بدأت تُمزق جميع الأقاليم الساحلية الشرقية لإمبراطوريته، فأرسل
خطابًا إلى كلِّ من إسكندر وأريوس، وصف فيه الصراع بأنه جدلٌ عقيم
حول أشياء غير مفهومة، بيد أن الخطاب لم يكن له أيُّ تأثير، كما فشلت
جهود أسقف البلاط هوسيوس، الذي حمَّل الخطاب، في محاولة
لرأب الصدع. إلا أن هوسيوس وصل إلى تفاهم مع إسكندر، ثم نصَّح
الإمبراطور بعقد مجمع عام في نيقية، كان لهوسيوس أكبر الأثر في تحديد
الصيغة المطروحة، بعد أن كسب الإمبراطور لوجهة نظره، ولقد كانت
الصيغة التي قال بها إسكندر وهاجمها أريوس هي:

• دائمًا إله، دائمًا ابن، وفي نفس الوقت أب، وفي نفس الوقت ابن،

الابن أزلي غير مخلوق..

أمَّا العقيدة التي عارض بها آريوس هذا القول، فيغلب عليها الفكر التوحيدي من أن الإله الواحد الأحد، هو الأزلي وحده، وأن الابن ليس أزلياً، ولكنه خُلِقَ من خَلْقِ الله، أو جَدَه من العدم، ولقد قدمت اعتراضات قويَّة ضد عقيدة لاهوت يسوع المسيح.

إنَّ الكتاب المقدَّس لم يقلْ بذلك، كما أنَّ يسوع فكَّر في نفسه كزعيم ديني هو المسيا وليس كإله، وبالمثل اعتقد التلاميذ أنَّ يسوع مجرد إنسان؛ إذ لو كان عند أيِّ من بطرس أو يهوذا آية فكرة عن أنَّ يسوع إله، لَمَا كان هناك أيُّ تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع، وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا؛ لأنَّ الإنسان لا يُمكن أن ينكر أو يخون كائناً إلهياً له كلُّ القوى.

إنَّ الحقيقة المزعومة عن أنَّ يسوع مات من أجل خطايانا وبهذا وقانا لعنة الله، إنما هي مرفوضة قطعاً، وأنَّ الموت الدموي على الصليب من أجل إطفاء لعنة الإله، لهو أمرٌ مناقض للحلم الإلهي، والصبر والود والمحبة التي لا نهاية لها.

إنَّ الموحِّدين ينظرون إلى يسوع باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر، وأنه لو كان إلهاً، فإنَّ المثل الذي ضربَه لنا بعيشته الفاضلة يفقد كلَّ ذرَّة من القيمة؛ حيث إنه يمتلك قوَى لا نملكها، إنَّ الإنسان لا يستطيع تقليد الإله^(١).

(١) دائرة المعارف الأمريكية، ص، ٣٠٠ - ٣٠١.

وجديرٌ بالذكر هنا ما قاله المبشّر «ستيفن نيل»، في معرض حديثه عن تحوّل شعوب الفرنجة (فرنسا وألمانيا) إلى المسيحية:

«لقد شهدتُ نهاية القرن الخامس في فرنسا حادثاً اعترفَ بحقِّ أنّه إحدى نقطِ التحوُّل في التاريخ المسيحي، ألا وهو تعميد «كلوفيس» ملك الفرنجة مسيحياً.

لقد تعمّد يوم عيد الميلاد عام ٤٩٦ م ومعه ثلاثة آلاف من مُقاتليه، لقد كان غالبية البرابرة الذين تحوّلوا إلى المسيحية على مذهب آريوس. كذلك فإنَّ بعض الغُزاة من الهون والقوط قد أصبحوا مسيحيين قبل دُخولهم الإمبراطورية الرومانية، على الرغم من أنّ أكثرِيَتهم قد أعلنتُ إيمانها بالصيغة الآريوسية للعقيدة المسيحية^(١) وهكذا، كانت الآريوسية هي السائدة.



(١) Stephen neill: a history of christian missions، pelican books، London، pp ٥٨ - ٦٠، وراجع تاريخ إثنا سيوس؛ كامل صالح، وراجع التفاصيل في كتاب: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

المبحث الخامس:

الإنجيل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



المطلب الأول: أصل الأناجيل الموجودة اليوم عند النصارى.

تقدم معنا ذكر أصل كلمة الإنجيل وأنها كلمة يونانية تعني الخبر الطيب (البشارة).

والإنجيل عند المسلمين: هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه هدى ونور، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقد دعا المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بني إسرائيل للأخذ بالإنجيل والإيمان به، فقد جاء في إنجيل مرقس (١٤ / ١): (وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل).

وقد ذكر هذا الإنجيل أوائل النصارى، ودعوا إلى الإيمان به، وفي هذا يقول سفر (أعمال الرسل) (٨ / ٢٥) عن بطرس ويوحنا في دعوتهما للسامريين من اليهود: (وكما شهدا وتكلما بكلمة الرب رجعا إلى اورشليم، وبشرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسامريين).

وذكره بولس أيضًا في رسائله، مثل قوله في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي (٢ / ٢): (جاهرنا في إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله في

جهاد كثير؛ لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر، بل كما استحسننا من الله أن نُؤتمن على الإنجيل هكذا نتكلم... ثم يقول: ... فإنكم أيها الإخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله..).

فإذا الإنجيل كان كتابًا موجودًا ومعروفًا لدى النصارى الأوائل بأنه إنجيل الله أو إنجيل المسيح، إلا أن هذا الإنجيل لا نجده بين الأناجيل الموجودة بين يدي النصارى اليوم، فأين هو؟ على النصارى أن يجيبوا على هذا السؤال، أو يعترفوا بأنهم فقدوه في زمن مبكر من تاريخهم، وهذا هو الأرجح.

إذ يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

وقد صار عند النصارى بدل الإنجيل الواحد أربعة أناجيل، يجعلونها في مقدمة كتابهم العهد الجديد، ولا ينسبون أيًا منها إلى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما هي منسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا الذي يزعم النصارى أن اثنين منهم من الحواريين وهما متى ويوحنا، والآخران أحدهما مرقس تلميذ بطرس، والآخر لوقا تلميذ بولس في زعمهم.

وهذه الأناجيل تحوي شيئًا من تاريخ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث ذُكِرَ فيها ولادته، ثم تنقلاته في الدعوة، ثم نهايته بصلبه وقيامته في زعمهم، ثم صعوده إلى السماء.

كما تحتوي على مواعظ منسوبة إليه وخطب، ومجادلات مع اليهود، ومعجزات كان يظهرها للناس دليلاً على صدقه في أنه مرسل من الله، فهذه الأناجيل أشبه ما تكون بكتب السيرة، إلا أن بينها اختلافات ليست قليلة، وبعضها اختلافات جوهرية لا يمكن التوفيق بينها إلا بالتعسف كما سيتبين.

والقارئ لهذه الأناجيل الأربعة يستطيع بسهولة أن يدرك أن ما ورد فيها من دعوة وخطب ومواعظ ومجادلات تعود إلى مطلبين أساسيين، هما:

١- الدعوة إلى التوبة والعمل بما جاء في الشريعة التي أنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَام.

٢- التبشير بقرب قيام مملكة الله التي يتحقق فيها العدل والمساواة^(١).

المطلب الثاني: تاريخ الأناجيل الأربعة إجمالاً.

قبل الحديث عن تاريخ الأناجيل الأربعة لدى النصارى لا بد من بيان أن الكتب الدينية لها مكانة عظيمة لدى أتباعها، ولها دور خطير في الحياة؛ إذ يعتمد عليها في توضيح الطريق إلى سعادة الدنيا وفوز الآخرة. فلهذا يجب أن تكون الكتب ثابتة الإسناد إلى أصحابها الذين هم رسل الله، والمبلغون عن الله عزَّ وجلَّ، فإذا لم تكن كذلك فإنها تفقد قيمتها؛ إذ تكون

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية سعود الخلف صفحة (١٩٩).

عرضة للتحريف والتبديل من قبل أصحاب الأهواء والمقاصد الخبيثة، أو من قبل العوارض البشرية كالنسيان، وقلة العلم، والوهم ونحو ذلك.

فصحة الإسناد بعدالة رواة الأخبار وضبطهم، وعدم انقطاعه، هو السبيل الذي يمكن به وصول هذه الكتب إلى الناس سليمة صحيحة كاملة، فيتعرّف الناس على الحق من خلالها.

وإذا نظرنا في كتب الحديث عند أهل الإسلام- والتي تتضمن أقوال نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وتقريراته وجميع ما يتعلق به- عرفنا الجهد العظيم الذي بذله أولئك الأئمة في المحافظة على حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سليماً صحيحاً، حيث يستطيع المسلم في القرن الخامس عشر الهجري أن يعرف صحة الحديث من عدمها.

وإذا بحثنا في التاريخ لدى النصارى عن إسناد لهذه الأناجيل إلى من تنسب إليه لا نجد من ذلك شيئاً البتة لا قليلاً ولا كثيراً. ورسائل بولس، وكذلك الرسائل الأخرى، وأعمال الرسل ليس في شيء منها إشارة إلى واحد من هذه الكتب الأربعة، الأمر الذي يترتب عليه أن هذه الكتب لم تكن معروفة في ذلك الزمن، ولم يطلع عليها أحد منهم، وفي هذا دلالة قوية على أن نشأة هذه الكتب وظهورها كان متأخراً عن هذه الرسائل، بخلاف إنجيل الله أو إنجيل المسيح فقد ورد ذكره في كلام بولس مراراً عديدة، كما ورد ذكره في إنجيل مرقس، وأعمال الرسل مما يدل على وجوده وأنه معروف معلوم.

وقد حاول النصارى أن يجدوا لهذه الكتب إسناداً أو إخباراً عنها

في كلام متقدميهم يتفق مع الزمن الذي يزعمون أنها كتبت فيه، وهو الربع الأخير من القرن الأول الميلادي على أكثر تقدير. إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع، مما اضطرهم إلى الاعتراف بأن هذه الكتب لم تعرف إلا بعد موت من تنسب إليه بعشرات السنين، فتكون نسبتها إلى أولئك الناس نسبة لا تقوم على أدنى دليل، وإليك بعض كلام النصاري في هذا الأمر:

يقول القس (فهيم عزيز) الأستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية: لكن قانونية أسفار العهد الجديد لم تتم في وقت واحد ولم يكفها جيل أو جيلان، بل استمرت مدة طويلة، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفًا موحدًا من الأسفار المختلفة، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار، واستمرت في ذلك حقبة طويلة، فلهذا يلزم تتبع هذا التاريخ الطويل لقانونية أسفار العهد الجديد^(١).

الكنيسة الأولى: يوم الخمسين (١٠٠)م.

من المعلوم جيداً أنه لم تكن في تلك الفترة كتب مقدسة تسمى العهد الجديد، ولكن الكنيسة لم تمكث بدون مصادر إلهية تستند عليها في كل شيء من وعظ وتعاليم وسلوك ومعاملات، وقد كان لها في هذا المجال ثلاثة مصادر.

(١) القس (فهيم عزيز) الأستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية، قس نصراني من لبنان، قام بترجمة إنجيل برنابا، واتعجب من عدم اسلامه فهو قد فضح الكثير من تناقض كتبهم هذه، لكن نور الاسلام عزيز، والله يفعل ما يشاء ويختار **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ثم ذكر أن المصادر الثلاثة هي: العهد القديم، المسيح، الرسل،
ثم قال:

ثانياً: (١٠٠-١٧٠) م، ظهور الكتب القانونية في العهد الجديد:

كانت أول مجموعة عرفتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس. فهي أول ما جمع من كل كتب العهد الجديد، ولقد كتب بولس رسائله إلى كنائس وأفراد لظروف خاصة ومواقف محددة..).

ثم قال: (أما المجموعة الثانية: فهي مجموعة الأناجيل الأربعة، وقد ظهرت هذه المجموعة متأخرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات بولس. ومع أن تاريخ اعتبارها كتباً قانونية مقدسة متساوية في ذلك مع كتب العهد القديم لا يزال مجهولاً، لكن الاقتباسات العديدة التي وجدت في كتابات آباء الكنيسة الرسولين وشهاداتهم تلقي بعض الضوء على هذه الحقيقية الجوهرية في العصر المسيحي، ويلاحظ الدارس الأمور الآتية:

أن بولس لم يشر في كتاباته إلى أي من الأناجيل المكتوبة، ولا إلى أي كتاب عن حياة المسيح أو أقواله..). ثم ذكر المصنف سبع نقاط أخرى أورد في بعضها اقتباسات لمتقدمين من النصارى تتوافق في بعضها مع ما ورد في بعض الأناجيل بدون النص على اسم الإنجيل.

وأهم ما ذكره من الملاحظات هي قوله في الملاحظتين السابعة

والثامنة:

أما جاستن أو يوستينوس الشهيد الذي كان سامرياً يونانياً، وتحوّل إلى المسيحية، ودرس في روما، واستشهد حوالي (١٦٥)م، فيؤخذ من كتاباته أنه قد عرف الأناجيل الأربعة مرتبطة معاً، مع أنه لم يكشف النقاب عن جمعها، ولا في أي مكان جمعت، وهو يصفها عندما يذكرها في دفاعه ضد الوثنيين بأنها الذكريات، ولكنه عندما كان يكتب للمسيحيين كان يقول عن الرسل: (هم أولئك الذين كتبوا ذكرياتهم عن كل الأشياء التي تختص بيسوع المسيح المخلص).

ثم يقول مرة أخرى: (الذكريات التي عملها الرسل التي تسمى الأناجيل).

أما الشاهد الأخير فهو (الديا طسرن) الذي كتبه (تاتيان)، وأراد أن يجمع فيه الأناجيل الأربعة معاً في إنجيل واحد، وقد أضاف تاتيان هذا بضعة كلمات للمسيح لا توجد في هذه الأناجيل، ولكنها أخذت من كتب أبوكريفية أخرى، وهو بذلك يشهد أن الأربعة الأناجيل وجدت معاً، ولكن إضافاته مجرد اقتباسات لا تدلُّ على أنه كان يعتبر أن هناك كتباً أخرى تضارعها في سلطانها وقد استهأ. وبعد هذا النقل عن أحد القسس المتعمقين والمتخصصين في دراسات العهد الجديد، نقل كلام مجموعة من المتخصصين النصارى عن أناجيلهم وذلك في المدخل إلى العهد الجديد قالوا في التعريف بتاريخ وقانونية العهد الجديد ما يلي: (لقد سيطرت على المسيحيين الأوائل فكرة تناقلتها الألسن شفاهاً - تعلن انتهاء هذا العالم سريعاً وعودة المسيح ثانية إلى الأرض؛

ليدين الناس، وكان من بين نتائج هذا المعتقد أن توقف التفكير في تأليف كتابات مسيحية تسجل أخبار المسيح وتعاليمه، فتأخر لذلك تأليف الأنجيل؛ إذ لم يشرع في تأليف أقدمها - وهو إنجيل مرقس الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح - إلا بعد بضع عشرات من السنين، لقد كانوا يؤمنون بنهاية العالم وعودة المسيح سريعاً إلى الأرض: قبل أن يكمل رسله التبشير في مدن إسرائيل، وهي عملية لا تستغرق أكثر من عدة أشهر أو بضع سنين على أكثر تقدير..... الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان. متى (١٠ / ٢٣).

- وقبل أن يموت عدد من الذين وقفوا أمامه يستمعون إلى تعاليمه ومواعظه. وهي فترة يمكن تقديرها دون خطأ يذكر في حدود خمسين عاماً على أقصى تقدير: الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته. متى (١٦ / ٢٨)

- وهو يعود ثانية إلى الأرض قبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاصر المسيح، وهي فترة لا تتجاوز أقصى ما قدرناه، أي: خمسين عاماً:..... الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله. متى (٢٤ / ٢٤). ومعلوم أن ذلك كله لم يحدث؛ إذ لا يزال الكون قائماً، وبنو آدم يعيشون في عالمهم الدنيوي حتى يأتي أمر الله، هذا - ولما بردت الحمية التي أثارها فكرة عودة المسيح سريعاً إلى الأرض، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات عنه وعن تعاليمه، ومن هنا كانت النواة لتأليف أسفار - ما صار يعرف فيما بعد باسم - العهد

الجديد، وهي الأسفار التي لم يعترف بشرعيتها إلا على مراحل وعلى امتداد أكثر من ثلاثة قرون. إن كلمة (قانون) اليونانية مثل كلمة (قاعدة) في العربية قابلة لمعنى مجازي يراد به قاعدة للسلوك أو قاعدة للإيمان، وقد استعملت هنا للدلالة على جدول رسمي للأسفار التي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة وللإيمان. ولم تدرج هذه الكلمة بهذا المعنى في الأدب المسيحي إلا منذ القرن الرابع، كانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحي الجيل الأول في مرجعين. أولهما: العهد القديم، وكان الكتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التقريب استشهداهم بوحى الله.

وأما المرجع الآخر الذي نما نموًا سريعًا، فقد أجمعوا على تسميته: الرب. ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة، وأما أقوال الرب وما كان يبشر به الرسل، فقد تناقلتها السنة الحفظ مدة طويلة، ولم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من: تدوين أهم ما علمه الرسل، وتولى حفظ ما كتبه. ويبدو أن المسيحيين حتى ما يقرب من السنة (١٥٠)م، تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلاً جداً إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة، وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنسية، ولم تكن غايتهم قط أن يؤلفوا ملحقاً بالكتاب المقدس، بل كانوا يدعون الأحداث توجّههم، فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة، في حين أن التقليد الإنجيلي كان

لا يزال في معظمه متناقلاً على السنة الحفاظ. ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً كما يظهر شأن رسائل بولس.

أجل لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأناجيل أو تلمح إليها، ولكنه يكاد أن يكون من العسير في كل مرة الجزم: هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدي هؤلاء الكتبة، أم هل اكتفوا باستذكار أجزاء من التقليد الشفهي؟ ومهما يكن من أمر، فليس هناك قبل السنة (١٤٠)م، أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة، ولا يذكر أن لمؤلفٍ من تلك المؤلفات صفة ما يلزم، فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمان بأن هناك مجموعة من الأناجيل، وأن بها صفة ما يلزم، وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجي. فيمكن القول أن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة (١٧٠)م، بمقام الأدب القانوني، وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين. لم يوضع (لم يستقر) الجدول التام للمؤلفات العائدة إلى القانون إلا على نحو تدريجي، وكما تحقق شيء من الاتفاق، فهكذا يجدر بالذكر ما جرى بين السنة (١٥٠)م، والسنة (٢٠٠)م، إذ حدد على نحو تدريجي أن سفر أعمال الرسل مؤلف قانوني، وقد حصل شيء من الإجماع على رسالة يوحنا الأولى. ولكن ما زال هناك شيء من التردد في بعض الأمور: فإلى جانب مؤلفات فيها من الوضوح الباطني ما جعل الكنيسة تتقبلها تقبلاً لما لا بد منه، هناك عدد كبير من المؤلفات الحائرة

يذكرها بعض الآباء ذكّرهم لأسفار قانونية، في حين أن غيرهم ينظر إليها نظرتة إلى مطالعة مفيدة ذلك شأن: الرسالة إلى العبرانيين، ورسالة بطرس الثانية، وكل من رسالة يعقوب ويهوذا.

وهناك أيضًا مؤلفات جرت العادة أن يستشهد بها في ذلك الوقت على أنها من الكتاب المقدس، ومن ثم جزء من القانون، لم تبق زمنيًا على تلك الحال، بل أخرجت آخر الأمر من القانون، ذلك ما جرى لمؤلف: هرماس، وعنوانه (الراعي)، وللديداكي ورسالة إكليمنضس الأولى، ورسالة برنابا، ورؤيا بطرس، وكانت الرسالة إلى العبرانيين، والرؤيا، موضوع أشد المنازعات، وقد أنكرت صحة نسبتها إلى الرسل إنكارًا شديدًا مدة طويلة. ولم تقبل من جهة أخرى إلا ببطء: رسالتا يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يهوذا. ولا حاجة إلى أن نتبع تتبعًا مفصلاً جميع مراحل هذا التطور الذي أدّى خلال القرن الرابع إلى تأليف قانون هو في مجمله القانون الذي نعرفه اليوم). من خلال هذا البيان والنقل المطول عن النصارى أنفسهم في حديثهم عن كتبهم يتلخص لنا ما يلي:

١- أن الله أنزل كتابًا على المسيح سماه الإنجيل، ودعا المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الناس إلى الإيمان به، وذكره أوائل النصارى، كما ذكره بولس في رسائله.

٢- أن النصارى لا يعرفون شيئًا عن مصير ذلك الإنجيل، ولا أين ذهب!!.

٣- أنه كانت هناك روايات شفوية ووثيقة مشتركة متداولة كان يتناقلها الحواريون ودعاة النصارى الأوائل، ويعتقد أنها كانت المصدر الأساسي لأوجه الاتفاق بين الأناجيل. وأرى أن تلك الروايات الشفوية لا يبعد أن يكون الإنجيل الأصلي من ضمنها، إلا أن النصارى لم يدونوه مجموعة واحدة، كما أنهم لم يميزوه عن غيره من الروايات، مما جعله غير محدد، ولا يستطيع أحد الجزم والاعتقاد بشيء من النصوص أنها منه، وهذا تصديق قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤].

٤- أن المتقدمين من النصارى لم يشيروا إلى الأناجيل الأربعة، ولم يذكرها ألبتة، فبولس - على كثرة رسائله - لم يذكرها في رسائله أبداً، وكذلك لم يذكرها سفر أعمال الرسل الذي ذكر دعاة النصارى الأوائل، وهذا يدلُّ على أن هذه الكتب لم تكن موجودة في ذلك الزمن، وأنها أُلِّفت وكتبت بعد ذلك.

٥- أن أول من ذكر مجموعة من الكتب المدونة ذكراً صريحاً هو جاستن الذي قتل عام (١٦٥) م، وهذا لا يدل صراحة على الأناجيل الأربعة نفسها، وأما أول محاولة للتعريف بها ونشرها فكانت عن طريق «تاتيان» الذي جمع الأناجيل الأربعة في كتاب واحد سماه (الدياطسرن) في الفترة من (١٦٦-١٧٠) م، وهذا هو التاريخ الذي يمكن أن يعزى إليه وجود هذه الكتب، وهو تاريخ متأخر جداً عن وفاة من تعزى إليهم هذه الكتب؛ إذ إنهم جميعاً ماتوا قبل نهاية القرن الأول، مما يدلُّ على أنهم براء منها، وأنها منحولة إليهم.

٦- أنه حتى بعد هذا التاريخ - وهو (١٧٠)م، إلى القرن الرابع الميلادي - لم تكن الأناجيل الأربعة وحدها هي الموجودة، بل كانت هناك أناجيل كثيرة موجودة منتشرة ربما تبلغ مائة إنجيل، ولم يكن لأيٍّ منها صفة الإلزام والقداسة، وذلك أمر تكون الأناجيل الأربعة معه عرضة للتحريف والتغيير خلال تلك الفترة أيضًا.

٧- أن النصارى لا يعرفون بالضبط تاريخ إعطاء هذه الكتب صفة الإلزام والقداسة، وإنما يرون أنه خلال القرن الرابع الميلادي أخذت كتبهم صفة القداسة بشكل متدرج، يعني: رويدًا رويدًا.

٨- أن النصارى لا يملكون السند لكتبهم، ولا يعرفون مصدرها الحقيقي، ولا تعدو أن تكون كتبًا وجدوها منحولة إلى أولئك الناس الذين نُسبت إليهم فنسبوا إليهم، واعتقدوا صحة ذلك بدون دليل، وهذا أمر لا يمكن أن يعطي النفس البشرية القناعة المناسبة لما تراه له هذه الكتب في الأصل من تجنب سخط الله وبلوغ رضوانه.

٩- أننا نعجب غاية العجب من زعم النصارى: أن هذه الكتب حقيقية وصادقة، وتنقل بأمانة وإخلاص كلام المسيح، وتروي أخباره. كيف تجرؤوا على مثل هذا الكلام، وكيف قبله أتباعهم مع أنهم لا يملكون الدليل على ذلك، وكل دعوى عريت عن الدليل فهي باطلة.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وكل من تحدث في دين الله بلا علم فهو ضال مضل، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣]. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [٨] ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ [الحج: ٨-٩]. ولأن دعاويهم عارية عن الدليل فهي نابعة من الهوى، فلهذا سمى الله عزَّ وجلَّ ما عند اليهود والنصارى من دين أهواء في قوله عزَّ وجلَّ لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَنَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ولكن ذلك العجب يذهب، وتلك الدهشة تزول إذا علمنا أن للآباء والكبراء والسادة من أهل الضلالة الذين يسعون إلى المحافظة على مكاسبهم الدنيوية الدور الأكبر في إضلال العوام والدهماء الذين لا يستخدمون ما وهبهم الله من عقل وسمع وإدراك، وإنما يتابعون وينقادون انقياد الأعمى، وفي هذا يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ الْبَاطِلُونَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [١٦] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ [١٧] رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٦٦-٦٨]. والواجب على الإنسان أن لا يخضع للتقليد فيما تتعلق به نجاته وسعادته

أو هلاكه وشقاوته، بل يتحقق من الأمر، ويتأكد من صحته، ويسأل الله الهداية والتسديد والرشد إلى أن يصل إلى الحق والنور الذي لن يخطئه بإذن الله تعالى إذا أخلص الطلب، واجتهد في الدعاء، وتحرّر من الأهواء والتقليد والعصبيّة^(١).

سبق الحديث عن الأناجيل الأربعة من ناحية السند إجمالاً، بقي أن نبين هنا ما يتعلق بكل إنجيل منها منفرداً الأناجيل الأربعة وإنجيل برنابا الخامس.

المطلب الثالث: تاريخ إنجيل متى تفصيلاً.

يصدر النصارى كتابهم المقدس بهذا الإنجيل، فهو أول كتبهم في الترتيب، وهو أطولها؛ إذ يحوي ثمانية وعشرين إصحاحاً. ويزعم النصارى أن (متى) الذي ينسب الكتاب إليه هو أحد الحواريين، وكان قبل اتباعه للمسيح عشيراً (جابي ضرائب). إلا أن النصارى لم يستطيعوا أن يبرزوا لنا دليلاً يُعتمد عليه في صحة نسبة هذا الكتاب إلى (متى)، وأقدم من يعتمدون على قوله في نسبة الكتاب إلى (متى) أحد كتابهم، ويسمى (يوسابيوس القيصري) في كتابه (تاريخ الكنيسة) حيث نقل عن أسقف كان لهيرا بوليس سنة (١٣٠)م، يدعى (بابياس)، أنه قال: (إن متى كتب الأقوال باللغة العبرانية).

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية سعود الخلف صفحة (٢٠٣).

وهذا القول ولدئ جميع العقلاء لا يمكن أن يعتمد عليه في إثبات صحة نسبة الكتاب إلى «متى» الذي يزعمون أنه حواري.

وذلك لأن «بايياس» المذكور هنا لم يكن سمع تلك التعاليم وتلك الكتب من أصحابها، بل كان يسمعها بواسطة، حيث يقول عن نفسه فيما ذكر عنه (يوسابيوس): (وكلما أتى واحد ممن كان يتبع المشايخ سألته عن أقوالهم؛ لأنني لا أعتقد أن ما تحصل عليه من الكتب يفيد بقدر ما يصل من الصوت الحي).

فهو هنا لا يتحرى في النقل، ومما لاشك فيه أن أولئك الوسائط لا بد أن تثبت عدالتهم، وإلا فلا يعتد بما يروونه ويقولونه.

كما أن (يوسابيوس القيصري) قد طعن في بايياس نفسه حيث قال عن رواياته: (ويُدوّن نفس الكاتب روايات أخرى يقول: إنها وصلته من التقليد غير المكتوب. وأمثالاً وتعاليم غريبة للمخلص وأموراً خرافية...).

ثم قال عنه وعن آرائه: (وأظن أنه وصل إلى هذه الآراء بسبب إساءة فهمه للكتابات الرسولية، غير مدرك أن أقوالهم كانت مجازية؛ إذ يبدو أنه كان محدود الإدراك جداً كما يتبين من أبحاثه، وإليه يرجع السبب في أن كثيرين من آباء الكنيسة من بعده اعتنقوا نفس الآراء مستندين في ذلك على أقدمية الزمن الذي عاش فيه).

فهذه طريقة (بايياس) في النقل حيث ينقل عن كل من اتبع المشايخ بدون تحر لمقدرة التلميذ على الحفظ والضبط للروايات والعدالة وما

إلى ذلك من شروط صحة الخبر، كما أن (بايياس) نفسه ضعيف التمييز بين الأقوال محدود الإدراك جدًا. فكيف تعتبر أقوال من هذه حاله في أخطر قضية، وهي الشهادة لكتاب بأنه كلام رب العالمين؟ كما أن في المقابل هناك عدة أدلة تدل على عدم صحة نسبة الإنجيل إلى (متى) الذي يزعمون أنه حوارى وهي:

١- أن النصارى لم ينقلوا الإنجيل بالسند، وقول (بايياس) السابق لم يعين فيه من هو (متى)، هل هو الحوارى أم رجل آخر؟ كما أنه لم يعين الكتاب بل قال: (الأقوال).

وأيضًا فقد ذكر أمرًا آخر يختلف تمامًا عما عليه إنجيل متى الموجود، وهو أنه قال: إنه كتبه باللغة العبرانية، مع أن النصارى يجمعون على أن الكتاب لم يعرفه إلا باللغة اليونانية، ولا يعرفون للكتاب نسخة عبرانية، بل الكثير منهم يرى أن: الكتاب يظهر من لغته أنه أول ما كتب إنما كتب باللغة اليونانية، وليس العبرانية، فهذا يدل على أن قول (بايياس) لا ينطبق على إنجيل متى الموجود بين يدي النصارى. كما أن هناك استفسارًا آخر في حالة أن يكون الإنجيل مترجمًا من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية، وهو: من هو مترجمه؟ وهذا أمر مهم؛ لأنه ما لم يعلم دين المترجم، وصدقه، وضبطه، وقوة معرفته باللغتين لا يمكن أن يعتمد على ترجمته.

٢- إن الدارسين لهذا الكتاب والباحثين من النصارى وغيرهم يرون أن كاتب هذا الإنجيل اعتمد كثيرًا على إنجيل مرقص، ومرقص

في كلام النصارى تلميذ بطرس، فهل من المعقول أن يعتمد أحد كبار الحواريين في زعمهم على تلميذ من تلاميذهم في الأمور التي هم شاهدوها وعاينوها وعاشوا أحداثها؟

هذا يدل على أن كاتبه غير (متى) الذي يزعمون أنه حوارى، وأن دعوى النصارى أن كاتب الإنجيل هو متى الحوارى دعوى عارية عن الدليل، وهي من باب الظن والتخمين الذي لا يغني من الحق شيئاً^(١).

المطلب الرابع: تاريخ إنجيل مرقص تفصيلاً.

هذا الإنجيل الثاني في ترتيب الأناجيل لدى النصارى، وهو أقصرها؛ إذ إنه يحوي ستة عشر إصحاحاً فقط. أما كاتب الإنجيل فهو في زعم النصارى رجل من أتباع الحواريين، والمعلومات عنه قليلة جداً وغامضة، ولا تتضح شخصيته وضوحاً يُطمئن النفس؛ إذ إن كل ما ورد عنه الإشارة إلى أن اسمه يوحنا، ويلقب مرقص، وأنه صاحب بولس وبرنابا في دعوتهما، ثم افترق عنهما، ثم ذكر بولس في رسائله اسم مرقص ذكراً مقتضباً لا يعطي غناء في التعريف به، وورد ذكر اسمه مع بطرس حيث يقول عنه: (تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقص ابني). فهذه المعلومات يفهم منها أن الرجل مجهول؛ إذ إنها لم تعط تعريفًا بدينه، وعلمه، وأمانته، ونحو ذلك مما يجب توافر معرفته فيمن يكون واسطة لكتاب مقدس. أما الكتاب وهو الإنجيل: فأقدم المعلومات

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية سعود الخلف صفحة (٢٠٣).

التي عزته إلى من يسمّى مرقص ما نقله (يوسابيوس) في تاريخه الكنسي عن بابياس حيث قال: (ولقد قال الشيخ أيضًا: إن مرقص الذي صار مفسرًا لبطرس قد كتب بكل دقة كل ما تذكّره من أقوال وأعمال الرب، ولكن ليس بالترتيب؛ لأنه لم يسمع الرب ولم يتبعه، ولكن كما قلت قبلاً عن بطرس الذي ذكر من تعاليم السيد ما يوافق حاجة السامعين، بدون أن يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله، وهكذا فصل مرقص أنه لم يعمل خطأً واحدًا في كل ما ذكره وكتبه...). هذه أقدم شهادة لدى النصارى عن الكتاب والكاتب، فهي شهادة مطعون فيه، لمجهول الحال - وهو مرقص - عن أمر مجمل، حيث ذكر أنه كتب ما تذكر، ولم يفصل في المكتوب ما هو!! فهل تكفي هذه الشهادة في إثبات صحة الكتاب!!، لاشك أنها لا تكفي؛ فإن مثل هذه الأدلة والشواهد لو قدّمت لدى قاض في قضية لم يقبلها ولم يحكم وفقها^(١).

المطلب الخامس: تاريخ إنجيل لوقا تفصيلًا.

هذا الإنجيل الثالث في ترتيب النصارى لكتابتهم، ويحوي أربعة وعشرين إصحاحًا. وكاتب الإنجيل في زعم النصارى هو أحد الوثنيين الذين آمنوا بالمسيح بعد رفعه، وكان رفيقًا لبولس (شاؤول اليهودي) حيث ذكره بولس في ثلاثة مواضع من رسائله، واصفًا إياه بأنه رفيقه. ولا يوجد لدى النصارى معلومات عنه سوى أنه أممي رافق بولس في بعض

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية سعود الخلف صفحة (٢٠٣).

تنقلاته، حيث ورد اسمه في تلك الرحلات. فهو بذلك يعتبر شخصية مجهولة وغير معروفة ولا متميزة بعدالة وديانة، ومع هذا أيضًا لا يوجد لدى النصارى دليل يعتمد عليه في صحة نسبة الكتاب إليه. ولندرة المعلومات التي توثق نسبة الكتاب إلى لوقا المذكور يستشهد النصارى بكلام مجهول، حيث يقول القس (فهيم عزيز) في كتابه (المدخل إلى العهد الجديد) في استدلاله على صحة نسبة الكتاب إلى لوقا ما يلي: (هناك مقدمة كتبت لإنجيل لوقا فيما بين (١٦٠-١٨٠)، اسمها (ضد مارسيون) فيها يقول الكاتب عن لوقا: إنه من أنطاكية في سوريا، مهنته طبيب، وكان أعزب بدون زوجة، مات وهو في سن (٨٤) في بواتيه ممتلئًا بروح القدس، وقد كتب إنجيله كله في المناطق التي تحيط بأخائيه؛ لكي يفسر للأمم القصة الصحيحة للعهد الجديد الإلهي..) ثم قال صاحب الكتاب معلقًا: (هذه مقتطعات عن هذه الشهادة التي لا يعرف كاتبها، وقد قبلها كثير من العلماء؛ لأنهم لم يجدوا من أتباع مارسيون من يكذبها، مما يدل على أنها تقليد كنسي قوي). بمثل هذه الشهادة المجهولة يثبت النصارى صحة كتابهم إلى ذلك الرجل المجهول لوقا، وهي لاشك شهادة لا قيمة لها ولا تفيد شيئًا، ويدل استدلالهم بها على أنهم لا يملكون أدلة على صحة نسبة الكتاب إلى من يسمونه (لوقا)، وذلك يبين لنا أن النصارى حين زعموا أن إنجيل لوقا كتاب صحيح وصادق، فإن ذلك مجرد دعوى بدون بينة.

المطلب السادس: تاريخ إنجيل يوحنا تفصيلاً.

هذا الإنجيل الرابع في ترتيب العهد الجديد، وهو إنجيل متميز عن الأنجيل الثلاثة قبله؛ إذ تلك متشابهة إلى حد كبير، أما هذا فإنه يختلف عنها؛ لأنه ركّز على قضية واحدة، وهي إبراز دعوى ألوهية المسيح وبنوته لله - تعالى الله عن قولهم - بنظرة فلسفية لا تخفى على الناظر في الكتاب، لهذا يعتبر هو الكتاب الوحيد من بين الأنجيل الأربعة الذي صرّح بهذا الأمر تصریحًا واضحًا. وإذا بحثنا في صحة نسبة الكتاب إلى يوحنا الذي يزعم النصارى أن الكتاب من تصنيفه نجده أقل كتبهم نصيبًا من الصحة؛ لعدة أدلة أبرزها منكرها نسبة الكتاب إلى يوحنا الحواري وهي:

١- أن بوليكاربوس الذي يقال: إنه كان تلميذًا ليوحنا. لم يشر إلى هذا الإنجيل عن شيخه يوحنا، مما يدلُّ على أنه لا يعرفه، وأن نسبته إلى شيخه غير صحيحة.

٢- أن الكتاب مملوء بالمصطلحات الفلسفية اليونانية التي تدلُّ على أن لکاتبه إلمامًا بالفلسفة اليونانية، أما يوحنا فكما يذكر النصارى فقد كان يمتهن الصيد، مما يدلُّ على أنه بعيد عن الفلسفة ومصطلحاتها.

٣- أن النصارى الأوائل لم ينسبوا هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري المزعوم، وأن (يوسابيوس) الذي كان يسأل (بايياس) عن هذه الأمور يقول: (الواضح أن بايياس يذكر اثنين اسمهما يوحنا: الأول:

الرسول وقد مات، والثاني: الشيخ وهو حيٌّ. ويلوح أنه هو الذي كتب الإنجيل). فلهذا يقول القس (فهيم عزيز) بناءً على ذلك: (إن الكنيسة كانت بطيئة في قبولها لهذا الإنجيل). وبناءً على ذلك فمند نهاية القرن التاسع عشر ظهر الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا بشكل واسع، ووصفته (دائرة المعارف الفرنسية) بأنه إنجيل مزور، وهذه الدائرة اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصراني، ونص كلامهم: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتي، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصًّا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينًا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهودهم ليربطوا - ولو بأوهى رابطة - ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليلي، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدئ لخطهم على غير هدى). نقول مع هذه الاعتراضات، ومع عدم وجود أدلة تثبت صحة نسبته إلى يوحنا الحواري المزعوم، فلا يجوز لعاقل أن يدعي صحة نسبته إلى يوحنا، فضلاً عن أن يزعم أنه كتاب مقدس موحى به من الله، فهذا فيه افتراء عظيم على الله

عزَّ وجلَّ، وإضلال لعباد الله بالباطل. بعد هذا كله يتضح للنظر اللبيب أن النصارى- وكذلك اليهود من قبلهم- لا يملكون مستنداً صحيحاً لكتبهم يثبت صحة نسبتها إلى من ينسبونها إليه، وإن من المعلوم أن أي إنسان أراد أن يقاضي إنساناً آخر لدى محكمة فلا يمكن أن تنظر المحكمة في دعواه ما لم يقدم من الإثباتات الصحيحة ما يصح اعتباره دليلاً، والنصارى لم يقدّموا لأنفسهم ولا لأهل ملتهم من المستندات والأدلة شيئاً يثبتون به صحة كتبهم، بل لا يعرفون طريقاً إلى شيء من المستندات الصحيحة، يقول الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه العظيم (إظهار الحق): (ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل، فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم، فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة). وفي هذا كفاية ودلالة على أن تلك الكتب التي تسمى الأناجيل كتب لا يملك أصحابها أي مستند يمكن الاعتماد عليه في صحة نسبتها إلى من ينسبونها إليه، فضلاً عن أن يصحَّ نسبتها إلى المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أو إلى الله عزَّ وجلَّ. ^(١)

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية سعود الخلف صفحة (٢١٧).

المطلب السابع: تاريخ إنجيل برنابا تفصيلاً.

وفيه أربعة مسائل:

إنجيل برنابا لا يعتبر من الأناجيل القانونية لدى النصارى، ولا يعترفون به، ولأهمية ما يحتويه من معلومات، ولما بينه وبين الأناجيل الأربعة من تشابه في التعريف بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته نُعرِّف به هنا في نقاط مختصرة.

المسألة الأولى: التعريف بـ (برنابا).

برنابا: اسمه (يوسف) ويلقب ابن الوعظ، وهو لاوي قبرصي الجنسية، وهو خال (مرقس) صاحب الإنجيل فيما يقال، وكان من دعاة النصرانية الأوائل، ويظهر من إنجيله أن له مكانة لدى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنصارى يرون أنه من الدعاة الذين لهم أثر ونشاط ظاهر، وكان من أعماله البارزه أنه باع حقله وأتى بقيمته من النقود ووضعها تحت تصرف الدعاة، وحين ادَّعى بولس (شاؤول اليهودي) الدخول في دين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ خاف منه الحواريون لما يعلمون من سابق عداوته، فشفع له برنابا عندهم فقبلوه ضمن جماعتهم، ثم اختلف معه بعد فترة من العمل في الدعوة سوياً وانفصلا.

المسألة الثانية: التعريف بإنجيله.

أقدم خبر عن إنجيل برنابا كان قريباً من عام (٤٩٢)م، وذلك حين أصدر البابا (جلاسيوس) الأول أمراً يحرم فيه مطالعة عدد من

الكتب، كان منها كتاب يسمّى (إنجيل برنابا) وهذا كان قبل مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم لم يظهر له خبر بعد ذلك إلا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي حيث عثر أحد الرهبان اللاتينيين وهو (فرامرينو) على رسائل (لإريانوس) يندد فيها ببولس، وأسند (إريانوس) تنديده هذا إلى إنجيل برنابا. فحرص هذا الراهب على الاطلاع على هذا الإنجيل. واتفق أنه أصبح مقرباً للبابا (سكتس) الخامس، ودخل معه يوماً إلى مكتبته فأخذت البابا غفوة نام فيها، فأخذ (فرامرينو) يطالع في مكتبته رغبة في قطع الوقت، فوقعت يده على هذا الكتاب فوضعه في ثوبه وأخفاه، ثم أستأذن بعد أن أفاق البابا، وخرج فطالع الكتاب بشغف شديد، ثم أسلم على أثر ذلك- بين هذه المعلومات المستشرق سايل في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم- ثم في أوائل القرن الثامن عشر عام (١٧٠٩) م، عثر (كريم) أحد مستشاري ملك بروسيا على نسخة لإنجيل برنابا باللغة الإيطالية، عند أحد وجهاء مدينة أمستردام- حيث كان يقيم وقتئذ - وأهداها (كريم) إلى الأمير (إيوجين سافوي) لولعه بالعلوم والآثار التاريخية، ثم انتقلت تلك النسخة فيما بعد- وذلك عام (١٧٣٨) م- مع جميع مكتبة ذلك الأمير إلى مكتبة البلاط الملكي في فينا، حيث هي موجودة الآن، ثم ترجمت إلى الإنجليزية، وعنهما إلى العربية من قبل الدكتور خليل سعادة، وهو لبناني نصراني. وكان يوجد لهذا الكتاب نسخة أخرى بالأسبانية، يظن أنها منقولة عن الإيطالية عثر عليها في أوائل القرن الثامن عشر أيضاً، وكانت عند رجل يدعى الدكتور (هلم) أهداها إلى المستشرق (سايل)، ثم دفعها هذا بدوره إلى الدكتور (منكهوس)

الذي ترجمها إلى الإنجليزية، ودفعها مع ترجمتها عام (١٧٨٤)م، إلى الدكتور (هويت) أحد مشاهير الأساتذة في إكسفورد ببريطانيا، وعنده اختفت تلك النسخة مع ترجمتها. وقد أورد الدكتور (هويت) مقتطفات عديدة منها في دروسه، وقد اطلع على تلك المقتطفات خليل سعادة، مترجم كتاب إنجيل برنابا إلى العربية.

وحين ظهر هذا الإنجيل أحدث دويًا في الأوساط النصرانية لما فيه من المعلومات المضادة لعقائدهم، فحاولوا دفعه بوسائل كثيرة، ومما زعموه:

أنه تأليف عربي مسلم، أو يهودي أندلسي تنصر ثم أسلم - وهذا في الواقع من التخرصات، ويدل على بطلان تلك الدعاوى أمور منها:

١- لماذا يؤلف رجل أسلم كتابًا للنصارى، ويفتري الكذب وهو قد دخل في الإسلام.

٢- أن في الكتاب معلومات غير موجودة في كتب اليهود والنصارى الآن.

٣- أن مترجم الكتاب إلى العربية - وهو خليل سعادة النصراني - قد وصف صاحب الإنجيل بأنه على إمام واسع جدًا بالعهد القديم والنصرانية أكثر ممن نذروا أنفسهم للدين النصراني وتفسيره وتعليمه، حتى إنه ليندر أن يكون فيهم من يقرب من إمام صاحب هذا الإنجيل، فكيف يكون مسلمًا وله هذا الإمام الواسع؟!

٤- إن مما يدفع أن يكون صاحبه مسلم أن فيه أخطاء لا يمكن أن تقع من المسلم لبدايتها، ومنها قوله: إن السموات عشرة. وخلطه بين اسم ميخائيل وميكائيل، ويقول: أدريل بدل إسرافيل.

وعلى كل حال فهذا كتاب ظهر في بلاد نصرانية، وبخط ولغة نصرانية، ولم يرد عن أحد المسلمين أنه اطَّلَعَ على الكتاب مع سعة اطلاع علماء المسلمين، وحرصهم على الرد على النصارى، وهو لاشك مما يظهره الله عزَّ وجلَّ دليلاً للحق ودحرًا للباطل وردًّا له.

المسألة الثالثة: أهم مبادئ إنجيل برنابا التي يختلف بها عن الأناجيل الأربعة.

إن الذي جعل النصارى يحملون على هذا الإنجيل حملتهم، ويتصلون منه، هو مخالفته لأناجيلهم المعتمدة وعقيدتهم في أخطر وأهم نقاطها، وهي:-

أولاً: أنه صرح أن المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إنسان، وليس إله ولا ابن إله، وبين أن سبب تأليف إنجيله هو رد هذه الفرية التي أطلقها بولس مع غيرها من الافتراءات، كترك الختان وإباحة أكل اللحوم النجسة، وفي هذا يقول في أول إنجيله: أيها الأعضاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة، للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به

دائمًا مجوزين كل لحم نجس، الذين ضلّ في عدادهم أيضًا بولس، الذي لا أتكلّم عنه إلا مع الأسي، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا، ولا يضلّكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله.

ثانيًا: أنه نقل عن المسيح التصريح بأن الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس إسحاق كما يزعم اليهود، وفي هذا يقول:-

أجاب يعقوب: يا معلم قل لنا من صنع هذا العهد، فإن اليهود يقولون بإسحاق، والإسماعيليون يقولون بإسماعيل؟ أجاب يسوع: صدقوني؛ لأنني أقول لكم الحق، إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق. حينئذ قال التلاميذ: يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق.

أجاب يسوع متأوهًا: هذا هو المكتوب، ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله.

الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون حديث كتبنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: يا إبراهيم، سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقًا، يجب عليك أن تفعل شيئًا لأجل محبة الله، أجاب إبراهيم: هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله، فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة.

فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع

سنين؟

فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلبي، لذلك قل لنا أنت الحق؛ لأننا نعلم أنك مرسل من الله».

وذكر برنابا أيضًا أن المسيح خاطب رئيس كهنة اليهود قائلاً له: إن إبراهيم أحب الله حيث إنه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيمًا ولا بهجر أبيه وأمه، ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله.

أجاب رئيس الكهنة: إنما أسألك هذا ولا أطلب قتلك، فقل لنا: من كان ابن إبراهيم هذا؟

أجاب يسوع: إن غيرة شرفك يا الله تؤججني ولا أقدر أن أسكت. الحق أقول: إن ابن إبراهيم هو إسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالة مسيا الموعود به إبراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض.

فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ: لنرجم هذا الفاجر؛ لأنه إسماعيلي، وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله.

ثالثًا: أنه نقل عن المسيح التصريح بالبشارة بالنبى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه وذلك في مواطن عدة من كتابه منها: أن اليهود سألوا المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ عن اسم النبى المنتظر فقال: فقال الكاهن حينئذ: ماذا يسمي مسيا، وما هي العلامة التي تعلن مجيئه؟ فأجاب يسوع: إن اسمه المبارك (محمد). حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله، أرسل لنا

رسولك، يا محمد، تعال سريعاً لخلاص العالم.

وأورد أيضًا برنابا حوارًا تمَّ بينه وبين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن رفع إلى السماء، ثم عاد مرة أخرى ليطمئن أمه وحوارييه بأنه لم يموت، ثم ارتفع مرة أخرى إلى السماء، وهذا نصه: فقال حينئذ الذي يكتب: يا معلم إذا كان الله رحيماً فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً، ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت، وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة وأنت قدوس الله؟

أجاب يسوع: صدقني يا برنابا إن الله يعاقب على كل خطيئة - مهما كانت طفيفة - عقاباً عظيماً؛ لأن الله يغضب من الخطيئة، فلذلك لما كانت أمي وتلاميذي الأمناء الذين كانوا معي أحبوني قليلاً حباً عالمياً، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم، فلماذا كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أنني كنت بريئاً في العالم، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا، معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب؛ لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله.

رابعاً: أن برنابا صرَّح أن المسيح لم يُصلب، وإنما رُفِعَ إلى السماء، وأن الذي صلب هو يهوذا الإسخريوطي، وهو الذي وشى

بالمسيح لدى اليهود، حيث أُلقي عليه شبه المسيح، فقبض عليه وصلب
بدلاً عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا نص كلامه:

ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع
يسوع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد
عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل
وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار،
وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في
السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد. ودخل يهوذا
بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياماً.

فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه،
فصار شبيهاً بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا
أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيد هو
معلمنا أنسيتنا الآن؟

أما هو فقال متبسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا
الإسخريوطي.

وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا؛
لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه).

وبعد أن ذكر محاكمة يهوذا وجلده من قبل اليهود والوالي الروماني وهم يظنون أنه يسوع قال: (وَأُسْلِمَ يَهُودًا لِلْكَتَبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ كَأَنَّهُ مُجْرِمٌ يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ، وَحَكَمُوا عَلَيْهِ بِالصَّلْبِ وَعَلَى لَصِينٍ مَعَهُ، فَقَادُوهُ إِلَى جَبَلِ الْجَمْعِ حَيْثُ اعْتَادُوا شَنْقَ الْمَجْرَمِينَ، وَهَنَّاكَ صَلْبُوهُ عَرِيانًا مَبَالِغَةً فِي تَحْقِيرِهِ.

هذه أهم مبادئ هذا الكتاب الذي أحدث بمبادئه وقت ظهوره دويًا لدى النصارى، أما نحن المسلمين فلا يقدم عندنا هذا الكتاب ولا يؤخر، فنحن مطمئنون لكتاب ربنا الذي بين أيدينا نعرف به الحق، وعلى ضوءه نقيس الحق.

وهذا كتاب لا سند له ولا تاريخ، ثم هو من تأليف رجل ليس بمعصوم فقد يخطئ، ويضل، وينسى، وهذه لا تجعل لكتابه قيمة دينية عقائدية، وإنما تجعل له قيمة تاريخية وأدبية، والله أعلم.^(١)



(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية سعود الخلف صفحة (٢٤١).

الفصل السابع:

بيان أسباب ضلال النصارى

ومفارقتهم لدين عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفيه ستة مباحث:

* **المبحث الأول:** بيان ضلال النصارى ومفارقتهم لدين عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

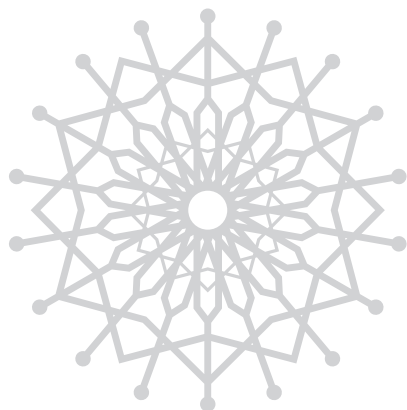
* **المبحث الثاني:** التشابه بين عقيدة النصارى والعقائد الوثنية القديمة.

* **المبحث الثالث:** بيان كفر النصارى كما جاء في القرآن والسنة.

* **المبحث الرابع:** أسباب تحريف النصرانية وضياع الإنجيل الحق الذي جاء به عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* **المبحث الخامس:** تلخيص الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية.

* **المبحث السادس:** بعض ما جاء في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم.



المبحث الأول:

بيان ضلال النصارى ومفارقتهم لدين عيسى.



المطلب الأول: من أسباب سخط الله تعالى على النصارى:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

قال الطبري رحمه الله: يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ: وَأَخَذْنَا مِنَ النَّصَارَى الْمِيثَاقَ عَلَى طَاعَتِي وَأَدَاءِ فَرَائِضِي وَاتِّبَاعِ رُسُلِي وَالتَّصَدِيقِ بِهِمْ، فَسَلَكُوا فِي مِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ مِنْهَاجِ الْأُمَّةِ الضَّالَّةِ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَدَّلُوا كَذَلِكَ دِينَهُمْ وَنَقَضُوا نَقْضَهُمْ وَتَرَكَوا حَظَّهُمْ مِنْ مِيثَاقِي الَّذِي أَخَذْتُهُ عَلَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِي وَصَيَّعُوا أَمْرِي^(١).

عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤]، قَالَ: نَسُوا كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَعَهْدَ اللَّهِ الَّذِي عَاهَدَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَمَرَ اللَّهُ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ.

عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: قَالَتِ النَّصَارَى مِثْلَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ، ﴿وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠ / ١٣٥).

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، المائدة: ١٤ يَعْني تَعَالَى ذِكْرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [المائدة: ١٤]

حَرَّسْنَا بَيْنَهُمْ وَالْقَيْنَا، كَمَا تُغْرِي الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ.
يَقُولُ جَلَّ شَأْنُوهُ: لَمَّا تَرَكَ هُوَ لِأَنَّ النَّصَارَى الَّذِينَ أَخَذَتْ مِيثَاقَهُمْ بِالْوَفَاءِ بَعْهْدِي حَظَّهُمْ، مِمَّا عَهَدْتُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي، أَعْرَبْتُ بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ إِغْرَاءِ اللَّهِ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ إِغْرَاؤُهُ بَيْنَهُمْ بِالْأَهْوَاءِ الَّتِي حَدَثَتْ بَيْنَهُمْ^(١) أَه.

أي ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصاري متابعون المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض.

ففعّلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود، ولهذا قال تعالى: ﴿فَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضًا ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة.

(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٨ / ٢٦٥).

فهذه الآيات كاملة الدلالة على فساد دين النصارى وأن النصارى نقضوا موثيق الله وعهوده، ولم يقيموا شرعه ودينه، ولم يلتزموا بعبادته، بل حرفوا وبدلوا وغيروا، بل وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض عقوبة منه سبحانه.

ولذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً فكل فرقة تحرم الأخرى وتكفرها ولا تدعها تلج معبداها.

كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ثم قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

وهذا تهديد ووعد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله ورسوله وما نسبوه إلى الرب **عَزَّوَجَلَّ** وتعالى وتقدس عن قولهم علواً كبيراً من جعلهم له صاحبةً وولداً تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

المطلب الثاني: الأصل في اليهود والنصارى التمرد والعصيان.

وهذا أصل في جبلتهم وطبيعتهم على عكس أهل الإيمان فأهل الإيمان يسمعون أمر الله ورسله ثم يقولون سمعنا وأطعنا ويجتهدون في أمرهم الله به ويستغفرون فيما يقصرون فيه ويطلبون العفو والمغفرة، أما اليهود والنصارى فبداية يقولون سمعنا وعصينا.

فالأصل فيهم عدم الانقياد والطاعة بل الفسوق والخروج عن الأمر والعصيان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ حَظَّاءَ مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

وهذه سمة أهل الكاين من اليهود والنصارى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُورُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ فَقَالُوا أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ كُفُنَا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا اقْتَرَاهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامِنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنُ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

قَالَ: نَعَمْ رَبَّنَا، ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قَالَ: نَعَمْ.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ، قَالَ: نَعَمْ، ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَأَعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ، قَالَ: نَعَمْ ^(١).

المطلب الثالث: ذم النصارى بإدخال الرهبانية في دينهم

قال تعالى في سورة الحديد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ فَضَّلْنَا عَلَيَّ أَهْلَهُمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَّيْنَا يَعْسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَابِهَا فَتَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ .

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً﴾ أي

رقة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي ابتدعتها أمة النصارى ﴿مَا

كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فيه قولان أحدهما: أنهم

قصدوا بذلك رضوان الله .

(١) صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:

٢٦١هـ) محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت (١/ ١١٥)

برقم ١٩٩ .

قال سعيد بن جبير وقتادة والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَارِعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: أي فما قاموا بما التزموه حق القيام وهذا ذم لهم من وجهين:

أحدهما: الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله

والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنها قرينة تقربهم إلى الله عَزَّجَلَّ.

روى أحمد عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رجلاً جاءه فقال أوصني فقال عما سألت عما سألت عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبلك أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض^(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ مُلُوكٌ بَعْدَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَدَّلُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَكَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ قِيلَ لِمُلُوكِهِمْ مَا نَجِدُ شَيْئًا أَشَدَّ مِنْ شَيْءٍ يَشْتُمُونَ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ يَقْرَأُونَ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مَعَ مَا يَعْبُونَهَا فِي أَعْمَالِنَا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة برقم ١١٧٧٤ (١٨/٢٩٧).

فِي قِرَاءَتِهِمْ فَادْعُهُمْ فَلْيَقْرَأُوا كَمَا نَقَرْنَا وَلْيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَّا فَدَعَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ
وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ أَوْ يَتْرَكُوا قِرَاءَةَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مَا بَدَّلُوا مِنْهَا
فَقَالُوا مَا تَرِيدُونَ إِلَيَّ ذَلِكَ دَعَوْنَا فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ابْنُوا لَنَا أُسْطُوَانَةً ثُمَّ
ارْفَعُونَا إِلَيْهَا ثُمَّ اعْطُونَا شَيْئًا نَرْفَعُ بِهِ طَعَامَنَا وَشَرَابَنَا فَلَا نَرُدُّ عَلَيْكُمْ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ دَعَوْنَا نَسِيحٌ فِي الْأَرْضِ وَنَهَيْمٌ وَنَشْرَبُ كَمَا
يَشْرَبُ الْوَحْشُ فَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاقْتُلُونَا

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ابْنُوا لَنَا دُورًا فِي الْفِيآفِي وَنَحْتَفِرُ الْآبَارَ
وَنَحْتَرِثُ الْبُقُولَ فَلَا نَرُدُّ عَلَيْكُمْ وَلَا نَمُرُّ بِكُمْ وَكَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْقَبَائِلِ إِلَّا
وَلَهُ حَمِيمٌ فِيهِمْ قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارِعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

وَالْآخَرُونَ قَالُوا نَتَّبَعِدُ كَمَا تَعْبَدُ فَلَانَ وَنَسِيحٌ كَمَا سَاحَ فَلَانٌ وَتَتَّخِذُ
دُورًا كَمَا اتَّخَذَ فَلَانٌ وَهُمْ عَلَى شِرْكِهِمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِإِيمَانِ الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِ
فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ انْحَطَّ
رَجُلٌ مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَاءَ سَائِحٌ مِنْ سِيَاحَتِهِ وَصَاحِبُ الدَّيْرِ مِنْ دَيْرِهِ
فَأَمَّنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أَجْرَيْنِ بِإِيمَانِهِمْ بِعِيسَى
وَبِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَبِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصَدِّيقِهِمْ قَالَ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ
وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ الْقُرْآنَ وَاتَّبَاعَهُمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

المطلب الرابع: النصرارى شرار الخلق عند الله يوم القيامة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ البيئنة^٦

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةَ رَأَيْتَهَا
بِالْحَبَشَةِ، فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أَوْلَئِكَ إِذَا
كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ
الصُّورَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢)

(شَرَارُ الْخَلْقِ) أَي لَأَنَّهُمْ ضَمُّوا إِلَى كُفْرِهِمُ الْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةَ فَهُمْ
أَفْبَحُ النَّاسِ عَقِيدَةَ وَعَمَلًا.

قَوْلُهُ وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ) وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ أَوْأَيْلَهُمْ لِيَتَأَنَّنَسُوا
بِرُؤْيَا تِلْكَ الصُّورِ وَيَتَذَكَّرُوا أَحْوَالَهُمُ الصَّالِحَةَ فَيَجْتَهِدُوا كَأَجْتِهَادِهِمْ،

(١) المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، قال الألباني في السلسلة الصحيحة: صحيح (٥٤٠٠).

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) برقم ٤٢٧.

ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ جَهْلُوا مُرَادَهُمْ وَوَسَّوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ
 أَتْلَفَكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ هَذِهِ الصُّورَ وَيُعْظَمُونَهَا فَعَبَدُوهَا، فَحَدَّرَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ الْبَيْضاوِيُّ: لَمَّا كَانَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَسْجُدُونَ لِقُبُورِ
 الْأَنْبِيَاءِ تَعْظِيمًا لِسَانِهِمْ وَيَجْعَلُونَهَا قِبْلَةً يَتَوَجَّهُونَ فِي الصَّلَاةِ نَحْوَهَا
 وَاتَّخَذُوهَا أَوْثَانًا لِعَنْهُمْ وَمَنَعَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ^(١) وَفِي الْحَدِيثِ
 جَوَازَ حِكَايَةِ مَا يُشَاهِدُهُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَوُجُوبَ بَيَانِ حُكْمِ ذَلِكَ
 عَلَى الْعَالِمِ بِهِ، وَدَمَّ فَاعِلِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَنَّ الْاِعْتِبَارَ فِي الْأَحْكَامِ بِالشَّرْعِ
 لَا بِالْعَقْلِ.



(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤/٣٦٦).

المبحث الثاني:

التشابه بين عقيدة النصارى والعقائد الوثنية القديمة.



المطلب الأول: دين النصارى ضلال ووثنية قديمة اخترعها

من قبلهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَتْهُمْ اللَّهُ أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴾ التوبة ٣٠

وعزير هو الذي كتب لهم التوراة بعد حروب جاءت على بني إسرائيل دمرتهم، فقال بعض جهلتهم: إنما صنع هذا لأنه ابن الله، وأما قول ضلال النصارى في المسيح فظاهر، ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ أي: لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلاقهم.

﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ أي: يشابهون ﴿ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾

أي: من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء. وهذا دليل بين وواضح من أن مسألة التثليث وإدعاء أن الله ابن وصاحبة وغير ذلك من الزور والضلال، هو من عقائد الأمم الوثنية القديمة الذي أخذه البعض وأدخله في دين النصارى فخدعهم به، فأضلهم، فتمسكوا بهذا الضلال.

وبالفعل وجدت عقيدة البنوة والتثليث في حضارات الهند القديمة وفي الحضارات الفرعونية والرومانية الوثنية، فإن الملوك عندهم

إذا أرادوا أن تعظمهم شعوبهم زعموا أنهم أبناء الله، وكذلك الكهان والسدجنة كانوا يزعمون أن للآلهة التي ينصبونها للناس أبناء، ووجدت عقيدة التثليث هذه بعينها بنفس الصورة التي يعتقدونها النصارى عند الهنود البراهمة وعند الفراعنة، وكان كفار العرب يزعمون أن الملائكة بنات الله.

إذا فالنصارى لم يكن ما أتوا به شيئاً يمت للحقيقة بصله، أو أنه دين أنزله الله من السماء، أو أن عيسى ابن الله تجسد في صورة البشر، تعالى الله عما يقول الظالمون، إنما كل هذا كان مجرد اقتباس وإحياء للوثنيات القديمة، اتخذها النصارى ديناً كما قال العليم الخبير: ﴿وَقَالَتِ الْتَصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالُوا أَنَّا كُنَّا نَقُولُ قَوْلَ الْتَصْرَى﴾.

فما فعله شاول اليهودي أو من يسمونه ب(بولس الرسول) في دين النصارى باطل وضلال ووثنية قديمة اخترعها من قبلهم من أهل الشرك عبدة الأصنام، الذين كانوا يصنعون لأنفسهم إلهاً من الحجارة والتصاوير ويجعلون له صاحبة وولداً، والباحث في الحضارات الهندية والفرعونية والصينية يجد هذه الصور، فاتخذها النصارى ورسموا مثلها بالضبط مع مخالفة الاسم والرسم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول المؤرخ ألن في كتابه الهند:

وكذلك فإن الهندوس اعتبروا أوتار تجسداً إلهياً يجعله أهلاً للعبادة، وهكذا نستطيع القول بأن القول بإله متجسد أمر تكاثرت على الإيمان به الوثنيات القديمة السابقة للمسيح^(١)

أما بوذا فيقول عنه المؤرخ دوان: الإله بوذا المولود من العذراء مايا الذي يعبد بوذيو الهند وغيرهم ويقولون عنه: إنه ترك الفردوس، ونزل وظهر بالناسوت رحمة بالناس كي ينقذهم من الآثام، ويرشدهم صراطاً مستقيماً، وكذا يذكر النصاري في الهدف والغرض من التجسد ما تذكره الوثنيات القديمة، فالنصاري يقولون: إن التجسد كان ليموت المسيح ويفدي خطايا البشرية.

ومثله ينقل العلامة هوك فيقول: يعتقد الهنود بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة.

وينقل قريباً منه عن بوذا الذي يقول عنه المؤرخ وليمس في كتابه ديانة الهنود:

و من رحمته أي بوذا تركه للفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان وشقائهم كي يبرئهم من ذنوبهم، ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه.

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، ص (٢٩ - ٣٨)، المسيحية، أحمد شلبي، ص (١٥١، ١٥٨).

وينقل دوان تسمية الهنود لبوخص ابن المشتري بفادي الأمم. ومثله قيل في هيركلوس، ومترا فادي الفرس، وباكوب إله المكسيكيين المصلوب، وسواهم من البشر الذين اعتقد أتباعهم أنهم آلهة تجسدت لمغفرة الخطايا.

ويعتقد الصينيون أن الأب لم يخلق شيئاً، وأن الابن لاتوثة المولود من عذراء خلق كل شيء. وفي صلوات الفرس لادرمزد يقولون: إلى أدرمزد أقدم صلواتي، فهو خالق كل شيء مما هو كان وما سيكون إلى الأبد، وهو الحكيم القوي خالق السماء والشمس والقمر والنجوم. ومثله يعتقد الآشوريون في الابن البكر نرودك، وكذا مؤلهو أدوني ولاؤكيون وغيرهما.

ومثله في التراث المصري القديم أن الإله أتوم خلق كل شيء حي بواسطة الكلمة التي خلقت كل قوى الحياة، وكلما يؤكل، وكل ما يحبه أو يكرهه الإنسان^(١).

تاريخ ميلاد الآلهة والعبادات والطقوس: وكما تشابهت عقائد النصراني الوثنية هنا وهناك، تشابهت عباداتها وتواريخها، إذ يعتقد الوثنيون على اختلاف في آلهتهم أن آلهتهم المتجسدة ولدت في ٢٥ ديسمبر، منهم الإله الفارسي ميثرا وغيره، وهو ما يقوله النصرانيون.

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، ص (٢٩ - ٣٨)، المسيحية، أحمد شلبي، ص (١٥١، ١٥٨).

الأرثوذكس في توراينخهم أيضًا، وقد جرى تحديده بهذا اليوم الموافق لأعياد الوثنيين عام ٥٣٠م على يد الراهب ديونيسيوس اكيبيوس، وأراد منه إبعاد المتنصرين عن احتفالات الوثنيين، وشغلهم باحتفال مسيحي، وهو ما تكرر فعله في عدة أعياد وثنية أخرى استعار النصارى منها التواريخ والطقوس.

وينقل الراهب بيد في كتابه « تاريخ الكنيسة الإنجيلية:

خطابًا للبابا جريجوري الأول (٦٠١م) يستشهد فيه بنصيحة المستشار البابوي مليتس الذي كان ينهى عن هدم المعابد الوثنية، ويرى تحويلها من عبادة الشيطان إلى عبادة الإله الحق، كي يهجر الشعب خطايا قلبه، ويسهل عليه غشيان المعاهد التي تعود ارتيادها.

وهكذا لا يجد المتنصر كبير فرق في المكان والمضمون بين النصرانية وبين ما كان يعتقد من قبل، ويكون ذلك ادعى في انتشار النصرانية^(١).

المطلب الثاني: التثليث في الوثنيات القديمة.

وكما نقل النصارى عن الوثنيات ما يقولونه عن ألوهية المسيح وتجسد الإله فإنهم نقلوا معتقدتهم في التثليث.

ولإثباته نقلت صفحات الأمم الوثنية قبل المسيحية لنجد أن

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، ص (٢٩ - ٣٨)، المسيحية، أحمد شلبي، ص (١٥١، ١٥٨).

الكثيرين من الوثنيين قد سبقوا المسيحيين إلى القول بالتثليث، وما قول النصارى بالتثليث إلا قول منحول عن هذه الأمم مع تعديل بسيط في صيغ الثالوث الوثنية، وذلك بإبدال أسماء الثالوث الوثني بالثالوث النصراني.

فالقول بإله مثلث يعود إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد قال به البابليون حين قسموا الآلهة إلى ثلاثة مجموعات: إله السماء، إله الأرض، إله البحر

ثم تبلور التثليث على نحو ما اتخذته النصرانية في القرن العاشر قبل الميلاد حين قال الهنود بثالوث (همبراهما، فشنو، سيفا)، وهؤلاء الثلاثة هم إله واحد.

وقد وجد في آثار الهنود: صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد تعبيراً منهم عن الثالوث.

وسرت عقيدة التثليث في الوثنيات القديمة كالمصرية المتمثلة في الثالوث: (أوزيريس، ايزيس، حورس).

وكذا عند الفرس: أورمزد، متراس، أهرمان.

والاسكندنافيين: أووين، تورا، فري.

والمكسيكيين: تزكتليوكا، اهوتزليبوشتكي، تلاكوكا.

ثم فلاسفة الإغريق: الذين كانت وثنية النصارى أشبه بهم من سائر الوثنيات الأخرى، فقالوا بثالوثهم المكون من الوجود، العلم، الحياة.

عدا ذلك يوجد كثيرون يطول المقام بذكرهم.

وحتى صيغة الأمانة التي انبثق عنها مجمع نيقية هي صيغة منحولة عن الوثنيات السابقة، فقد نقل المؤرخ مالفير عن كتب الهنود أنهم يقولون:

نؤمن بسافستري الشمس إله ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، وبابنه الوحيد

آني النار، نور من نور، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، تجسد من فايو الروح في بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح المنبثق من الأب والابن الذي هو الأب، والابن يسجد له ويمجد^(١).

وتذهب دائرة المعارف البريطانية إلى أن:

القالب الفكري لعقيدة التثليث هو يوناني الأصل، وصيغت فيه تعليمات يهودية، فهي من ناحية التركيب مركب عجيب للمسيحيين، لأن التصورات الدينية فيها مأخوذة من الكتاب المقدس، ولكنها مغموسة في فلسفات أجنبية^(٢).

واصطلاحات الأب والابن والروح القدس تسربت من اليهود.

والاصطلاح الأخير (روح القدس) لم يستعمله المسيح إلا نادراً.

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، ص (٢٩ - ٣٨)، المسيحية، أحمد شلبي، ص (١٥١، ١٥٨).

(٢) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير، ص (٢٩ - ٣٨)، المسيحية، أحمد شلبي، ص (١٥١، ١٥٨).

ويقول ليون جوتييه: إن المسيحية تشربت كثيرًا من الآراء والأفكار في الفلسفة اليونانية، فاللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذي صبت فيه نظرية أفلاطون الحديثة، ولذا نجد بينهما متشابهات كثيرة. وقد انتقلت فلسفة اليونان عن طريق الإسكندرية حيث ظهر أفلوطين السكندري

(ت ٢٠٧م) وكان يقول بالثالوث: (الله، العقل، الروح)، ولذا كان أساقفة الإسكندرية من أوائل المؤمنين بالتثليث والمدافعين عنه. ويقال أيضًا أن الوثنيات قد تسربت إلى النصرانية عبر روما، وممن يقوله ولديورانت حيث يقول:

ما فتحت المسيحية روما انتقل إلى الدين الجديد دماء الدين الوثني القديم: لقب الحبر الأعظم، عبادة الأم العظمى.

ويؤيد هذا الأستاذ روبرتسون في كتابه (وثنية المسيحيين) ويرى أن هذه المعتقدات وصلت إلى روما من الفرس عام ٧٠ ق.م.

ويرى آخرون أن هذه المعتقدات انتقلت عن طريق الفكر الفرعوني القديم والذي انتقل إلى النصرانية بسبب ظروف الجوار.

فيما يرى الأستاذ حسني الأطير بأن التسرب لهذه الأفكار كان عن طريق طرسوس والتي كانت مدرسة كبرى للأدب الإغريقي، ونشأ فيها بولس، وانعكست تعاليمها فيه.

ولما كان تسرب المعتقدات الوثنية إلى النصرانية حقيقة ساطعة كالشمس كان لا بد أن تعترف بها بعض الأقلام الجريئة المنصفة.

فمن هؤلاء المهتدية إلى الإسلام مريم جميلة التي تقول: « لقد تتبععت أصول المسيحية القائمة فوجدتها مطابقة لمعظم الديانات الوثنية القديمة، ولا يكاد يوجد فرق بين هذه الديانات وبين المسيحية سوى فروق شكلية بسيطة في الاسم أو الصورة ».

ويقول أستاذ الحفريات جارسلاف كريني في كتابه ديانة قدماء المصريين: إن التثليث دخيل على النصرانية الحقة، وإنه مستورد من الوثنية الفرعونية

ويقول العلامة روبرتسون في كتابه وثنية المسيحيين: يسرني أن أسجل أن من بين المسيحيين الذين تعرضوا لكتابي هذا بالنقد والمناقشة لا يوجد واحد عارض الحقائق التي ذكرتها به، تلك التي قادتني إلى أن أقر أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية.

ويقول كُتّاب أسطورة تجسد الإله بمثل ذلك فيقولون:

إن الاعتقاد بأن المسيح هو الله أو هو ابن الله أو تجسد فيه الله ليست سوى خرافة من خرافات الوثنيين وأساطيرهم الأولى، وكعادة النصارى ولعهم بغريب النتائج. يقول صابر جبرة، وهو يقر بوجود التشابه بين تثليث النصرانية وتثليث قدامى المصريين.

فيقول: إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث في المسيحية، المسيحية التي لم يذكر فيها التثليث إلا مرة واحدة وعلى استحياء في آخر إنجيل متى.

من ذلك كله لا يسعنا إلا القول أن التثليث عقيدة منحولة من تلك الديانات الوثنية التي ضلت عن الفطرة، وابتعدت عن هدي النبوات وعبدت غير الله العظيم^(١).

وصدق الله العظيم وهو يخبرنا عن مصدر الكفر الذي وقع به النصراني فيقول: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يَكُونُوا ﴾.

وفي كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير، باكستان ١٤١٤هـ. أقام المؤلف مشابهاً مهمة جداً بين نصوص تكاد تكون حرفية حول اعتقادات وثنية قديمة مثل التثليث، والألوهية، والصلب، والتعميد وبين النصرانية، وإن العجب ليستولي على القارئ عندما يقف على المقارنة المعقودة بين ما يقوله الهنود الوثنيون عن كرشنه وبوذا وبين ما يقوله المسيحيون عن المسيح^(٢)! فالشبه بينهما يكاد يكون في جميع الوجوه، حَذْوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ.



(١) كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير، باكستان ١٤١٤هـ ص ٩٣-١٢١

(٢) كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير، باكستان ١٤١٤هـ ص ٩٣-١٢١

المبحث الثالث:

بيان كفر النصارى كما جاء في القرآن والسنة.



المطلب الأول: بيان كفر النصارى.

جاءت آيات القرآن والسنة ببيان كفر النصارى، وأنهم من أهل النار المخلدين فيها أبداً، سواء كانت دعواهم في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة، بل أن دين الإسلام جاء ناسخاً لكل الأديان السابقة، هذا حتى بفرض صحتها، فكيف إذا قامت على باطل، وتم التحريف والتبديل فيها.

والذي قال بكفر النصارى: هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وليست هي دعوى لأفراد من الناس

والذي قال بكفر النصارى: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليست هي دعوى لأفراد من الناس

فكفرهم جاء بأدلة صريحة واضحة لا لبس فيها من القرآن والسنة، لا دخل لأراء الناس فيها ولا للأهواء كما يزعم الجاهل، وهواة الانبطاح، وأدعياء الوحدة الوطنية.

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦١﴾

فهذا قسم وتأکید بین وصریح في كفر من ادعى في عيسى الألوهية، وقال أنه الله، تعالى الله عما يقولون، فليس هناك أبین ولا أوضح من هذه الكلمات في تكفير النصارى، وأنهم كفار، فلا يجوز لأحد بعد ذلك من أن ينسبهم إلى الإيمان أو يصحح اعتقادهم أو يقرهم على ما هم عليه كما يحدث في هذه الأيام من مشايخ السوء ودعاة الهوى والزيف ترضية للنصارى وتقرباً لهم ومن الحكام الطواغيت الذين لا يقيمون لدين الله تعالى وزناً، بل همهم إرضاء أمريكا وإسرائيل المتسلطة على رقابهم.

وبعد أن حكم الله عزَّجَلَّ بكفرهم وضلالهم وفساد وبطلان قولهم، بين سبحانه أنه هو الإله الواحد المتصرف في هذا الكون الذي بيده ملكوت كل شيء وهو المالك للأمر كله عزَّجَلَّ المتصرف في الملك كله لا المسيح ولا أمه ولا أحد غيرهما، فقال تعاليف لمن يملك من الله شيئاً) أي من الذي يطيق أن يدفع من أمر الله جل وعز شيئاً فيرده إذا قضاها إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) أي من ذا الذي يقدر أن يرد من أمر الله شيئاً إن شاء أن يهلك المسيح ابن مريم بإعدامه من الأرض وإعدام أمه مريم، وإعدام جميع من في الأرض من الخلق جميعاً، يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهؤلاء الجهلة من النصارى لو كان المسيح كما يزعمون أنه هو الله، وليس كذلك لقدر أن يرد أمر الله إذا جاء بإهلاكه وإهلاك أمه، وقد أهلك أمه فلم يقدر على دفع أمره فيها إذ نزل ذلك، ففي ذلك لكم معتبر إن

اعتبرتم، وحجة عليكم إن عقلتم في أن المسيح بشر كسائر بني آدم، وأن الله عَزَّجَلَّ هو الذي لا يغلب ولا يقهر ولا يرد له أمر، بل هو الحق الدائم القيوم الذي يحيي ويميت، ويبدئ ويعيد، وهو حي لا يموت.

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً وحاكياً بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه (قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً)، أي لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يمنعه منه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ثم قال (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء (أي جميع الموجودات ملكه وخلقها وهو القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتتابة إلى يوم القيامة^(١)).

ومن الآيات الحاكمة بكفرهم أيضاً قوله تعالى من سورة المائدة:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٣/ ٦١).

قال ابن كثير في قصص الأنبياء: حَكَمَ تَعَالَى بِكُفْرِهِمْ شَرَعًا وَقَدْرًا، فَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا صَدَرَ مِنْهُمْ مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ إِلَيْهِمْ هُوَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَقَدْ بَيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ فِي الرَّحْمِ دَاعٍ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ بِالنَّارِ وَعَدَمِ الْفَوْزِ بِدَارِ الْقَرَارِ وَالْخَزْيِ فِي الدَّارِ وَالْآخِرَةِ وَالْهَوَانِ وَالْعَارِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (١).

وقال في تفسيره: يقول تعالى حاكمًا بتكفير فرق النصارى: من الملكية واليعقوبية والنسطورية ممن قال منهم بأن المسيح هو الله تعالى الله عن قولهم وتنزهه وتقدس علوًا كبيرًا هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال إني عبد الله ولم يقل إني أنا الله ولا ابن الله بل قال: (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا) إلى أن قال: (إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته أمرا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له ولهذا قال تعالى: (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله)، أي فيعبد معه غيره (فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة،.

(١) قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ، (٢/٤٠٥).

ولهذا قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)، أي وماله عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه^(١).

وقال سبحانه مبيناً ومؤكداً كفر الذين يقولون بالتثليث من النصارى أهل الزور والضلال

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثُلُثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْتَ يَوْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَنْعَبُدُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ سورة المائدة

أنزلت هذه الآيات في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك فقليل المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأفانيم الثلاثة

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٣/ ١٤٢).

وهو: أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً

قال ابن جرير وغيره: والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقسام وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة^(١) وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي وهي كقوله تعالى في آخر السورة: (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك) الآية وهذا القول هو الأظهر.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ أي ليس متعددًا بل هو وحده لا شريك له إنه جمع الكائنات وسائر الموجودات، ثم قال تعالى متوعدًا لهم ومتهددًا: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾، أي من هذا الافتراء والكذب، ﴿لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الآخرة من الأغلال والنكال.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى

(١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٣/ ١٤٣).

التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه^(١).

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بَيِّنَتْ لَهُمْ
الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾

أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَعْمَنَّا عَلَيْهِ وَحَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، قوله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي مؤمنة به مصدقة له وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبية، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا لَّا نُؤَيِّحُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ الإجماع على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما فهما عبدان كسائر الناس وليسا بالهين كما زعمت فرق النصراني الجهلة عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ثم قال تعالى: (انظر كيف نبين لهم الآيات)، أي نوضحها ونظهرها، (ثم انظر أني يؤفكون)، أي ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأي قول يتمسكون وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون.

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت (٣/ ١٥٨).

﴿ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

يقول تعالى منكرًا على من عبد غيره مبيِّنًا له أنها لا تستحق شيئًا من الإلهية فقال تعالى قل يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ودخل في ذلك النصارى وغيرهم، ﴿ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ ، أي لا يقدر علي دفع ضرر عنكم ولا إيصال نفع إليكم، ﴿ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ، أي السميع لأقوال عباده العليم بكل شيء فلم عدلتم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئًا ولا يملك ضرًا ولا نفعًا لغيره ولا لنفسه .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا
أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ
السَّبِيلِ ﴾

قال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق)، أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال .

وقال سبحانه في آيات هي غاية في العظمة والجلال، فيها سؤال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أمام الأشهاد يوم القيامة، وليس هذا سؤال استفسار إنما ليبين للنصارى يوم القيامة مدى الخسران الذي حاق بهم، وأنهم كانوا على ضلال، وأن عيسى الذي عبدوه وألهوه بريء منهم وأنه لم يأمرهم بذلك طرفة عين.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلٰمُ الْغُيُوبِ ۗ﴾.

هذا أيضا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله يا عيسى ابن مريم: (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)، وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد.

وبيان فساد دين النصارى، وأنهم واقعون تحت سخط الله تعالى، لأنهم اتخذوا آلهة من دونه فألهوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمه، لذلك يتبرأ منهم عيسى يوم القيامة.

﴿قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۗ﴾ وهذا توفيق

للتأدب في الجواب الكامل.

﴿إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ﴾، أي إن كان صدر مني هذا فقد علمته

يا رب فإنه لا يخفى عليك شيء فما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرتته ولهذا قال: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهذه البراءة التامة مما عليه النصارى اليوم من إدعاءهم في عيسى، وأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يأمرهم بشيء من ذلك ولا بمثقال ذرة مما عليهم عليه من الباطل.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ بإبلاغه أن اعبدوا الله ربي وربكم أي ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه أن اعبدوا الله ربي وربكم أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم أي كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد.

﴿إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله عَزَّوَجَلَّ فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ومتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام بها ليلة حتى الصباح يرددّها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: يُلْقَى عَيْسَى حُجَّتَهُ فَلَقَاهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: (وَإِذْ قَالَ

اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَاهُ اللَّهُ ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي﴾ (الآية كُلُّهَا) .

ومن الآيات الدالة على كفرهم ما ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة البينة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ .

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ وهم اليهود والنصارى والمشركون هم عباد الأصنام لم يكونوا منفصلين عما هم عليه من الديانة تاركين لها إلى غاية مجيء البينة لهم فلما جاءتهم البينة. وهي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه انفكوا أي انقسموا فمنهم من آمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه والدين الإسلامي ومنهم من كفر فلم يؤمن وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة ٦)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي بالإسلام ونيبه وكتابه هم اليهود والنصارى.

﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾: أي شر الخليقة.

أخبر تعالى أن من كفر به من أهل الكتاب ومن المشركين هم في نار جهنم خالدين فيها هذا حكم الله فيهم لكفرهم بالحق واعراضهم عنه بعد ما جاءتهم البينة وعرفوا الطريق وتنكبوه رضا بالباطل واقتناعا

بالكفر والشرك بدل الإيمان والتوحيد هؤلاء الكفرة الفجرة هم شر الخليقة كلها.

المقصود أننا أردنا أن نثبت أن النصارى بل أهل الكتاب كلهم كفار مخلدون في النار ولن ينجو منهم إلا من تاب إلى الله تعالى ودخل في دين الإسلام.

والنصارى كفروا من عدة أوجه من حيث ادعوا أن عيسى هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة أو ألهاوا أمه معه، وكفروا من تكذيبهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعدم اتباعه واتباع دبنه، وكفروا من تحريفهم لكتاب الله المنزل عليهم (الأنجيل) وتبديلهم ووضعهم للكتب بأيديهم وإدعاء أنها كلام الله وهي كذب وافتراء عليه، ومن صور كفرهم كذبهم على الله تعالى ومن الآيات الدالة على كفرهم غير ما سبق:

قال تعالى ﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾، البقرة (١٠٥)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ٦٤)

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ ﴿٦٩﴾
 آل عمران ٦٩ / ٧٠.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ آل عمران ٧٥-٧٧ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٨١﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ نَبَّغْنَاهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فِرْقَانًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿٨٣﴾ آل عمران ٨١-٨٣ ﴾

﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا نَفَقُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٤﴾ آل عمران ١١٢. ﴾

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿المائدة ١٤-١٥﴾

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿المائدة ٦٨-٧٠﴾

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿المائدة ٧٧-٨١﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ البينة ٦

ولعل هذا القدر من الآيات الناطقة بخسران وهلاك وكفر من يتبغى غير الإسلام ديناً كافياً

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ ﴾ آل عمران ١٩
وقال سبحانه: وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران ٨٥

المطلب الثاني: مصير النصراني يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ .

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَمِعَ بِي مِنْ أُمَّتِي أَوْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِي لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ .

وهذا أيضًا مما يعلم به كفرهم، وأنهم من أهل النار خالدين فيها أبداً.

والأحاديث صريحة في أن من سمع بالنبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أرسل به، ثم لم يؤمن به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مصيره إلى النار، لا فرق في ذلك بين يهودي أو نصراني أو مجوسي أو لا ديني .

عن سعيد بن جبير قال: ما بلغني حديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله عَزَّجَلَّ حتى بلغني أنه قال: لا يسمع بي أي أحد من هذه الأمة لا يهودي، ولا نصراني، ثم لم يؤمن بما أرسلت به إلا دخل النار

قال سعيد: فقلت أين هذا في كتاب الله؟ حتى أتيت على هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾، قال: من أهل الملل كلها.

عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ قال: هم اليهود، والنصارى، ومن لم يكن على ملة الإسلام يتمثل له يوم القيامة صورة ما كان يعبد من صليب، أو صورة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو صورة عزيز أو غير ذلك من وثن ونحوه، ثم يؤمرون باتباعهم فيتبعون هذه الصور فيتساقطون في جهنم خلفها^(١).

فعبدة الصلبان والمسيح والأوثان هم من أهل النار، لأنهم أهل شرك وضلال ويفترون على الله الكذب من اتخاذ صاحبة والولد، ويكذبون على نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيدعون أنه إله أو ابن إله، وأنه تم صلبه على الصليب، فيكذبون على نبي كريم، ويكذبون القرآن العظيم الذي بين أن عيسى عبد الله ورسوله وأنه بشر خلقه الله تعالى من تراب، وأنه لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إلى السماء، فجزاء لما عليه

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة (٦/ ٢٠١٥).

النصارى من باطل يتمثل لهم صليهم يوم القيامة فيتبعونه فيهوى بهم في النار، ويتمثل لهم صورة عيسى وليس هو على الحقيقة فيتبعونه فيهوى بهم في النار.

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا، ثُمَّ قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَعُجْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يَقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ (١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: أَلَا يَتَّبِعُ

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ. (١٢٩/٩) رواه برقم (٧٤٣٩).

كُلِّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَمَثَلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلَيبُهُ، وَلِصَاحِبِ
التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ، فَيَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يجمع
الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا أربعين سنة، شاخصة
أبصارهم ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله عَزَّ وَجَلَّ في ظلل من الغمام،
من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم
الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولي
كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا؟ أليس ذلك عدلا
من ربكم؟ قالوا: بلى، فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في
الدنيا، فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق
إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر والأوثان من الحجارة وأشباه
ما كانوا يعبدون، ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن
كان يعبد عزيزًا شيطان عزيز^(٢).

(١) حديث حسن، أخرجه أحمد ٢/ ٣٦٨ (٨٨٠٣) قال: حدثنا هيثم، قال: حدثنا
حفص بن ميسرة. (ح) وحدثنا قُتَيْبَةُ، قال: حدثنا عبد العزيز. و«الترمذي»
٢٥٥٧ قال: حدثنا قُتَيْبَةُ، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد. و«النسائي» في
«الكبرى» ١٥٠٥ وكذلك أحمد (٨٨١٧) وابنه في «السنة» (٤٣٦).

(٢) صحيح التِّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٣٥٩١)، حاشية السندي على ابن ماجه (٨/
١٥٩) تحفة الأحوذى (٩ / ٢٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ، وَقُلْتُ أَنَا مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ (١)

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَاتُ؟ فَقَالَ: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ (٢)

قال النووي: أما دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي، والنصراني، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام، وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك انتهى (٣)

ومن هنا يتبين خطورة قضية الإتياع، فمن اتبع شيئًا في الدنيا، كان تابعًا له كذلك يوم القيامة، كما يتبين أهمية قضية الولاء والبراء، ووجوب التنبيه عليها، وسقوط دعاوى أدعاء الوحدة والتقارب بين المسلمين وبين اليهود والنصارى، وإبطال دعوة وحدة الأديان، فإن الدين عند الله

(١) صحيح البخاري برقم: ١٢٣٨.

(٢) صحيح مسلم (١/٩٤)، برقم: ١٥١.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، (٢/٩٧).

الإسلام وأن أي ديانة أخرى فإن مصير أهلها إلى النار، فعلى المسلم ألا يغتر بأصحاب هذه الدعاوى الكاذبة، فإنما هم دعاة على أبواب جهنم.

والنصارى وقود النار، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

فبين الله تعالى أن النصارى من أهل النار وهم وقودها ومن أهل الخلود فيها، هم وكل من أشرك بالله شيئاً أو عبد من دونه شيئاً.

قال ابن إسحاق: وجلس الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش. فتكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعرض له النضر فكلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءَ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾، ثم قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس، فقال الوليد

بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفا وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبيري: أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا: أكل من يعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزاً، والنصارى تعبد عيسى، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخاصم.

فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَذَّوْنَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾.

أي: عيسى ابن مريم وعزيراً ومن عبد من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى. ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ والآيات بعدها، ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبيري قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ۗ آءِآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۗ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾، وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن لفظ: (ما) لما لا يعقل.

فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي

كانت صور أصنام ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ولا المسيح ولا عزيزاً ولا أحدًا من الصالحين لأن الآية لا تتناولهم لا لفظاً ولا معنى، فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾^(١).



(١) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، (٥٣/٢).

المبحث الرابع:

أسباب تحريف النصرانية وضياع الإنجيل

الحق الذي جاء به عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



المطلب الأول: أسباب تحريف النصرانية.

على أن هنالك أسبابًا كثيرة تُعتبر هي من العوامل الرئيسية التي أدت إلى تحريف النصرانية و في ضياع الإنجيل الحقيقي، ألا وهي:

أولاً:

الاضطهاد العظيم الذي لاقته الكنيسة، وعلى رأسهم تلاميذ المسيح على أيدي اليهود، الذين حاولوا منعهم من نشر دعوتهم، وكذلك على أيدي حُكَّام الرومان الوثنيين والملاحدة، الذين ما تركوا وسيلة من وسائل التعذيب الوحشي إلاَّ وعذبوا بها المسيحيين الأوتال! ١ - بدأ ذلك في عهد (طياروس) الإمبراطور الروماني الذي عاصر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد حكَّم من الفترة الواقعة بين (١٤ - ٣٧)، وجاء بعده قيصران كانا أشدَّ قسوة على المسيحيين: أحدهما: الإمبراطور الروماني (نيرون) (٥٤ - ٦٨م)، والذي اتَّهمهم بإحراق مدينة (روما)، وقد تفنَّن في تعذيبهم، فكان يُلبسهم جلود الحيوانات، ويرميهم للكلاب تمزِّقهم، وكان يحكم عليهم بالقتل الجماعي!

٢- الإمبراطور (تراجان(٥٣ - ١١٧م)، الذي أمر وولاته في الأقاليم التابعة له بتعذيب النصارى، وإعدام كل من كان مسيحياً!
وبعد موت (تراجان(تنفس المسيحيون الصُّعداء، وكانت معاملة الأباطرة الذين خلفوه في الحُكم حسنة، حتى جاء الإمبراطور (ديكيوس(٢٤٩ - ٢٥١م)، الذي أصدر مرسوماً باضطهاد كل من هو مسيحي، وكان يأمر من قبض عليه بتهمة المسيحية أن يُقدّم قرباناً إلى الهيكل الوثني، فإذا رفض كان هو الذبيحة المقدّمة للهيكل!

٣- ثم في عهد (دقلديانوس(٢٨٤ - ٣٠٥م) أراد الأقباط في مصر التحرّر من قيصر الرومان وأغلاله، فطالبوا بالحرية، وأمروا أحدهم، مشفقين بذلك عن الإمبراطورية، فجاء (دقلديانوس(بقوته إلى مصر، فحرّق كنائسهم وكُتبتهم، وأعمل فيهم القتل؛ حتى قيل: إنه قتل منهم (٣٠٠) ألف قبطي، فكانت كارثة من أعظم الكوارث التي حلّت بهم!

٤- سُميت قصة أصحاب الأخدود بهذا الاسم نسبة إلى الأخدود الذي أشعل فيه النار وألقي فيه المؤمنون بالدين الجديد، ومعني أخدود جمع أخاديدٌ و خُدَد وهو شقٌّ مستطيل غائر في الأرض، ذكرت بعض المصادر أن مرتكب هذه المحرقة هو يوسف بن شراحيل وكانت في نجران، إلى جانب ارتكابه عدد من الجرائم الأخرى بحق المسيحيين في المخا و ظفار يريم وأجزاء من مأرب وحضر موت.

يشير ابن إسحاق وأبو صالح عن ابن عباس في السيرة أن قوم الأخدود هم نصارى نجران. وقال الضحاك أن أصحاب الأخدود هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه، وقال الكلبي أن أصحاب الأخدود هم نصارى نجران، أخذوا بها قومًا مؤمنين، فخذوا لهم سبعة أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعًا، وعرضه اثنا عشر ذراعًا.

ثانيًا: أُعلنت على النصارى حربان.

١- الأولى حرب الإبادة من السُّلطات الرومانيَّة على مَنْ ينتمي إلى المسيحية، أو يقتني أيَّ شيءٍ يدلُّ على ذلك من أوراق أو أسفار أو رسائل.

٢- والأخرى الحرب الفكرية التي قام بها الكُتَّاب اليهود، وكُتَّاب الوثنية الرومانيَّة؛ لإفساد الديانة، تمثَّلت في حَرْق الكتب؛ سواء أكانت أسفارًا أو مؤلِّفات عادية، أو بطريق آخر كان أشرس وأعنف وأخطر، ألا وهو تزوير ما يقُدِّسه المسيحيون، عن طريق انتحال أناجيل ورسائل، ونسبها إلى المسيح وتلاميذه!

وقد كان أسهل شيءٍ انتحال الرسائل والأناجيل، ونسبها إلى تلاميذ المسيح، أو مَنْ تبعهم من الجيل الأول؛ لإضفاء الشرعية عليها، وكان هذا منتشرًا كثيرًا، أضف إلى ذلك كله أن التحريف كان يتمُّ من

خلال السلطة الحاكمة، وضمن قرارات إمبراطورية تُعَمَّم على مستوى الإمبراطورية، ويؤمَر بها بين الناس، وهذا أمر خطيرٌ، ولا يُمكن إغفاله، وتجهيل أثره وفقاً لمنطق العقل والتاريخ.

ولكن الاضطهاد قد فُشل في إزالة الديانة كمفهوم ومُسمًى، ولكنه نجح في إدخال الفلسفات الرومانية على التوحيد اليهودي، والذي ما جاء المسيح إلا ليقبضه، كما أنه نجح في إبادة الكتب المقدسة أثناء حملاته طيلة ثلاثة قرون متتالية؛ لأنَّ المسيحية كانت تضاد الديانة الوطنية، وهي الوثنية الوثنية الرومانية، والتي حاول الأساقفة تطبيع ودمج هذه بتلك؛ تفادياً لعداء الدولة الرومانية، وإثر ثلاثة قرون من الاضطهاد، ومن باب التقية والخوف السياسي، والضعف البشري، تزاوج التوحيد بالوثنية، فوُلدت مسيحية حُبلى بالثالث الروماني ومفاهيمه من تثليث، وصلب، وتجسيد، وفداء!

ثالثاً: اختلافات المجامع وتقرير العقائد.

جاء عهد الملك قسطنطين، وكان هو أوَّل من آمن من أباطرة الرومان بالنصرانية، فكان عهده بداية عهد الرخاء بالنسبة للمسيحيين، حتى إنه يُطلق عليه (العصر الذهبي للنصارى)، وقد سعى قسطنطين إلى استمالة النصارى؛ لكسب تأييدهم له لفتح الجزء الشرقي من الإمبراطورية؛ حيث يكثر عددهم، فأعلن مرسوم (ميلان) الذي يقضي بمنحهم الحرية في الدعوة، والترخيص لديانتهم ومساواتها بغيرها من ديانات الإمبراطورية الرومانية، وشيّد لهم الكنائس، وكان عهده نهاية أسوأ مراحل التاريخ النصراني قسوةً.

وبدأت المرحلة الثانية من تاريخ النصرانية، وهي مرحلة (المجامع)؛ إذ كَثُرَت الخلافات كما بَيْنَا بعد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بين أتباعه؛ نتيجة كثرة المُعارضين للعقائد الدخيلة من أنصار دعوة التوحيد، أو من الذين ما زالوا على بقايا دعوة المسيح، أو حتى من الذين لم يعتقدوا بعقيدة أو بأخرى، كَمَنْ كان يُنكر لاهوت المسيح، أو مَنْ كان يُنكر ألوهية الرُّوح القدس، وكانت الطريقة المتَّبعة لحلَّ كل خلاف هو عمل اجتماع يحضره الأساقفة؛ لوضع قانون نهائي أو رأي فاصل فيه.

وكانت النتيجة النهائية لكلِّ مجمع هي؛ إما موافقة الجميع على القانون، فيُصبح أساسًا في التشريع النصراني، أو أن يحدث خلاف على القانون، فينتج عنه انشقاقٌ في صفوف الكنيسة، ولكن دائمًا ما كانت ترجح كِفَّة رجال الدِّين الذين تدعمهم السلطة السياسية بحسب ما تتفق أهواؤهم ومصالحهم.

وهذه أهم ثلاثة مجامع تمَّت وأحدثت أعظمَ التغييرات في الديانة النصرانية^(١):

١ - مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م.

عُقد هذا المجمع للخلاف حول ألوهية السيد المسيح، فقد نادى البعض بألوهية السيد المسيح (أثناسيوس وأتباعه)، ورفضها البعض

(١) المجامع ثلاثة أنواع: مجامع مسكونية؛ أي: عامة، تجمع كلَّ رجال الكنائس المسيحية، ومجامع محلية أو إقليمية؛ أي: خاصة بإقليم مخصوص، ومجامع مليية؛ أي: خاصة بطائفة دون غيرها.

(أريوس وأتباعه)؛ مما دعا الإمبراطور قسطنطين لدعوة جميع كنائس العالم للاجتماع، وكانت قراراتها كالاتي

أ- القول بألوهية المسيح ونزوله ليُصَلب تكفيراً عن خطيئة البشر.

ب- اختار المجمع الكتب وبعض الرسائل؛ لتكوين الكتاب المقدس، وتدمير ما عداها من رسائل وأناجيل.

ج- إصدار قانون الإيمان النيقاوي.

٢- مجمع (القسطنطينية الأول) سنة ٣٨١ م.

عُقد لمناقشة وبحث ألوهية الروح القدس؛ حيث لم يكن الروح القدس جزءاً من الأفانيم الثلاثة طيلة القرون السابقة، وكانت أهم قرارات المجمع:

أ- اعتبار الروح القدس إلهاً.

ب- إضافة الجزء الثاني من قانون الإيمان الذي بدؤوه بقولهم: (نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب....).

- وبذلك اكتمل الثالوث بألوهية الابن في مجمع نيقية، وألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية.

٣- مجمع (أفسس الأول) سنة ٤٣١ م.

بعد أن حدث اختلاف في طبيعة المسيح وفي مريم العذراء، تم

تقرير الآتي:

أ- المسيح له طبيعة واحدة ومشيدة واحدة، طبيعة إلهية ممزوجة بطبيعة بشرية.

ب- أن العذراء وُلدت إلهًا، وتُدعى لذلك أم الإله!

ج- وضع مقدمة قانون الإيمان الذي بدؤوه: (نُعظّمك يا أمّ النور الحقيقي، ونمجّدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله...!).

إلى غير ذلك من المجامع المسكونية والمحلية التي كان نيتها تحريف دين المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وصنع دين آخر جديد، فلم تبق على هيئتها التي أنزلها الله على عبده ورسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بل تحوّلت الديانة السماوية إلى ديانة وثنية، فقدت أصولها ومعانيها، وحلت محلها أصول أخرى.

المطلب الثاني: الأصول التي فقدتها المسيحية و العقائد

الدخيلة.

أولاً: الأصول التي فقدتها المسيحية.

- ١- التوحيد والإيمان بالإله الواحد الحق، ورسوله الذي أرسله.
- ٢- التأكيد على استمرار العمل بشريعة التوراة.
- ٣- المُنادة بالتوبة إلى الله.
- ٤- الإيمان بإنجيل المسيح - عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ٥- البشارة بما هو آتٍ من بعد بعثته - عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثانياً: العقائد الدخيلة التي أصبحت هي الأصول في الديانة

النصرانية.

١ - الخطيئة والفداء:

هذه الخطيئة هي الأساس الأوّل الذي قامت عليه كلُّ عقائد النصراني، فعلى أساسها جعلوا عيسى إلهًا - تجسّد وُصَلِبَ وقامَ - حيث يعتقد النصراني أنّ آدم خلقه الله ووضع في الجنة، وأمره ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، ولكنّ آدم لم يمتثل لأمر الله، حيث أغواه الشيطان، فأكل من الشجرة، فأصبح عند آدم خطيئة يتوارثها الأبناء والأحفاد، وبما أنّ هذه الخطيئة حدثت في غير محدود وهو الله، فلا بد أن يكفّر الخطيئة أيضًا غير محدود، وبما أنّ هذه الخطيئة عظيمة جدًّا، لدرجة أنها لا يمكن أن تغفر بالوسائل العادية، وبما أنّ الله مُتَّصِفٌ بصفة الرحمة، فإنّ هذه الصفة تستوجب العفو، فتتج تناقض بين عدل الله وبين رحمته، فتطلب الأمر شيئًا يجمع بين العدل والرحمة، فكانت الطريقة الوحيدة لكي يغفر الله للبشرية هذا الذنب - الذي لم يرتكبه - هي الفدية، وهي أن يسلم الله نفسه أو ابنه؛ لكي يعلّق على الصليب ويُقتل، فاتّحد اللاهوت والناسوت في بطن العذراء مريم، فتتج عن هذا الاتحاد إنسان كامل من حيث هو وكدها، وكان الله في الجسد إلهًا كاملاً، وقد تمثّل هذا كله في المسيح الذي أتى ليكون (فدية)، فضحّي الله بابنه الوحيد من أجل أن يغفر الخطيئة العظيمة للبشرية!

٢- التثليث: يتفق النصارى جميعاً على أن الله ثلاثة، ويسمونها (ثلاثة أقانيم) وهي: الأب، والابن، وروح القدس، ثم يقولون: إن الثلاثة واحد، ولكنهم يختلفون في معنى الأقنوم، وفي طبيعة كل أقنوم وخصائصه اختلافاً كبيراً، وما يزالون على مدار ألفي سنة يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً بسبب ذلك.

ويشهد التاريخ الأوروبي أن ضحايا هذه الاختلافات فيما بينهم تفوق من قتل منهم على أيدي المسلمين واليهود والمجوس أضعافاً كثيرة.

والعجيب أن من أسباب هذا الاختلاف عدم تصور حقيقة التثليث، حتى اعتقد بعض علمائهم أنه لا يمكن معرفته إلا يوم القيامة عندما تتجلى الحقائق.

٣- ألوهية المسيح: فالمسيح هو الأَقنوم الثاني في اللاهوت، وهو ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، إله حق من إله حق، ومساوٍ للأب في الجوهر.

٤- ألوهية الروح القدس، فالرُّوح القدس هو الأَقنوم الثالث في اللاهوت، وهو ليس مجرد تأثير أو صفة، بل هو ذاتٌ حقيقية، وشخص حي، وأقنوم متميز، ولكنه غير مُنفصل، وهو مُشترك مع الأب والابن في جوهر واحدٍ، ولاهوت واحد.

٥- الحساب والدينونة: يعتقدون أن المسيح قام من القبر بعد ثلاثة أيام، ومكث بعد قيامته هذه أربعين يوماً، ثم ارتفع بعدها إلى

السماء، وجلس بجوار الربِّ في زعمهم - وسيأتي ليدينَ الناس يوم القيامة، وله بهذا المُلك الأبدي، فلا فناء لمُلكه.

٦- **عِصمة البابا ورجال الكنيسة**، وهذا ما دفعهم إلى أن يعتقدوا أن رجال الكنيسة هم وحدهم من يملكون قبول التوبة وغفران الذنوب، ففتح باب الاعتراف أمام القساوسة، وهذا الاعتراف يُسقط عن الإنسان الذنب، ويُطهره منه تمامًا! يقبله.

٧- التوسط والتحليل والتحرير:

تؤمن المسيحية المحرفة بالتوسط بين الله والخلق في العبادة، وهذا التوسط هو مهمة رجال الدين، فعن طريقهم يتم دخول الإنسان في الدين واعترافه بالذنب، وتقديم صلواته وقرابينه، وقد أدى هذا إلى أن يتحول رجال الدين إلى طواغيت يستعبدون الناس ويحللون لهم ويحرمون من دون الله، كما قال الله تعالى: ﴿ اُنْخَذُواْ اَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَنُهُمْ اَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللّٰهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد فسر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادتهم بأنها طاعتهم في التحليل والتحرير، كما في حديث عدي بن حاتم، وما يزال النصارى إلى اليوم إذا رأوا أن المصلحة تقتضي تحريم شيء أو تحليله، يطلبون ذلك من (البابا) ورجال الدين، فتصدر القرارات التي قد تخالف نصوص الإنجيل.

وقد أدى هذا المبدأ إلى نتائج سيئة؛ منها: إصدار صكوك الغفران، واحتكار رجال الدين للعلم والقراءة والكتابة قرونًا طويلة.

٨- الإيمان بالكتب المقدسة عندهم (العهد القديم والعهد الجديد) وهي الرسائل والأنجيل المحرفة.

٩- عقيدة القيامة أو ما يسمونه بقيامة المسيح من خلال كتبهم

المحرفة:

موت وقيامه يسوع هي من أهم الأحداث التي يرويها الكتاب المقدس عن حياة يسوع المسيح، حيث يذكر العهد الجديد أن يسوع صلب في يوم الجمعة بيد الرومان، بعد أن قدمه رؤساء كهنة اليهود للحاكم الروماني بيلاطس البنطي ليقتل بتهمة أنه يحرض الشعب على قيصر، وفي اليوم الثالث أي الأحد قام من بين الأموات بحسب المعتقدات المسيحية^(١).

يحتفل السواد الأكبر من المسيحيين بمناسبة صلب المسيح في يوم الجمعة العظيمة بذكرى قيامته وصعوده وجلوسه الي يمين الأب يوم أحد الفصح من كل عام، مع اختلاف تحديد يوم عيد الفصح بين الطوائف التي تتبع التقويم الشرقي وتلك التي تتبع التقويم الغربي^(٢).

(١) نسخة محدثة من Nicene Creed أضيفت في مجمع القسطنطينية الأول في ٣٨١ م، في نورمان تانر، تاريخ قصير جديد للكنيسة الكاثوليكية، صفحة ٣٣ (Burns & Oates، ٢٠١١). ISBN ٩٧٨-٠-١٢-٨٦٠١٢-٤٥٥-٩، ماثيو هنري pointed

out that سفر هوشع ٦:٢

(٢) الآباء الرسولون مع جوستين الشهيد و- إيريناوس - مكتبة أثريوس المسيحية الكلاسيكية نسخة محفوظة ١٦ مايو ٢٠٠٨ على موقع واي باك مشين.

وتحتفل الكنيسة بيوم الأحد كيوم ذكرى قيامة المسيح منذ فجر المسيحية، كما أورد ذلك القديس جيروم في منتصف القرن الثاني للميلاد^(١).

وفي اليوم الثالث، وحسب الرواية التي انفرد بها إنجيل متى وضع الرومان حراسة على القبر بناءً على طلب المجلس الأعلى لليهود خوفاً من أن يقوم التلاميذ بسرقة الجثمان. وفي اليوم الثالث - أي يوم الأحد - زارت بضع النسوة وهم أنفسهن اللواتي وقفن تحت صليب يسوع باستثناء مريم أمه القبر فوجدنه فارغاً، بينما الجند الموكولين حراسته (كأنهم موتى). ثم ظهر ملاك أخبر النسوة، بأن المسيح حي وقد قام من بين الأموات^(٢).

هذه رواية الأناجيل الإزائية، وهي تختلف فيما بينها بعدد النسوة وبعدها الملائكة غير أنها واحدة في خطوطها العامة، أما في إنجيل يوحنا فلا يذكر من النسوة سوى مريم المجدلية، وهي عندما لم تجد الجثمان عادت فأخبرت بطرس ويوحنا بن زبدي، فحضروا إلى القبر ليجدوا الأكفان ثم رجعا إلى المدينة^(٣)

(١) قيامة يسوع المسيح من الموت، بريشة نويل كوييل ١٧٠٠. وتظهر في الأيقونة الملاك المبشر والجند ومريم المجدلية، فتعكس جانباً من الأحداث اللاحقة للقيامة وفق رواية الأناجيل (هكذا في الصورة) ونويل هذا رسام تاريخ فرنسي.

(٢) كتاب يسوع المسيح شخصيته تعاليمه، القس بولس الياس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ص ١٤٨.

(٣) يوحنا ٢٠/٧

أما مريم المجدلية فقد ظلت عند القبر تبكي، فظهر لها ملاكان ثم ظهر يسوع نفسه^(١). ليكون بذلك أول ظهور له بعد القيامة كذلك فقد ظهر في اليوم الأول من قيامته حسب العقائد المسيحية، إلى تلميذين من تلاميذه على طريق قرية عمواس، وقد عرفاه عند كسر الخبز^(٢)

وفي المساء ظهر للتلاميذ مجتمعين دون توما ثم ظهر بعد ثمانية أيام وتوما معهم؛ إذ كان توما قد رفض الإيمان ما لم يضع إصبعه في مكان المسامير - كما جاء في إنجيل يوحنا - قال له يسوع: (هات إصبعك إلى هنا وانظر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي. ولا تكن غير مؤمن بل كن مؤمناً). فهتف توما: (ربي وإلهي). فقال له يسوع: (ألأنك رأيتني آمنت، طوبى لمن آمنوا ولم يروا)^(٣). وكذلك فقد ظهر لثلاثة من التلاميذ على شاطئ بحيرة طبرية، وبحسب رواية العهد الجديد فإن يسوع قد ظهر مرات أخرى عديدة لم تدون، (وأثبت لهم أنهم حي براهين كثيرة قاطعة. وحدثهم عن ملكوت الله)^(٤).

وبعدها صعد إلى الجليل بحسب إنجيلي متى ومرقس وجبل الزيتون حسب أعمال الرسل وكان من آخر كلماتهم: (ستنالون قوة

(١) يوحنا ٢٠/١٧.

(٢) لوقا ٢٤/٣٠.

(٣) يوحنا ٢٠/٢٧ - ٣٠.

(٤) أعمال ١/٣.

من الأعالى؁ متى حل الروح القدس عليكم؁ وتكونون لي شهودًا في
أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض^(١)
ومن ثم حجبه سحابة عن أنظارهم.



(١) أعمال ١/٨.

المبحث الخامس:

عرض لكتاب الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام.



المطلب الأول: سبب تأليف الكتاب.

أولاً المؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني.

وهو غني عن التعريف لكن فقط نقتصر على ترجمة موجزة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني (٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ م - ١٣٢٨ م) المشهور باسم ابن تيمية. هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مجتهد من علماء أهل السنة والجماعة. وهو أحد أبرز العلماء خلال النصف الثاني من القرن السابع والثالث الأول من القرن الثامن الهجري، نشأ ابن تيمية حنبلي المذهب فأخذ الفقه الحنبلي وأصوله عن أبيه وجده، كما كان من الأئمة المجتهدين في المذهب، فقد كان يفتي في العديد من المسائل على خلاف معتمد الحنابلة لما يراه موافقاً للدليل من الكتاب والسنة ثم على آراء الصحابة وآثار السلف^(١).

(١) راجع لترجمته كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام بن تيمية للعلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ (١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م)، الرياض - السعودية: دار عالم الفوائد.

ثانياً: سبب تأليف شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ لكتابه:

هو أن أحد بطارقة النصارى وعلماء دينهم اجتاز بعض أنحاء العالم الإسلامي في تركيا وغيرها، وعاد إليهم وأخذ يخطب ويقول: (إن المسلمين على دين باطل محرف، وإني قد قابلت علماءهم وناظرتهم، فأفحمتهم وأبطلت دينهم، وحطمت شبهاتهم) إلى آخر ما افتري وكذب به هذا المفترى.

فلما بلغ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ أخذته الغيرة الإيمانية، فجرد سيف الحق على هذا الباطل، وسيف الحجّة الإيمانية على تلك الشبهات المفتراة الداحضة، ففندها واحدة واحدة، وأبطل كلامهم، وجاءنا بهذا الكتاب الفذ الذي لم يكتب قبله مثله ولا بعده.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية هذا العلم العلامة الجهاد الفهامة، كم من طواغيت قد حطمها! طاغوت المنطق فنده ودمره قبل أن تعرف ذلك أوروبا بأكثر من خمسة قرون، لأن هيجل المعروف في التاريخ الأوروبي بأنه دمر أو قضى على منطق أرسطو لم يكتب شيئاً مما يقارب عشرة أو عشرين في المائة مما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ، والغريون يسمون هيجل إله العلم أو إله الفكر، تعالى الله عما يقولون!

ولو اطلعوا على كلام شيخ الإسلام ونظروا بعين الإنصاف والتجرد لكانوا يؤمنون بالله وبرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا فقط في المنطق.

وأيضًا رد على المتكلمين، في كتابه الرائع: درء تعارض العقل والنقل، وكتابه الآخر: نقض التأسيس، وغير ذلك ورد على الأشعرية، ورد على المؤولة، ورد على الرافضة بكتابه العظيم المشهور: منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية، وهنارد على اليهود والنصارى في هذا الكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

فالكتاب لا نظير له في بابيه لأنه من تأليف شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** رحمة واسعة، وإن كان شيخ الإسلام في الحقيقة لا يحتاج هو ولا كتبه إلى تعريف.

قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ نَصْرِ الدِّينِ وَظُهُورِهِ، أَنَّ كِتَابًا وُردَ مِنْ قُبْرَصَ فِيهِ الإِحتِجَاجُ لِديِنِ النَّصَارَى، بِمَا يَحْتَجُّ بِهِ عُلَمَاءُ دِينِهِمْ وَفُضَلَاءُ مِلَّتِهِمْ، قَدِيمًا، وَحَدِيثًا مِنَ الحُجَجِ السَّمْعِيَّةِ، وَالْعَقْلِيَّةِ، فَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّ نَذَرَ مِنَ الجَوَابِ مَا يَحْصُلُ بِهِ فَصْلُ الخِطَابِ، وَبَيَانُ الخِطَابِ مِنَ الصَّوَابِ؛ لِيَسْتَفِيعَ بِذَلِكَ أُولُو الأَلْبَابِ، وَيَظْهَرَ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ مِنَ المِيزَانِ، وَالكِتَابِ وَأَنَا أَذْكَرُ مَا ذَكَرُوهُ بِأَلْفَاظِهِمْ بِأَعْيَانِهَا فَصَلًّا فَصَلًّا، وَأَتَّبِعُ كُلَّ فَصْلٍ بِمَا يَنَاسِبُهُ مِنَ الجَوَابِ فَرَعًا وَأَصْلًا، وَعَقْدًا وَحَلًّا.

وَمَا ذَكَرُوهُ فِي هَذَا الكِتَابِ هُوَ عَمْدُهُمُ التِّي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ وَهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ، وَقَبْلَ هَذَا الزَّمَانِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ الأَحْوَالِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَجَدْنَا هُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَيَتَنَاقَلُهَا عُلَمَاءُ وَهُمْ بَيْنَهُمْ، وَالنَّسْخُ بِهَا مَوْجُودَةٌ قَدِيمَةٌ، وَهِيَ مُضَافَةٌ إِلَى بُولِصِ الرَّاهِبِ أُسْفُفٌ

صَيْدًا الْأَنْطَاكِيَّ، كَتَبَهَا إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي نَصْرِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا سَافَرَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَبِلَادِ الْمَلَافِطَةِ وَبَعْضِ أَعْمَالِ الْإِفْرَنْجِ وَرُومِيَّةَ، وَاجْتَمَعَ بِأَجْلَاءِ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَّةِ، وَفَاوَصَ أَفَاضِلَهُمْ، وَعُلَمَاءَهُمْ، وَقَدْ عَظَّمَ هَذِهِ الرَّسَالَةَ، وَسَمَّاها الْكِتَابَ الْمَنْطِيقِيَّ الدَّوْلَةَ حَنايِ الْمُبْرَهِنُ عَنِ الْإِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ، وَالرَّأْيِ الْمُسْتَقِيمِ.

المطلب الثاني: قول شيخ السلام، مُجْمَلٌ مَا جَاءَ فِي رِسَالَتِهِ

بِوَيْسٍ مِنْ دَعَاوَى.

وَمَضْمُونُ ذَلِكَ سِتَّةُ فُصُولٍ:

الفصل الأول: دَعَوَاهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ بَلْ إِلَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِ، وَدَعَوَاهُمْ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَالْعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

الفصل الثاني: دَعَوَاهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَى فِي الْقُرْآنِ عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَمَدَحَهُ بِمَا أَوْجَبَ لَهُمْ أَنْ يُبْتِغُوا عَلَيْهِ.

الفصل الثالث: دَعَوَاهُمْ أَنَّ نُبُوتِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، كَالْتَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ

النُّبُوتِ تَشْهَدُ لِدِينِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقَانِيمِ،

وَالْتَّكْلِيفِ، وَالْإِتِّحَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، بِأَنَّهُ حَقٌّ وَصَوَابٌ، فَيَجِبُ التَّمَسُّكُ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْهُ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهُ شَرْعٌ يَرْفَعُهُ، وَلَا عَقْلٌ يَدْفَعُهُ.

وَالْفَصْلُ الرَّابِعُ: فِيهِ تَقْرِيرُ ذَلِكَ بِالْمَعْقُولِ، وَأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ التَّثْلِيثِ ثَابِتٌ بِالنَّظَرِ الْمَعْقُولِ، وَالشَّرْعِ الْمَنْقُولِ، مُوَافِقٌ لِلْأَصُولِ.

وَالْفَصْلُ الْخَامِسُ: دَعَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَالْإِعْتِدَارُ عَمَّا يَقُولُونَهُ مِنْ أَلْفَاظٍ يَظْهَرُ مِنْهَا تَعَدُّدُ الْأَلِهَةِ، كَأَلْفَاظِ الْأَقَانِيمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ مَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي يَظْهَرُ مِنْهَا التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ.

وَالْفَصْلُ السَّادِسُ: أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنِجَايَةِ الْكَمَالِ، فَلَا حَاجَةَ بَعْدَ النِّهَايَةِ إِلَى شَرْعٍ يَزِيدُ عَلَى الْغَايَةِ، بَلْ يَكُونُ مَا بَعْدَ ذَلِكَ شَرْعًا غَيْرَ مَقْبُولٍ.

نَهْجُ الْمُؤَلِّفِ فِي رَدِّ دَعَاوِيهِمُ الْبَاطِلَةِ:

قال شيخ الإسلام:

وَنَحْنُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ نُبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ مَا احْتَجَّجُوا بِهِ مِنْ حُجَّةٍ سَمِعَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى الْقُرْآنِ، أَوْ عَقْلِيَّةٍ، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، بَلْ الْكُتُبُ كُلُّهَا مَعَ الْقُرْآنِ وَالْعَقْلُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، لَا لَهُمْ، بَلْ عَامَّةٌ مَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنْ نُّصُوصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْ الْمَعْقُولِ فَهُوَ نَفْسُهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَيَظْهَرُ مِنْهُ فَسَادُ قَوْلِهِمْ مَعَ مَا يُفْسِدُهُ مِنْ سَائِرِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَِّّةِ، وَالْمَوَازِينِ الَّتِي هِيَ مَقَاسِي عَقْلِيَّةٌ.

وَهَكَذَا يُوجَدُ عَامَّةٌ مَا يَحْتَجُّ بِهِ أَهْلُ الْبِدْعِ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تِلْكَ النُّصُوصِ مَا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا، بَلْ هِيَ بَعَيْنُهَا حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، كَمَا ذَكَرَ أَمْثَالَ ذَلِكَ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقِبَلَةِ.

وَإِنَّمَا عَامَّةُ مَا عِنْدَ الْقَوْمِ أَلْفَاظٌ مُتَشَابِهَةٌ، تَمَسَّكُوا بِمَا ظَنُّوْهَا تَدَلُّ عَلَيْهِ، وَعَدَلُوا عَنِ الْأَلْفَاظِ الْمُحْكَمَةِ الصَّرِيحَةِ الْمُبَيِّنَةِ، مَعَ مَا يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ مِنَ الْأَهْوَاءِ.

وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْبَاطِنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

فَهُمْ فِي جَهْلٍ وَظُلْمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ لِيُعَذَّبَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

فَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ هُمْ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ بُعِثُوا بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤].

المطلب الثالث: قوله النَّصَارَى بَدَلُوا دِينَ الْمَسِيحِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الَّذِي يَدِينُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولٌ إِلَى الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، أَهْلَ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُسْتَحِقٌّ لِعَذَابِ اللَّهِ مُسْتَحِقٌّ لِلْجِهَادِ، وَهُوَ مِمَّا أَجْمَعَ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ

الَّذِي جَاءَ بِذَلِكَ، وَذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَّهُ الرَّسُولُ أَيْضًا فِي الْحِكْمَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَلَمْ يَبْتَدِعِ الْمُسْلِمُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، كَمَا ابْتَدَعَتِ النَّصَارَى كَثِيرًا مِنْ دِينِهِمْ بَلْ أَكْثَرَ دِينِهِمْ.

وَبَدَّلُوا دِينَ الْمَسِيحِ وَعَيَّرُوهُ ؛ وَلِهَذَا كَانَ كُفْرُ النَّصَارَى لَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ كُفْرِ الْيَهُودِ لَمَّا بُعِثَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ بَدَّلُوا شَرْعَ التَّوْرَةِ قَبْلَ مَجِيءِ الْمَسِيحِ، فَكَفَرُوا بِذَلِكَ، وَلَمَّا بُعِثَ الْمَسِيحُ إِلَيْهِمْ كَذَّبُوهُ فَصَارُوا كُفَرًا بِتَبْدِيلِ مَعَانِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَأَحْكَامِهِ، وَبِتَكْذِيبِ الْكِتَابِ الثَّانِي.

وَكَذَلِكَ النَّصَارَى كَانُوا بَدَّلُوا دِينَ الْمَسِيحِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَابْتَدَعُوا مِنَ التَّثْلِيثِ وَالِاتِّحَادِ وَتَغْيِيرِ شَرَائِعِ الْإِنْجِيلِ أَشْيَاءَ لَمْ يُبْعَثْ بِهَا الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ تُخَالِفُ مَا بُعِثَ بِهِ، وَافْتَرَقُوا فِي ذَلِكَ فِرْقًا مُتَعَدِّدَةً، وَكَفَرُوا فِيهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَّبُوهُ، فَصَارُوا كُفَرًا بِتَبْدِيلِ مَعَانِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَأَحْكَامِهِ، وَتَكْذِيبِ الْكِتَابِ الثَّانِي، كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ دِينَهُمْ مُبَدَّلٌ مَسْخُوحٌ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلٌ مِنَ النَّصَارَى كَانُوا عِنْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ الْمَسِيحِ، كَمَا كَانَ الَّذِينَ لَمْ يُبَدِّلُوا دِينَ الْمَسِيحِ كُلَّهُ عَلَى الْحَقِّ، فَهَذَا كَمَا أَنَّ مَنْ كَانَ مُتَّبِعًا شَرْعَ التَّوْرَةِ عِنْدَ مَبْعَثِ الْمَسِيحِ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِالْحَقِّ كَسَائِرِ مَنْ اتَّبَعَ مُوسَى، فَلَمَّا بُعِثَ الْمَسِيحُ صَارَ كُلُّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ كَافِرًا، وَكَذَلِكَ لَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَارَ كُلُّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ كَافِرًا.

وَالْمَقْصُودُ فِي هَذَا الْمَقَامِ: بَيَانُ مَا بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عُمُومِ رِسَالَتِهِ، وَأَنَّهُ نَفْسُهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَنَّهُ نَفْسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَجَاهَدَهُمْ وَأَمَرَ بِجِهَادِهِمْ، فَمَنْ قَالَ بَعْدَ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: أَنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ إِلَيْنَا، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَيْنَا، كَانَ مُكَابِرًا جَاحِدًا لِلضَّرُورَةِ مُفْتَرِيًا عَلَى الرَّسُولِ فَرِيَةً ظَاهِرَةً تَعْرِفُهَا الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ.

وَكَانَ جَحْدُهُ لِهَذَا كَمَا لَوْ جَحَدَ أَنَّهُ جَاءَ بِالْقُرْآنِ، أَوْ شَرَعَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ؛ وَجَحْدُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا تَوَاتَرَ عَنْهُ أَعْظَمُ مِنْ جَحْدِ أَتْبَاعِ الْحَوَارِيِّينَ

الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِرْسَالَهُ لَهُمْ إِلَى الْأُمَمِ، وَمَجِيئَهُ بِالْإِنْجِيلِ، وَجَحْدِ مَجِيئِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّوْرَةِ، وَجَحْدِ أَنَّهُ كَانَ يَسْبُتُ؛ فَإِنَّ النَّقْلَ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُدَّتُهُ قَرِيبَةً، وَالنَّاقلُونَ عَنْهُ أَضْعَافُ مَنْ نَقَلَ دِينَ الْمَسِيحِ عَنْهُ، وَأَضْعَافُ أَضْعَافِ مَنْ اتَّصَلَ بِهِ نَقْلَ دِينِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا زَالُوا كَثِيرِينَ مُنْتَشِرِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَمَا زَالَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ ظَاهِرٌ بِالدِّينِ مَنْصُورٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ، بِخِلَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّهُمْ زَالَ مُلْكُهُمْ فِي أَتْنَاءِ الْأَمْرِ لَمَّا خَرِبَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الْحَرَابِ الْأَوَّلَ بَعْدَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَقَصَ عَدَدُ مَنْ نَقَلَ دِينَهُمْ حَتَّى قَدْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَنْ يَحْفَظُ التَّوْرَةَ إِلَّا وَاحِدٌ.

وَالْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَنْقُلْ دِينَهُ عَنْهُ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ لَكِنَّ النَّصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ مُعْصِمُونَ مِثْلَ: إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ

عَلَىٰ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِذَا وَصَلْنَا إِلَيْهِ، إِذِ الْمَقْصُودُ هُنَا بَيَانُ مَنْ زَعَمَ
 أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ إِلَّا إِلَىٰ مُشْرِكِي الْعَرَبِ،
 فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ أَوْ غَايَةِ الْمُكَابَرَةِ وَالْمُعَانَدَةِ، فَإِنَّ هَذَا
 أَعْظَمُ جَهْلًا وَعِنَادًا مِمَّنْ يُنْكِرُ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِالطَّهَّارَةِ وَالْعُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ،
 وَيَحْرِمُ الْخَمْرَ وَالْخِنْزِيرَ، وَأَعْظَمُ جَهْلًا وَعِنَادًا مِمَّنْ يُنْكِرُ مَا تَوَاتَرَ مِنْ أَمْرِ
 الْمَسِيحِ، وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَدْ ظَهَرَ بِهَذَا بَطْلَانُ قَوْلِهِمْ: عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ
 يَأْتِ إِلَيْنَا بَلْ إِلَىٰ جَاهِلِيَّةِ الْعَرَبِ.

المطلب الرابع: تلخيص لمجمل كتاب الجواب الصحيح.

مباحث في علم العقيدة:

وهو يحوي من ضمن ما يحوي: علم العقيدة وهو أشرف العلوم
 وأفضلها، توحيد الأسماء والصفات، وفيه قواعد عظيمة ذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ
 تعالى.

من ذلك القاعدة العامة في توحيد الأسماء والصفات المعروفة،
 إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه أو أثبتته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى آخره
 مع شرحها، ومن ذلك بيان حقيقة ما يضاف إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والتفريق
 بين ما يضاف إليه عَزَّ وَجَلَّ من ذوات قائمة بنفسها، وبين ما يضاف إليه
 تعالى من المعاني التي لا تقوم إلا بغيرها، لأن النصارى يحتجون بكون
 المسيح كلمة الله أو روح الله، فقرر هذه القاعدة رَحِمَهُ اللَّهُ وبين أن الذوات
 القائمة بنفسها، كما في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] أو

في قولنا بيت الله أو ما أشبه ذلك، فهذه لا تكون صفاتاً لله، وأما ما لا يقوم بنفسه من المعاني فإنها تكون صفاتاً لله، وفصل القول في هذا رَحْمَةُ اللَّهِ.

ثم تعرض لتوحيد الألوهية، وبين فيه حقائق عظيمة فيما وقعت فيه الصوفية وأشباههم، والنصارى من تعظيم الموتى والغلو فيهم إلى حد عبادتهم، وما أحدثوه من البدع عند القبور والتصوير وغير ذلك في مواضع كثيرة، وكيف وقع فيها النصارى ومن تبعهم من المسلمين، وهذا أيضاً جانب عظيم، ولا يخفى على أمثالكم أنه لو كتب للمسلمين اليوم أو ترجم أو حقق لهم كتاب، عن الغلو في الموتى وحكم الاستغاثة بهم ودعائهم، لربما رفضه الكثير وقالوا: هؤلاء وهابية أو هؤلاء لا يؤمنون بكرامات الصالحين أو ينكرون حق الأولياء أو ما أشبه ذلك، لكن إذا قدم إليهم هذا ضمن الرد على النصارى.

تقبلوه لشدة حاجة المسلمين اليوم كما تعلمون إلى الرد على النصارى، فإذا قرأه المسلم، فإنه يقرؤه من باب معرفة باطل هؤلاء النصارى والرد عليهم، فيستفيد أنه يصحح عقيدته هو أيضاً، فتكون الفائدة مزدوجة، وسماحة الوالد الشيخ عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ لما عرضت عليه الفكرة، سُرَّ بها جداً، وقال: هذا عمل عظيم (عصفوران بحجر واحد) وهذا مما سيحققه هذا الكتاب إذا ترجم بإذن الله كما سنبين.

النبوات:

وهناك علوم عظيمة من أعظمها ما يتعلق بالنبوة وإثباتها وحقيقتها والمعجزات، فقد ذكر رَحْمَةُ اللَّهِ في هذا الكتاب أن معجزات النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو الآيات الدالة على صدقه تزيد على الألف، وذكر منها منها نماذج عظيمة لا توجد مجموعة بهذا الإيضاح وهذا الأسلوب وهذه القوة وهذه الحججة في أي كتاب آخر؛ فهو من أعظم الكتب في دلائل النبوة وإثبات نبوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

التفسير:

وفي الكتاب -أيضاً- مباحث وموضوعات عظيمة: في علم التفسير، كما في الآيات التي تتعلق بأهل الكتاب وأحكامهم، وكما هو مثلاً في موضوع الصلب أو رفع المسيح، أو كون ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته وما أشبه ذلك من آيات قد تشكل وتعلق بأنبياء قبله، كما في ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ لقصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وذهابه إلى مدين، وهل كان صهره هو شعيب النبي أم غيره؟

تحريف العقيدة النصرانية:

العقيدة النصرانية حُرِّفَتْ وَبُدِّلَتْ وَغَيِّرَتْ كما أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وكما يشهد بذلك الواقع، فكثرت الأناجيل بعد رفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كثرة عجيبة، حتى إنه في نهاية المائة الثانية الميلادية أقرت المجمع الكنسية الأناجيل الأربعة الموجودة والمعروفة الآن، وهي أربعة من ضمن ما يزيد على سبعين إنجيلاً متفاوتة مختلفة، وهي في ذاتها متناقضة ومختلفة في كثير من الأمور بل في أعظم الأمور، كدعوى الألوهية للمسيح ودعوى النبوة وصلبه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ﴾ [النساء: ١٥٧]

غير أن من أعظم ما وقع فيها من تحريف وهو الذي يهمننا بسبب الحديث عن التنصير أن بولس الذي يدعون أنه بولس الرسول أو شاول اليهودي كما كان يسمى، قد بدل دين المسيح وحوله من دين محدود في بني إسرائيل فقط إلى دين عالمي، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَ فِي كِتَابِهِ أَنْ عَيْسَى إِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيل ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيل ﴾ [آل عمران: ٤٩] ولم يبعث الله تعالى قبل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً إلى العالمين كافة، بل هذا من خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ثبت ذلك في أكثر من حديث وآية، والمقصود أن المسيحية كما تسمى وهي النصرانية أو ما جاء به المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحق والدين والدعوة إنما كانت محصورة في بني إسرائيل، وبذلك تنطق الأناجيل الموجودة إلى الآن بين أيديهم، فإنها تذكر أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ جاءت إليه امرأة فينيقية أو سورية، وتختلف الأناجيل في قصتها، ولكن المقصود أنها جاءت إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَدَّهَا، وقال: إنما بعثت إلى خراف بني إسرائيل الضالة، أي أنه لم يبعث إلا إلى بني إسرائيل، ومع ذلك فإن بولس قد ذهب إلى عدة بلاد وأرسل الوعاظ في أماكن كثيرة من العالم لنشر هذا الدين، وأهم جزء نُشِرَ فِيهِ هَذَا الدِّينَ وانتشرت فيه عقيدته هو أوروبا، العدو اللدود للإسلام والمسلمين منذ ذلك الحين وإلى قيام الساعة، وهي التي كانت تعرف بالدولة الرومية، أو الامبراطورية الرومانية البيزنطية، كما يعرفونها.

نشر الديانة النصرانية في أوروبا:

هنالك في مجمع نيقية في سنة ٣٢٥ م عُقِدَ المَجْمَعُ وَقُرِّرَتْ العقيدة الباطلة، واعتنق قسطنطين ملك الروم دينهم، وعمد وانتشر هذا

الدين، ثم اجتاحت أوروبا بعد ذلك موجات من الغزو البربري الذي يسمونه الغزو الهمجي من قبل شعوب الشمال النورمانديين وأمثالهم، اجتاح هؤلاء الامبراطورية الرومانية، ودمروا روما حوالي سنة ٤١٠م، ومن ٤١٠م إلى ١٢١٠م وهي قرابة ثمانمائة عام لم تعرف أوروبا علمًا ولا هدى، ولم يؤلف فيها كتاب واحد على الإطلاق، والكتاب الوحيد المعروف والمقروء فيها خلال الثمانية قرون هو الكتاب المقدس -التوراة والأنجيل فقط- وفي هذا الظلام الدامس نشأت الأفكار، ونشأت الضلالات، ونشأت البدع، ونشأت الفرق، إلا أن أمرًا واحدًا لم يتغير وأجمعت عليه كل الفرق والطوائف وهو عداوة الإسلام والمسلمين، ومن ثم كانت الحملات الصليبية التي تعلمون وقائعها، ولا داعي للتفصيل فيها، عندما قامت تلك الحملات ولأول مرة في تاريخ أوروبا، تفتح أعين الأوروبيون على النور، وعلى الحق، وعلى الخير، وعلى الإنسانية، فإنها لم تكن تعرف للإنسان أنه إنسان حتى جاء أولئك إلى العالم الإسلامي المتمدن المتحضر، حينئذ بدأ ما يمكن أن نسماه الغزو الفكري أو الغزو التنصيري في العالم الإسلامي.

المطلب الخامس: نماذج من الردود والحجج التي صاغها

شيخ الإسلام.

وذكر كثيرًا من الردود والحجج فمن ذلك مثلاً أنه رَحِمَهُ اللهُ تَعَرَّضَ للرد على النصارى، وإبطال دينهم وإثبات أنهم على باطل بحجج عظيمة أذكر شيئاً منها إجمالاً:

إبطاله لدين النصارى:

عندما بين أن دين النصارى باطل سواءً صدقوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم كذبوه، إن آمنوا به أو لم يؤمنوا فدينهم باطل، وإن قالوا: إنه مبعوث إلى العرب خاصة - كما هو قول بعضهم - أو أنه ليس بنبي مطلقاً، فعلى أي التقديرين فدينهم باطل، ثم بين ذلك؛ لأنه إن كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دينه حقاً - وهو كذلك - فهو قد أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغ عن ربه أن دينهم باطل، فيلزمهم اعتقاد أن دينهم باطل، هذا موجز وإلا فالكلام نفيس جداً، وإن كانوا يقولون: إن دينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باطل كما هو قولهم الآن فإنه يلزم من ذلك لأي عاقل منهم أن يكون دينهم باطلاً؛ لماذا؟ لأنه ما من طريقة وما من وسيلة تثبتون بها صحة دينكم إلا وقد ثبتت في حق دين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم وأكبر وأقوى، فإذا بطلت هذه فقد بطل الأضعف والأقل والأدنى، فعليه يكون دينكم باطلاً، وهي حجج عظيمة في هذه الصفحات، ويضرب أمثلة تدل على علم وعلى اطلاع، فيقول: (١) من قال: إن هارون ويوشع وداود وسليمان كانوا أنبياء، وموسى لم يكن نبياً، فهذا من هذا القبيل؛ لأن نبوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعظم، أو من قال: إن داود وسليمان ويوشع ويحيى كانوا أنبياء، والمسيح لم يكن نبياً، فهو أيضاً باطل؛ لأن دلائل نبوة المسيح أظهر فكذلك من قال: إن هؤلاء جميعاً أنبياء ولكن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن نبياً، فحجته داحضة؛ لأن دلائل ظهور ذلك أعظم وأظهر.

ثم أخذ يضرب أمثلة لطيفة جدًا، فيقول: (لو قال قائل: إن زفر وابن القاسم والمزني والأثرم كانوا فقهاء وكل واحد منهم ينتمي إلى مذهب من المذاهب الأربعة وإن أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد لم يكونوا فقهاء، أو قال: إن الأخفش وابن الأنباري والمبرد كانوا نحاة، والخليل، وسيبويه والفراء لم يكونوا نحاة فهذا مستحيل، ولا يوافق أحد من أهل هذا الفن، وأيضًا لو قال أحد: إن صاحب الملكي والمسيحي ونحوهما من كتب الطب كانوا أطباء، ولكن بقراط وجالينوس ونحوهما لم يكونوا أطباء، فقوله مردود عند الأطباء وأصحاب كل فن يعرفون المتقدم في هذا الفن، ولا يمكن أن يقرأوا بصحة علم الأذن، وتركوا الأفضل أو الأعلى)) ثم قال: (ولو قال: إن كوشيار والخرقي ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة -الجغرافيا- وبطليموس ونحوه لم يكن لهم علم بالهيئة -الجغرافيا الفلكية- لكان قوله في غاية البطلان) ثم تكلم بكلام نفيس لولا الإطالة لأكملته، ولكن حسبكم أن تراجعوا الكتاب.

الاستدلال على ثبوت الإسلام بالتواتر:

ويستدل -أيضًا- على بطلان دينهم بدليل عقلي لا يستطيع أي عاقل مهما كان دينه أن يرده، وهو الاستدلال بعدم التواتر فيما من حقه أن يثبت متواترًا في عرف الناس والعقلاء أجمعين، فمثلاً يقول: لو ادعى مدع أنه يوم الجمعة أو يوم العيد قُتِلَ الخطيب ولم يصل الناس الجمعة أو العيد، فإنه لا يصدق قوله؛ لأن الأصل فيه أن ينقل متواترًا وأن يشتهر عند

الناس ويستفيض، أو ادعى أن بعض الملوك قتل علانية، وهو في موكبه مثلاً فهذا لا يمكن أن ينقله واحد فقط؛ لأنه يستفيض ويشتهر، أو ادعى أحد أنه بعث نبي بين المسيح ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو جاء بعد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاب مثل القرآن، أو ادعى أحد أن قریشاً أو غيرهم عارضوا القرآن وجاءوا بكتاب يماثل القرآن، أو ادعى أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بحج بيت غير البيت العتيق، أو أوجب صوم شهر غير شهر رمضان، أو أوجب صلاة سادسة وقت الضحى وهكذا فكل هذه لا يمكن أن تسلم للمدعي، لأنها لو حدثت فعلاً لاستفاض نقلها واشتهر أمرها.

وفي معرض الرد على النصارى، يرد على طوائف الضلال جميعاً وهذا شأنه رَحْمَةُ اللهِ، فإنك تذهب لتريد فائدة معينة، وإذا بك تخرج بفوائد عظيمة مركبة.

ثم يبين أن أهل العلم بأحوال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقطعون بكذب الأحاديث التي فيها الوصية لأحد بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علانية بين الناس من دون اشتها ذلك وتواتره بناء على هذه القواعد العقلية المقررة، والتي هم أهلها وأخبر الناس بها، فمثلاً يقطع من يعلم مغازي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يقاتل في غزوة تبوك وأنه لم يغز العراق ولا اليمن بنفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه لم يحج بعد الهجرة إلا حجة الوداع، وهكذا؛ فلو أن أحداً أخطأ وروى حديثاً بهذا الشأن فإن العلماء يعلمون قطعاً أن هذا الحديث باطل، ويستدلون به على أحد أمرين: إما أنه أخطأ، وإما أنه تعمد الكذب على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهكذا.

ثم ذكر أمثلة منها: الحديث المشهور في الوضع (لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل) لما زاد عليه بعضهم (أو جناح) عَلِمَ أن هذه اللفظة موضوعة وهكذا، ثم يستطرد في ذكر علوم كثيرة فلا تريد وأنت تقرأ أن تفارق هذا الكتاب أبدًا.

ثم يستطرد فيصل إلى القضية المهمة قضية النبوة فيقول:

لو قيل: إن مسيلمة الكذاب لم يُقاتل، لأن النصارى يدعون ذلك ليستشهدوا على أن النبوة قد ظهر من يدعيها، أو الراضة تقول: إنما قوتل مسيلمة؛ لأنه لم يؤد الزكاة، وهذا رد عليه رَحْمَةُ اللَّهِ فِي مَنَاجِ السَّنَةِ، فهو هنا يرد ردًا مجملًا فإنهم لما قالوا: إن الخليفة أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم تجمع الأمة على خلافته، بدليل أن بني حنيفة لم يبايعوه، فيقول شَيْخُ الْإِسْلَامِ: هؤلاء اتبعوا مسيلمة الكذاب الذي ليس من الإسلام في شيء لا هو ولا من آمن معه ولا من اتبعه، فلا يكون قولهم هذا حجة)) ثم يستطرد في الكلام عنه وعن الأسود العنسي إلى آخر كلامه في هذا الباب.

رده عليهم في احتجاجهم بالمتشابه:

ثم يأتي في ضمن إبطاله لحججهم مثلًا: عندما ينقلون نقولًا متشابهة - وهذا ما يسمى الاستدلال بالمتشابه وترك المحكم - واليهود والنصارى والكفار والملحدون وأهل البدع قديمًا وحديثًا مشكلتهم الرئيسة هي هذا، لأن كلامهم لو تجرد من الدليل ما قبله أحد، لكنهم

يستدلون بمتشابهه وبشبهات ويتركون المحكم، فمثلاً ما يقوله النصارى في مواضع: إن الله في المسيح، أو إن الله في قلب فلان مثلاً، يقول شيخ الإسلام: (١) هذه لا تقتضي الحلول كما تزعمون - ثم يأتي بتقسيم عقلي عجيب، يقول: - إن وجود الأشياء على أنواع، فالشيء له وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان) أو وجود عيني، ووجود علمي، ووجود رسمي، ووجود لفظي وهذا كلام عجيب ولا بد من شرحه.

فالموجود في الأعيان: هو الشيء الخارج، أي الأجسام الخارجة.

والموجود في الأذهان: هو تصور هذا الشيء في الذهن.

والموجود في اللسان: هو نطقك به، كما تقول لم يرد البخاري...

فهذا هو الوجود اللفظي، فإذا قلت: البخاري هنا، فأنت تعني أن البخاري مكتوب هنا، فهذا الوجود الرسمي، فيقول: من أي نوع من أنواع الوجود عندما نقول: إن الله في قلب فلان؟ ثم يوضح فيقول: (١) ليس وجوداً ذاتياً يقتضي الحلول بل وقع في هذا الحلول النصارى ووقع فيه الصوفية، ويستطرد ويذكر الذين قالوا من الصوفية بكلمات تعني عقيدة الحلول كمثل: سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، أو ما أشبه ذلك من الكفرات الشطحية (١) ويقول: (١) إنه إذا قيل: إن الله في قلب فلان أو ما في قلب فلان إلا الله قالها بحسن النية، فالمقصود بذلك محبته والإخلاص له والتقرب إليه، وهذا لا يقتضي الوجود الذاتي) وهكذا.

تناقض كتب النصارى وحيل رهبانهم:

ومن التحقيقات البديعة، أنه رَحِمَهُ اللهُ يَقول لبيان تحريف النصارى: (إن أصح ما عندكم بإجماع أهل الكتاب جميعاً هي التوراة، التي هي الأسفار الخمسة - ثم ما بني عليها على اختلاف كبير فيما بينهم في هذا، يقول: - هذا هو أصح الكتب عند أهل الكتاب نسخة السامرة غير النسخة الموجودة الأخرى، حتى في الكلمات العشر أو الوصايا العشر) وفعلاً الآن توجد كتب محققة عن التوراة السامرية يظهر مخالفتها للتوراة اليهودية المعروفة، وهذا من بديع التحقيق والاطلاع لديه رَحِمَهُ اللهُ تعالى رحمة واسعة، ثم يقول: (وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة يخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما الأناجيل فلاضطراب فيها أعظم من الاضطراب في التوراة) ثم يأتي بعد ذلك إلى إكمال الموضوع. أيضاً مما يدل على معرفته للواقع من جهة، واطلاعه على المؤلفات من جهة أخرى، قوله رَحِمَهُ اللهُ مثلاً: (وقد صنف بعض الناس مصنفاً في حيل الرهبان، وقد ذكر عجائب منها.

أن يجعلوا في الماء زيتاً على المنارة ثم يوقد فيظنون أن الماء انقلب زيتاً)، والحيلة أنهم يجعلون الزيت في الأعلى لأنه يطفو فوق الماء ويصبون الماء، فإذا ظهر في المنارة وقدح فيه أصبح زيتاً، وقالوا: هذا من كرامات العذراء ومن كرامات الراهب، وهذا من الحيل.

وذكر من الحيل أيضًا: النخلة التي يقال إنها تصعد إلى الراهب وقد بين أن هذه النخلة مغروسة في سفينة، وأن هناك سدًا، فإذا أريد - كما يزعمون - أن تُرى هذه المعجزة: فتح الماء فتعلو السفينة فترتفع النخلة إلى محاذا الراهب، فإذا أجري الماء نزلت، فيقال: إنها ارتفعت إليه وأكل من جناها ثم هبطت!! وغيرها من أنواع الحيل والمخاريق.

ولم يكتف بالحيل عند النصارى، بل يأتي أيضًا بما عند المسلمين، وهذا من عدله **رَحْمَةُ اللَّهِ**، فيذكر أن هذا الشطح وهذا الدجل أيضًا موجود عند الصوفية وأمثالهم، وأن هذه الأحوال الشيطانية والمخاريق البهتانية، يوجد عند أهل الإلحاد المبدلين لدين محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مثلها.

سبقه إلى العلوم ونقده لعلم المنطق:

وشَيْخ الإسلام يبين ذلك ويريد منه أن يبطل قولهم في التثليث، أيضًا نقد المنطق، وهو أنهم يفرقون في التعريف بين الذاتي الذي هو جزء الماهية، وبين العرضي اللازم للماهية، فيأتي شَيْخ الإسلام هنا ويبطل هذا الكلام بحجج عجيبة، ويقول: لا فرق بين هذا وهذا، يقول: «إن ما يسمى تمام الماهية، والداخل في الماهية، والخارج عنها واللازم لها، يعود عند التحقيق إلى ما يدل عليه اللفظ بالمطابقة أو التضامن أو الالتزام».

الدلالات الثلاث المعروفة عندنا، فيقول: كل ما يقولونه يرجع إلى هذه الثلاثة، فليست المسألة تمام الماهية أو داخله في الماهية، أو عرض لازم للماهية، ويطول في هذا وفيه كلام طويل ينقد به المنطق نقدًا

بديعاً عجيباً؛ ليصل به إلى نقد قولهم في الجوهر، وأن الأقاليم مركبة، وأن الجوهر ذاتي، وكلام في طبيعة المسيح إلى غير ذلك.

قاعدة تاريخية:

من بديع التحقيق، وهو يدل من ناحية أخرى على تبرره واطلاعه **رَحْمَةُ اللَّهِ**: الاطلاع على علم التاريخ والاستدلال به، فعندما يثبت النصارى - وإلى الآن كما تعلمون - ويسمون البابا: الرسول، ويسمون مندوبه: القاصد، ويدعون أن أحبارهم رسل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَد بَيْنَ حَالِ هَؤُلَاءِ فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُفُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وهذا حال أكثرهم كما رأى ذلك سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه في بعضهم، والمقصود أنهم يقولون: إن الرسل المذكورين في سورة يس، هم من رسل المسيح، وأرسلهم المسيح فيقول شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (١) لا؛ بل الرسل هؤلاء مرسلون من عند الله ويستدل استدلالاً علمياً واضحاً بالتاريخ فيقول: إن الله ذكر بعد ذلك أنه عذبهم وأنه أهلكهم، حتى قال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فِإِذَا هُمْ خٰنِدُونَ﴾ [يس: ٢٩]، ومعلوم عند الناس أن أهل أنطاكية لم يصبهم ذلك بعد مبعث المسيح لأنهم قد آمنوا به (٢) أي بعد الميلاد لم تدمر أنطاكية.

ثم يعقب بعد ذلك بذكر قاعدة عظيمة جداً في التاريخ قل من يتفطن لها من المؤرخين إلا من كان يربط التاريخ بالعلم والإرث النبوي، يقول: (١) ومما يبين ذلك أن المعروف عند أهل العلم أنه بعد نزول التوراة لم

يهلك الله مكذبي الأمم بعذاب سماوي يعمهم كما أهلك قوم نوح وعاد وthumb وقوم لوط وفرعون وغيرهم، بل أمر المؤمنين بجهد الكفار)) فهذه من قواعد التاريخ التي يجب أن تعلم: أن الله منذ أن أنزل التوراة لم يهلك أمة من الأمم المكذبة برمتها، وإنما فرض الجهد على أهل هذه الكتب التوراة أو الإنجيل أو القرآن، فهم الذين يجاهدون وليس العذاب من عند الله، وهذا مما يدل عليه قول الله **تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾** [القصص: ٤٣] فبين الله تعالى أنه أهلك القرون الأولى، ثم أنزل الكتاب، وبعد ذلك لم يهلك قرناً أو أمة بعامه.

ثم يقول: (١) إن محبة الله **تَبَارَكَ تَعَالَى** وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهي عبادة الله وحده لا شريك له، فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك، وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها)) ثم يطيل في بسط ذلك **رَحْمَةً لِلَّهِ**.

الرد على الفلاسفة في انكارهم رفع المسيح:

إن موضوع رفع المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ينكره الفلاسفة، ويقولون: إن الجسم الثقيل لا يمكن أن يرتفع أو يصعد في الفضاء، فيرد عليهم شيخ الإسلام **رَحْمَةً لِلَّهِ** ويقول: (١) إن هذا القول ضعيف في غاية الضعف، فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة، مثل عرش بلقيس الذي حمل من اليمن إلى الشام في لحظة، عندما قال سليمان: **﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾** [النمل: ٣٨] ومثل

حمل الريح لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومثل حمل قرى قوم لوط ثم إلقاؤها في الهواء، ومثل المسرى إلى بيت المقدس^(١) وهذا من حكمته رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ بدأ بالأمثلة التي يعرفونها؛ لأنه يخاطب كفاراً، وهي في كتبهم، وفي الأخير ذكر مسرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعراجه، وأيضاً لا بد أن يستطرد وأن يصحح العقيدة، فيقول: ^(١) ورجال كثيرون في زماننا وغير زماننا يُحملون من مكان إلى مكان في الهواء وهو ما تفعله الشياطين مع الصوفية وأشباههم ثم يقول: ومعلوم أن النار والهواء الخفيف تحركه حركة قسرية فيهبط^(١) يذكر قانوناً من قوانين الفيزياء.

(والتراب والماء ثقيلان يحركان حركة قسرية فيصعد، وهذا مما

جرت به العادة)^(١).



(١) نقلاً عن الدكتور سفر بن عبدالرحمن.

المبحث السادس:

بعض ما جاء في هداية الحيارى

في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ



المطلب الأول: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

أولاً: المؤلف ابن قيم الجوزية.

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي (٦٩١هـ - ٧٥١هـ / ١٢٩٢م - ١٣٥٠م) المشهور باسم (ابن قيم الجوزية) أو (ابن القيم). هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مجتهد وواحد من أبرز أئمة المذهب الحنبلي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. نشأ ابن القيم حنبلي المذهب؛ فقد كان والده (أبو بكر بن أيوب الزرعي) قيماً على (المدرسة الجوزية الحنبلية)، وعندما شبَّ واتَّصل بشيخه ابن تيمية حصل تحوُّل بحياته العلمية، فأصبح لا يلتزم في آرائه وفتاويه بما جاء في المذهب الحنبلي إلا عن اقتناع وموافقة الدليل من الكتاب والسنة ثم على آراء الصحابة وآثار السلف، ولهذا يعتبره العلماء أحد المجتهدين، وُلد ابن القيم سنة ٦٩١ هـ المُوافقة لسنة ١٢٩٢م، فنشأ في مدينة دمشق، واتجه لطلب العلم في سن مبكرة، فأخذ عن عدد كبير من الشيوخ في مختلف العلوم منها التفسير والحديث والفقه والعربية، وقد كان ابن تيمية أحد أبرز شيوخه، حيث التقى به في

سنة ٧١٢هـ/١٣١٣م، فلازمه حتى وفاته في سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، فأخذ عنه علمًا جمًّا واتسع مذهبه ونصره وهُدِّبَ كتبه، وقد كانت مدة ملازمته له سبعة عشر عامًا تقريبًا. وقد تولى ابن قيم الجوزية الإمامة في (المدرسة الجوزية)، والتدريس في (المدرسة الصدرية) في سنة ٧٤٣هـ^(١). وهذا ليس محله فنكتفي بذلك، وإلا فإن ترجمة ابن القيم حافلة لايسعها هذا الموضوع.

ثانيًا: الكتاب.

يعرض الكتاب - في موضوعية وعمق - جوانب التحريف في النصرانية واليهودية داعمًا لكل ما يذهب إليه بنصوص من كتبهم المحرفة، رادًا على ادعاءاتهم الباطلة بالمنقول والمعقول داحضًا شبهة المشككين في نبوة النبي محمد، واشتمل الكتاب على هذه المسائل: المذكور في كتب اليهود والنصارى، نصوص الكتب المتقدمة في البشارة، النصارى آمنوا بمسيح لا وجود له واليهود ينتظرون المسيح الدجال، مناظرة مع أحد كبار اليهود، الطرق الأربعة الدالة على صحة البشارة، التغيير في ألفاظ الكتب، المسلمون فوق كل الأمم في الأعمال

(١) راجع لترجمته كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المجلد الثامن ابن العماد الحنبلي؛ تحقيق وتعليق: محمود الأرناؤوط. إشراف وتخريج الأحاديث: عبد القادر الأرناؤوط (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) من سنة ٧٠١ إلى سنة ٨٠٠هـ دمشق-سوريا: دار ابن كثير. صفحة ٢٨٧، الكتب التي ترجمت له كثيرة جدًا.

والمعارف النافعة، معاصي الأمم لا تقدح في الرسل ولا في رسالتهم،
النصارى مخالفون للمسيح، لو لم يظهر محمد لبطلت نبوة سائر
الأنبياء، استحالة الإيمان بنبي مع جحد نبوة محمد.

وقوع التحريف في الكتب المتقدمة على القرآن.

التحريف لغة: التغيير والتبديل، وتحريف الكلام عن مواضعه:
تغييره.

قال الراغب الأصفهاني **رَحْمَةُ اللَّهِ**: التحريف: الإمالة، وتحريف
الكلام: أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين^(١).
وقد بين ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** كيفية التحريف في الكتب السابقة كما
بينها الله **عَزَّ وَجَلَّ** في القرآن الكريم بقوله: وأما التحريف فقد أخبر سبحانه
عنهم في مواضع متعددة، وكذلك لي اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه
وما هو منه. فهذه خمسة أمور: أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه
به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه، وهو قريب من كتمان.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه،
وتحريف معناه.

(١) المفردات في غريب القرآن، (ص: ١٢١).

الخامس: لي اللسان به، ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره^(١).

المطلب الثاني: أنواع التحريف الذي وقع في الكتب السابقة.

وقد اختلفت أقوال الناس في وقوع التحريف في الكتب السابقة على ثلاثة أقوال^(٢).

القول الأول: زعمت طائفة أنها بدلت كلها بجميع لغاتها، ومن هؤلاء من أسرف حتى قال: (إنه لا حرمة لها، وجوز الاستجمار بها من البول).

وهذا القول باطل لا يقوله أحد من المسلمين، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (وهذا مما لا يقوله المسلمون، ولكن قد يقول بعضهم: إنه حرف بعد مبعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَاظُ بَعْضِ النُّسخِ، فَإِنَّ الْجُمْهُورَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ بَعْضَ أَلْفَاظِهَا حُرِفَتْ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كَانَ مِنْ قَبْلِ الْمَبْعُثِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كَانَ بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَثْبُتُ الْأَمْرَيْنِ أَوْ يَجُوزُهُمَا، وَلَكِنْ لَا يَقُولُ: إِنَّهُ حُرِفَتْ أَلْفَاظُ جَمِيعِ النُّسخِ الْمَوْجُودَةِ فِي مِشَارِقِ الْأَرْضِ وَمِغَارِبِهَا)^(٣).

(١) هداية الحيارى (ص: ٤٨).

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٢/٤١٨-٤٢٧)، وإغاثة اللفهان (٢/٣٥١-٣٥٤)، وفتح القدير (١٥/٥٠٥).

(٣) فتح الباري (١٥/٥٠٣).

القول الثاني: أن التبديل والتغيير وقع في المعاني لا في الألفاظ^(١).
وإلى هذا القول ذهب الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**، واختاره الرازي في تفسيره^(٢).

وهذا القول لا يسلم له بإطلاق، بل لابد من التفصيل في ذلك.
فأما القول: بأن التحريف قد وقع في معاني تلك الكتب؛ فهذا أمر مسلم به، وهو ما حكى عليه شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** الإجماع... بل إن هذا القول يقر به عامة اليهود والنصارى^(٣)

وأما القول بعدم التحريف في ألفاظها فلا يسلم بذلك؛ لأنه قد وجد فيها من الألفاظ ما لا يجوز أن يكون من كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، إضافة إلى ما فيها من التناقض والتضارب في نصوصها، فلو كان وحياً من عند الله لما وجد فيها هذا التناقض والتضارب، وقد ذكر ابن حزم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في (كتاب الفصل) كثيراً من هذه التناقضات الظاهرة، والتي تؤكد وقوع التحريف في ألفاظها.

قال الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ**: تحريفهم المعاني لا ينكر؛ بل هو موجود عندهم بكثرة^(٤)

(١) التفسير الكبير (٢/١٢٣).

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٢/٤٠٧).

(٣) انظر: الجواب الصحيح (٢/٤٠٧).

(٤) فتح الباري (١٥/٥٠٥).

القول الثالث: أن التحريف قد وقع في اليسير منها، ولكن أكثرها باق على ما أنزل عليه.

وقد رجح هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(١).

وقد تكفل الله عَزَّجَلَّ بحفظ كتابه العزيز، أما ما سبقه من الكتب فقد استحفظها جَلَّجَلَّ اللهُ الربانيين والأحبار؛ فأحدثوا فيها كثيراً من التحريف والتغيير والتبديل، كما أخبرنا الله عنهم في أكثر من موضع من القرآن الكريم.

نص الإجماع الذي حكاه شيخ الإسلام، مما سبق يتضح أن التحريف في الكتب السابقة على قسمين:

الأول: التحريف في ألفاظها، وهذا قد وقع فيه الخلاف.

الثاني: التحريف في معانيها وترجمتها، وهذا أمر مجمع عليه، وهو ما نقله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في هذه المسألة بقوله:

وأهل الكتاب اليهود والنصارى مع المسلمين متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها؛ إما عمداً وإما خطأ: في ترجمتها، وفي تفسيرها، وشرحها، وتأويلها؛ وإنما تنازع الناس هل وقع التحريف في بعض ألفاظها^(٢).

وقال أيضاً: والمسلمون وأهل الكتاب متفقون على وقوع الغلط

(١) الجواب الصحيح (٢/٤٢٠).

(٢) الجواب الصحيح (٥/١٢٣).

في تفسير بعض الألفاظ وبيان مراد الأنبياء بها، وفي ترجمة بعضها، فإنك تجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة وبينها فروق يختلف بها المعنى المفهوم، وكذلك في الإنجيل وغيره.

وقال أيضا: ولكن علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف في المعاني والتفسير^(١).

ذكر من نقل الإجماع أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام: إن المتأمل لأحوال اليهود والنصارى ومواقفهم مع كتب الله عزَّجَلَّ يجد أنهم قد حرفوا كثيرًا مما أنزل الله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] وقال: يحرفونه أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه إلى غيره، فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا وأنه بخلاف ما حرفوه إليه فقال: ﴿يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] يعني: من بعد ما عقلوا تأويله؛ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أي يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون^(٢)

وقال أيضا: قال ابن زيد في قوله: يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ قال: التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها؛ يجعلون الحلال فيها حرامًا،

(١) الجواب الصحيح (٢/٤١٩).

(٢) تفسير الطبري م ١ (١/٤٨٥).

والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب؛ فهو فيه محق، وإن جاء أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء؛ أمره بالحق، فقال لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ٤٤^(١)

وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: يحرفون: يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله^(٢). قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: مراد البخاري بقوله: (يتأولونه) أنهم يحرفون المراد؛ بضرب من التأويل، كما لو كانت الكلمة بالعبرانية تحتل معنيين قريب وبعيد، وكان المراد القريب؛ فإنهم يحملونها على البعيد، ونحو ذلك^(٣).

وقال شهاب الدين القرافي رَحِمَهُ اللهُ: (ومن طالع كتبهم وأناجيلهم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم، وأن القوم لا يلتزمون مذهباً.

والعجب أن أناجيلهم حكايات وتواريخ، وكلام كفره وكهنة وتلامذة وغيرهم، حتى أي أحلف بالله الذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري

(١) تفسير الطبري م ١ (١/٤٨٣، ٤٨٤).

(٢) صحيح البخاري (٦/٢٧٤٥).

(٣) فتح الباري (١٥/٥٠٧).

عند المسلمين أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ لا يجوز - عند المسلمين - أن يبنى عليه شيء من أمر الدين، وإنما هو حكايات في المجالس، ويقولون مع ذلك: الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا، وأمر السيد المسيح باتباعه، فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله تعالى؟! وأين كلماته من بين هذه الكلمات؟!^(١).

بل إن اليهود أنفسهم قد اتفقوا على وقوع التحريف في كتابهم؛ كما ذكر ذلك عنهم شهاب الدين القرافي **رَحْمَةُ اللَّهِ** حيث قال: (طائفة من اليهود يقال لهم السامرية، اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفًا شديدًا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود؟، فكفونا بأنفسهم عن أنفسهم^(٢)).

ومن ذلك أيضًا أنهم يعترفون أن سبعين كاهنًا منهم اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة، وقد نقل ذلك ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** بقوله: واليهود تقر أن السبعين كاهنًا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة، وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم؛ حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم، ومن رضي بتبديل موضوع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره، واليهود تقر أيضًا أن السامرة حرفوا

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى (ص: ٥١).

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى (ص: ١١٦).

مواضع من التوراة وبدلوها تبديلاً ظاهراً وزادوا ونقصوا، والسامرة تدعي ذلك عليهم^(١).

أما النصارى فقد ذكر ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ أنهم متفقون على أن هذه الأناجيل التي بين أيديهم عبارة عن تواريخ ألفها أصحابها في أزمان مختلفة حيث يقول:

النصارى لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح، ولا أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أتاهم بها، بل كلهم أولهم عن آخرهم لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة^(٢).

أما ما يتعلق بالترجمة فإن التوراة قد ترجمت من العبرية إلى اليونانية والعربية، كما أن الأناجيل الأربعة قد كتبت بلغات متعددة، فإنجيل متى كتب بالعربية، وأما مرقس ولوقا ويوحنا فقد كتبت أناجيلهم باليونانية^(٣)، ومعلوم أن التوراة والإنجيل إنما نزلت بلغة موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وهي العبرية، ثم ترجمت بعد ذلك إلى غيرها من اللغات^(٤).

وإذا أخذنا في الحسبان الاعتبارات التي من الممكن أن تحول

(١) هداية الحيارى (ص: ١٠١).

(٢) الفصل لابن حزم (١/ ٢٥١) باختصار.

(٣) الفصل لابن حزم (١/ ٢٥١، ٢٥٢).

(٤) الجواب الصحيح (٥/ ١٢٣).

مسار واتجاه الترجمة؛ نخرج بنتيجة أن هذه الترجمة لا يمكن أن تكون مماثلة ومطابقة للأصل الذي نقلت منه.

مستند الإجماع في المسألة: لقد شهد الله **جَلَّ جَلَالُهُ** في مواضع عديدة من القرآن الكريم على تحريف اليهود والنصارى لكتبهم التي أنزلها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لأنبيائهم؛ فمن ذلك قول الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿ **فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ﴾ [المائدة: ١٣].

ومعنى يحرفونه: أي يبدلون معناه، ويتأولونه على غير تأويله^(١).

قال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ** ﴾ قال: قال مجاهد والسدي: هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة، فيجعلون الحرام حلالاً والحلال حراماً اتباعاً لأهوائهم من بعد ما عَقَلُوهُ أي عرفوه وعلموه وهذا توبيخ لهم^(٢).

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلُونُ الْآسِنَّةَ بِأَلْكَتَبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ**

(١) انظر: تفسير الطبري م (١/ ٤٨٥)، وتفسير القرطبي (٥/ ٢٣٣).

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٢).

اللَّهُ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿﴾ [آل عمران: ٧٨].

ومن الأدلة المحسوسة على وقوع التحريف في كتبهم؛ إضافة إلى ما ذكره الله عزَّوَجَلَّ عنهم في القرآن الكريم ما يلي:

١ - انقطاع السند، وعدم حصول التواتر في نقلها، فليس في أسفار اليهود وأناجيل النصارى ما تصح نسبه إلى أنبيائهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فالتوراة لم يتم تدوينها إلا بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم إن نسخة التوراة الأصلية قد ضاعت أيام الغزو البابلي لليهود، كما شهد بذلك أهل العلم منهم، ثم أعادوا كتابتها مرة أخرى^(١)، حتى جاء أحد ملوك الرومان وفتح فلسطين عام (١٦١ ق.م) فأمر بإحراق كافة النسخ التي عثر عليها من التوراة، وكل من احتفظ بنسخة منها يقتل، وكان يجري البحث عنها شهرياً، واستمر الحال على ذلك مدة زادت على ثلاث سنوات ونصف^(٢)

وأما الإنجيل فإن الذي بأيدي النصارى منه أربع كتب مختلفة؛ وهم جميعاً متفقون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال وهم: يوحنا ومتى ومرقس ولوقا^(٣)، ثم إن مرقس ولوقا لم يكونا من حواربي المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤).

(١) انظر: التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص (ص: ٤، ٥).

(٢) انظر: التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص (ص: ٨٤، ٨٥).

(٣) انظر: الفصل لابن حزم (١/٢٥١).

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٢٨٤).

٢- التناقض الواضح والتعارض الفاضح بين نصوص التوراة، وكذلك الحال في نصوص الأناجيل^(١)، ولو كانت كلام الله حقيقة لاستحال أن يلحق بها تناقض أو اختلاف، يقول المولى **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾** [النساء: ٨٢].

٣- شهادة بعض علماء اليهود والنصارى على وقوع التحريف في كتبهم؛ وخاصة من رجع منهم إلى الحق، واتبع شريعة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**^(٢).

وفي هذه الأدلة أوضح دلالة على أن الكتب التي سبقت القرآن الكريم قد وقع فيها التغيير والتبديل، وأن أهل الكتاب قد غيروا وبدلوا عن علم وإصرار^(٣).

(١) انظر: «التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث» (ص: ٥٥، ٥٦)، و(ص: ١٣٠، ١٣١)، و«تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» (١/ ٢٨٣) وما بعدها، «التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص» (ص: ١).

(٢) انظر: «التوراة والأناجيل والقرآن الكريم» (ص: ١٥)، و«التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص» (ص: ٢).

(٣) انظر: التوراة والأناجيل والقرآن الكريم (ص: ١٥)، والتوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص (ص: ٢).

المطلب الثالث: بيان بعض موضوعات هداية الحيارى في

أجوبة اليهود والنصارى.

- (فصل): فأين يذهب من تولي عن توحيد ربه وطاعته.

- حال الأمم قبل البعثة

- (فصل): ولما بعث الله محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أهل الأرض

صنفين

- ومن بعض حقوق الله على عبده

المسألة الأولى وهي: قول السائل: قد اشتهر عندكم بأن أهل

الكتابين ما منعهم من الدخول في الإسلام إلا الرئاسة والمأكلة لا غير

- (فصل): وكان من رؤساء النصارى الذين دخلوا في الإسلام لما

تبين لهم أنه الحق، الرئيس المطاع في قومه عدي بن حاتم الطائي

- (فصل): وكذلك ملك دين النصرانية بمصر عرف أنه نبي

صديق، ولكن منعه من اتباعه ملكه، وأن عباد الصليب لا يتركون عبادة

الصليب. ونحن نسوق حديثه وقصته

- (فصل): وكذلك أبنا الجلندي، ملكا عمان وما حولها من ملوك

النصارى، أسلما طوعاً واختياراً، ونحن نذكر قصتهما

- (فصل): وكتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هوزة بن علي الحنفي

صاحب اليمامة

- (فصل): وذكر الواقدي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث شجاع بن وهب إلى الحارث
- (فصل): ونحن إنما ذكرنا بعض ملوك الطوائف الذي آمنوا به، وأكابر علمائهم وعظمائهم، ولا يمكننا حصر من عداهم
- [المسألة الثالثة] (فصل): قال السائل: مشهور عندكم في الكتاب والسنة أن نبيكم كان مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل لكنهم محوه عنهما لسبب الرئاسة والمأكلة
- (فصل): فهذه الوجوه على تقدير عدم العلم بوجود نعتة وصفته
- (فصل): وتأمل قول المسيح: أن أركون العالم سيأتي
- (فصل): وطابق بين قول المسيح: أن أركون العالم سيأتيكم، وقول أخيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر
- (فصل): وفي قول المسيح في هذه البشارة: وليس لي من الأمر شيء، إشارة إلى التوحيد
- (فصل): وقول المسيح: إذا انطلقت أرسلته إليكم، معناه أني أرسله بدعائي وطلبي منه أن يرسله
- (فصل): وتأمل قول المسيح: إني لست أدعكم أيتامًا لأنني سأتيكم عن قريب
- (فصل): ومثل هذه البشارة من كلام شمعون مما قبلوه ورضوا

ترجمته

- (فصل): ولا يستبعد اصطلاح الأمة الغضبية على المحال
واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال

- (فصل): وإن كان المعير للمسلمين من أمة الضلال وعباد
الصليب والصور المدهونة في الحيطان والسقوف

- (فصل): فهذا أصل دينهم وأساسه الذي قام عليه.

[مجمعات النصارى العشرة]

ثم ذكر: - الفصل الثالث عشر: استحالة الإيمان بنبي مع جحد

نبوة محمد



تم بفضل الله وحمده:

الحمد لله أولاً وآخرًا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)، (٥٨)، يونس، والله لم أجد في الدنيا بأسرها مثل قلة عقول القوم، فإنهم مع ما أوتوا من تكنولوجيا وعلم حجت عنهم أنوار الهداية للإسلام، فالهداية من الله **عَزَّجَلَّ** وليست بالفكر أو العقل، ومع أن العقل دليل مرشد، إلا أن الإعتماد عليه في طلب الهداية دون اللجوء إلى الله والاعتصام به، والتوجه إليه بالدعاء حمق مهلك، لذلك تاهت عقول الفلاسفة وتخبطت في جحيم التيه، نسأل الله السلامة والعافية، لكن وجه التعجب من قوم سبقونا سنين ضوئية بالعلم والتكنولوجيا ومع ذلك يعبدون الأحجار والأوثان، وفي هذا القرن، انظر إلى الكنائس وتأمل في تماثيلهم وصلبانهم، فلن تجد فكراً أشد ركاكة من فكر القوم، وستموت ضحكاً من سخافة العقول، والله سيتعمق الإيمان بقلبك عندما تدرس عقائدهم، وستحمد الله **عَزَّجَلَّ** صباح مساء أن وهبك الإسلام من غير عناء فالحمد لله وحده، وختاماً أقول هذه هي صورة نبي الله عيسى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأمه الطاهرة مريم **عَلَيْهَا السَّلَام** كما صورها لنا القرآن الكريم، ونبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهي تختلف كثيراً عن الصورة التي رسمها له النصارى وعلى رأسهم بولس اليهودي مما يدل على تحريف دينهم، وبيان زيغهم وضلالهم، فالحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فيا خير غفار ويا خير راحم
أقل عثرتي وانفع بها وبقصدتها
ويا خير مأمول جدا وتفضلا
أن الحمد لله الذي وحده علا
حنانك يا الله يا رافع العلا
وآخر دعوانا بتوفيق ربنا

هشام بن إبراهيم أبوشام

١٢ / ربيع الأول / ١٤٤١ هـ

hishamabusham@gmail.com



المراجع



كتب التفسير:

- * تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.
- * جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ
- * تفسير ابن كثير: دار الخير - دمشق ١٩٩٠م.
- * تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم محمد حسين شمس الدين دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت
- * الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية - القاهرة.

- * الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
- * أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- * معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- * معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- * مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- * روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألووسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

- * تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.
- * فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- * الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت.
- * أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ
- * البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- * الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- * ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

* تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة .

كتب السنة وشروحها والغريب والتراجم والتاريخ:

* صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

* صحيح البخاري: دار ابن كثير - دمشق، اليمامة - بيروت ١٩٨٧م.

* فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث - مصر ١٩٨٧م.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي

* دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعه: محب الدين الخطيب.

* صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.

* المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

* الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩٨م

* تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.

* المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.

* سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ) شعيب

الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة:
الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

* سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير
بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥ هـ) محمد
محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

* البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج،
محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي.

* مسند أحمد ابن حنبل: تحقيق فئة من الباحثين، مؤسسة الرسالة -
دمشق ١٩٩٣ - ٢٠٠١ م.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل
بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ) شعيب الأرنؤوط -
عادل مرشد، وآخرون د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة
الرسالة.

* مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار أبو بكر أحمد بن عمرو
بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار
(المتوفى: ٢٩٢ هـ) محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون مكتبة العلوم
والحكم - المدينة المنورة.

* المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي
الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ) حمدي بن عبد
المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

* النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

* غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

* سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).

* سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

* صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

- * مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- * المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة، أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف
- * مكتبة دار ابن عباس للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية.
- * صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.
- * الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- * التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- * الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

* معجم الشيوخ، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دار البشائر - دمشق.

كتب التاريخ والسيرة والتراجم:

* السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

* البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

* قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

* السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.

* قصص الأنبياء: ابن كثير، دار صادر - بيروت ٢٠٠٣م.

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧م، ثم صورتها عدة دور منها دار الكتاب العربي - بيروت.

* تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

كتب العقائد والفكر:

* الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) علي بن حسن - عبدالعزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

* هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

* إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

* الصَّارِمُ الْمُنْكَي فِي الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِ شمس الدين محمد بن أحمد

بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ) عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

* المسيحية والإسلام الاستشراق: محمد فاروق الزين، دار الفكر - دمشق، ط ٢٠٠٣م.

* قاموس الكتاب المقدس: مكتبة المشعل - بيروت، ط ١٩٨١.

* الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، مكتبة السوادي، جدة .

* شرح السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ

* العقيدة الإسلامية: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم - دمشق، ط ١٩٩٢م.

* محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة. دون تاريخ.

* جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط

- * الناشر: دار العروبة - الكويت.
- * دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي.
دار الأفكار: بيروت. ١٩٩١.
- * العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر التنير: كراتشي:
باكستان ١٤١٤هـ.
- * كتبُ الشيخ أحمد ديدات ومناظراته الشهيرة، التي زال فيها ليلُ
الشكِّ بصبح اليقين.
- * المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم. محمد علي البار: دار
القلم: دمشق، والدار
- * الشامية: بيروت ١٩٩٠.
- * المسيحية والإسلام والاستشراق: محمد فاروق الزين. دار الفكر
ط ٢٠٠٣٣.
- * ينابيع المسيحية: خواجه أفندي كمال الدين. تعريب إسماعيل
حلمي البارودي. منشورات لجنة المحققين: لندن ١٩٩١.
- * Ancient Pagan and Modern Christian Symbolism. Thom-
as Inman. 2nd ed. (Leeds: Celephaïs Press, 2004).
- * «الرمزية المسيحية القديمة الوثنية والمعاصرة: توماس إنمان.
- * Bible Myths and Their Parallels in Other Religions. T. W.
Doane. Fourth Edition, 1882.

- * «أساطير الكتاب المقدس وشبهاتها في الأديان الأخرى - دوان.
- * The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity.
Hyam Maccoby. (Barnes & Noble Books 1986).
- * «صانع الأسطورة: بولس وتلفيق المسيحية». هيام ماكوبي.
- * Whose Word is it? The Story Behind Who changed the
New Testament and Why. Bart D. Ehrman. (London: The
Continuum, 2008).
- * إظهار الحق: رحمة الله الهندي، دار الجيل - بيروت ١٩٨٨ م.
- * مختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن
الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: ١٣٠٨ هـ)، اختصره
محمد أحمد عبد القادر ملكاوي وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- * دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين
بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي
(المتوفى: ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت
- * الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ.
- * البعث والنشور، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى
البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)
- * حقيقه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري، مكتبة دار
الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية،
الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ.

- * التصريح بما تواتر في نزول المسيح: محمد أنور شاه الكشميري الهندي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ط ٥ ١٩٩٢ م.
- * الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- * تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.



فهرس الموضوعات

- الفصل السادس: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ﴾ و فرق
 النصرى قديماً وحديثاً..... ٥
- المبحث الأول: ٧
- المطلب الأول: تفسير الآية. ٧
- المطلب الثاني: ١٦
- المطلب الثالث: هل يصح إطلاق المسيحية على النصرانية؟ ٢٦
- المبحث الثاني: فرق النصرى قديماً..... ٢٩
- المطلب الأول: تعريف النصرانية ونشأتها وتاريخها. ٢٩
- المطلب الثاني: اليعقوبية. ٣٣
- المطلب الثالث: النسطورية. ٣٧
- المطلب الرابع: الطائفة الملكانية..... ٤١
- المطلب الخامس: الخلاف بين الطائفة الملكانية والطائفة المونوفيزية. . ٤١
- المطلب السادس: مصطلحات الأبرشية والكاتدرائية والمُطرائية. ٤٤
- المطلب السابع: شاؤول اليهودي أو بولس الرسول هو من حرف
 النصرانية للشرك..... ٤٥
- المبحث الثالث: الفرق النصرانية المعاصرة ٥٤
- المطلب الأول: الأرثوذكس..... ٥٤
- المطلب الثاني: الكاثوليك..... ٥٧

- المطلب الثالث: البروتستانت. ٦٥.....
- المطلب الرابع: المارونية. ٧٩.....
- المطلب الخامس: الجزويت. ٨٧.....
- المطلب السادس: المورمون. ٩٠.....
- المطلب السابع: شهود يَهُوه. ٩٦.....
- المطلب الثامن: أهل الكتاب هم اليهود والنصارى. ١٠٠.....
- المبحث الخامس: الإنجيل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ١٠٧.....
- المطلب الأول: أصل الأناجيل الموجودة اليوم عند النصارى. ١٠٧
- المطلب الثاني: تاريخ الأناجيل الأربعة إجمالاً. ١٠٩.....
- المطلب الثالث: تاريخ إنجيل متى تفصيلاً. ١٢١.....
- المطلب الرابع: تاريخ إنجيل مرقس تفصيلاً. ١٢٤.....
- المطلب الخامس: تاريخ إنجيل لوقا تفصيلاً. ١٢٥.....
- المطلب السادس: تاريخ إنجيل يوحنا تفصيلاً. ١٢٧.....
- المطلب السابع: تاريخ إنجيل برنابا تفصيلاً. ١٣٠.....
- الفصل السابع: بيان أسباب ضلال النصارى ومفارقتهم لدين عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ١٣٩.....
- المبحث الأول: بيان ضلال النصارى ومفارقتهم لدين عيسى. ... ١٤١
- المطلب الأول: من أسباب سخط الله تعالى على النصارى: ١٤١
- المطلب الثاني: الأصل في اليهود والنصارى التمرد والعصيان. ... ١٤٣

- المطلب الثالث: ذم النصارى بإدخال الرهبانية في دينهم ١٤٥
- المطلب الرابع: النصارى شرار الخلق عند الله يوم القيامة..... ١٤٨
- المبحث الثاني: التشابه بين عقيدة النصارى والعقائد الوثنية القديمة. . ١٥٠
- المطلب الأول: دين النصارى ضلال ووثنية قديمة اخترعها من قبلهم..... ١٥٠
- المطلب الثاني: التثليث في الوثنيات القديمة. ١٥٤
- المبحث الثالث: بيان كفر النصارى كما جاء في القرآن والسنة... ١٦٠
- المطلب الأول: بيان كفر النصارى..... ١٦٠
- المطلب الثاني: مصير النصارى يوم القيامة. ١٧٤
- المبحث الرابع: أسباب تحريف النصرانية وضياع الإنجيل
- الحق الذي جاء به عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١٨٢
- المطلب الأول: أسباب تحريف النصرانية..... ١٨٢
- المطلب الثاني: الأصول التي فقدتها المسيحية و العقائد الدخيلة. ١٨٨
- المبحث الخامس: عرض لكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام..... ١٩٦
- المطلب الأول: سبب تأليف الكتاب..... ١٩٦
- المطلب الثاني: قول شيخ السلام، مُجْمَلُ مَا جَاءَ فِي رِسَالَةِ بُولِسَ مِنْ دَعَاوَى..... ١٩٩
- المطلب الثالث: قوله النَّصَارَى بَدَّلُوا دِينَ الْمَسِيحِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٢٠١

المطلب الرابع: تلخيص لمجمل كتاب الجواب الصحيح.	٢٠٤
المطلب الخامس: نماذج من الردود والحجج التي صاغها شيخ الإسلام.	٢٠٨
المبحث السادس: بعض ما جاء في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ.....	٢١٩
المطلب الأول: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.	٢١٩
المطلب الثاني: أنواع التحريف الذي وقع في الكتب السابقة.	٢٢٢
المطلب الثالث: بيان بعض موضوعات هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.	٢٣٢
الخاتمة.	٢٣٥
المراجع.	٢٣٧
فهرس الموضوعات.	٢٥١

